الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة باتنة 01 – الجزائر

كلية العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين

الشيخ محمد باي بالعالم ومنهجه في تناول مسائل العقيدة

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه "علوم" في: العلوم الإسلامية، تخصص عقيدة

إعداد الطالب: **إشراف الأستاذ الدكتور:**

عمر شيباني **مرزوق العمري**

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
أد. عبد الحكيم فرحات	أستاذ التعليم العالي	رئيساً	جامعة باتنة01
أد.مرزوق العمري	أستاذ التعليم العالي	مشرفاً ومقرراً	جامعة باتنة01
أسمهان بوعيشة	أستاذ محاضر (أ)	عضوا	جامعة باتنة01
عبد المالك بن عباس	أستاذ التعليم العالي	عضوا	جامعة الأمير عبد القادر –قسنطينة
جمال الأشرف	أستاذ محاضر (أ)	عضوا	جامعة الوادي
زهير بن كتفي	أستاذ محاضر (أ)	عضوا	جامعة الوادي

السنة الجامعية: 1443–1444هـ/ 2022–2023م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

أولاً وقبل كل شيء الشكر لله سبحانه وتعالى على فضله وإحسانه، لما أنعم به علينا من توفيق وإعانة على إنجاز هذا البحث العلمي.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :﴿من صنع لكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه﴾ رواه الحاكم وغيره.

-انطلاقاً من الحديث النبوي أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان العظيم لأستاذي **الدكتور مرزوق العمري** على تفضله بالإشراف على بحثي، وعلى توجيهاته القيمة ونصائحه السديدة التي ساعدتني في إنجاز هذا العمل.

وما رؤيا الخير التي رآها لنا وبشرنا بها في أول هذا العمل إلا نتيجة الحب والخير الذي امتلأ قبله به، نسأل الله أن يحفظه ويحفظ أولاده وأهله ويبارك له فيهم ويبارك لهم فيه ويجازيه عنا خير الجزاء.

-والشكر موصول إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل، وأخص بالذكر شيخنا العربي بن الشيخ عليه سحائب الرحمات، فكانتنصيحته موجهةً لنا إلى هذا التخصص، وإلى كل من وسعتهم قلوبنا ولم تسعهم أقلامنا ...على مدهم يد العون لنا في مختلف مراحل البحث.

عمر شيباني

إهداء

إلي والدي الغاليين بارك الله في عمرهما ومدّ لهما فيه...

إلى إخواني وأخواتي حفظهم الله ورعاهم...

إلى زوجتي الكريمة التي تحملت معي الكثير من المتاعب حتى رأى هذا العمل النور....

إلى بهيات الطلعة بناتي اللواتي بخستهن حقهن في الجلوس واللعب معهن....

إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في نضج هاته الثمرة وتمامها...

وإلى كل من عرفنا وعرفناه.....

نهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ﴾ البقرة:21، وقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ النساء:01، وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ الأحزاب: 70-71.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله عز وجل، وخير الهدي، هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد: فإن الله قد رفع أهل الإيمان والعلم فقال:﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ ﴾ المجادلة: 11 ، وإن من أجل العلوم وأشرفها علوم الشريعة، وبالأخص علم التوحيد، إذ شرف العلم من شرف المعلوم وجلاله، ولا أجلُّ من الله سبحانه وتعالى، فكان بذلك علم التوحيد من أشرف العلوم وأجلها، وكيف لا وقد تناول توحيد الله ومعرفة ما يجب له من الأسماء الحسنى والصفات العلى، وحقه سبحانه وتعالى على عباده من أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وما تعلق بذلك من مسائل، مما يحصل بالإيمان والإقرار به سعادة الدارين والفوز فيهما.

التعريف بالموضوع:

بعدما منّ الله علّي و يسر لي الاختيار والالتحاق بقسم العقيدة منذ مرحلة ليسانس مروراً بمرحلة الماجستير ووصولاً إلى مرحلة الدكتوراه، ومواصلةً إلى مزيد فضله ومنه وكرمه، قد أحببت أن أخصص جزءاً من هاته المسيرة وهي مرحلة الدكتوراه، لدراسة علم من الأعلام الذين نذروا حياتهم لدين الله وخدمته، والذبّ عنه وعن حياضه، ألا وهو الشيخ محمد باي بلعالم، وقد عنونت هاته الأطروحة بـ" **الشيخ محمد باي بلعالم ومنهجه في تناول مسائل العقيدة**"، و التي من

خلالها أحاول عرض المسائل العقدية عند الشيخ باي وطريقة عرضه وتناوله إياها؛ ومن الله عز وجل أسأل التوفيق والسداد والقبول والثواب.

أسباب اختيار الموضوع:

هناك نوعين من الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع، النوع الأول أسباب ذاتية والثاني أسباب موضوعية؛ أما ما يخص النوع الأول فقد شاء الله سبحانه وتعالى وأنا أتصفح موقع "أهل الحديث" أن أقرأ تعليقاً على سيرة الشيخ محمد بايجلول وقد كُتِبَتْ على صفحة الموقع، وكان صاحب التعليق يثني على الشيخ وعلمه ويذكر أنه من أهل السنة، ومن العلماء الذين أحيوا السنة وحاربوا البدعة؛ وبعده تعليقاً آخر يعيب على صاحب التعليق الأول ويرّد عليه، ويعتبر الشيخ خارجاً عن معتقد أهل السنة، ويذكر بعض معتقداته التي خالف الأشاعرة فيها أهل الحديث، وإن كانوا جميعاً من أهل السنة، إلا أن صاحب التعليق شنّع عليهم ومن بينهم الشيخ باي في ما خالفوا فيه أهل الحديث.

وذلك مما حزّ في نفسي وقلبي أن كيف يُرمى عالم أفنى حياته، شبابه وشيبته في خدمة الدين، بتلك التهم من غير معرفة حقيقية به، فتشكلت لدي رغبة في التعرف أكثر على الشيخ وعلمه وإصلاحه.

كما أن الشيخ من منطقة توات والتي تعتبر موطني، وهو ما شكل دافعاً آخر لاختيار درسه العقدي موضوعاً لأطروحة الدكتوراه، إضافة إلى ما تميز به الشيخ عن بقية شيوخ المنطقة من وفرة التأليف والمادة العلمية في شتى العلوم الشرعية وحتى التاريخ والترجمة، وهو ما يشكل حافزاً للباحث العلمي ومادة دسمة له، إذ تتشكل لديه قاعدة علمية يبني عليها بحثه العلمي .

أما ما يخص النوع الثاني من الأسباب وهي الأسباب الموضوعية،فهي باعتبار الشيخ باي من الشيوخ المعاصرين وقد توفي حديثاً، وهو ما جعل الدراسات العلمية التي تناولته بالتعريف، أو تناولت علومه بالتحقيق أو الجمع والشرح قليلة، إذا ما قرناها بما تركه من مؤلفات تقارب الخمسين مؤلفاً ما بين شرح ونظم وتأليف، وهو ما شكل لدي دافعاً للمساهمة ولو بشكل بسيط في ذلك المجال والعمل.

وكما أشرنا إلى وفرة المادة العلمية في شتى العلوم الشرعية مما تركه الشيخ، فقد تميز درسه العقدي– ناهيك عن كتابته في مؤلفات– بالتأصيل من الكتاب والسنة وأقوال العلماء السابقين، إضافة إلى شرح كل مسألة عقدية تقريباً، وهو ما جعلني اطمئن أكثر لاختياره موضوعاً للبحث، وأنا دارس في تخصص أصول الدين بفرعه العقدي.

كما أن هذا الموضوع، وهو الدرس العقدي عند الشيخ باي، لم يتناوله أحد من قبل بالبحث والدراسة.

ولا زال هناك دوافع أخرى ذاتية وموضوعية لاختيار هذا الموضوع لا يسع المنهجية العلمية للبحث ذكرها تفادياً للإطالة.

إشكالية البحث:

من خلال سردنا لأسباب اختيار الموضوع، تتشكل ملامح إشكالية البحث، وتصاغ في التساؤل التالي: كيف كان الطرح العقدي عند الشيخ باي، وما منهجه في عرض مسائل العقيدة، وموقفه في المسائل العقدية بالتوافق أو المخالفة مع غيره من العلماء الذين سبقوه من أهل السنة، وتندرج تحت هذا التساؤل أسئلة فرعية وجاءت كالتالي:

- من هو الشيخ محمد باي بلعالم العالم المصلح؟ وكيف كانت حياته التعلمية والتعليمية؟

- ما منهج الشيخ في بيان التوحيد ونواقضه؟ وكيف تناول أنواعه ومسائله؟

- وما هو منهجه في بيان الإيمان ومسائله؟ وما موقفه من بعض قضاياه؟

-كيف كان تعامل الشيخ مع القضايا التطبيقية في العقيدة الإسلامية كالكفر والتبديع، والتصوف والولايَة؟

المنهج المتبع:

من المعتاد في مثل هاته الدراسات أن يغلب عليها **المنهج الاستقرائي** الذي يساعد على جمع المادة العلمية من مكامنها، كما يساعد **المنهج التحليلي** على بسط الآراء وفهمها، وهو ما يمهد لاستنباط الأحكام منها، ويأتي **المنهج المقارن** ليقابل الأقوال والآراء المختلفة في المسألة الواحدة، ليسهل بعد ذلك ترجيح بعضها على بعض مع الدليل.

الدراسات السابقة:

كما ذكرنا في أسباب اختيار الموضوع، فإن الدراسات التي تناولت بالبحث الشيخ باي وعلومه وعلى كثرتها تعتبر قليلة إذا ما قرناها بمورثه العلمي وحياته الحافلة بالعلم والعمل والإصلاح، وسنذكر بعض ما خرج من تلك الدراسات إلى النور واكتمل قبل هاته الدراسة المعدة وقد تعددت جهات إصدارها وهي كما يلي:

01 – فتح الجواد شرح على نظم العزية لابن باد، للشيخ محمد باي بلعالم، دراسة وتحقيق لعمر بن عراج، وقد قدمها كبحث لنيل درجة الدكتوراه علوم في تحقيق المخطوطات قسم التاريخ ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان، للسنة الجامعية: 1438-1439هـ الموافق لـ 2017-2018م، وقد استفدت منها من خلال عرض الدرس العقدي فيها، وقد احتوت على الدرس العقدي والفقهي في شرح الشيخ للنظم المذكور.

02 – الجهود اللغوية لمحمد باي بلعالم في ضوء الدراسات الحديثة، لفطيمة جري، وقد قدمتها لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها كلية الأدب والفنون، جامعة وهران، السنة الجامعية: 1436- 1437هـ الموافق لـ: 2014-2015م.

03 – الإسهامات الاجتماعية والثقافية للشيخ محمد باي بلعالم في إقليم توات، لأسماء بلايلي، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة أدرار للسنة الجامعية: 1435-1436هـ الموافق لـ: 2012- 2013م.

04 - محمد باي بلعالم انقشاع الغمامة والإلباس عن حكم العمامة اللباس من خلال سؤال سعيد هرماس، دراسة وتحقيق لعمر بن عراج، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، للسنة الجامعية: 1435-1436هـ الموافق لـ: 2012- 2013م.

05 – الجهود النحوية عند الشيخ محمد باي بلعالم، لبدوي منير، رسالة ماجستير في اللغة والأدب العربي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، للسنة الجامعية 2010م.

06 – الجهود النحوية عند الشيخ محمد باي بلعالم، محمد ولد الصافي، رسالة ماستر، تخصص علوم اللسان العربي، جامعة قسنطينة 01، للسنة الجامعية: 2013م

07- الشيخ باي بلعالم وجهوده الدعوية، لحموعبدو عبد الحميد، مذكرة ماستر في الدعوة والثقافة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، للسنة الجامعية: 2012م.

08 –دور الزوايا في تعليم اللغة العربية الفصيحة، زاوية الشيخ باي بمنطقة أولف أنموذجاً، لواني عائشة و بوسيدي ليلى، مذكرة ليسانس في اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر 02، للسنة الجامعية: .2010

09 - الشيخ محمد باي بلعالم سيرته وأدبه، الجديد عبد العظيم و بايلك عمار ، مذكرة ليسانس في اللغة والآداب، جامعة أدرار، للسنة الجامعية: 2009-2010م.

10 – العائلة الفلانية ودورها في الحركة اللغوية والأدبية، الشيخ محمد باي بلعالم، العايبي جميلة وبن حمو فطيمة، مذكرة ليسانس في اللغة والأدب، جامعة أدرار، للسنة الجامعية: 2007- 2008م.

11- الشيخ محمد باي بلعالم، جهوده ومؤلفاته في خدمة المذهب المالكي، من خلال تحقيقاته وانظامه وشروحه في الفقه والأصول والميراث، لمختار بن مالك وأيوب مفتاحي، مذكرة لنيل رتبة إمام مدرس من المعهد الإسلامي لتكوين إطارات الشؤون الدينية والأوقاف بتمنرست، السنة الدراسية: 2016-2017م.

12 – من أعلام الجزائر، العلامة الشيخ محمد باي بلعالم، وادواره العلمية والاجتماعية، لبوسماحة بن محمد بن عبد الكريم، مذكرة لنيل رتبة إمام مدرس من المعهد الإسلامي لتكوين إطارات الشؤون الدينية والأوقاف بتمنرست، السنة الدراسية: 2016-2017م.

لم يسبق وأن أفردت دراسة خاصة بالدرس العقدي عند الشيخ باي وهو الفراغ الذي تطمح هاته الدراسة لملأه.

صعوبات البحث:

لله الحمد والمنة، فقد يسر لي هذا البحث وأعانني عليه بفضله وكرمه، وما ذكري للصعوبات التي واجهتها في هذا البحث إلا من باب تقديم الأعذار مسبقاً لما فيه من أخطاء وتقصير.

وإن مما واجهني من صعوبات تمثل في التوفيق بين العمل الوظيفي، وبين العمل على البحث، فقد وجدت ضيقاً في الوقت والتوفيق بيّن العملين وأنا أعمل معلماً في الطور الابتدائي، وذلك للعامين الأولين، ثم أصبحت إماماً وهو ما وفر لدي الوقت، ولكن لم يساعدني المكان الجديد للوظيفة الجديدة من التقرب للمادة العلمية، التي كانت أغلب كتبها تحميلاً من لشبكة العنكبوتية، علماً أنني عينت بعين قزام أقصى الجنوب الشرقي للجزائر، وهي حدودها مع النيجر، وقد أقمت بها حوالي عامين، وقد عرفت هذه المقاطعة الإدلِق سابقاً، والولاية الجديدة حديثاً تذبذباً في الشبكة العنكبوتية، نهايك عن معاناتها من نقص أماكن البحث كالمكتبات العمومية، وهو ما توفر لي بحمد الله وفضله بعد تحويلي وظيفياً من عين قزام إلى ضواحي مدينة تمنراست.

أهداف البحث:

سعيت ومن خلال هذا البحث إلى التعرف أكثر على الشيخ باي وعلمه وجهاده، كما سعيت إلى إنصاف هذا العالم وعرض أقواله وأرآءه العقدية كما قالها واعتقدها هو، ومقارنة ذلك بمن سبقه من علماء أهل السنة، وفي ذلك مساهمة في جمع درسه العقدي الذي كان منثوراً في مختلف كتبه التي ألفها، كما سعيت إلى ردّ بعض الجميل لهذا العالم الذي أحيا الله على يديه الكثير من السنن وأمات الكثير من البدع في مجتمعه، وذلك بنشر علمه والتعريف به ولو بشكل بسيط.

خطة البحث:

اشتملت هذه الرسالة العلمية والموسومة بـ: "الشيخ محمد باي بلعالم ومنهجه في عرض مسائل العقيدة" على مقدمة وبابين وخاتمة وفهارس متنوعة، وما أجملناه هو بالتفصيل على النحو التالي:

فأما المقدمة: فقد خصصت لذكر أسباب اختيار الموضوع، والإشكالية التي على أساسها بني هذا البحث، والمنهج المتبع في الجواب على تلك الإشكالية، وأهمية هذا البحث ودراسته، وبعض الدراسات التي اعتنت بالشيخ باي وعلمه وحياته بصفة عامة، كما تضمنت ذكر بعض الأهداف المرجوة من البحث، وختمتها بذكر خطة البحث.

وأما الباب الأول: فقد اشتمل على ذكر ترجمة الشيخ باي ومنهجه في بيان التوحيد ونواقضه، وتضمن فصلين: **الفصل الأول**: في ترجمة الشيخ باي وظروف عصره، و**الفصل الثاني** :في حديث الشيخ عن التوحيد ونواقضه ومنهجه في ذلك.

وجاء الباب الثاني: في بيان منهج الشيخ باي للإيمان والقضايا التطبيقية، وخصص **الفصل الأول** للإيمان ومسائله، **والفصل الثاني** في القضايا التطبيقية.

وأما الخاتمة : فقد اشتملت على أهم النتائج والتوصية للاهتمام بعلم الشيخ وموروثه العلمي، كما اشتملت على أهم النتائج التي تضمنها البحث، وفيها تبيّن موقف الشيخ باي من كل قضية عقيدة ناقشها، ومحل ذلك من اعتقاد أهل السنة واعتبارهم لها

وأما الفهارس فهي للآيات والأحاديث والمصادر والمراجع والمحتويات.

الباب الأول

عصر الشيخ محمد باي بلعالم وحياته وآثاره وقضايا المعرفة العقدية عنده.

وقد تضمن ثلاثة فصول:

الفصل الأول: عصره.

الفصل الثاني: حياته وآثاره

الفصل الثالث: قضايا المعرفة العقدية عنده.

الفصل الأول

الظروف التي صاحبت نشأة الشيخ محمد باي بلعالم.

وقد تضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الظروف السياسية

المبحث الثاني: الظروف الاجتماعية

المبحث الثالث : الظروف العلمية

تمهيد

إن من باب الإحاطة بالشخصية المترجم لها في أي بحث كان، الوقوف على الظروف التي صاحبت هذا الشخص والأحداث السياسية والاجتماعية والعلمية التي تكّون ونشأ خلالها، فطبيعة الإنسان أنه اجتماعي يتأثر ويؤثر بما حوله.

والشيخ باي بلعالم رحمه الله قد عاش مرحلتين مختلفتين، فعاش أكثر من ثلث عمره في الفترة الاستدمارية الفرنسية للجزائر، وقد كان لهذه الفترة العصيبة من تاريخ الجزائر تأثير على حياته الاجتماعية والعلمية خاصة هاته الأخيرة في جانبها التعليمي، وما رافقها من مضايقات وتحرشات بالزوايا والمدارس وما تمثله من فكر ووعي، وما يقوم العلماء والمشايخ ومنهم الشيخ باي رحمه الله من إصلاح العقيدة والفكر وربط الناس بدينهم وتصحيح مفاهيمه لهم، ليعتزوا به وتسعد حياتهم بالتمسك به، فما أُهينوا إلا يوم إن ابتعدوا عنه، وتركوا تعاليمه وتمسكوا بسراب الخرافات والدجل، ورضوا بالجهل سبيلا فما زادهم ذلك إلا شقاءً.

وما إن انتشر العلم بين الناس وأقبلوا عليه يستبدلون الذي هو خير بالذي هو أدنى، وما إن تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الأفكار والعادات، وتحررت العقول منها بفضل العلماء والمصلحين، حتى تحررت البلاد من الاستدمار ونالت حريتها في وطنها ودينها ولغتها، وتلك هي سنة الله في خلقه فإنه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، والتغير يكون بالعلماء الربانيين الذين يصححون المفاهيم والأفكار ويبيّنون للناس الحق من الباطل، خاصة أيام المحن، فيشحذون الهمم لبلوغ القمم، وهذا ما ينقصنا اليوم في إصلاح الفرد والمجتمع والهيئات والمؤسسات وإعادة الثقة بينهم، وبيان دورهم في الحياة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبذلك يكونوا خير أمة أخرجت للناس.

المبحث الأول: الظروف السياسية

عاشت الجزائر في الثلث الثاني من القرن الماضي وهي الفترة التي ولد فيها الشيخ باي بلعالم حالة عصيبة جراء ما كانيمارسه الاستدمار الفرنسي، والذي كان قد مضى على احتلاله للجزائر قرناً من الزمان، لم يدع خلالها أسلوباً من الأساليب للقضاء على الهوية الجزائرية وطمسها إلا واستعمله بل وتفنن فيه، وزيادة على ذلك كله أقام الفرنسيون احتفالاً عظيما سنة 1930م بمناسبة مرور 100سنة على احتلالهم لأرض الجزائر ، ولم تكن الصحراء الجزائرية أحسن حالاً من بقية القطر الجزائري في معاناتها من سياسة الاستدمار الفرنسي، وذلك منذ دخوله أرض الجزائر إلى أن خرج من آخر شبر من ترابها، بل ولا زالت الصحراء الجزائرية تعاني من مخلفاته وخاصة على المستوى الصحي، وهو ما تمثل في آثار الإشعاع النووي في منطقة رقان بأدرار، ومنطقة إينكر بتمنراست على سبيل المثال فقط وهو ما علم من المناطق، وما خفي من الجرائم والآثار كان أعظم.

وقد " حاول الاستدمار الفرنسي في الجزائر أن يتوسع إلى صحراء الجنوب منذ القضاء على مقاومة الأمير عبد القادر وإبرام معاهدة (لالة مغنية) بين فرنسا والمغرب يوم: 1845/03/18م بشأن الحدود"[1]، إلا أنه لاقى مقاومة عنيفة تمثلت في عدة معارك متفرقة[2] لم يتمكن الاستدمار الفرنسي من إخمادها و إخضاع الصحراء الجزائرية لسيطرته إلا في مطلع القرن العشرين أي بعد أكثر من سبعين سنة من دخوله إلى الجزائر، وهذا ما يصحح جانباً من الصورة المرسومة عن الصحراء الجزائرية وتاريخها المشرف في مقارعة الاستدمار الفرنسي، وإعلانها ومنذ بداية دخول المحتل إلى أرض الجزائر أنها جزء لا يتجزأ عن القطر الجزائري، وأنها في خندق واحد معه في رفض الاحتلال وسياسته التي كان عنوانها فرق تسد، والتي كانت ترمي إلى هدف واحد هو استغلال أرض الجزائر وخيراتها وطمس هويتها.

وقد عرفت بعدها الصحراء الجزائرية ومنها إقليم توات سياسة استعمارية لم تختلف كثيراً عن سياسته في القسم الشمالي للجزائر، رغم أن هذا الإقليم وغيره من بعض الأقاليم كإقليم الأزواد بالجنوب الغربي للجزائر ظلت بعيدة عن أعين المستعمرين في العصر الحديث، وقد كانت معبراً مهماً للقوافل التجارية بين الشمال والجنوب، وبذلك شكلت

---

[1] الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات، محمد باي بالعالم، (المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2005م)، ج2، ص 05

[2] من اهم هاته المعارك في منطقة توات :

1- معركة الفقيقيرة، وهذه المنطقة تبعد حوالي 20 كلم عن عين صالح، نزل بها الجيش الفرنسي سنة 1899م، وقد أسفرت المعركة عن خمسين شهيداً ومائة وخمسين جريحاً واربعة وستين أسيراً.

2- معركة الدغامشة، وهي منطقة في جنوب عين صالح تبعد حوالي 04كلم، وقعت في 05 جانفي 1900، خلفت ما يقرب من 150 شهيد و 200جريح

3- معركة إينغر الأولى، تبعد حوالي 65 كلم عن عين صالح، كانت هاته المعركة في أواخر مارس 1900م، استشهد فيها حوالي 500 رجل وجرح 600 آخرون، كما قتل فيها 11 جندي فرنسي وجرح 44 آخرون.

4- معركة إينغر الثانية، حيث وقعت في 18 مارس 1900.أنظر : المصدر السابق، ج2، ص 08

محطات رئيسية في الطريق بين البحر الأبيض المتوسط والقارة الإفريقية، ولاسيما السودان الغربي منها، فمنطقة توات والأزواد وما جاورهما كانت مسرح نشاط تجاري وصوفي وعلمي طيلة قرون قبل اكتشافها من قبل الرحالة الأوروبيين في القرن التاسع عشر، ذلك أن موقعها الداخلي وصعوبة مسالكها الطبيعية، جعلت الوصول إليها لا يتم إلا بعد مغامرات خطرة يكون الهلاك دونها أحياناً [1]

وظلت توات في عزلة مريحة قروناً، ولكن الغزو الأوروبي امتد إليها في نهاية المطاف، كان ذلك بعد عدة بعثات استكشافية أرسلها الفرنسيون إلى المنطقة محاولين ربط مستعمراتهم (وبالخصوص الجزائر) بمستعمراتهم في غرب إفريقيا، وبعد البعثات جاءت الحملات العسكرية وتوظيف سياسة (فّرق تسد)، والسيطرة على الموارد الاقتصادية والتجارية وإخضاعها لمشيئة المصالح الاستعمارية، وبذلك خرجت توات من العزلة ولكن بعد فقدان الحرية والمصالح الذاتية[2]

وقد اعتمدت الإدارة الفرنسية في احتلال الإقليم وإخضاعه كما أشرنا على تقارير المستكشفين وأعوانهم المستقاة من بعض أعيان الصحراء، وتبنت خصوصاً تقرير الضابط "ديبورتر" عن إقليم توات، الذي يعرض لأوضاع الإقليم الاجتماعية والسياسية ويبيّن أهميته العسكرية والاقتصادية ويورد توجيهات مهمة لقهر الإقليم وتفكيك بنيته الاجتماعية والسياسية[3]، وهي سياسة كما ذكرنا كانت تعتمدها فرنسا في فك لحمة الشعب الجزائري، والتي كانت تعتمد على الدين والأسرة والأعراف الاجتماعية، وهذا الثلاثي قد شكل عائقاً حقيقياً في القضاء على المقاومات الشعبية، سواءً في الشمال الجزائري أو في الصحراء، فما كانت فرنسا تنهي معركة وتقضي على رموزها، إلا وتبرز رموز جديدة تولّدها تلك البنية الاجتماعية والدينية القوية والمتماسكة، تقود المعارك ضد فرنسا وأهدافها الاستدمارية على مختلف النواحي و على جميع المستويات.

وتبيّن لفرنسا من خلال رحلات المستكشفين وتقاريرهم المذكورة سابقاً وغيرها من الرحلات والتقارير، أن التوسع في إقليم توات هو ربط لمستعمراتها الإفريقية في غرب القارة ووسطها ثم شمالها، ولا يتأتى ذلك إلا إذا احتلت الصحراء الجزائرية لأنها حلقة الربط بين هذه المستعمرات، كما أن احتلال إقليم توات هو ضمان لاحتلال كامل البلاد ، لأن الثورات الشعبية التي كانت تندلع في الجزائر من حين لآخر كانت تجد في إقليم توات والواحات معقلاً يلجأ إليه المجاهدون للراحة، وقد زار الرحالة الألماني "جير هارد رولف" إقليم توات سنة 1281هـ 1864م وشاهد بنفسه مشاركة أهل إقليم توات في دعم الثورات ورجالها، فنصح الفرنسيين أن ينقلوا حدودهم إلى نهاية وادي الساورة فمن هناك بالضبط تبدأ كل المصائب

[1] مجادلة الآخر، أبو القاسم سعد الله، (عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة بدعم وزارة الثقافة، 2011م)، ص 285.

[2] المرجع السابق، ص 289.

[3] إقليم توات خلال الثورة التحريرية الجزائرية1956-1962، تواتي دحمان ، مقلاتي عبد الله، رموم محفوظ، الكتاب صدر بدعم من وزارة الثقافة ، 2008، دط، ص 27

وكل الفوضى، وما دام الفرنسيون لم يستولوا على هذه الحدود الطبيعية، فلن يكون هناك أي هدوء دائم في جنوب مقاطعة وهران [1].

كل هؤلاء المكتشفون وغيرهم مهدوا لاحتلال إقليم توات ومعه إقليم الأزواد ، لأنهم كانوا يدركون أنهما نقطة إمداد خلفية للمقاومة الشعبية الثائرة في الشمال الغربي، والتي كانت تستمد قوتها من هاذين الإقليمين، وابرز مثال على ذلك هو وجود الشيخ بوعمامة بمنطقة دلدول بإقليم تينجورارين التي أعاد فيها ترتيب شؤونه الداخلية وتنظيم جيوشه وذلك من 1310هـ إلى 1314هـ الموافقة لـ 1892م إلى 1897م[2]

وأما في تسير شؤون الجزائر وسياستها بصفة عامة، فقد عملت السلطات الاستدمارية على استحداث منصب الحاكم العسكري يدير شؤون مقاطعتها كما اعتبرتها هي، وسمته " الحاكم العسكري العام وهو مسئول أمام وزير الحرب في الحكومة الفرنسية، الذي يعطيه تعليمات الحكومة، ولكنه لا يمثل الوزير بل الحكومة الفرنسية في الجزائر، ودور الحاكم العام هنا هو الإشراف على السياسة القائمة على المستوين العسكري والمدني، أي أنه يتصرف في كل ما يتعلق بالعمليات العسكرية وقراراته يؤيدها وزير الحربية؛ وللحاكم العام التفاوض في المعاهدات والموافقة عليها"[3]، وهذا فيما يخص تسير شؤون الجزائر بصفة عامة شمالها وجنوبها .

وأما ما يخص الصحراء الجزائرية ومنطقة الواحات، وهو ما يشكل الجزء الأكبر من أرض الجزائر من حيث المساحة وشساعتها، ومركز خيراتها وثرواتها- والتي اكتشفتها فرنسا بعد ذلك وحاولت التمسك بها وفصلها عن أي مفاوضات بينها وبين الفريق الجزائري المفاوض- فقد قسمته فرنسا إلى أربع مقاطعات هي عين الصفراء، والواحات الصحراوية، وغرداية، وتقرت، وعشر بلديات مختلطة وتسع ملحقات، إضافة إلى تيدكلت وجانت والهقار وهي مناطق تابعة للملحقات، وفي محاولة من فرنسا في إضفاء طابع الشرعية على سياستها في تسيير هذا الجزء من أرض الجزائر، وإظهاراً لتلك السياسة على أنها من الشعب وإليه، فقد اعتمدت في تسيير هذه المناطق على ما يسمى" بالجماعة الريفية المنتخبة " وهي تتداول في تسيير شؤون القرية مثل ملكية الأرض العروشية والتصرف في المال العام"[4]، لكنها تتبع في سياستها إلى الحاكم العسكري[5] لكل مقاطعة وقد حددت صلاحيات كل ضابط بموجب مرسوم 10 ابريل 1940م والذين بدورهم

---

[1] توات والأزواد، محمد الصالح حوتية، ج 02، ص 464

[2] نفس المرجع، ص 489.

[3] دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر(1830-1962)، قاصري محمد السعيد، (دار الإرشاد للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013م)، ص 334

[4] تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج09، 1954-1962، (دار عالم المعرفة، الجزائر، ط خاصة بدعم وزارة الثقافة، 2011م)، ص15.

[5] وقد عانت الصحراء الجزائرية الويلات نتيجة هذه السياسة العسكرية الاستعمارية، وهو ما جعلها تتأثر ولو بشكل متفاوت حسب قربها من المناطق الشمالية بنشاط الحركة الوطنية بمختلف تياراتها وتوجهاتها، وهذا ما يلاحظ في انعدام أي تواجد لهذه الحركات بأقصى الجنوب كأدرار وكعين صالح وتامنغست وجانت==

يتبعون لسلطة الحاكم العام للجزائر[1]، وهو ما يبيّن أن فرنسا كانت تستغل تلك الجمعيات المنتخبة كورق توت تتستر بها على قبضها العسكرية التي كانت تحكم بها الجزائر ككل، إلا أن الشمال الجزائري قد شهد تيهاً ولو سطحياً من الحكم العسكري إلى المدني، وبقيت الصحراء الجزائرية ترزح تحت الحكم العسكري بدءاً وانتهاءً لذلك الاستدمار الذي جثم على صدرها ما يزيد على القرن والربع قرن ، كما استغلت فرنسا ومن جانب آخر تلك الجمعيات في سد النقص والعجز عن تسيير مثل تلك المناطق، والتي كان لها طابع خاص من حيث الحكم القبلي والعروشي الذي عرفت به وتعودت عليه، وهو ما صعب عليها التماشي مع الحكم العام المدني الذي جاءت به فرنسا .

كما تعتبر الكثافة السكانية التي كانت تمثلها طبقة الكلون في الشمال الجزائري، عاملاً مهماً في وضع فرنسا لذلك الجزء من الجزائر تحت الحكم المدني، وهو ما لم ينطبق على الصحراء التي بقيترزح تحت الحكم العسكري بدءً وانتهاءً كما قلنا رغم صدور قرار يقضي بإلغاء الحكم العسكري للصحراء سنة 1947م، أو ما يسمى بدستور الجزائر الصادر في 20 سبتمبر 1947م[2]، والذي كان ينص وكغيره من المشاريع اللاحقة على إلغاء الوضعية الخاصة للصحراء وإلحاقها بالشمال وإقامة الإدارة المدنية[3]، ولكن كل ذلك وغيره لم يتحقق لعدة أسباب، تعذرت بها فرنسا كما ذكرنا عن التركيبية الاجتماعية لأهل الصحراء ونقص الكثافة السكانية لطبقة الكلون، إضافة إلى اكتشاف المعادن الباطنية والتي أسالت لعاب فرنسا وجعلتها تهتم بهذا الجزء من الجزائر أكثر من السابق، وتحاول أن تبقيه تحت الوضعية العسكرية لا المدنية.

لأنه من المعروف أن من نتائج الوضعية المدنية والحكم المدني أنه يشكل وعي لدا الشعب في المطالبة بحقوقه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها من الحقوق، بل والتساوي فيها مع غيره من الأوروبيين الذين استقدمتهم فرنسا

===وإليزي، ورغم ذلك فقد سجلت هذه المناطق حضور لبعض الناشطين لتلك الأحزاب ومثال ذلك المناضل برادعي مولاي عبد الله، فقد انتقل من متليلي إلى تامنغست، أين نشط بشكل كبير ضمن المكتب السياسي أو خلية جبهة التحرير الوطني، مما أدى بسلطات الإحتلال إلى إعتقاله وسجنه بسجن السركاجي بالعاصمة. انظر ، الصحراء الجزائرية بين مخططات الفصل الجدية وطاولة المفاوضات النهائية، محمد مبارك كديده، (دار المعرفة، الجزائر، د ط ، 2013)، ص 19. وكذلك الشيخ بوجناح سليمان الذي كان احد رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والذي نفي إلى منطقة توات فكون علاقة وطيدة مع سكان المنطقة، وعمل على نشر الوعي بين السكان، أنظر دور إقليم توات خلال الثورة التحريرية الجزائرية1956-1962، تواتي دحمان ، مقلاتي عبد الله، رموم محفوظ،، (الكتاب صدر بدعم من وزارة الثقافة ، 2008، دط)، ص30.

1 الصحراء الجزائرية بين مخططات الفصل الجدية وطاولة المفاوضات النهائية، محمد مبارك كديده، ص 19

[2] جاء دستور الجزائر في سبتمبر سنة 1947م، وقد قسم الجزائر إلى ثلاث أقاليم، على رأس كل إقليم والي وله نواب وكل ولاية مقسمة إلى دوائر، وكل دائرة إلى بلديات إما كاملة الصلاحيات وإما مختلطة، هذا في شمال البلاد أما في جنوبها فهناك أربع مقاطعات عشية الثورة وهي: عين الصفراء، والواحات الصحراوية، وغرداية ، وتقرت، بالإضافة إلى عشر بلديات مختلطة وتسع ملحقات إضافة إلى تيدكلت، وجانت، والهقار، وهي مناطق تابعة للملحقات، انظر تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر،(طبعة خاصة بوزارة الثقافة، 2011)، ج09، ص 14

[3] الثورة الجزائرية والقانون، محمد البجاوي، (دار اليقظة العربية، دمشق، 1965)، ص 362.

من أجل استغلال ثروات الجزائر ونهبها، وهو ما كان يرفضه أولئك الأوروبيون قبل فرنسا، خوفاً على مصالحهم واستثماراتهم من المنافسة، والمطالبة بها من طرف أصحابها والمالكين الحقيقيين لها.

لوكذلك الظروف التي ذكرناها سابقاً، كانت عاملاً مهماً ووقوداً مساهماً في إشعال ومواصلة المعارك ضد الاستدمار الفرنسي إلى أن جاءت الحرب العالمية الأولى فازدادت قوة المعارك بين ثوار سكان الجنوب الجزائري وبين القوات الفرنسية بفعل تداخل عوامل خارجية في إطار المواجهة بين تركيا–ألمانيا ضد إيطاليا التي احتلت طرابلس الغرب والوقوف في وجه المصالح الفرنسية بالسودان الغربي، وهذه المعارك الكبرى التي وقعت في التراب الجنوبي للجزائر، تحدثت عنها التقارير الأرشيفية، والتي هي عبارة عن مراسلات بين الضباط الفرنسيين وقياداتهم العسكرية والسياسية، تصف فيها الأحداث والفاعلين فيها، وبذلك فهي شهادات حية وموثقة في الأرشيف الاستدماري الفرنسي.

حيث يعطي أحد التقارير صورة حية حول العلاقات الإستراتيجية بين المستعمرتين الجزائرية والسودانية، من خلال مراسلة القائد العسكري لمنطقة وهران برتبة جنرال، إلى قائد الفرقة التاسعة عشر للجيش الفرنسي بالصحراء، يستعلم منه الأحداث الجارية بأقصى الجنوب الجزائري، ومدى فعاليات القوات الفرنسية المتواجدة بالمنطقة، ويستفسر منه أيضاً مدى خضوع قبائل " أو ليماندان" التارقية بالسودان الشمالي حول خضوعها لسلطات غرب أفريقيا، أم لا زالت ثائرة، ويطلب توضيحات عن الفروع المستسلمة من قبائل" تايتوقوس" و"كونتا" و"البرابيش" المتواجدين بأدرار تيميساوو، ولا شك أن هذا التقرير، يؤكد أهمية اهتمام القيادة العسكرية المحلية في الجزائر بالتوجه على الاحتلال الشامل للصحراء الكبرى وربط الجنوب الجزائري بالسودان الغربي[1] .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى بقي الوضع الإداري للصحراء الجزائرية على ما كان عليه قبل الحرب، بل ازداد سوءاً بسبب ما خلفته تلك الحرب من أزمات سياسية واجتماعية وخاصةً من الناحية الاقتصادية والتي مست سكان الجنوب بشكل خاص وبضرر أكبر، انعكس ذلك على كل نواحي الحياة حتى السياسية منها والتنظيمية، وبقي ذلك الوضع الإداري قائماً حتى سنة 1947م حين أخذت السلطات الفرنسية تتبع سياسة إدارية مختلفة، تعتمد على إنشاء منظمات محلية تتولى إدارة شؤون المنطقة الجنوبية خاصة في الجانب الاقتصادي، فأنشأت السلطات الفرنسية مكتباً للبحوث المنجمية سنة 1884م، لتواصل عملية التنقيب عن الثروات الطبيعية الموجودة في أرض الجزائر ، وفي سنة 1949م قامت الإدارة الفرنسية باستطلاع رأي الجمعية الجزائرية حول مشروع إعادة تقسيم المناطق الجنوبية، حيث تقرر

[1] مقاومة الجزائريين لسياسة التوسع الاستعماري بالجنوب الشرقي للجزائر 1850م–11م من خلال وثائق أرشيفية، محمد بليل، (مجلة روافد للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، عدد 02، 2017م)، ص 18

في فيفري 1950م إلغاء الارتباط بين المناطق الصحراوية وولايات الشمال، ليتم تنظيم القسم الجنوبي في شكل مناطق صحراوية لها إدارة مدنية [1].

ومع أن اللجنة الداخلية في الجمعية أيدت هذا المشروع في 1951/09/20م، لم تلبث أن تراجعت عن تأييدها له في 1952/06/04م، ومنذ ذلك الحين تعددت الاقتراحات الرامية لدعوة الحكومة الفرنسية إلى إيداع مشروع قانون بتحويل " الصحراء الإفريقية الفرنسية" إلى إقليم يتمتع باستقلال ذاتي في ما وراء البحار، ومن ذلك قانون" جولي" القاضي بتحويل الصحراء الإفريقية إلى إقليم إداري مستقل ذاتياً متميز عن الأراضي المتاخمة لها وهذا سنة 1952م، ثم في عام 1954م قُدِّم اقتراح "بوبا" الرامي إلى إعلان الصحراء أرضاً وطنية، وتبعه اقتراح يرمي إلى تحويل أراضي الجنوب الجزائري إلى ولاية جزائرية باسم الولاية الصحراوية وذلك سنة 1955م، ثم تلاهما سنة 1956م مقترح " فوركادو دولوفل وأريفي" من أجل إعلان الصحراء أرضاً وطنية؛ وغيرها من القوانين العديدة الرامية إلى المساس بالوحدة الوطنية، والتي كان موقف الجمعية الجزائرية منها أنها رفضتها كلها باعتبارها تمس الوحدة الوطنية الجزائرية، وظلت تناضل من أجل وحدة الأرض الجزائرية، إلى أن توارت عن المسرح بمقتضى مرسوم 1956/04/12م[2] .

ومحصلة ذلك كله أن التنظيم الإداري بأقاليم الجنوب مثّل شكلاً ثالثاً خاصاً بها، فهو يختلف عن التنظيم الإداري المدني الذي طُبق في شمال الجزائر، وعن نظام الحماية الذي فرضه الاستعمار الفرنسي بدول الجوار (تونس، المغرب)، حيث يجسد النظام العسكري في الجنوب الجزائري الإدارة المزدوجة والمكونة من الإدارة الفرنسية والإدارة الأهلية، فالإدارة المحلية في الجنوب كانت تجمع بين السلطة العسكرية والوظائف القضائية والصلاحيات الإدارية، ووضعت سلطة التسيير الإداري تحت إشراف قادة عسكريين يخضعون مباشرة لسلطة الحاكم العام، أي أن الحاكم العام كان الرئيس الفعلي والأعلى للإدارة في الجنوب الجزائري[3].

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وما خلفته من آثار على الشعب الجزائري، وكان من أعظم ما أعقبها خروج الشعب الجزائري مطالباً السلطات الفرنسية بالوفاء بوعودها التي قطعتها لهم قبل الحرب، وما نتج بعد ذلك من قمع

---

[1] السياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن 19 م، عبد القادر مرجاني، (أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي ليابس – سيدي بلعباس، السنة الجامعية: 1440-1441هـ/ 2019-2020م)، ص 281

[2] السياسة الفرنسية لفصل الصحراء الجزائرية وردود الفعل الشعبية منها (1957م-1962م)، سارة بن علو، زهيرة كبيري، (مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في التاريخ، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، السنة الجامعية، 1437-1438هـ /2016/1-2017م)، ص 39

[3] السياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن 19 م، عبد القادر مرجاني، ص 281

لمظاهرات 08 من ماي واستشهاد الآلاف من أبناء الشعب الجزائري ،كل ذلك وغيره دفع بثلة من خيرة الشعب الجزائري ونخبته المثقفة والمتشبعة بالروح الوطنية والتحررية، إلى تفجير الثورة التحريرية المباركة في 01 نوفمبر 1954م[1]،

ولم تكن المناطق الصحراوية تشهد نشاطاً ثورياً كبيراً كما شهدته مناطق الشمال، وهذا لأسباب عدة، منها الوضعية الإدارية العسكرية التي كانت تسير الصحراء، وهو ما صعب الأمور أكثر لشدة الرقابة المفروضة عليها، إضافة إلى بعد المسافة عن مصدر الثورة والقيادة من جهة أخرى، وغير ذلك من الأسباب .

ولكن هذا لا يعني عدم مشاركة الصحراء الجزائرية في الثورة عموماً، سواءً في الدعم أو المعارك، وقد بدأت الاتصالات الأولى في مد العمل الثوري في أقصى الجنوب والتي كانت من المهمات الكبرى التي أنيطت بمسئولي المناطق الجنوبية، حيث تعدّ هذه الاتصالات بمثابة جس النبض لمعرفة مدى استعداد المواطنين ولإعداد الأرضية والمناخ المناسب لإيجاد أرضية صلبة قبل الخوض في الكفاح المسلح[2].

وقد ركزت جبهة التحرير الوطني على مبدأ وحدة التراب والاستقلال الوطني، وعلى هذا الأساس فإن الثورة لم تكن في جهة واحدة دون أخرى من التراب الجزائري، بل كانت شاملة حيث انفجرت الثورة في كل المناطق وفي نفس التوقيت تقريباً، وما معركة 17 نوفمبر 1954م التي وقعت بوادي سوف إلا شاهداً على ذلك[3]

كما شهدت منطقة توات وكغيرها من المناطق معارك عديدة مع الجيش الفرنسي كمعركة العرق الأولى سنة 1957م، ووقعت في منطقة حاسي صاكة على بعد نحو 80كلم شمال شرق تيميمون، حيث أسفرت عن مصرع ثمانية عساكر فرنسيين واغتنام أسلحة وذخائر، ومعركة حاسي غامبو في 21 نوفمبر 1957، وهذا على بعد نحو 40 كلم شمال شرق زاوية الدباغ وأكثر من 8 كلم شمال شرق تيميمون، وغيرها من المعارك[4].

وتماشياً مع العمل المسلح ضد المستدمر الفرنسي على أرض الجزائر، وتعريفاً للرأي العربي والإسلامي بشكل خاص والرأي العالمي بشكل عام، بعدالة قضية الجزائر وكفاحها وبعد مرور أربع سنوات من اندلاع الثورة التحريرية تأسست الحكومة الجزائرية المؤقتة برئاسة فرحات عباس[5] في 18 سبتمبر 1958م وتم الإعلان عنها رسمياً من القاهرة[1]، فلاقت

---

[1] ترجع فكرة اندلاع الثورة إلى بداية الأربعينيات عندما كان أعضاء من "لجنة العمل الثوري لشمال إفريقيا" مقيمين في ألمانيا، في الفترة الممتدة ما بين 20جوان إلى 15 جويلية1939 وتمكنوا خلال إقامتهم من أخذ فكرة أولية عن حرب العصابات، وأشكال التخريب، وتلقوا في نفس الوقت وعداً من المسئولين الألمان بمنحهم مساعدات عسكرية عند إعلانهم الكفاح المسلح في الجزائر ضد النظام الاستعماري الفرنسي، أنظر: أول نوفمبر1954 بداية النهاية لـ"خرافة"الجزائر فرنسية، أحسن بومالي، (دار المعرفة، الجزائر، د ط،دت)، ص22

[2] الولاية السادسة التاريخية، تنظيم ووقائع، الهادي درواز، (دار هومه، الجزائر، د ط، 2009)، ص 126

[3] السياسة الفرنسية لفصل الصحراء الجزائرية وردود الفعل الشعبية منها (1957م-1962م)، سارة بن علو، زهيرة كبيري، ص 44

[4] أنظر دور إقليم توات خلال الثورة التحريرية الجزائرية1956-1962، تواتي دحمان ، مقلاتي عبد الله، رموم محفوظ، ص 41.

[5] ولد فرحات عباس في 24 اكتوبر 1899م بالطاهير ولاية جيجل بالشرق الجزائري، ينحدر من أسرة فلاحية أكمل دراسته الإبتدائية بمسقط رأسه، ثم انتقل إلى سكيكدة وقسنطينة للتعليم الثانوي، قام بالخدمة العسكرية بين عامي 1921و1923، ثم أكمل دراسته الجامعية بالعاصمة وتخرج بشهادة عليا بالصيدلة عام ==

اعترافاً من الكثير من الدول العربية والإسلامية[2]، وكانت الممثل الوحيد للشعب الجزائري، وصوت الثورة التحريرية المفاوض باسمها.

وبعد الاستقلال ترأس الجزائر احمد بن بلة[3]كأول رئيس للجزائر مستقلة وذلك يوم 29 سبتمبر1962، أي بعد ثلاث أشهر فقط من الاستقلال، فظل الحزب الواحد هو الحاكم الوحيد للشعب في ظل النظام الاشتراكي، وبعدها وضع للجزائر أول دستور سنة 1963م، وفي ذلك العام انضمت الجزائر إلى "هيئة الأمم المتحدة"[4]، و" الجامعة العربية"[5]،ثم شهدت الجزائر انقلاباً عسكرياً

===1931، مارس السياسة فيوقت مبكر فانتخب رئيساً لجمعية الطلبة المسلمين في الجزائر ونائباً لرئيس جمعية طلبة شمال افريقيا بفرنسا، انتخب في سنة 1931م مستشاراً في بلدية سطيف ثم في عمالة قسنطينة ثم عضواً في المجلس الجزائري، تزعم التيار الإصلاحي الليبرالي الذي رفع شعار الدفاع عن حقوق المسلمين الجزائريين مع المطالبة بالجنسية الفرنسية قصد تحقيق المساواة، أسس حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ودافع عن أفكاره ومواقفه، إلتحق بالثورة في بداية 1956م ونشط في الوفد الخارجي بالقاهرة، عين عضوا في لجنة التنسيق والتنفيذ في أوت 1957م، ثم أختير ليكون أول رئيس للحكومة المؤقتة في 19 سبتمبر 1958م، واعيد تعيينه فيها سنة 1960م، ثم أزيح منها في ماي 1961 وإختار صف المعارضة إلى غاية وفاته عام 1985م. أنظر الدين والدولة في الجزائر من الأمير عبد القادر ...إلى عبد القادر، جورج الراسي، (دار القصبة للنشر، الجزائر، 2008)، ص 156. أبطال من ذاكرة الثورة، (منشورات وزارة الثقافة، الجزائر)، ج1، ص 40. رجال من ذاكرة الجزائر، لزهر بديدة، (منشورات وزارة الثقافة، الجزائر)، ج 07.

[1] وتحررت الجزائر، محفوظ قداش، ترجمة العربي بوينون، (شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت،) ص 190.

[2] اعترفت الجمهورية العربية المتحدة والعراق وباكستان وليبيا واليمن بالحكومة المؤقتة، تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج09، ص 92

[3] هو أحمد بن عبد المجيد بن بلة ولد في 25ديسمبر 1918في بلدة مغنية (وهي دائرة حالياً تابعة لولاية تلمسان)، أتم تعليمه الابتدائي في تلمسان بين عامي1930و1935 حتى حصوله على شهادة البروفيه، ثم استدعائه للخدمة العسكرية الفرنسية عام 1937وجرى تسريحه سنة1940 ثم أعيد للخدمة عام1943 شارك برتبة رقيب في كل المعارك التي دارت في إيطاليا وفرنسا، عاد إلى الجزائر سنة 1945م وشارك في أحداث 08 ماي 1945، فترك الجيش الفرنسي فوراً وانضم إلى "حزب الشعب الجزائري"، ثم إلى " حركة انتصار الحريات الديمقراطية"وبدأ نجمه بالسطوع، فانتخب مستشاراً بلدياً في بلدته مغنية في أكتوبر 1947، وترشح عن الدائرة في 04 أبريل 1948 لانتخابات "الجمعية الجزائرية"، كان ممن أسسوا "المنظمة الخاصة"(O.S)، حكم عليه سنة 1950م بالسجن لمدة 07سنوات بتهمة المساس بأمن الدولة، لكنه استطاع الفرار إلى القاهرة بعد عامين من سجنه، نشط خلالها خارج الجزائر وهو ما حرمه من المشاركة في مؤتمر الصومام سنة 1956، أختطف مع أربعة من رفقائه بعد أن أجبرت طائرتهم على الهبوط في الجزائر وحكم عليه بالسجن مرة أخرى سنة 1956م ونقل في فرنسا من سجن إلى آخر، وبعد الاستقلال دخل إلى الجزائر وتولى الحكم بعد بن خدة، كأول رئيساً للجزائر، لم يدم فيه سوى ثلاث سنوات إذ عزله بومدين وتم وضعه في الإقامة الجبرية، ثم أطلق سراحه سنة 1979بعد تولي الشاذلي بن جديد للحكم، عاش بعد ذلك في منفاه الاختياري في فرنسا ثم سويسرا، ثم عاد في زيارة للجزائر سنة1990م بعد الانفتاح السياسي ما لبث أن غادرها سنة1992م، ثم عاد في فترة حكمعبد العزيز بوتفليقة داعماً للمصالحة الوطنية، وفاته المنية يوم11 ماي 2012م عن عمره يناهز 96سنة. انظر: الدين والدولة في الجزائر من الأمير عبد القادر ...إلى عبد القادر، جورج الراسي، ص 262. أبطال من ذاكرة الثورة، منشورات وزارة الثقافة، ج1، ص 30. رجال من ذاكرة الجزائر، لزهر بديدة، ج 02، ص 19

[4] هي المنظمة الدولية الحاكمة(فوق أممية) في عالم اليوم، أنشئت عام 1945 طبقاً لاتفاقية سان فرانسيكو وبدأت نشاطها على المستوى الدولي في بداية 1946، وتضم الآن نحو مائتي عضو بعد انضمام سويسرا الدولة المحايدة، ومقرها نيويورك ولها مقر أروبي في جنيف، ومن أجهزتها الرئيسية الجمعية العامة ومجلس الأمن ومحكمة العدل الدولية في لاهاي وغيرها من التنظيمات الدولية. أنظر معجم مصطلحات عصر العولمة (مصطلحات سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية وإعلامية)، إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، د ت، د ط، ص

[5] ترجع نشأة الجامعة العربية إلى الاجتماع الذي عقد في مصر عام 1943م، فأطلق عليه "مشاورات الوحدة العربية"، ثم بعدا الدعوة إلى عقد لجة تحضيرية للمؤتمر العربي العام في الفترة ما بين 25 سبتمبر إلى 07 أكتوبر 1944 حضرها ست دول هي مصر والسعودية والأردن والعراق وسوريا ولبنان وحضر اليمن بصفة مراقب وممثل لعرب فلسطين،وقد وضعت هذه اللجنة أساس إنشاء الجامعة فيما أطلق عليه " بروتوكول الاسكندرية" الذي تم التوقيع عليه في 07 أكتوبر 1944، وقد التوقيع على ميثاق الجامعة في 22مارس 1945م من طرف الدول الست المجتمعة، وتهدف إلى توثيق الصلات بمختلف انواعها بين العرب وحل خلافاتهم. أنظر معجم المصطلحات السياسية، وضاح زيتون، (دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، د ط،2104)، ص215.

قاده وزير الدفاع آنذاك "هواري بومدين"[1] في 16 جوان 1965م، سماه بالتصحيح الثوري[2]، والذي أعقبه بتغيرات سياسية كبيرة في الجزائر حيث شهدت هاته الفترة تنظيم انتخابات المجالس البلدية سنة1967، ثم المجالس الولائية سنة 1969، ثم الميثاق الوطني سنة 1976، وأخيراً المجلس الشعبي الوطني سنة 1977.

وقد صاحبت هذه الفترة تغيرات مست العديد من المستويات منها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي وذلك لما صدر فيها من نصوص وقرارات هامة[3].

وبعد وفاة بومدين المنية في 27 ديسمبر1978م، تم إجراء انتخابات وفاز بها الشاذلي بن جديد[4]، وقد شهدت أواخر فترة حكمه التعددية الحزبية في الجزائر بدل حكم الحزب الواحد، وقد نتج عن ذلك الأزمة السياسية في جوان 1991، ثم تطورت لتصبح أزمة أمنية اعتباراً من توقيف المسار الانتخابي للتشريعات في جانفي 1992، والتي فازت بها" الجبهة الإسلامية للإنقاذ"، وبذلك دخل الجزائريون في مواجهة بعضهم البعض، حيث أتت هاته المواجهة على أهم البنايات القاعدية لجزائر الاستقلال[5]

---

[1] اسمه الحقيقي محمد إبراهيم بوخروبة، من مواليد 23 أوت 1932م بقرية بني عدي القريبة من مدينة قالمة وسط عائلة فقيرة بين ستة إخوة، دخل في السادسة من عمره المدرسة الابتدائية الفرنسية، لكنه تابع في الوقت نفسه دراسته للدين واللغة العربية في المدرسة القرآنية، ثم انتقل إلى جامعة الزيتونة بتونس ثم إلى الأزهر الشريف بمصر، ثم بدأ نشاطه النضالي بمصر ضمن "مكتب المغرب العربي"كان واحداً من خمسة عشر طالباً جزائرياً تابعوا دراسة عسكرية في المدرسة الحربية في الإسكندرية لبعض الوقت، عاد إلى الجزائر إبان الثورة التحريرية سنة 1955م وترقى في صفوف جبهة التحرير إلى أن أصبح قائداً للولاية الخامسة سنة 1957م ، ثم بعد ذلك قائداً لأركان جيش التحرير بتونس، وفي 19 جوان سنة 1965م قاد ما سماه هو بالتصحيح الثوري، فانقلب على بن بلة، وأصبح رئيساً للجزائر عرفت خلالها ثروة ثقافية وصناعية وزراعية غيرت من وجه الجزائر الداخلي والخارجي، وافته المنية بعد مرض عضال يوم 27 ديسمبر 1978م. انظر: الدين والدولة في الجزائر من الأمير عبد القادر ...إلى عبد القادر، جورج الراسي، ج3، ص 12.

[2] لاتزال وجهات النظر حياله تختلف من هذا إلى ذلك في وصفه: حركة استعراض للقوة، انقلاب عسكري، تمرد، انتفاضة، تصحيح ثوري، تعديل...والمختصون في القانون الدستوري والمتمسكون بالتصنيف الكلاسيكي، يرون أن الأمر تعلق بانقلاب نتج عن فعل عنيف مارسه طرف من السلطات العمومية ضد طرف آخر ضمن السلطة نفسها، مذكرات جزائري، أحمد الطالب الإبراهيمي، (دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر،2008)، ج2، ص 15

[3] تمثلت على سبيل المثال لا على سبيل الحصر في:إصلاح الهيئات المحلية في إطار عملية تنصيب الهياكل الجديدة، والتنمية التي جرى التخطيط لها عن طريق إعداد وإنجاز المخطط الرباعي الأول 1970-1973 والمخطط الرباعي الثاني 1974-1977، كذلك تأميم المحروقات عام 1971 والأزمة الجزائرية الفرنسية التي نجمت عنه، إضافة إلى تعبئة الشباب عن طريق الخدمة الوطنية من أجل بناء السد الأخضر وطريق الوحدة الإفريقية و 1000قرية اشتراكية، وغيرها، مذكرات جزائري، أحمد طالب الإبراهيمي، ص 135.

[4] ولد في 14ابريل سنة 1929م ببوثلجةولاية الطارف حالياً من أسرة فلاحية ميسورة الحال، التحق مبكراً بصفوف الثورة الجزائرية بعد تركه للخدمة في الجيش الفرنسي، وخاض العديد من المعارك في منطقة الطارف، وتولى قيادة الفيلق الأول للقاعدة الشرقية، كلف في عام 1959م بشن عدة هجمات على مراكز فرنسية قرب خطي شارل وموريس، وعين في سنة 1960م عضواً في قيادة منطقة العمليات الشمالية التابعة لهيئة الأركان برتبة نقيب، أرسل عشية أزمة صيف 1962م إلى الولاية الثلية فأوقف بأمر من قائدها صالح بوبنيدر، بعد الإستقلال عين قائداً لإقليم قسنطينة العسكري ثم لإقليم وهران واختير ليكون عضواً في مجلس الثورة، انتخبه حزب جبهة التحرير الوطني رئيساً للجمهورية خلفاً لهواري بومدين، فظل على رأس الدولة إلى أن قد استقالته في 11 جانفي 1992م وابتعد عن الحياة السياسية، توفي في 06 أكتوبر 2012م. انظر: الدين والدولة في الجزائر من الأمير عبد القادر ...إلى عبد القادر، جورج الراسي، ص297. أبطال من ذاكرة الثورة، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، ج4، ص 19.

[5] الشيخ أحمد حماني ودوره في الحركة الوطنية و الإصلاحية ، أحمد حداد، ص30

وقد حاول محمد بوضياف[1]، إصلاح الأمور وتعديلها لكن اغتياله في عنابة زاد من تعقيد الوضع الأمني والسياسي، ثم تولى بعده الحكم علي كافي[2]، والذي كان مؤقتا[3] إلى حين تنظيم انتخابات رئاسية والتي جرت في جانفي 1994 وفـاز بها"لمين زروال[4]"، والذي حاول إيجاد حلاً توافقياً بين " السلطة" وبين "الجبهة الإسلامية للإنقاذ" خلال فترة حكمه والتي

[1] ولد محمد بوضياف في 23 جوان 1919م بالمسيلة في وسط عائلي جد فقير، دخل المدارس القرآنية ثم المدارس العمومية بمسقط رأسه ولكنه تركها في سن مبكرة نظراً لمرضه بالسل، اشتغل بعدها كمحصل للضرائب بمدينة جيجل 1942م، انضم إلى حزب الشعب- حركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية 1939م وبهذا بدأ أول نضاله السياسي الذي توج بمسؤوليته الجهوية عن حزب الشعب الجزائري بسطيف سنة 1947م، كان أحد الكوادر الذين أعدوا للثورة الجزائرية بما عرف بمجموعة 22 في جوان 1954م واختير ضمن القيادة الخماسية الأولى والمكلفة بالإعداد للكفاح المسلح، وقد تكفل بنقل بيان أول نوفمبر إلى الخارج ليذاع في القاهرة، وعمل على إنشاء فيدرالية لجبهة التحرير بفرنسا ونشط في تنسيق العمل مع المقاومة المغربية إلى أن اعتقل من قبل السلطات الفرنسية بعد أن حولت وجهة طائرتهم إلى فرنسا بدل تونس في 1956/10/22م وأمضى خمسة أعوام في سجنه بفرنسا، وبعد الاستقلال شغل منصب عضو المكتب السياسي لجبهة التحرير ثم انسحب منها لينشئ "حزب الثورة الإشتراكية" في 1962/09/20، أعتقل بعدها وسجن لمدة 03 أشهر فضل بعدها منفاه الإختياري بفرنسا ثم بعدها استقر بمدينة تطوان بالمغرب، وسنة 1992م اقترح عليه تولي رئاسة الدولة، فقبل الاستجابة لنداء الوطن، لكنه اغتيل في غمرة الأزمة السياسية والأمنية يوم 1992/06/28م. أنظر الدين والدولة في الجزائر من الأمير عبد القادر ...إلى عبد القادر، جورج الراسي، ص385. أبطال من ذاكرة الثورة، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، ج1، ص 12. رجال من ذاكرة الجزائر، لزهر بديدة، ج2، ص 04

[2] من مواليد 1928م ببلدة الحروش بشمال قسنطينة، درس في الكتاتيب ثم بجامعة الزيتونة وتولى الأمانة العامة للطلبة الجزائريين بتونس،ألقي القبض عليه وأعيد للجزائر حيث سجن لستة أشهر أي سنة 1953م ناضل في صفوف حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وبعد اندلا ع الثورة التحريرية التحق بجبهة التحرير وكان تحت قيادة زيغود يوسف وخاض عدة معارك في الشرق القسنطيني، خلف كلاً من بن طوبال وزيغود يوسف في قيادة الولاية الثانية بعد استشهاد الأخير واستدعاء الأول إلى المغرب وهو لم يبلغ الثلاثين من العمر، وظل مسئولاً عن الشرق من عام 1957 إلى 1961، وقد كان أحد الأعضاء الثلاثة الذين اختيروا لتشكيل مكتب أول مجلس وطني مع(محمد الصديق بن يحي وعمر بودواو) عين سفيراً في مصر سنة 1962 ثم في لبنان سنة 1963ثم في سوريا سنة 1965ثم انتقل بعدها إلى طرابلس الغرب في فبراير 1970، ثم إلى تونس في 1976 وبقي سبع سنوات حتى 1982، فرجع إلى الجزائر وانتخب عضواً في اللجنة المركزية، ثم عاد ليكون سفيراً لعامين في جنيف من 1982 إلى 1984حين تخلى عن كل مناصبه في أعقاب انعقاد المؤتمر الخامس للحزب وخلافه مع بعض أعضائه، وفي 1990 عاد أميناً عاماً منتخباً للمنظمة الوطنية لقدامى المجاهدين، كما عين أحد أعضاء المجلس الأعلى للدولة عام 1992 والذي كان يرأسه بوضياف والذي تم اغتياله ليخلفه في المنصب ويبقى فيه عام وسبعة أشهر إلى حين مجيء اليمين زروال رئيساً للبلاد سنة 1994م. أنظر الدين والدولة في الجزائر من الأمير عبد القادر ...إلى عبد القادر، جورج الراسي، ص 404.

[3] الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، راغب السرجاني، (مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة)، ج2، ص284

[4] من مواليد 03جويلية 1941 بباتنة، لم يخرط أبداً كعادة غالبية من يشكلون أركان حرب الجيش الجزائري للجيش الفرنسي فقد انخرط في حرب التحرير وهو لم يتجاوز بعد السادسة عشر من عمره، حارب في صفوف المجاهدين بين عامي 1957و 1962 وبعد الاستقلال تلقى دراسة عسكرية في الكلية الحربية المصرية- سلاح المدفعية، تدرج في عدة مناصب عسكرية هامة في الجيش و قدم استقالته مرتين: الأولى من الجيش في خلافه مع رئيس الجمهورية حول إعادة تنظيم الجيش سنة 1989 وهي أول استقالة في الجيش الجزائري، والثانية من منصبه كسفير فيرومانيا معللاً ذالك بأن ليس لديه عمل يقوم به، كما رفض عام 1992 عرض المجلس الأعلى للدولة بتعيينه أميناً عاماً لرئاسة الجمهورية، ثم عين وزيراً للدفاع في 10 جويلية 1993 بعد تخلي سلفه خالد نزار عن المنصب لأسباب منها وضعه الصحي، فساهم بشكل كبير في الحل الأمني والسياسي للأزمة التي عاشتها الجزائر آنذاك، مما دفع بالمؤتمر الوطني الذي انعقد يومي 25 26 يناير 1994 لاختياره رئيساً جديداً للدولة خلفاً لعلي كافي، فساهم في استتباب الأمن وتهيئة البلاد لتحقيق المصالحة الوطنية بجمع كل الفرقاء على طاولة الحوار وتنظيم انتخابات حرة ونزيهة تخرج البلاد من مأزقها الأمني والسياسي والاقتصادي، وهو ما تحقق بإجراء انتخابات رئاسية يوم06 نوفمبر 1992 فاز بها هو بنسبة 75 بالمائة، أعاد خلال هذه الفترة ترتيب البيت السياسي الجزائري كما أعاد هيكلة الدولة الجزائرية والنهوض بها في جميع مجالاتها وعلى مختلف مستوياتها وهذا في ذروة نشاط الجماعات الإرهابية المسلحة، واستمر ذلك حتى انتهاء عهدته الرئاسية سنة1999، والتي ختمها بخطاب متلفز وعلى المباشر يوم11 /09/ 1998أعلن فيه نيته التخلي عن الحكم وتنظيم انتخابات رئاسية قبل نهاية السداسي الأول من العام القادم وهو ما توج بفوز الرئيس عبد العزيز بوتفليقة. الدين والدولة في الجزائر من الأمير عبد القادر ...إلى عبد القادر، جورج الراسي، ص 431.

استمرت حتى شهر ماي 1999، مهد خلالها أرضية المصالحة، والتي تجسدت بتنصيب عبد العزيز بوتفليقة[1] رئيساً للجمهورية من خلال الانتخابات، عرفت بعدها الجزائر الاستقرار تدريجياً ،كما ساهم في إرجاع الجزائر إلى الساحة الدولية.

[1] ولد عبد العزيز بوتفليقة سنة 1935م بمدينة وجدة المغربية من أبوين جزائريين هاجرا إلى المغرب، نشأ بوجدة في أسرة فقيرة، واصل تعلمه في معهد مولاي إدريس الثانوي، إلتحق بصفوف الثورة عام 1956 في المغرب وعمل ضابطاً في الولاية الخامسة مكلفاً بالنشاط السياسي، واختاره قائد الولاية هواري بومدين ليكون أمين سر الولاية ومساعده في تسيير شؤون الولاية، وانتقل معه للعمل في القيادة العامة للجيش بالحدود المغربية، كلفه قائد هيئة أركان الجيش في بداية 1960 بفتح جبهة جنوبية في أقصى الصحراء فوفق في قيادة هذه الجبهة وإنجاح مهامها وقد عرف آنذاك بالاسم الثوري"عبد القادر المالي" لنشاطه بالمنطقة الصحراوية الجزائرية المحاذية لدولة مالي ، وفي ظل صراع هيئة الأركان مع الحكومة الجزائرية المؤقتة منذ جويلية 1961، تولى مسؤوليات حساسة منها خلافة الثلاثي المستقيل من خلافة الأركان، كان محل ثقة هواري بومدين وقد أدى له المهمات الحساسة، ومنها الاتصال بالزعماء الخمسة المعتقلين فيفرنسا بقصد عقد التحالفات المستقبلية وقد تحاور مع بوضياف و بن بلة ومال إلى كفة هذا الأخير، وبعد الاستقلال عين الرائد بوتفليقة عضواً في المجلس التأسيسي و وزيراً للشباب والرياضة، وتولى سنة 1963 وزارة الخارجية التي قضى على رأسها ستة عشر عاماً، أزيح من قبل فريق الشاذلي بن جديد عام 1979 فهاجر خارج الوطن، ثم عاد بعد عشرين سنة لينتخب رئيساً للجمهورية الجزائرية، وقد انتخب عام 2004 لعهدة ثانية و بعد تعديل الدستور انتخب لعهدة ثالثة في 2009 ورابعة سنة 2014، لكن ترشيحه لعهدة خامسة شهد جدلاً واسعاً في الجزائر خاصة لظروفه الصحية السيئة مما دفع به إلى الانسحاب من الرئاسة، وقد عرف إقليمياً ودولياً بحنكته السياسية ودهائه في معالجة القضاياالمستعصية، كما عرفت الجزائر خلال فترات حكمه استقراراً ونمواً اقتصادي لافت، بدأ بالوئام المدني ووصولاً إلى السلم والمصالحة الوطنية. أنظر أبطال من ذاكرة الثورة، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، ج5، ص 05 (بتصرف). الدين والدولة في الجزائر من الأمير عبد القادر ...إلى عبد القادر، جورج الراسي، ص 629.

المبحث الثاني: الظروف الاقتصادية والاجتماعية

إن من خلال عرضنا للحالة السياسية للجزائر إبان الاستعمار الفرنسي وقبل الاستقلال تتضح لنا بعض ملامح الحالة الاجتماعية المزرية التي كان يعيشها الشعب الجزائري نتيجة السياسة الاستعمارية وخاصة خلال عام 1930م، وهو العام الذي ولد فيه الشيخ محمد باي بالعالم، حيث عرفت الجزائر توترات اجتماعية وسياسية هامة، وتشهد هاته التوترات أنه بالرغم من تجربة الاستدمار الطويلة في الجزائر، فإن الفرنسيين لم يستطيعوا أن يسيطروا على الموقف، وأن التيار الوطني كان أقوى من وسائل المقاومة التي استخدموها ضده، كما تؤكد الوثائق المعاصرة أن حالة التوتر التي لم تهدأ منذ الاحتلال، قد ازدادت حدت منذ سنة 1930م، وهي السنة التي احتفل فيها الفرنسيون بذكرى الاحتلال المئوي للجزائر، فمنذ هذا التاريخ بدأ الجزائريون يطبقون مقاطعة البضائع الفرنسية إتباعاً لمذهب غاندي في الهند، وقد دعا أحد الشعراء الجزائريين على صفحات جريدة محلية إلى الاستمرار في هذه المقاطعة لأنها في نظره جهاد القرن العشرين الذي يحقق نتائج فعالة بدون مشقة كبيرة [1].

وكانت فرنسا قد عمدت وكعادتها منذ احتلالها للجزائر إلى إخضاع كامل التراب الوطني ومنه إقليم توات لسيطرتها بعد تجزئته وإغراء شيوخ قبائله وأعيانه بمناصب إدارية وقضائية بغرض تحقيق الأمن والاستقرار ، وهو ما تحقق لها بالفعل حيث صدرت فتوى عن أحد علماء توات في صالح إقامة المسلمين المستضعفين تحت سلطة الكافر مادام الأجنبي لا يتدخل في شؤونهم الإسلامية[2].

ونظراً لصعوبة الصحراء وما تمثله من المساحة الشاسعة ومناخها القاسي خاصة في فصل الصيف لارتفاع درجة حرارتها والعواصف الرملية التي تمثل الطقس الغالب على أيام السنة فيها، كل ذلك وغيره من الأسباب تجعل الحياة على هذه المنطقة الجغرافية في أمس الحاجة للماء، ولذلك فقد حاولت القوات الاستعمارية الفرنسية ومنذ الوهلة الأولى لدخولها الصحراء الجزائرية من السيطرة على الكثير من الطرق المؤدية إلى المنابع المائية وما حولها من التجمعات السكانية وطرق لقوافل، وقد وفرت لذلك جهداً عظيماً، كما إنها استعانت على ذلك ببعض ضعاف النفوس والذين كانوا على دراية بمسالك الصحراء ومنابع الماء، وقد اعترف الفرنسيون أنفسهم بصعوبة الأوضاع المعيشية في الصحراء الجزائرية وأهمية طرق القوافل فيها وعن أهمية موقعها كونها بوابة إفريقيا والصحاري الممتدة عبر البلدان المجاورة للجزائر[3].

---

[1] الحركة الوطنية الجزائرية، أبو القاسم سعد الله، (عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة بدعم وزارة الثقافة، 2011م)، ج03، ص 37.

[2] سياسة التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي، بلغيث محمد الأمين، (مجلة المصادر، يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954، العدد3، 2000)، ص 134-154

[3] الصحراء الجزائرية بين مخططات الفصل الجدية وطاولة المفاوضات النهائية، محمد مبارك كديده، ص 22

وقد اهتم الخبراء الفرنسيون في ميدان السكة الحديدية بالعمل على لفت انتباه رجال السياسة في قضية السكة الحديدية وما تدره من أرباح على خزينة فرنسا وتعمل على ازدهار وتنشيط الحركة التجارية بين فرنسا وتوات، وتساهم في جلب المستثمرين وأصحاب الشركات الكبرى ورجال الصحافة وغيرهم للمآزرة والمشاركة في تحقيق هذا الهدف، ولتنفيذه في أرض الواقع يجب على الأعضاء الممثلين في المجالس الشعبية في الجزائر سواء ً كانت بلدية أو ولاية أو وطنية وأعضاء مجلس الشيوخ والنواب الفرنسيون أن يبذلوا قصارى جهدهم من أجل تسجيل هذا المشروع في الميزانية الفرنسية حتى يتجسد في أرض الواقع[1]

وقد عمدت القوات الاستعمارية لربط هذه المناطق الحساسة في الصحراء الجزائرية بالطرق ووسائل النقل للتحكم فيها وتحسين المستوى الاقتصادي لفرنسا خاصة بعد اكتشافها للغاز والبترول، مما جعلها تحكم قبضتها أكثر على الصحراء طمعاً في الاحتفاظ بها وهو ما تمثل في إبقائها تحت الحكم العسكري رغم المطالبات الجزائرية والوعود الفرنسية التي كانت مجرد امتصاص لغضب الجزائريين عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية وما سبقها من وعود وأحداث الثامن من ماي وما خلفه من احتقان لدى الجزائريين.

كما عان الشعب الجزائري كثيراً جراء هاته السياسة الاستعمارية، حتى أن بعض الكتاب كان عندئذ يتحدث عن "شبح المجاعة" الذي أصبح يهدد السكان، وقد لخصت الصحيفة البريطانية (التايمز) أساس عدم الاستقرار في المصاعب الاقتصادية، معتمدة على تقارير السلطات الفرنسية التي تشير إلى الانخفاض الحاد في أسعار المواد الفلاحية، وانهيار سوق الحبوب، وسقوط قيمة الأجور، وتعطل المشاريع العامة التي ابتدئ فيها منذ سنة 1921م، بالإضافة إلى الزيادة الكبيرة في نسبة البطالة[2].

ذلك بالنسبة للجزائر عموماً، أما فيما يخص الصحراء الجزائرية، فزيادة على السياسة الاستعمارية المتمثلة في الحكم العسكري الذي ظل يحكمها والبعد الجغرافي الذي يميزها، فقد شهدت المنطقة خاصة فترة الحربين العالميتين، وانعكاساتها على جميع المجالات ومنها المجال الاجتماعي والذي شكل ضغطاً رهيباً تسبب في ظهور أزمات عديدة كا"الأزمة التي وقعت سنة 1929م ودامت إلى 1933م قضت على كل شيء حتى صار الناس يغسلون ثيابهم بالطين البيضاء وبعض الأعشاب بدلاً من الصابون ، وكذلك في سنة 1944م وقعت أزمة شديدة أيضاً مما أدى بالكثير من سكان توات

[1] توات والأزواد، محمد الصالح حوتية، (دار الكتاب العربي، الجزائر، د ط، د ت)، ج 02، ص 471

[2] الحركة الوطنية الجزائرية، أبو القاسم سعد الله، ج03، ص 38.

الوسطى لنزوح لمنطقة تيدكلت، ووقع غلاء في الأسعار واختفاء لبعض المواد وقلت الألبسة مما اضطر الكثير من التجار إلى جلبها من الدول الإفريقية من نيجيريا وغيرها من الدول "[1].

وتدهور الوضعية المعيشية للجزائريين عامة وبشكل رهيب، جعل المناطق الجنوبية ترزح تحت وطأة الفقر والمجاعة والأمراض والأوبئة الفتاكة، بعدما صُدرت منهم كل ممتلكاتهم وتعرضهم لمختلف وسائل الاستدمار البشعة، الأمر الذي أدى إلى تناقص عدد السكان؛ ولقد سجل "سباتي"- وهو احد المتخصصين في شؤون المناطق الجنوبية- هذا التناقص على سكان واحات قورارة وتوات وتيديلكت الذين كانوا في حدود أربعمائة ألف نسمة عند منتصف الثمانينات من القرن 19م، ليصبح حسب تعداد سنة 1906م لا يتجاوز الستين ألف نسمة ومعظمهم لا يجد ما يسد به رمقه، كما يسجل لنا آندري نوشي هذا التراجع الذي استهدف سكان بعض الواحات الواقعة في الجنوب الغربي في ما يلي" ..فانخفض عدد سكان توات وغورارة وساورة واندثر منهم 4000 ساكناً على 8700 من سنة 106م إلى سنة 1921م[2]

كما لم تكن منطقة توات بمعزل عن انعكاسات الحربين العالميتين الأولى والثانية، وقد دفعت هاته الأخيرة بالأهالي إلى أكل الحشيش وجذور النباتات، وقد سُجّل القليل مما وقع في هاته الأزمة وعلى سبيل المثال ما جاء في سجل القاضي المؤرخ في 18 أبريل 1945م أن مبروكة بنت الحاج عبد الرحمن زوجة الغائب أحمد بن عبد الله من بلدة المنصور عرش بودة قد طالبت بالإنفاق عليها وعلى عيالها في هاته السنة التي عّم فيها الجوع، ونفس الأمر مع محمد بن داد بن أبي منصور، والذي طالبته الحكومة الفرنسية بدفع ما عليه من ضرائب متعلقة بمنتوج التمور، لكن وحسب شكواه للقاضي فإن التمر في هذه السنة وهي سنة 1945 قد غلا غلاءً فاحشاً بسبب قلته وإصابته من قبل المطر والجراد، وأنه لا يمتلك من التمر لا قليله ولا كثيره ولو لقوته مع زوجته[3]

وكل ذلك يعكس حالة الفقر والمرض والجهل،هذا الثلاثي – ثلاثي الموت كما سمي- الذي كان يعيشه المجتمع الجزائري وصل إلى نسب وأرقام عالية، حيث لم تتعدى نسبة التعليم بين الجزائريين 08% وهذا سنة 1939م وهذه النسبة كانت في تناقص مستمر[4]، وهذا يرجع إلى عدة عوامل منها

---

[1] الرحلة العلية، محمد باي بالعالم ،ج1، 115 ، وانظر الرحلة العلية، محمد باي، ج2، ص275

[2] السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، عميراوي أحميده، زاوية سليم، قاصري محمد السعيد، (دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د ط، 2009)، ص 148

[3] الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتوات إبان الاحتلال الفرنسي 1900- 1962م من خلال سجلات المحكمة الشرعية، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتواره علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، من إعداد الطالب: عبد الله بابا، (جامعة أحمد دراية، أدرار ، السنة الجامعية 2018، 2019)، ص 124

[4] دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر(1830-1962)، قاصري محمد السعيد، (دار الإرشاد للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013)، ص 582

فالفقر والحاجة وهو ما دفع بالجزائريين إلى التفكير بالهجرة سواءً الداخلية منها خاصة من القرى والأرياف نحو المدن والتي كانت تعتبر أحسن حالاً، أو الهجرة الخارجية نحو المغرب العربي كتونس والمغرب، أو المشرق العربي كسوريا ومصر والسعودية ، أو الغرب كفرنسا وغيرها من الدول الأوروبية.

وتعتبر هاتين الفترتين من أصعب الفترات التي عاشها المجتمع الجزائري بصفة عامة والصحراوي بشكل خاص، لما مثلتاه من نقص حاد في المواد لغذائية وضروريات الحياة والجانب الصحي نظراً لمتطلبات الحرب، إضافة لما صادف ذلك من كوارث بيئية كالجراد الذي اجتاح المنطقة وتسبب في نقص حاد في محصول التمر والذي يعتبر القوت الرئيسي والمعتمد في المنطقة.

وقد جاء في دراسة عن مستوى الحياة في الجزائر سنة1954م" أن هجرة الجزائريين في التقارير الرسمية تشير إلى أن في فرنسا حالياً 300.000جزائري نصفهم من القبائل، كما لاحظ التقرير أن مليوناً ونصف من السكان يعيشون في الجزائر من النقود التي يرسلها العمال من فرنسا"[1] إلى أهليهم بالجزائر، وهذه النسبة تعتبر أكثر من سدس سكان الجزائر ، والذي كان لا يتعدى 09 ملايين نسمة آنذاك.

وقد شهدت توات وكغيرها من مناطق الوطن هجرة واسعة نحو مناطق أخرى داخلية وخارجية، إلا أن لكل منطقة خصوصيتها في هجرة السكان، وإذا كانت توات منطقة صحراوية يعتمد سكانها على الزراعة المسقية بالمياه الجوفية في البساتين المحاذية للقصور، فإن هذه الأرض الزراعية في العديد من القصور أضحت غير كافية لمعيشة السكان مع ارتفاع الضرائب الفرنسية، وبالتالي دفعت بالعديد من الشباب –بالخصوص– إلى البحث عن مناطق أخرى لكسب لقمة العيش، بالهجرة نحو المدن بفضل ما توفره من مناصب عمل وبفضل الراتب المحصل عليه، وكانت قبلة أغلب التواتيين نحو المناطق الشمالية من الجزائر كتيارت وسعيدة وتلمسان، أو نحو بلدان شقيقة كتونس والمغرب، ولم يكن السماح بالخروج متاح لكل راغب فيه، بل قننت فرنسا ذلك ووضعت شروط وقيود على المهاجر سواءً في خروجه من البلدة أو رجوعه إليها[2]

السبب الرئيسي لهذه الهجرة هو ملامح الحكم الفرنسي، فهو لم يكن حكماً تعاونياً ولا متقبلاً للوضع الجزائري، بل كان قاسياً واضطهادياً .وهناك أسباب مختلفة للهجرة الجزائرية، وأولها انعدام الحرية، كما كانت الأحوال الاقتصادية سبباً مهماً للهجرة، ذلك أن الجزائريين كانوا يشكون منذ سنوات طويلة إلى السلطات الفرنسية من الضرائب الثقيلة، فقد كانوا يدفعون لا الضرائب القانونية فقط بل الضرائب الدينية مثل الزكاة والعشور [3]؛ ففي سنة 1932م وجه السيد "موريس فيوليت" عضو مجلس الشيوخ الفرنسي، وحاكم الجزائر سابقاً، رسالة إلى وزير الداخلية يسأله فيها عما بلغه من أن

[1] تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج09، ص 26

[2] الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتوات إبان الاحتلال الفرنسي 1900- 1962م من خلال سجلات المحكمة الشرعية، عبد الله بابا، ص 125

[3] الحركة الوطنية الجزائرية، أبو القاسم سعد الله،ج02، ص 119

مستخلصي الضرائب الفرنسيين بالجزائر، بلغت بهم القسوة إلى درجة أنهم كانوا يأخذون قهراً من الرجل البرنس الذي يكتسي به[1].

ورغم الأهمية العظمى التي كانت توليها الحكومة الفرنسية للصحراء – وهذا ما تجلى مع مرور السنين والاكتشافات المتعاقبة للغاز والبترول، حيث أنها استحدث وزارة جديدة سمتها" وزارة الصحراء، أنشأت بموجب قرار من مجلس الوزراء الفرنسي والذي كان على رأسه" بورجيسمونوري"، وقد أوكلت أمورها إلى" ماكس لوجان" الذي كان يشتغل منصب كاتب الدولة للقوات المسلحة مكلف بالشؤون الجزائرية واستحدث هذه الوزارة من جوان 1957إلى جانفي 1959-لم تكن فرنسا لتهتم بتلك الأزمات أو أن تجد حلاً لها أو على الأقل التخفيف منها، حيث اعتراف مسئولوها بصعوبة الأوضاع المعيشية، وهذا ما ورد في تقرير أعده " ماكس لوجان"[2] تحت عنوان " المشكلة الإنسانية في الصحراء" ما يبين حالة البؤس والفقر وتردي الأوضاع المعيشية في الصحراء في ظل هذه الأوضاع القائمة بسبب السياسة الفرنسية المنتهجة هناك[3].وهو ما زاد من نقمة الصحراويين على فرنسا ومؤسساتها وتجلى ذلك في استهداف الثوار للشركات الفرنسية ومرافقها والعاملين فيها والتي كانت تشتغل في عملية للتنقيب على الغاز والبترول.

وفي محاولة من فرنسا لإبعاد الصحراء الجزائرية وما تم اكتشافه فيها من الثروات عن الثورة وتداعياتها، فقد أنشئت السلطات الفرنسية "المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية" وذلك بموجب قرار 57/27 لـ 10 جانفي 1957م والذي اعتمده رئيس الجمهورية الفرنسية بعد أن راجعه مجلس الاتحاد الفرنسي وتم تداوله في المجلس الوطني ومجلس الجمهورية الفرنسي، وتقضي هذه المنظمة بإشراك الدول التي تلتقي حدودها مع حدود الصحراء الجزائرية وهي: مالي وموريتانيا والنيجر والمغرب وليبيا في استقلال الصحراء على اعتبارها بحراً داخلياً لهذه الدول ويجب أن تخضع لسيادة جميع الدول المجاورة للجزائر والتي تدخل في صورة ترابها الوطني أراضي صحراوية، ومن أهداف إنشاء هذه المنظمة هو إعطاء الدفع الكامل للتنمية في الصحراء كما نص القانون الخاص بهذه المنظمة أن الغرض من ذلك كله هو استثمار الصحراء والتوسع الاقتصادي ورفع المستوى الاجتماعي للمناطق الصحراوية التابعة للجمهورية الفرنسية[4].

---

[1] نفس المرجع، ج03، ص 40

[2] ماكس لوجان : أوكلت له وزارة الصحراء وكان لهذا الرجل دور كبير في إختطاف طائرة الزعماء الخمسة (22 اكتوبر1956)وكان عضواً في اللجنة المصغرة لدعم إسرائيل بالسلاح تحضيراً للعدوان الثلاثي على مصر (29 اكتوبر 1956)وقد كان مديراً لعمليات إنشاء الخطوط الشائكة المكهربة تحت إشراف وزير الدفاع" اندريهموريس" سنة 1957، أنظر الصحراء الجزائرية بين مخططات الفصل الجدية وطاولة المفاوضات النهائية، محمد مبارك كديده، ص 22

[3] المرجع نفسه، ص 22

[4] السياسة الفرنسية لفصل الصحراء الجزائرية وردود الفعل الشعبية منها (1957م-1962م)، سارة بن علو، زهيرة كبيري، ص 51

وفي إطار برامج التنمية أصبحت المنظمة ملزمة بإعداد وتنسيق برامج الدراسات والأبحاث الضرورية لتمنية هذه المنطقة، والتي يتم من خلالها وضع حصر عام للمعطيات في مجالات الطاقة والمناجم والصناعة والزراعة والشروع في عملية الاستغلال وإعداد مخطط للهياكل القاعدية (النقل والموصلات)، وإنشاء شبكة للصناعات الاستخراجية والتحويلية[1].

ولم تكن تلك المشاريع لتحسين المستوى المعيشي لسكان الصحراء بقدر ما كانت لخدمة مصالح فرنسا، ومن تلك المصالح تحقيق فصل الصحراء عن الشمال، وهو ما لم يتحقق لفرنسا رغم كل أساليب الترغيب والترهيب التي استعملها لذلك، وأما المواطن فلم يزدد إلا بؤساً من تلك المشاريع التي كانت تصب فوائدها على الشركات الأجنبية، بل وكان المواطن هو من يدفع من قوت يومه للخزينة الفرنسية ضرائب على أشكال متعددة ومتنوعة قليلاً ما تعود على سكان الجنوب بالنفع.

ومن أهم تلك الضرائب والتي حفظتها سجلات المحكمة الشرعية وكان لها انعكاس واضح على سكان توات هي: ضريبة البذرة التي عرفت لدى الحكومة الفرنسية بضريبة اللزمة، تم إقرارها سنة 1859 على الجزائريين لكنها تختلف حسب المناطق، وفي توات تم إقرارها على جميع القصور وتكفل القياد بجمعها بمساعدة شيوخ جماعة القصور، وكذلك ضريبة الطكس (المكس)، وهي ضماناً لاستمرار المبادلات التجارية بين بدو الشمال وسكان توات حيث فرضت على ملاك النخيل وتجار التمور، وثالثاً ضريبة الكرفي والتي فرضت على الفئة النشيطة في المجتمع، أي الأشخاص من سن 18 أو 21 إلى 65سنة مع إعفاء قياد العروش وبعض الفئات الهشة والضعيفة منها، وقد كان للجماعات دوراً بارزاً في التخفيف على السكان من أثر الضرائب، وذلك بتسديد هذه الضريبة نيابة عن سكان القصر بطرقتها الخاصة، ورابعاً رسوم الزيارات والمواسم، والتي لم تسلم هي كذلك من تلك الضرائب، وكانت تلك الضرائب على قدر أيام الزيارة والوعدة وقد تضاعف إلى 100فرنك لليوم عند التأخير أو التحايل، وتدفع عاجلاً لمكتب الملحقة، كما فرضت فرنسا ضريبة على شكل غرامة سميت بالخطية وهي على كل من يخالف النظام أو يرتكب عصيان، وقد فرضت على مواطن من سكان توات بسبب تنقله بحماره على طريق خاص بالسيارات، وقد تدفع الغرامة بصاحبها إلى بيع جزء من ممتلكاته لتسديد الغرامة[2].

[1] السياسة النفطية الفرنسية في الجزائر (1952م-1962م)، الحاج موسى بن عمر، (جمعية التراث، غرداية، الجزائر، 2004)، ص 115

[2] الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتوات إبان الاحتلال الفرنسي 1900- 1962م من خلال سجلات المحكمة الشرعية، عبد الله بابا، ص 299

أما في الجانب الصحي فرغم كل ما وفرته فرنسا من بناء المستشفيات والعيادات وإحضار الأطباء، إلا أن عدد المرضى في أقاليم الجنوب كان في تزايد مستمر، قد يرجع في بعض الأحيان إلى الظروف القاسية من مجاعة وأمراض معدية أو إلى الحروب المستمرة، وكذا عدم التجهيز الكافي لهذه المستشفيات بالعتاد والأجهزة اللازمة[1].

ويظهر ذلك في الأمراض العديدة التي كانت منتشرة والتي وصلت إلى إقليمي توات نتيجة العدوى وتدني الحالة الصحية، فقد كان لعامل تنقل الطلاب والحجاج والتجار ما بين المشرق والمغرب وبلاد السودان أثر في نقل هذه الأمراض، وكانت سبباً وحداً للنمو الديمغرافي بسبب كثرة الوفيات وانعدام المستوى الصحي لمنطقة توات بسبب تأخر الحالة الصحية في معالجة الأمراض الفتاكة[2]

وقد حاولت الإدارة الفرنسية بالجنوب الاهتمام بالوضع الصحي للسكان من خلال دعم المؤسسات الصحية المتواجدة ورفع عدد الفحوصات،لكنها ظلت محدودة من حيث العدد والتأطير والتجهيزات، ولم تكن تلبي حاجيات السكان باعتراف التقارير الفرنسية، ومن أساليب مكافحة الأمراض والأوبئة : الرفع من قدرات الاستقبال والفحوصات للمؤسسات الصحية، وتكثيف المعاينات الخارجية أو ما يعرف بالدورات الصحية في مختلف مدن وقرى الصحراء، والمراقبة الطبية للأطفال في المدارس، وكذلك بناء محطات للتنقية من القمل خارج المدينة وممارسة الحجر الصحي على المرضى إما في البيوت أو المستشفيات، كما عملت على التلقيح ضد الفيروسات المختلفة مثل الحصبة والجذري والتيفيس وغيرها من الأمراض المعدية[3].

[1] التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الجزائري، (1844م-1912)، داود شريفي،(مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ حدبث جامعة الحاج لخضر باتنة، السنة الجامعية: 2015-2016) ص 153

[2] توات والأزواد، محمد الصالح حوتية، ج 02، ص 394

[3] السياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن 19 م، عبد القادر مرجاني، ص 309

المبحث الثالث: الظروف العلمية

عرفت منطقة توات[1] الإسلام مع دخول الفاتحين للمغرب العربي على يد القائد الصحابي عقبة بن نافع، وأخذ الإسلام بالانتشار في هذه المنطقة حتى وصل إلى وسط وغرب إفريقيا، وقد مثلت توات همزة وصل بين حواضر الشمال (شمال الجزائر والمغرب وتونس ومصر وليبيا) وحواضر الجنوب (كتمبكتو وكانو وشنقيط) ، حيث نقل أهلها العلوم والمعارف والتيارات الثقافية والفكرية من الشمال عبر القوافل التجارية التي كانت تعبر المنطقة فيستفيدون وينهلون من تلك المعارف والعلوم، وبدورهم نقلوا تلك المعارف عبر الطلبة والعلماء الذين تكونوا وتخرجوا من مدارسها وزواياها ونشروها في أنحاء وأرجاء مدن الغرب الإفريقي ومراكزه الحضارية[2]، فكانت المنطقة بذلك تشهد حيوية علمية متجددة وذلك بحكم موقعها الجغرافي والذي يضم مقاطعاتها الثلاث : تديكلت –توات-قرارة فكانت ولا تزال تلعب دوراً بالغ الأهمية في نشر الإسلام والثقافة العربية لا في الصحراء فحسب بل في الكثير من بقاع العالم وقد كانت ولا تزال آهلة بالعلماء والأدباء[3]، غنية بتراثها العلمي والديني، وغنية بعلمائها ومؤلفيها، وبزواياها ونظمها، وكذلك غنية بآثارها ومكتباتها...واشتهر بعضها بالكتب والعلم مثل تمنطيط[4].

وقد مثلت الزوايا الحصن المين لمنطقة توات؛ ويرى البعض أن قيام تلك الزوايا كان متزامناً مع نشأة القصور والواحات بمنطقة توات، مما يجعلها تلبية طبيعية للحاجات الاجتماعية والثقافية والروحية لسكان المنطقة، وقد ظهرت أغلب الزوايا ما بين القرنين الثاني والثالث عشر الهجريين زمن ظهور توات، وذلك عائد لاستقرار مجموعة من العلماء بالإقليم ساهموا في عمارة المنطقة ومنهم الشيخ سيدي سليمان علي والشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي[5].

وكانت توات وزواياها كذلك حتى قبيل دخول الاستعمار الفرنسي إليها في أول القرن العشرين بعد قضائه على المقاومات الشعبية واستسلام أهلها للحكم والسيطرة الفرنسية إما بالقوة وإما سلمياً وذلك عن طريق بعض الفتاوى[6].

---

[1] يقع إقليم توات في أقصى الجنوب الغربي الجزائري، وذلك بين خطي طول أربع درجات شرقاً ودرجة واحدة غرب خط غرينتش، وبين دائرتي عرض عشرون درجة إلى ثلاثين درجة شمالاً ، وهذا ماجعله يطل على السودان الغربي، وبالتحديد على دولتي مالي وموريتانيا، ويعد إقليم توات إقليماً واسعاً يمتد على مساحة تزيد على ثلاثة آلاف كلم مربع يشتمل على ثلاثة مناطق رئيسية وهي منطقة تيدكلت وقاعدتها كانت مدينة عين صالح، ومنطقة جرارة وتيكورارين وكانت قاعدتها مدينة تيميمون، ومنطقة توات التي أعطتها أسمها لكل الإقليم وكانت قاعدتها مدينة تمنطيط، قبل أن تنتزع مدينة ادرار زعامة الإقليم في القرن السابع عشر الميلادي، الرحلة العلية، محمد باي، ج2، ص 45. معجم أعلام توات، عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري، (منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، د ط، 2012)، ص11

[2] الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن7هـ حتى نهاية 13 هـ، أحمد أبا الصافي جعفري ، (منشورات الحضارات، الجزائر، ط 01، 2009)، ج 02، 08، أنظر الرحلة العلية ، محمد باي، ج02، ص 76

[3] الرحلة العلية، محمد باي، ج1، ص 124، ج02، ص 538، أنظر الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن7هـ حتى نهاية 13 هـ، أحمد أبا الصافي جعفري ، ج 02، 09

[4] تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج03، ص 214

[5] توات والأزواد، محمد الصالح حوتية، ج 01، ص 269

[6] أنظر دور إقليم توات خلال الثورة التحريرية الجزائرية1956-1962، تواتي دحمان ، مقلاتي عبد الله، رموم محفوظ، ص 28

وكعادةالمستعمر الفرنسي وسياسته في التعامل مع المراكز العلمية والمدارس التعليمية سواءً في الشمال الجزائري أو في غيره من المستعمرات الأخرى، فقد حارب ومن أول وهلة التعليم ومكّره سواءً مباشرة وذلك باعتقال العلماء والطلبة، أو بطريقة غير مباشرة وذلك بالتضييق على تلك المدارس والمراكز وأهلها، وتحويل أنشطتها وأعمالها لتخدم مصالحه.

وهذا يبيّن لنا أن فرنسا قد بنت سياستها التعليمية منذ البداية على القضاء على اللغة العربية والثقافة الإسلامية ومحو الشخصية الوطنية باعتبارها روح الأمة وعرقها النابض، وقد قامت بالعديد من الإجراءات والآليات لأجل قطع صلة الجزائريين بثقافتهم العربية والإسلامية وذلك كما ذكرنا من خلال سياسة خنق التعليم في الزوايا، ويشهد على ذلك الكتابات الفرنسية والوطنية، والتي تفيد بأن الاستدمار الفرنسي مارس سياسة التجهيل ضد الأهالي حيث كان نصيب الجزائريين في المقاعد الدراسية يمثل واحد على خمسة عشر طفل أوروبي على مقاعد الدراسة[1].

وفي محاولة من فرنسا لامتصاص غضب الجزائريين وتحقيقاً منها لمآرب أخرى كاستغلالهم بعد تعليمهم كمترجمين، عمدت فرنسا إلى استحداث مدارس لها على مستوى المدن، وهذا في المرحلة الأولى من المشروع، ثم في المرحلة الثانية أنشئت ثلاث مدارس إقليمية لتمتص بهم التلاميذ والطلبة الذين كانوا يتوجهون إلى الزوايا الريفية للتعلم أو يقصدون المساجد الإسلامية خارج الوطن، أما المرحلة الثالثة فقد تميزت بإنشاء الفرنسيين للمدارس الابتدائية وبجوار الزوايا تضييقاً عليها ومراقبة لنشاطها، وقد ختمت هاته المراحل بمرحلة رابعة تمثلت بإصدار مرسوم 18 أكتوبر 1892م القاضي بإدماج تعليم الزوايا في المدارس الابتدائية الفرنسية وإخضاعها للمراقبة والتفتيش من قبل السلطات الأكاديمية المدنية والعسكرية[2].

وقد قال أحد الحكام الفرنسيين للجزائر عن الزوايا والمساجد ودورهما في تشكيل والوعي والثقافة لدى الإنسان الجزائري" إننا لن ننتصر على الجزائريين ماداموا يقرؤون القرآن ويتكلمون العربية"[3] ، ولذلك ركزت فرنسا جهدها على إنشاء تلك المدارس وعلى مراحل كما ذكرنا حيث أنه في 01 أكتوبر 1928م كانت هناك 47 مدرسة ابتدائية عامة خاصة بالأهالي ومدرسة إرسالية خاصة في غرداية، أما بالنسبة للمدارس العامة فأوجدت منها ثمانية في غرداية وسبعة في جريفيل ومنها إثنان إلى ستة أقسام في الأغواط وتقرت، وخمسة أقسام في الجلفة واثنان إلى أربعة أقسام في الوادي، ومنها اثنان إلى ثلاثة أقسام بأولاد جلال ومشرية ومن اثنان إلى سبعة أقسام في بريان وجامعة ومسعد وعين ماضي وورقلة وتيميمون وسيدي عقبة[4]

[1] السياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن 19 م، عبد القادر مرجاني، ص 310

[2] نفس الرجع والصفحة.

[3] تنزيه القرءان عن دعاوى المبطلين، منقذ بن محمود السقار، (دار تيدكلت، ط 2، د ط، د ت)، ص 07

[4] السياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن 19 م، عبد القادر مرجاني، ص 314

وقد شهدت بذلك الحركة العلمية في منطقة توات خلخلة عميقة وتهميش لدور الزوايا وضعف في التكوين والطلبة واحتكار الغليم وقطع السبل بين المنطقة والقوافل التي كانت تفد عليها ذهاباً وإياباً، وإن كان ذلك الخلل الذي وقع لهذه المدارس والزوايا في منطقة توات ليس بالمستوى الذي وقع على أخواتها في بقية القطر الجزائري، إذ حافظت بعض هذه الزوايا والمدارس على الحركة العلمية الإسلامية[1] من تعليم للقرآن ومتون الحديث والفقه والنحو والتصوف والأخلاق، فتخرج منها طلبة وعلماء أسسوا بدورهم مدارس وزوايا، ناهيك عن الكتاتيب ودورها في الاعتناء بالناشئة.

ويشهد للمنهج المتبع في تلك الزوايا وإلى اليوم بأنه منهج رائد في كثير من جوانبه وخاصة منهج تعليم وتحفيظ كتاب الله القرآن، فقد أثبت جدارته وثمراته باتفاق القدماء والمعاصرين، أما بقية الجوانب الأخرى مثل تدريس الفقه والحديث والنحو والعقيدة فيمكن أن يحافظ على أصولها وثوابتها ويدخل عليها بعض المناهج العلمية الحديثة في تعليمها وتدريسها والاستفادة من مناهج التدريس ووسائله الحديثة وكذا منهاج التأليف والبحث العلمي، ومع ذلك فقد استطاعة الزاوية أن تخرج العلماء العاملين وإلى اليوم كما يشهد الواقع لذلك[2].

وتعتبر العلوم الشرعية وعلوم اللغة مادتين أساسيتين في الحركة الفكرية بإقليم توات خلال هذه الحقبة، ورغم ظهور مؤلفات وحواشي وشروح لبعض الأمهات المعروفة، فإنه لم يظهر عليها إبداع متميز من حيث الموضوع في أسباب العرض والتحليل، ولعل ما كان يظهر على الأعمال الشرعية من التزام بالأساليب القديمة في النقل والإسناد يرجع في الأساس إلى الحفاظ والخوف من التحليل والخشية من دخول ما يمكن أن يحمل على المسألة والتعنيف، كما يلاحظ المطلع على كتب التراث في هذه الفترة الزمنية أن الكتب التي كانت متداولة في الإقليم هي الكتب المعروفة في البلاد الإسلامية الأخرى لاسيما في المغرب والأندلس ومصر والسودان، ويلاحظ أن الصيغة المذهبية لهذه الكتب هي مالكية في معظمها بسبب انتشار المذهب المالكي بإقليم توات في ذلك الوقت[3]

ومما ساهم في الحفاظ على وحدة وتماسك هذه الزوايا هو ضعف المدارس الفرنسية المتواجدة في الصحراء بالمقارنة بمثيلاتها في الشمال حيث الكثافة السكانية وتواجد المستوطنين[4]، وإن وجدت تلك المدارس إلا أن إقبال أهل الصحراء عليها كان ضعيفلسبب رفضهم التعليم خارج إطار الكتّاب والزوايا، سواء مدارس جمعية العلماء المسلمين أو المدارس الفرنسية وخاصة هاته الأخيرة إذ كان ينظر إليها بعين الريبة والشك، مما دفع بالمستعمر إلى فرض التعليم الإجباري والذي بدوره كان في غالبه محدود المستوى وهدفه النهائي تعليم حرفة للمتعلم الذي لم يكن يواصل دراسته بل يوجه إلى إحدى

[1] آثار الأستاذ أحمد توفيق المدني،هذه هي الجزائر ويليه كتاب الجزائر، أحمد توفيق المدني، (دار البصائر، الجزائر، د ط، 2008)، ص 132

[2] توات والأزواد، محمد الصالح حوتية، ج 01، ص 270

[3] نفس المرجع، ص 253

[4] تاريخ بني ميزاب، يوسف الحاج السعيد بن بكير، (وزارة الثقافة، الجزائر،د ط، 2007م)، ص 210

الحرف، وكان هدف الفرنسيين الاستفادة من بعض الذين علموهم لاستعمالهم كمترجمين[1] أو معّرفين بالمنطقة كما كان مع عبد الرحمن سلكة، الذي كان كاتباً في مراكز توات سنة 1913م، وقد اهتم بتاريخ ناحية توات وجمع معلومات عنها ونشرها في دراسة سنة 1922م، وذلك بدفع من السلطات الفرنسية التي كانت حريصة على معرفة أصول السكان وطبقاتهم وصناعتهم وتجارتهم ونظام الزراعة عندهم وأخبار علمائهم وقصورهم وأنسابهم، وكل ذلك سعياً من السلطات الفرنسية إلى فتنة المجتمع وإثارة النعرات القبلية والعرقية والدينية بينهم، وهو ما كانت تسعى إليه فرنسا كلما وجدت إلى ذلك سبيلا[2]

وفي المقابل بقيت الغالبية العظمى من أبناء منطقة توات تتبع منهجها القديم في تدريس أبناءها وذلك عبر الدخول المبكر للأولاد للكُتَّاب (المدرسة القرآنية)سواءً البنين أو البنات لتقلي العلوم الدينية وعلى رأسها القرآن الكريم والفقهية والنحوية وغيرها، ولا تخلو منطقةّ أو قرية من القرى من كُتَّاب على الأقل أو أكثر يشرف عليه معلمون ومشايخ يدرسون العلوم الدينية وغيرها، للأولاد منذ نعومة أظفارهم حتى يترقى في تلك العلوم.

وأول ما يبدأ به الحروف العربية ثم ينتقل إلى تعلم الآيات والسور القصار ثم يتدرج في السور من الأسفل إلى الأعلى، ويعتمد التدريس على اللوح المصنوع من الخشب والقلم المصنوع من القصب، "وعند التحاق الطفل بالكتاب القرآني يقام حفل عظيم وتصنع مائدة تشتمل على التمر واللبن والحريرة والخبز الرقيق المحلى المأدوم بالسمن اللذيذ يدعى لتلك المائدة رجال الحي وفي مقدمتهم تلاميذ المدرسة القرآنية ويقدم لوح الصبي للمعلم فيكتب فيه البسملة والآيات الأخيرة من سورة الإسراء ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ ...﴾[3]، إلى آخر السورة ثم يكتب بعدها الحروف الهجائية"[4]، وبعد إتمامه للقرآن وبعض المتون ينتقل من مدرسته بالقرية إلى زاوية[5] من الزوايا والتي كانت أعلى مستوى في تدريس تلك العلوم

---

[1] الصحراء الجزائرية بين مخططات الفصل الجدية وطاولة المفاوضات النهائية، محمد مبارك كديده، ص 27

[2] تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، (عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة بدعم وزارة الثقافة، 2011م)، ج07، ص 394

[3] الإسراء110

[4] الرحلة العلية، محمد باي، ج2، ص 293

[5] تعريف الزاوية: لعل لفظ الزاوية في الأصل مأخوذ من الانزواء بقصد الكوف على العبادة أو على تلقي العلم بعيداً عن دنيا الناس ومشاغلهم اليومية، وهي أيضاً رباط المجاهد في سبيل الله وحافظ الثغور، ولعل أقد تعريف لها هو ما ورد عن ابن مرزوق الخطيب في كتابه المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن قوله" هي المواضع المعدة لإرفاق الوادين وإطعام المحتاجين من القاصدين، على أنه في دائرة المعارف الإسلامية نجد لها تعريفاً شاملاً"يطلق هذا اللفظ في شمال إفريقيا على مجموعة من الأبنية ذات الطابع الديني.."، وقد ذكر "دوماس" Daumas عام 1847م في كتابه" منطقة القبائل" تعريفاً لمفهوم الزاوية بالمغرب حيث قال" إن الزاوية هي على الجملة مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة" ولعل المفهوم المعاصر والحالي للزاوية وخاصة في منطقة توات ينطبق بشكل كبير مع هذا التعريف، إذ يراد بها المدرسة الدينية التي تدرس القرآن والسنة وعلومهما كما تشمل على جانب الضيافة والاستقبال. أنظر: الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، عبد العزيز شهبي، (دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2007)، ص13. زوايا ثائرة من اللوحة إلى البندقية، كفاح جرار، (منشورات الأنيس، الجزائر، ط01، 2012)، ص 19.

والمعارف وأكثر انضباطاً، وأظهرت الدراسات والوثائق التاريخية تمسك أهل الصحراء بهذا النوع من التعليم فكانوا يسهرون على تمويله وتزويده بكل مستلزماته.

كم أن الزاوية تستقبل كل من يَرِد عليها من جميع المستويات الثقافية والفئات العمرية والجنسية والاجتماعية، تستقبل المبتدئ كما تستقبل العالم فتجدد له معارفه وتوسعها وتعمقها، ويرتادها الطفل والشيخ والمرأة والفقير والميسور، تبذل لكل طالب ما يريد من ضروب المعرفة حسب مستواه الثقافي وهوايته وطاقة استيعابه، وهي لا تسد أبوابها وإن عطلت المدرسة أيام معدودات بل تستمر في العطاء على مدار السنين، وهي لا ترد طالباً لعدم وجود مقاعد شاغرة ولا تغلق أبوابها لقلة الطلاب المنتسبين إليها، فالهدف الأسمى لزاوية العلم أن يعرف الناس أحكام ربهم في دينهم ودنياهم، فلذا فإنها قد سهلت من أمور الالتحاق بها وكذا لم تشترط شروطاً معينة في الطلبة ممن يريدون طلب العلم[1]

فالزوايا كانت تمول بالأوقاف والتبرعات المدفوعة لها كبقية الزوايا في جميع أنحاء الجزائر، وحتى بعد تضييق الخناق عليها وجدت مصدراً آخر للتمويل تمثل في أموال الزيارات[2]، وهو ما صعب الأمر على المستعمر في سلخ أبناء المنطقة من تراثهم وخصوصياتهم الشخصية، وحتى الذين درسوا في المدارس الفرنسية وعملوا كمترجمين أو غير ذلك في الإدارات الفرنسية، كانوا متشبثين بتلك المبادئ والقيم والخصوصيات والتي تلقوها في صغرهم وبقيت محفورة في أذهانهم وراسخة في اعتقاداتهم وهو ما يفسر نهوض تلك الأفراد والأسر المعروفة بإخلاصها ووطنيتها بجهود كبيرة على صعيد تعبئة السكان واحتضان الأحزاب الوطنية وفتح مكاتب لها في المناطق التواتية[3].

وقد جر ذلك على المدارس والزوايا مضايقات كثيرة من طرف السلطات الاستعمارية وصلت في بعضها إلى الغلق والاعتقال بحجة قانون "شوطون" وزير الداخلية الفرنسي،والذي ينص على أن اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر يحرم تعلمها وتعليمها[4].

ولكن بفضل الله وبفضل جهود العلماء والمصلحين وخيرة أبناء هذا الشعب، بقيت اللغة العربية على ألسن الجزائريين يتكلمون بها ويعتزون بها كلغة وطنية مرتبطة بدينهم وتاريخهم، وبقي الإسلام في قلوبهم يتعبدون الله به و ينظمون به شؤون حياتهم، كما عملت الدولة الجزائرية بعد الاستقلال بشكل كبير على إنشاء المراكز العلمية وتشجيع البحث العلمي بمختلف أنواعه وأصنافه.

---

[1] توات والأزواد، محمد الصالح حوتية، ج 01، ص 250

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،(دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998)، ج1، ص 284-290

[3] دور إقليم توات خلال الثورة التحريرية الجزائرية1956-1962، تواتي دحمان ، مقلاتي عبد الله، رموم محفوظ، ص30

[4] الشيخ احمد حماني ودوره في الحركة الإصلاحية والوطنية، احمد حداد، ص 58

الفصل الثاني

حياته التعلمية والتعليمية ومؤلفاته وثناء العلماء وغيرهم عليه.

وقد قسم هذا الفصل إلى مبحثين:

المبحث الأول: حياته التعلمية والتعليمية

المبحث الثاني: مؤلفاته وثناء العلماء وغيرهم عليه.

المبحث الأول :حياته العلمية.

تعد الحياة التعلمية والتعليمية من أهم ما يميز ويتميز به الشخص الذي يترجم له، فبالوقوف عليهما يتمكن الباحث والدارس من معرفة أفكار وآراء واتجاهات الشخصية المدروسة- خلصة إذا كان هذا الشخص عالماً أو مصلحاً- فبالوقوف على حياته التعلمية يتضح لنا المنبع الذي استقى منه العالم علومه ومعارفه والبيئة التي نشأ وترعرع بها، وكيف أثرت على تكوينه العلمي سلباً وإيجاباً، والعوامل التي شكلت شخصيته العلمية، من معلميه وأساتذته وشيوخه، كما يعد الوقوف على حياته التعليمية مبرزا للمنهج الذي سلكه العالم في الإصلاح والتغيير، وقد قسمت هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:حياته التعلمية

ويندرج تحته فرعين:

الفرع الأول: نشأته وتعلمه

يعتبر الشيخ باي أحد أهم العلماء والمشايخ ورواد الإصلاح في وقتنا المعاصر الذين أنجبتهم الصحراء الجزائرية، وتعود بعض أسباب تلك المكانة العلمية والدعوية التي وصل إليها الشيخ، إلى نشأته في أسرة محافظة معروفة بالعلم والعلماء، وحبها للصلاح والإصلاح، ومحافظة على القرآن وتعلمه وتعليمه، فنسب الشيخ رحمه الله يرجع إلى قبيلة الفلان[1] المشهورة في غرب أفريقيا، والتي تمتد جذورها إلى قبيلة حمير العربية المشهورة باليمن.

وهو أبو عبد الله محمد بن عبد القادر بن محمد بن المختار بن أحمد العالم القبلوي الجزائري الشهير بالشيخ باّي، ويرجع سبب تسميته بهذا الاسم، إلى تيمن والده عبد القادر بن محمد بالعلماء والمصلحين وحبهم له ولسيرهم، كما ذكر الشيخ في مقدمة كتابه السبائك الإبريزية : حيث قال: "والسبب فيه أن ازديادي تزامن مع وفاة الشيخ العالم العلامة محمد باي بن عمر الكنتي فاختار لنا الوالد رحمه الله هذا الاسم تبركاً وتفاؤلاً به، وقد ذكر الشيخ سيد محمد بن باد في شرحه " مقدم العّي المصروم على نظم ابن أبَّ لمنثور ابن آجروم، وأفادني شيخنا أن اللقب قد لا يدل على مدح ولا على

[1] تكلم الشيخ بشكل عام عن هذه القبيلة وجذورها في كتابيه" قبيلة فلان في الماضي والحاضر، ومالها من العلوم والمعرفة والمآثر" و" الرحلة العلية في منطقة توات"وبشكل خاص من حيث تواجدها في الجزائر في كتابه " إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فلان في جنوب الجزائر" حيث قال" يرجع نسب الفُلاَّنيين كما ورد في العديد من الروايات والنصوص المكتوبة إلى التابعي الجليل فاتح إفريقيا وباني القيروان، عقبة بن نافع الفهري القرشي رضي الله عنه وأرضاه، نجد ذلك في إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، للسلطان محمد بلو ابن الحاج عثمان بن فويدو سلطان سكوتو، قال الألوري:"إن فلان من العرب، قول منسوب إلى آل فويدو، وقد نقله الشيخ عثمان وأخوه عبد الله وابنه محمد بلو عن اجدادهم وعلمائهم الثقات، حيث قالوا: إن الجد الأعلى لفلان هو عقبة بن نافع رضي الله عنه وأرضاه، وإن الأم العليا لهم رومية تدعى (بج مع)، وهي بنت ملك بإحدى قبائل الروم تزوجها عقبة بن نافع رضي الله عنه وأرضاه، وأنجبت له أربعة أولاد صاروا فيما بعد آباء القبائل الفلانية بأسرها في بلاد ونغارة وغانا ومالي وتكرور وسنغي وبلاد هوسة وبرنو" . أنظر: إرشاد الحائر لمعرفة قبيلة فلان في جنوب الجزائر وغيرها من البلدان، محمد باي بالعالم، (دون دار نشر، د ،ط، د ت) ص 17

ذم،...وإني كنت أعرف بهذا الاسم مَحمد باي بفتح ميم محمد، ولما كان هذا الاسم ليس مغايراً لمحمد الذي هو الأصل وفي الأخير صرت أعرف به"[1].

وقد دأب الكثير من الجزائريين وفي مختلف جهات الوطن على تغيير بعض الأسماء خاصة ما تعلق منها بأسماء النبي صلى الله عليه وسلم، واستبدالها بأسماء تتفق مع الاسم النبوي في بعض الحروف وتختلف معه في البعض الآخر، كتسمية "محند" مكان "محمد" عند منطقة القبائل، أو" التسمية بمحمد بضم الميمين أو بفتحهما فلعله من باب التغيير صوناً للاسم الشريف أن يسمى به غيره"[2]، ويرى بعضهم هذا التغيير في الاسم، صوناً للنبي صلى الله عليه ولاسمه من السب إذا أخطأ صاحبه في حق من سبه.

وقد كانت ولادة الشيخ محمد باي بلعالم سنة 1930م في قرية سآهل من بلدية أقبلي بدائرة أولف بولاية أدرار بالجنوب الجزائري وله أربعة إخوة هو خامسهم، وترتيبه بينهم الثالث، كان والده محمد عبد القادر فقيها وإماما ومعلما ومؤلفا، ومن مؤلفاته " تحفة الولدان فيما يجب على الأعيان "و" منظومة في حال الوقت " حارب فيها أهل البدع والخرافات وله قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمه خديجة بنت محمد الحسن كان والدها عالما قاضيا في منطقة " تديكلت"[3].

وإذا ما نظرنا إلى نسبه رحمه اللهسواء ً من ناحية أبيه والذي من مؤلفاته يتبن أنه كان عالماً ومصلحاً، أو من ناحية أمه والذي كان أبوها، أي جده ،عالماً وقاضياً– علمنا أنه قد تربى في أسرة علمية متدينة اهتمت بالعلم والتعليم والإصلاح بين الناس وتأليف القلوب و تصنيف الكتب، وهو ما يشكل عادةً ركيزةً ومنطلقاً للكثير من العلماء والمصلحين، إذ يتشبعون منذ نعومة أظافرهم بروح الجد والاجتهاد، والسمو والرقي في مراتب الكمال، فيسبق ذلك الخير إلى قلوبهم فتتشرب لتلك القلوب حب العلم والتضحية في سبيله تعلماً وتعليماً، خاصةً القرآن والسنة النبوية وما تعلق بهما من علوم.

1 أنظر: السبائك الأبريزية شرح على الجواهر الكنزية، محمد باي بالعالم، (دار ابن حزم، بيروت ، لبنان ، ط 01، 2012)، ص06

2 نفس المصدر والصفحة

3 الرحلة العلية، محمد باي، ج02، ص 362. معجم أعلام توات، عبد الله مقلاتي و مبارك جعفري، ص 314.

فقد بدأ الشيخ تعلمه بدراسة القرءان الكريم في مدرسة " سآهل أقبلي" على المقرئ الحافظ لكتاب الله الشيخ محمد بن عبد الرحمان المكي بن العالم[1] ثم قرأ على والده محمد بن عبد القادر[2] المبادئ النحوية والفقهية ودرس على الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي[3] مدة من الزمن، ثم انتقل إلى زاوية الشيخ مولاي أحمد المعروف بالطاهر بن عبد المعطي السباعي[4] والتي تقع ببلدية سالي حالياً التابعة لدائرة رقان وتبعد عنها بحوالي20كلم، فمكث فيها سبع سنوات قرأ فيها (الفقه المالكي وأصوله ، النحو ، الفرائض، الحديث، التفسير) [5].

وقد أجازه شيخه في العلوم التي درسها عنده وقد نقل لفظ تلك الإجازة في كتابه الرحلة العلية وجاء فيها عن شيخه قوله"قد أجزته بكل ما تجوز لي به الرواية وما تلقيته عن أشياخي ضاعف الله أجورهم رواية ودراية وبما لي من شرح وتقرير وعلم وتحرير..."[6] كما تحصل خلال فترة دراسته على عدد من الإجازات منها:

---

[1] هو أحد أهم صانعي ومربي ومعلمي الشيخ باي، فقد احتضنه وتكفل به في أولى مراحل تعلمه، وكان له بمثابة الأب الثاني بعد والده كما ذكر هو في ترجمته له في كتابه الرحلة العلية، فقد قال فيه" ومن الأعلام الذين تربيت في أحضانهم وقرأت عليه القرآن كله في المدرسة القرآنية، وكنت أقرأ عليه في السحر: الطالب محمد بن عبد الرحمان المكي المزداد سنة 1310هـ، والمتوفى 1365هـ، وكان معلماً للقرآن وإماماً في مسجد سآهل أقبلي، وكنت أنام معه في منزله مدة صغري من الفطام إلى الصيام، وكان الأب الثاني بعد والدي وقد دعا لي بالخير"، ينظر: الرحلة العلية، محمد باي، ج2، 401

[2] مثّل له والده الأبوة بشقيها الروحية والنسبية، فقد عالماً ومصلحاً، وأول ما يهتم به المصلحون هم أبنائهم الذين هم فلذت أكبادهم ومشاريع حياتهم وآثارهم بعد مماتهم، وقد ترجم له في كتابه "الرحلة العلية" فقال"فأول من عرفت من العلماء والدنا السيد محمد عبد القادر بن محمد بن المختار بن احمد العالم، المزداد سنة 1298هـ، والمتوفى سنة 1372هـ، لقد عشت في كفالته منذ نشأت من آخر العقد الرابع من القرن الرابع عشر إلى أول العقد السابع من القرن المذكور تاريخ وفاته، فلقد كنت الابن المحبوب عنده وعاملني بالإحسان وبالتربية الدينية وأخذت عنه مبادئ الفقه والنحو، ولقد أحاطني الوالد بكل عناية ورعاية" ينظر :المصدر السابق، ج2، 401

[3] كان من أقاربه الذين أثروا فيه من الناحية العلمية والروحيةوخاصةً هاته الأخيرة، فقد عرف بورعه وتقواه وبكرامة مشاهدته للنبي صلى الله عليه وسلم ومعه في المنام، وقد جاء في ترجمته له قوله" وممن عرفته من الأعلام الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي بن محمد بن عبد الله المزداد سنة 1298هـ، والمتوفى سنة 1372هـ، وهو خال والدتي، فكنت ألزمه ويدرسني مبادئالنحو والأجرومية وبعض ألفية بن مالك، وكان رجلاً ورعاً تقياً يتلو كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار، وكان كثيراً ما يرى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وأنا رأيته في المنام يمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في براح من قرية بلدنا سآهل أقبلي، وكان متمكناً من النحو والصرف، المصدر نفسه، ج2، 402

[4] كان من أوائل المشايخالذين درس عندهم خارج بلدته وقبيلته ومن أكثر الشيوخ تدريساً له نظراً لطول مدة مكثه في مدرسته، فقال عنه" ومن الأعلام مولانا احمد الطاهر بن عبد المعطي، فهو شيخي وأستاذي، ودرست في زاويته العلوم الشرعية والنحوية..ولقد كانت علاقتي الروحية به منذ ارتيادي لمدرسته سنة 1366هـ إلى أن وافاه الأجل سنة 1399هـ الموافق ل1979م. ينظر: المصدر نفسه، مج2، 402.

[5] بعد أن يحفظ الطالب القرآن العظيم في المدرسة القرآنية يلتحق بالمدرسة الدينية لتلقي العلوم فيتابع متون العقيدة الإسلامية والفقه والنحو والصرف والفرائض يحفظها ثم يدرس تفسيرها ومعانيها على الأستاذ المدرس المتخصص فيها فيفسرها له بيتاً بيتاً وكلمة كلمة حتى يوقفه على معانيها ويطلعه على أسرارها وبعد إتقان العلوم السالفة الذكر ينتقل الطالب لعلوم الحديث ثم التفسير إلى ان يتخرج من المدرسة وقد تمكن من علوم الشريعة الغراء وفي العلوم اللسانية. أنظر إرشاد الحائر لمعرفة قبيلة فلان في جنوب الجزائر وغيرها من البلدان، محمد باي بالعالم، ص 17

[6] الرحلة العلية، محمد باي بالعالم، مج01، ص 388

2- إجازة عامة من السيد الحاج أحمد الحسن[1] بأسانيد متعددة[2]

3- إجازة من السيد علي البودليمي[3] في الحديث

4- إجازة من الشيخ السيد محمد بن علوي المالكي المكي الحسني[4] في مكة المكرمة

5- شهادة ليسانس في العلوم الإسلامية من وزارة الأوقاف (الشؤون الإسلامية حالياً) عام 1971م

6- إجازة من العالم اللبناني الشيخ زهير الشاويش[5]

الفرع الثاني:شيوخه

تلقى الشيخ باي بلعالم العلم على عدد كبير من الشيوخ نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر

محمد عبد القادر بن المختار بن أحمد العالم:" هو محمد عبد القادر بن المختار بن أحمد العالم الفلاني المولود بقرية ساهل أقبلي دائرة أولف ولاية أدرار سنة 1298 هـ الموافق لـ 1880م والمتوفى سنة 1372هـ الموافق لـ 1952م عن عمر يناهز 72 سنة[6]. وهو والد الشيخ محمد باي، تلقى العلم عن مشايخ ساهل بعد ان حفظ القرآن الكريم ثم عكف على تحصيل العلم، فلازم الشيخ حمزة القبلاوي والشيخ السكوتي، فتحصل على علم الفقه والنحو والفرائض والعروض

---

[1] ولد بساهل ودرس بها، ونبغ في الكثير من العلوم الشرعية ثم درّس بمنطقة الهقار حيث قام بدور بارز في نشر العلم والثقافة العربية،و هو عم واستاذ الشيخ باي بالعالم توفي رحمه الله بمنطقة المنيعة في طريقه إلى الحج عام 1373هـ الموافق لـ1954م . أنظر الرحلة العلية، ج 2، ص 388. معجم أعلام توات، ص 91

[2] وقد جاء في نص الإجازة"...وبهذا قد أجزته إجازة مطلقة في جميع العلوم الشرعية الإسلامية كالتوحيد والتفسير والحديث والفقه واللغة والنحو وغيرهم.....وبه فقير مولاه ابن مالك أجمد بن محمد الحسن القبلاوي الساهلي رزقهم الله رضاه آمين"

[3] وقد كانت إجازة طويلة نذكر منها قوله"...بما تلقاه حضرة الفاضل الأجل : الشيخ محمد باي المدرس بمسجد آولف دائرة آولف ادرار حفظه الله ورعاه وبلغه من الخير مناه فقد طلب مني الإجازة ولما رأيت فيه من الأهلية والصلاحية أجزته بجميع ما في هذا الثبت صلة الموصول بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسانيدي ومروياتي، عن أساتذتي سادتي المذكورين في السلسلة بالشروط المقررة عند رجال هذا الفن من الأئمة رضي الله عنهم أجمعين – أقول هذا وأنا علي بن محمد بن عبد الله البوديلمي بالديار التلمسانية الجزائرية كان الله له في كل مهمة آمين" . كشف الدثار شرح على تحفة الآثار، محمد باي بالعالم، (دار عمار قرفي، باتنة ، الجزائر، د ط، د ت) ص 81. أنظر الرحلة العلية، محمد باي، ج 2، ص 462

[4] ولد بمكة المكرمة سنة 1362هـ، وتوفي بها يوم 25 صفر 1391هـ، وله مؤلفات تزيد على خمسين مؤلفاً في فنون كثيرة في الفقه والأصول والحديث والتصوف والقواعد الأساسية في علوم القرآن وفي الأصول العلمية والأحوال الحكمية، والآداب وتاريخ السيرة وعلم التجويد والعقائد وفضائل المدينة ومعجم المناسك، وفي القواعد الأساسية لمصطلح الحديث، وشرف الأمة المحمدية وخصوصيات الأمة المحمدية.انظر الرحلة العلية، محمد باي، ج 2، ص 494. ينظر: قبيلة فلان في الماضي والحاضر، محمد باي بالعالم، ص 266

[5] هو محمد زهير بن مصطفى الشاويش الحسني الهاشمي محقق ومؤلف سوري الجنسية ولد بدمشق بتاريخ 08ربيع الأول 1344هـ الموافق لـ 1925م، أسس المكتب الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق عام 1957م، توفي يوم01جوان 2012 الموافق لـ22 رجب 1434، ومما جاء في نص الإجازة ما يلي:"...أجزت أخي في الله تعالى ومحبي: الشيخ محمد الكبير الباي بالعالم حفظه الله تعالى بجميع ما يصح لي وعني روايته من مقروء ومسموع وأصول وفروع مما أجازني به مشايخي الأجلة الفضلاء- رحمهم الله تعالى أجمعين-ومالي من مؤلفات وتحقيقات ومقابلات ومقالات وتعليقات. أنظر الرحلة العلية، محمد باي، ج 2، ص 469. المصدر زهير الشاويش /https ar.wikipedia.org/wiki:// يوم الدخول للموقع 2019/10/22

[6] الرحلة العلية، محمد باي،ج 2، ص 155

وغيرها،"[1] له عدة منظومات في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وفي الوعظ والإرشاد و محاربة البدع والخرافات،وله أرجوزة تشتمل على 295 بيتاً كلها في محاربة الإسراف والتبذير في الأعراس والختان وفي محاربة السفور والتبرج، اختير لتولي القضاء من طرف الإدارة الفرنسية لكنه رفض،[2]كان عالماً ومعلماً ومؤلفاً، وقد راسله الشيخ العبقري محمد علان والعلماء من آل الشيخ الكبير"[3]، كما كانت له صلات مع الشيخ القاضي عبد الكريم بن جعفر، والشيخ بوعلام والشيخ جعفري محمد بن سيدي جعفر، والشيخ المغيلي ووالده الشيخ الحاج عبد الكريم وغيرهم، فكان للشيخ في النصف الأول من حياته جولات ومقامات علمية كثيرة ترك فيها الأثر الطيب والذكر الحسن والثناء الجميل، ...قبل أن يعود إلى أهله في أقبلي ولم يتثاقل عنها إلا بعد أن كبر سنه[4]"يعتبر المعلم الأول للشيخ باي حيث أخذ عنه مبادئ الفقه والنحو ثم بعثه إلى مدرسة الزاوية العلوشية بسالي "[5]

محمد بن عبد الرحمان المكي بن العالم: ولد سنة 1310هـ وتوفي 1365هـ وكان معلماً للقرآن وإماماً في مسجد ساهل أقبلي، يقول عنه الشيخ أنه أخذ عنه الكثير من الفوائد والشرائد وكنت أنام معه في منزله منذ صغري من الفطام إلى الصيام وكان الأب الثاني بعد والدي وقد دعا لي بالخير وكنت أحبه كحب والدي"[6]

محمد عبد الكريم المغيلي:ولد سنة 1284هـ وتوفي سنة 1369هـ وهو خال والدة الشيخ، فكان يلازمه ويدرس عندهمبادئ النحو والأجرومية والملحة وألفية ابن مالك، وكان رجلاً ورعاً تقياً يتلو كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار، يقول عنه الشيخ أنه كان كثيراً ما يرى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، وقد رآه الشيخ مرة مع النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، وكان متمكناً من النحو والصرف والمبادئ الفقهية"[7]

أحمد الطاهر بن عبد المعطي الإدريسي السباعي: ولد الشيخ سنة 1325هـ الموافق لـ 1907هـ بأولاد عبد المولى محافظة مراكش، ويعود نسبه إلى الأدارسة السباعيين والذين بدورهم يعودون إلى إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي رضي الله عنه[8]،وكان الذي تربى في أحضانه وتلقى منه العلم والمعرفة والأخلاق

---

[1] الرحلة العلية، محمد باي، ج 1، ص280

[2] معجم أعلام توات، عبد الله مقلاتي و مبارك جعفري، ص 376

[3] إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فلان في الجزائر، محمد باي بالعالم، ص 80

[4] من أعلام الجنوب، إبراهيم بن ساسي، (موفم للنشر الجزائر،د ط، 2011م)، ص 160

[5] الرحلة العلية، محمد باي، ج 2، ص 385

[6] نفس المصدر السابق الصفحة

[7] نفسه، ج 2، ص 385

[8] الدر المنظوم شرح مقدمة ابن جروم، مولاي احمد الطاهري، (مطبعة الواحات، غرداية، ط 01، د ت)، ص4

الجميلة أخاه عبد الله الفقيه المفتي الشهير الذي اشتهر بالفضل والعلم والتدريس منذ نشأته حتى وفاته[1]، ولما كان يقارب الستة والأربعين من عمره غادر المغرب قاصداً أرض السودان ثم منها إلى شنقيط فأقام بها سنين وتصدر فيها للتدريس والتعليم[2].

ثم انتقل الشيخ أحمد الطاهر إلى ولاية ادرار بالجزائر وبالضبط إلى قرية سالي سنة 1363هـ الموافق 1944م وأسس هناك مدرسة علمية مشهورة تخرج منها الكثير من العلماء في توات والقطر الجزائري "[3]، فعانى من التضييق عليه وعلى مدرسته نتيجة وقوفه مع الثورة التحريرية ورجالاتها ومحاربتهم للمستدمر الفرنسي وسياساته الرامية لفصل الصحراء عن الجزائر [4]، فكان منه أن فضل العودة و البقاء في المغرب الأقصى موطنه الأولى عند إتمامه للحج وهذا سنة 1958 وأوكل أمور أسرته وزاويته إلى خليفته الشيح الحبيب بن عبد الرحمان.

ثم عاد بعد الاستقلال لأرض الوطن لكنه لم يمكث سوى أربعة أشهر ليعود للمغرب إثر مرض أخيه ويبقى هناك أربعة أعوام، ليعود للمرة الأخيرة إلى الجزائر ويشرف على زاويته والتي تخرج منها الكثير من العلماء والمشايخ والطلبة[5]، منهم الشيخ باي الذي درس في زاويته العلوم الشرعية والنحوية، وقد منحه إجازة عامة في العلوم التي درسها عنده، وكانت هناك علاقة روحية بين الشيخ باي والشيخ أحمد الطاهر إلى أن وافت المنية هذا الأخير سنة 1399هـ الموافق ل 1975م."[6] وقد خلفه ابنه مولاي عبد الله الطاهري فهو على عهد والده إلى يومنا هذا[7]، وهذه عادة بعض الزوايا في منطقة توات أن يتعاقب عليها الأبناء بعد الآباء للأجيال وهو ما يدل حرص المشايخ على استمرارية التعلم والتعليم وشرف حمل أمانة الدين من قرآن وفقه وغيرهما وتبليغهما للناس.

---

[1] سلسلة النوات في معرفة صالح وعلماء توات، التهامي غيتاوي، (المطبعة الحديثة، الجزائر، د ط، د ت)، ج01، ص 92

[2] أبسط العبارات وأطيب النفحات بذكر بعض علماء وصالحي منطقة توات، محمد سالم بن الحاج عبد القادر بن عبد الكريم، (مطبعة شمس الزيبان للنشر والتوزيع، تلمسان، 2011)، ص 84

[3] الرحلة العلية، محمد باي، ج 1، ص378

[4] شرح الفوز المبين بالمرشد المعين، الحبيب بن عبد الرحمان، (مطبعة الواحات، غرداية،د ط، دت)، ص 6

[5] سلسلة النوات في معرفة صالح وعلماء توات، التهامي غيتاوي، ج01، ص 94

[6] الرحلة العلية ، محمد باي، ج2، ص 386 . من أعلام الجنوب الجزائري، ابراهيم بن ساسي، (دار صبحي للطباعة والنشر، غرداية، الجزائر، ط 02، 2014)، ج02، ص 139. معجم اعلام توات، عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري، ص11

[7] الرحلة العلية، محمد باي بالعالم، مج2، 402، (بتصرف). من أعلام الجنوب الجزائري، إبراهيم بن ساسي، دار صبحي، ج02، ص 139.

المطلب الثاني: سيرته التعليمية.

ويندرج تحته ثلاث فروع:

الفرع الأول: تعليمه

إن أهم ما ينتظره الآباء بصفة عامة والمصلحين منهم بصفة خاصة هو بلوغ أبنائهم من العلم ما يمكنهم لتصدر المجالس والتعليم والعطاء بعد الأخذ والاعتكاف، فهم ينتظرونهم بفارغ الصبر ليعودوا إلى أوطانهم وديارهم وقد توقدت أذهانهم بالفطنة والذكاء وعمرت قلوبهم بالعلم والحكمة فيساهموا في البناء والإصلاح، وهذا ما كان من الشيخ باي بعد أن تخرج من زاوية الشيخ أحمد بن عبد المعطي السباعي حيث انتقل إلى مدينة (أولف) وقام بتأسيس مدرسة للعلوم الشرعية تعنى بتدريس الطلاب والطالبات الأمور الدينية واللغوية للمساهمة في رفع المستوى الثقافي الديني لدى أبناء وطنه إبان الاستعمار الفرنسي[1] والذي حاول وبكل قوة وجهد أن يحيل بين الناس ودينهم وبشتى الطرق والوسائل، وقد كان نظام الدراسة خارجياً، كعادة الكتاتيب الموجودة في كل قرية، بحيث يدرس الطلبة فيها الفترة الصباحية من الصباح الباكر إلى قرب الزوال ثم ينصرفون إلى بيوتهم للغداء والقيلولة ثم يرجعون مع صلاة الظهر للفترة المسائية والتي تمتد إلى قبيل المغرب وأحياناً إلى ما بعد العشاء، وقد سمى مدرسته" بمدرسة مصعب بن عمير الدينية"[2]، ولعل الشيخ أراد أن ينحى منحى جديد غير الذي أعتيد في تسمية المدارس الدينية والزوايا بأسماء البلد أو الأشخاص المؤسسين لها وفي هذا إعطاء روح عصرية جديدة للزاوية والمدرسة حتى من خلال التسمية وعلى غرار المدارس الحكومية النظامية.

وقد بدأ الشيخ التدريس بمدرسته الجديدة بكل همة ونشاط وعزيمة وانضباط وهو ما نلمسه في وضعه لقانون داخلي خاص بالمدرسة، ويؤكد رأينا السابق في إعطاء روح عصرية للمدرسة، وهذه المرة في تنظيمها وتسييرها، وقد اشتمل القانون الداخلي الخاص بالمدرسة على ثلاثة وعشرون مادة، كما تم ضبط البرامج التدريسية الخاصة بكل طور من الأطوار، وضبط تسيير المرافق من مطعم ومرقد، وملف التسجيل بالمدرسة[3].

ونظراً للظرف التاريخي الذي كانت تمر به الجزائر بما في ذلك الصحراء آنذاك وهو الاستدمار الفرنسي ومطالبة الشعب الجزائري بالاستقلال والحرية من خلال الثورة التحريرية وانتشارها في كل ربوع الوطن وجهاته وهو ما جعل الشيخ يقرر إغلاق المدرسة مؤقتاً خوفا على طلبته من المعارك التي كانت تدور آنذاك، ولّما حصل الشعب الجزائري على حريته

---

[1] الرحلة العلية، محمد باي، ج 2، ص 362

[2] فتحت هذه المدرسة أبوابها سنة 1964م- 1383هـ، وخصص للدروس فيها الوقت المناسب للعمال والفلاحين وذلك من وقت العصر إلى الغروب، وقد درس فيها مجموعة من الأمهات مثل: مختصر خليل، والرسالة ، وأسهل المسالك، المرشد المعين،وغيرها من كتب الفقه والنحو، كما يدرس فيها كل سنة الموطأ، وصحيح مسلم كل سنتين أوثلاث، إضافة إلى التفسير، وفي شهر رمضان تخصص الدروس لكتب الحديث والقرآن، نفس المصدر ، 341

[3] نفس المصدر والصفحة

ونالت الدولة استقلالها واستتب الأمن أعاد افتتاح المدرسة من جديد لتستقبل الطلاب وبأعداد كبيرة وأضاف إليها قسماً داخلياً جديداً.

وسعياً من الدولة الجزائرية الحديثة في تنظيم شؤونها ومنها الشأن الديني فقد تم توظيف القائمين على هذا الشأن بشكل رسمي في الدولة ويتبعون إلى وزارة تعنى بشؤونهم، وفي عام 1964م التحق الشيخ بالسلك الديني فأصبح من الناحيةالرسمية إماماً وخطيباً ومفتياً ومدرساً معترفاً به من قبل الدولة لمسجد أنس بن مالك ومدرسة مصعب بن عمير الدينية، كما أنه شارك عام 1971م في مسابقة لوزارة الأوقاف التي أجرتها لمجموعة من المشايخ لتحديد مستواهم العلمي فتحصل على شهادة تعادل (الليسانس) في العلوم الإسلامية، وهي تعدّ في ذلك الوقت من أرقى الشهادات في الجزائر الحديثة الاستقلال والخروج من براثن الجهل والأمية.

وفي عام 1981 قام بتوسيع مدرسته وأضاف إليها قسماً جديداً خاصاً بالإناث فأصبحت تستقبل أعداداً كبيرة من الفتيات على غرار ما تستقبله من الفتيان، وهو ما يفسر رؤيته الواسعة والحكيمة لطلب العلم والتعلم إذ يشمل البنين والبنات على حد سواء فمحاربة الجهل لا تقتصر على الذكور من الأولاد دون الإناث وهو ما كان يسود في بعض القرى والنواحي، كما قام بتوسيع الأقسام الداخلية بحيث أصبحت تستوعب طلاب من خارج البلاد[1]سواء ً القادمين من الولايات المجاورة أو حتى من خارج الوطن.

وقد اهتمت المدرسة بتدريس مختلف العلوم الشرعية واللغوية ومنها[2]:

1- القرآن الكريم وتحفيظه يتم على مستويات تبدأ بالمستوى التحضيري وتنتهي بالمستوى السادس الذي هو ختم القرآن.

2- الفقه الإسلامي على مذهب الإمام مالك دون تعصب أو انغلاق.

3- علم التوحيد بيسره وبساطته دون تكلف معتمدين على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

4- العلوم اللغوية من نحو وصرف وبلاغة.

والشيء الملفت للانتباه والجالب للإعجاب أن مراجع الطلاب في هذه الموارد المقررة هي من تأليف هذا العالم العامل صاحب المدرسة، كما أظهر الشيخ عناية كبيرة بالحديث الشريف من حيث قراءته و تدريسه وتعليمه، فمن سنن الشيخ لأزيد من ثلاثين سنة وهو يعكف على تدريس صحيح البخاري – رواية ودراية- بين شهري شعبان وذي الحجة

[1] نفس المصدر السابق، ص 362

[2] إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فلان في الجزائر ، محمد باي، ص76

كل عام كما يختم موطأ مالك تدريساً مرة كل عام وصحيح مسلم كل عامين وقد ختم تدريس تفسير القرآن لمحمد حسن خان ناهيك عن تدريس المتون والكتب التي ألفها[1] سواءً شرحاً أو نظماً أو استدلالاً وتقعيداً وغير ذلك.

الفرع الثاني: رحلاته:

لقد تميز مشايخ منطقة توات بالاعتكاف على العلم وتعليمه لطلبتهم وللناس جميعاً، وقلما يغادرون زواياهم إلا لحج أو عمرة أو مناسبة اجتماعية لا تطول مدتها، ليرجعوا إلى زواياهم لمواصلة تعليمهم وتكوين طلبتهم، ولكن الشيخ باي بلعالم –وهو ابن منطقة توات عرُف وتميز عن بقية المشايخ بكثرة رحلاته وتجواله سواءً داخل الوطن وما أكثرها، أو خارج الوطن في البلدان الإسلامية سواءً للتعلم أو التعليم أو غير ذلك مما يخدم الدعوة والنهوض بالأمة الإسلامية، فرغم انشغالاته وجسامة المسؤوليات الملقاة على عاتقه إلا انه لم يتوقف عن التحصيل العلمي، فقد ارتحل إلى عدد من البلدان العربية، التقى فيها بعدد من طلبة العلم والمشايخ فاستفاد وأفاد.

فأما رحلاته داخل الوطن فهي أكثر من أن تحصى، ولقد زار جل ولايات الوطن ومنها تمنغست وإليزي والجزائر العاصمة وغرداية وورقلة وغيرها من الولايات، وهاته الأخيرة قد خصّها الشيخ بمزيد من الحب وتعداد الزيارات لها، بل وسّن زيارتها في كل عام، تدوم هاته الزيارة حوالي أسبوعين يستقدم الشيخ معه وفداً من القراء والفقهاء والأعيان فيحدث بقدومه حركة علمية ثقافية واجتماعية مميزة[2]، استفاد منها أهل ورقلة أيما استفادة فشكلت تلك الزيارات جيل الصحوة الذي عرف دينه ووسطيته من خلال منهج الشيخ في الدعوة إلى الله، حتى قال بعض المتأثرين بالشيخ وبمنهجه" يرحم الله الشيخ باي بلعالم فقد كان لنا بداية الصحوة بمثابة ورقة بن نوفل"[3]، لما كان يمثله الشيخ من الوسطية بين التطرف والتمييع.

كما كان للشيخ رحلات خارجية لبلدان عربية وإسلامية، ومن هذه البلدان (تونس. المغرب. ليبيا . المملكة العربية السعودية)، فكانت زيارته الأولى للملكة عام 1964م بقصد الحج والزيارة وعاد إليها عاد 1974م للمرة الثانية ومنذ ذلك العام وهو يأتي إليها بقصد الحج إلى وافته المنية فحج ثمانية وثلاثون حجة كما أنه اعتمر خمسة عشر عمرة[4]، وكان خلال مواسم الحج والعمرة يلتقي بعلماء ومشايخ من داخل الوطن وخارجه فيحضر دروسهم ويتناقش معهم في مسائل

[1] نفس المصدر السابق، ص77

[2] من أعلام الجنوب الجزائري، إبراهيم بن الساسي، دار صبحي، ج2، ص 70

[3] نفس المرجع، ج2، ص70

[4] المرجع السابق، ج2، ص 68

العلم وما اختلف فيه، ومن حسنات الشيخ أنه كتب هذه الرحلات وسجل بها مشاهداته وانطباعاته والعلماء والشخصيات التي اجتمع بها[1].

ولم تكن تلك الزيارات للترويح عن النفس أو للاستجمام كما يظنها البعض، أو مقصداً وغايةً في حد ذاتها؛ بل كانت وسيلة لمقصدٍ وغايةٍ أشرف وأنبل منها، لأننا إذا ما نظرنا إلى هاته الرحلات التي تميز بها الشيخ طول حياته ومشواره التعلي أو التعليمي، سواءً الداخلية أو الخارجية، ندرك مدى حرص الشيخ رحمه الله على تبليغ الخير للناس وبشتى الطرق والأساليب، ورفع راية العلم والعلماء، وإقامة الحجة على الناس بتعليمهم أمور دينهم ونصحهم وإرشادهم.

كما استغل الشيخ هاته الرحلات للإطلاع وإطلاع الناس على الفتاوى والمستجدات في قضايا دينهم، وتقريب وجهات النظر المختلفة بإقامة الملتقيات والمنتديات على مختلف المستويات والمراكز العلمية، وإقامة الصلح بين الناس لمكانته عندهم، فيقضي حوائجهم ويتوسط لهم عند أهل الخير والإحسان ليخفف معاناتهم ويسد حاجاتهم.

الفرع الثالث: تلامذته[2]

إذ ا ما أخذنا في الاعتبار المدة التي دّرس فيها الشيخ في زاويته منذ افتتاحها قبل الاستقلال إلى أن وافته المنية، والدروس التي كانت يلقيها الشيخ في حله وترحاله، سواءً داخل الوطن وخارجه، خاصة ما كان يلقيه الشيخ في الحرمين المكي والمدني، والجموع التي كانت تحضر هاته الدروس وتستفيد منها، فإن هؤلاء الطلبة والتلاميذ لا يمكن للباحث حصرهم في بحث من البحوث، وقد صار فيهم المعلم والإمام والخطيب والمدرس والشيخ، بل حتى إطارات سامية في الوزارات والجامعات ورجال دولة وأمن[3]، وغير ذلكمن الوظائف والمهام سواءً داخل الوطن وخارجه، ولكن على سبيل المثال لا الحصر نذكر منهم بعض الثلة المباركة وقد ترجمنا لبعضهم ولم نترجم للبعض الآخر لكثرتهم وهم :

01- أحمد الطالب بن مالك[4]:

هو إمام أستاذ وخليفة الشيخ محمد باي بلعالم رحمه الله تعالى في زاويته مدرسة "مصعب بن عمير"، واسمه الكامل أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن حمزة لقبه بن مالك، ولد الشيخ أحمد بن مالك يوم 03 محرم 1365 هـ الموافق لـ 1945م في قرية ساهل من قرى بلدية أقبلي دائرة أولف ولاية أدرار، وهو من قبيلة فلان القبيلة المشهورة والتي تعود أصولها إلى قبيلة حِمْيَر القبيلة العربية باليمن، وقد سجل بسجلات الحالة المدنية بآولف في 1942 وهو خطأ؛ وأما الصحيح والواقع، فقد ولد في آخر سنة 1945م.

---

[1] إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فلان في الجزائر ، ص 77

[2] الرحلة العلية، محمد باي،، ج2، ص 370

[3] من أعلام الجنوب الجزائري، ابراهيم بن الساسي، دار صبحي ، ج2، ص 85

[4] أخذت هاته الترجمة عن عبد الله حامد يوم: 03/14/ 2021، على الساعة 10:12 صباحاً، أرسلها لي عبر الفايس بوك.

نشأ أحمد بن مالك في بيت علم وصلاح، قرأ القرآن على يد والده السيد محمد عبد الرحمن رحمه الله ومبادئ الفقه، ثم درس على يد الشيخ العلامة سيدي محمد باي بلعالم رحمه الله بساهل أقبلي، حيث كان يعقد حلقة الدرس في أقبلي أياما من كل شهر، يعلم فيها الناس أمور دينهم وخصوصا الشباب، ثم انتقل المترجم له إلى الفقيه السيد الشيخ الحاج الصديق الحاج أحمادو البحامدي، حينما حل بأقبلي، فدرس عليه بعضا من المتون الفقهية، وبعد بزوغ شمس الاستقلال وبالضبط في سبتمبر 1964م، انتقل إلى اولف ليلتحق بزاوية الشيخ الفقيه والعالم الجليل سيدي الحاج محمد باي بلعالم رحمه الله وأكرم مثواه، حيث درس عليه الفقه بسائر نصوصه المتداولة مثل الأمهات الفقهية الصغرى المرشد المعين العبقري في أحكام السهو، والرقعي نظم مقدمة ابن رشد، وأسهل المسالك والرسالة القيروانية ومختصر خليل وتحفة الحكام لابن عاصم، ثم علم الفرائض والتفسير والنحو والأصول وغيرها من العلوم، وسمع منه صحيح البخاري ومسلم والموطأ؛ وبالجملة فإنه تلقى عن الشيخ ما كان عنده من علوم حتى شهد له رحمه الله بالتفوق في العلم، وكان من الطلبة الأوائل الذين التحقوا بالشيخ بالزاوية في أولف، وهو من طلبته النجباء والمقربين له، وقد نال مصاهرة الشيخ محمد باي بلعالم رحمه الله، حيث انه تزوج بالوسطى من بناته، فأنجب معها خمسة أولاد، بنتين وثلاث ذكور.

بعد أن أتم دراسته على الشيخ، كلفه شيخه بالإمامة في مسجد مصعب بن عمير وبالتدريس للطلبة، حيث أصبح هو قلب المدرسة النابض وهو ساعد الشيخ الأيمن، فقد اعتمد عليه الشيخ رحمه الله في كل شؤون المدرسة، فكان هو مدرس الطلبة، وكان يدُّرس القرآن الكريم والفقه والنحو والميراث والتفسير، وكل العلوم التي تلقاها من الشيخ، وكان كذلك هو الكاتب للشيخ، فكان يكتب له الخطب والمحاضرات والمؤلفات والرسائل، وتخرج على يديه الكثير من الطلبة، وقد كلفه الشيخ رحمه الله بالنيابة عنه في صلاة العيد والجمعة في حياته عند ما يسافر لبعض المناطق أو للحج أو العمرة.

ولقد ألقى الشيخ أحمد عدة محاضرات في عدة مناسبات؛ فما من مناسبة إلا ويلقي فيها محاضرة، وعلى سبيل المثال لا الحصر :

01. محاضرة في حديث الطهور شطر الإيمان
02. محاضرة في الوصايا العشر
03. محاضرة في أوصاف عباد الرحمن
04. محاضرة في ثمن الجنة من كلام ذي الإحسان والمنة
05. محاضرة في التوبة النصوح
06. محاضرة حول الزواج ومنافعه الدينية والدنيوية
07. محاضرة في أخلاق الرسول الكريم

08. محاضرة في السيرة النبوية ابتداء من الولادة وإرهاصاتها إلى الوفاة

09. محاضرة حول حديث : أطعموا الطعام وأفشوا السلام

10. محاضرة حول حديث : اتق المحارم تكن أعبد الناس الخ

11. محاضرة حول العقيدة الإسلامية وما يجب على المؤمن أن يعتقده منها

12. محاضرة حول الصلاة وأسرارها

13. محاضرة حول : الزكاة وما تجب فيه الوجوه التي تصرف فيها

14. محاضرة حول : الصيام ومنافعه وأسراره

15. محاضرة حول الحج ومناسكه وحكمه وأسراره

كما له محاضرات متعددة حول حياة الشيخ سيدي الحاج محمد باي بلعالم، وغيرها كثير يطول جلبها.

ولقد تحصل الشيخ أحمد حفظه الله على عدة إجازات منها:

01. إجازة من الشيخ محمد باي بلعالم أجازه رحمه الله بكل ما أجازه به أشياخه في الداخل والخارج في الحل والحرم

02. إجازة من السيد الحاج أحمد بن محمد الحسن بن مالك في صحيح البخاري

03. إجازة من الشيخ مولاي عبد الله الطاهري في صحيح البخاري

04. إجازة من الشيخ الحاج عبد الرحمن حفصي

كما أنه حضر ملتقيات عدة ومنح شهادات تكريمية في ملتقيات الأسبوع الوطني للقرآن الكريم بالجزائر وفي ملتقيات ثقافية أخرى.

رحلاته للحرمين الشريفين : لقد ساعده الحظ فحج مع فضيلة الشيخ الحاج محمد باي حجة الفريضة فكان يتابعه في كل لحظة وفي كل منسك إلى أن أتم مناسك الحج ورجعا لآولف وذلك سنة 1402هـ موافق لـ1982م بعد أداء فريضة الحج اتجه إلى أداء مناسك العمرة فكان يشد الرحال للحرمين الشريفين لأداء مناسك العمرة كل سنة حتى بلغت رحلاته 28 رحلة في كل رحلة يصحبه عدد كثير من المعتمرين فيقوم بتنظيمهم وتوجيههم وإرشادهم لأداء مناسكهم وزيارة قبر نبيهم صلى الله عليه وسلم . وبعد وفاة الشيخ محمد باي فخلفه في الزاوية وفي المسجد إلى يوم كتابة هذه الأسطر عنه، وهو يسير على نهج شيخه رحمه الله .

02 **محمد لكصاسي**[1]: هو الشيخ محمد بن عبد الصادق بن محمد لكصاسي، المولود ببلدية أقبلي، دائرة أولف ولاية أدرار ، المزداد سنة 1960م؛ في سن مبكرة أدخله والده رحمه الله الكُتّاب القرآني، فقرأ القرآن كله على يد الشيخ الطالب محمد بن إسرائيل بحجي، وبعد إعادته للقرآن عند قوله:﴿ مَانَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ ﴾[2] ، استأذن شيخه بالانتقال إلى مدرسة أخرى، فدعا له بالخير، وعندها انتقل إلى مدرسة الفقيه الشيخ الطالب عبد القادر بن عبد الرحمن بن مبيريك حفيدي، والكائنة بمسقط رأس المترجم له بأركشاش، فقرأ عليه ما تيسر من كتاب الله، غير أنه لم يوفق لحفظه كله، وغادر المدرسة والتحق بأدرار بالمعهد الأصلي، فقرأ فيه سنة ثم انقطع عن الدراسة لعجز والده رحمه الله عن تسديد رسوم القراءة، فأُخبر بذلك الشيخ باي بلعالم رحمه الله، فطلب منه الشيخ أن يكون من جملة طلبة العلم عنده، ففرح والده بذلك وحمله إلى المدرسة التي زاول بها دراسته في العلوم الشرعية، وكان ذلك بتاريخ أواسط فيفري سنة 1978م، وهو فيها إلى الآن– إلى حين كتابة هذه الترجمة عنه–معلماً ومتعلماً، وقد أفاض عليه شيخه الشيخ محمد باي بلعالم كما يقول حنوه، وقربه إليه وأدنا منه، وكان عنده بمنزلة الولد؛ وبعد برهة من الزمن دّربه على سرد الصحيحين بين يديه، فكان كاتباً ومصححاً للعديد من مؤلفاته.

كما كلفه بإمامة الجمعة بعدة مساجد عندما يغيب إمامها، وبالوعظ والإرشاد في مسجد "حمزة بن عبد المطلب" أحد مساجد دائرة أولف لما يزيد عن 17 سنة ، وبتعليم القرآن في المدرسة القرآنية التابعة لمسجد" مصعب بن عمير"، والدروس الفقهية للطلبة، وبفضل الله تعالى وتوفيقه تخرج على يديه الكثير من حفظة القرآن الكريم، وقد أدى مع شيخه الشيخ باي رحمه الله فريضة الحج مرتين، وقبل أن ينتقل الشيخ باي إلى رحمة الله شرفه بالإجازة العامة في العلوم الشرعية، وقد جعل نسخة منها في كتابه الذي نقلت منه هاته الترجمة، وهو كتاب" الفتوحات الربانية على العقائد الإسلامية لطلبة المدارس القرآنية"، وقد أهدى لنا نسخة من هذا الكتاب، ونسخة من كتاب آخر له سماه"كشف الالتباس في أحكام الحيض والنفاس"، فجزاه الله عنا خيرا.

03 عبد الله حامد الأمين: هو الشيخ عبد الله حامد الامين، بن عبد الرحمان حامد الامين والزهراء بالمين، ولد بتاريخ 1978/01/20م بزاوية حينون بأولف، كانت بداية تعلمه للقرآن على يد الشيخ أباقادي مبارك بن أباقادي بزاوية حينون، ثم انتقل إلى مدرسة الشيخ باي بلعالم بأولف، وهنالك أكمل تعلم وحفظ القرآن الكريم على يد معلمي المدرسة ومنهم الشيخ لقصاصي محمد، ثم درس الفقه وعلوم اللغة على يد مجموعة من المشايخ منهم الشيخ باي بلعالم

[1] الفتوحات الربانية على العقائد الإسلامية لطلبة المدارس القرآنية، محمد لكصاسي، (دار صبحي للطباعة والنشر،متليلي، غرداية، الجزائر، ط 01، 2017م)، ص 03.

[2] البقرة 106

والشيخ أحمد الطالب والشيخ الحاج عبد الرحمان حفصي والشيخ أحمد لمين عبد القادر، وبعد تمكنه من تلك العلوم وغيرها مما كان يدرس بالمدرسة القرآنية، إضافة لما عرف به من الجد والاجتهاد والحرص على طلب العلم وتعلمه وتعليمه، كلف من طرف الشيخ باي رحمه الله بالتدريس بالمدرسة وهو في سن مبكرة، لم يتجاوز حينها ستة عشر سنة، وهذا سنة 1993م، حيث بدأ بتدريس القرآن للطلبة الصغار، ثم بعد ذلك درس الفقه والميراث وعلوم القرآن وهذه العلوم وغيرها لا يزال يدرسه إلى يومنا هذا.

كما أنه أخذ عن الشيخ باي رحمه الله تعالى عدة إجازات في العلوم الشرعية، وكان الشيخ الملازم الشخصي للشيخ باي رحمه الله تعالى في حله وترحاله، وفي حياته وعند موته، حيث اعتمر وحج مع الشيخ عدة مرات، كما أنه صهر لأحد أبناء الشيخ، فهو متزوج بحفيدته وله معها أبناء[1].

كما نذكر بعض الطلبة الذين لم نترجم لهم، وإنما ذكرناهم على سبيل المثال لا الحصر وهم:

عبد الرحمن الثابت بن علي، مبارك بن أب قادي قدي، محمد بن أحمد عباسي، أحمد بن محمد داده، ابن مالك عمر بن محمد، عبد الرحمن السكوتي بن أحمد، أحمد بن موسى بلبالي، عبد القادر بن محمد حامد لمين، صالح بن موسى بلبالي، بن الجيلالي معراج، أحمادو بن الجيلالي معراج، محمد بن أحمد بن الدين، أبوبكر بوشيخي، عمر الحمراني، ابن الشيخ إبراهيم بن موسى، ابن الشيخ محمد بن موسى، محمد بن عبد الرحمن كنتاوي، محمد قبلي، محمد بن محمد فقيه، محمد بن علي بلعروسي، عبد القادر بن لحبيب لعروسي، الشيخ بن عبد الله سويتم، محمد بن عبد القادر زنقي، نبيل العايب، عبد الرحمن حفصي، محمد حامد النيجيري،أحمد ادجرفور، مصطفى خالات، محمد تيطاوي، محمد بخوتي، البركة بلبركة، إدريس بصالحي، عبد الرحمن بن براهيم يوسفي، مختار ولد عزاوي، أحمد مغيلي، عبد الله قابة، محمد بلعالم، أحمد بن عبد الكريم فالكو، الوافي هيباوي، عبدالرحمن بولغيتي، بوشنة عبد الله، بوشنة عبد المومن، فودو محمد، الديعلي أحمد، بختي محمد علي، حامد لمين محمد، محجوب محمد، حفصي محمد القرافي.

[1] هذه الترجمة أخذتها مشافهة عن المعني وهذا يوم 2019/12/28م، بأولف على الساعة 11:10 صبحاً بجوار المدرسة القرآنية مصعب بن عمير.

المبحث الثاني: مؤلفاته وثناء العلماء وغيرهم عليه

المطلب الأول: مؤلفات الشيخ بلعالم[1]:

إن تأليف الكتب وتصنيفها يتطلب جهداً كبيراً وتفرغاً لذلك العمل، وقبل ذلك يتطلب علماً بما يؤلفه الشخص ويصنف فيه، وخاصة في المجال الديني والشرعي، وثمرة ذلك أن يبقى هذا العمل صدقة جارية لصاحبه بعد مماته، فهي وإن كانت تعبر عنه أفكاره ومعتقداته، فهي تبين للناس ما نزل إليهم من ربهم من القرآن، وما روي عن نبيهم صلى الله عليه وسلم من سنة وآثار، فالكاتب والمصنف حي ما بقت كتبه وما قرئت، تجول الآفاق وتدخل البيوت والمكتبات فيتعلم الناس منها وبها وإن مات صاحبها، وقد أدرك الشيخ باي رحمه الله أهمية التصنيف والتأليف، فرغم اشتغاله بطلب العلم وتعليمه فقد أصبح في ازدياد دائم بتوفيق من الله عز وجل ما جعله يسارع في تدوين معارفه ليستفيد منها طلبة العلم فنتج عن ذلك ما يزيد عن أربعين مؤلفاً ما بين نظم ونثر وشرح "جمع فيها ما لا يجمع في غيرها على طريقة الأقدمين الصعبة التي لا يطيقها إلا الفحول من العلماء "[2]...وهي على النحو التالي

أولاً : علوم القرآن :

1- ضياء المعالم شرح على ألفية الغريب لابن العالم وهو الشيخ محمد العالم الزقلاوي، (وهو مطبوع في جزأين).

2- المفتاح النوراني شرح على المدخل الرباني للمفرد الغريب في القرآن الكريم، وهو شرح لنظم الشيخ الطاهر تليلي السوفي، (وهو مطبوع في جزء واحد) .

ثانياً: مصطلح الحديث:

كشف الدثار شرح على تحفة الآثار، وهو شرح لنظم الشيخ محمد الأمين القرشي الحسني، (وهو مطبوع في جزء واحد)

ثالثا: الفقه المالكي :

وقد كان له النصيب الأكبر من التأليف والتصنيف، لما توفر فيه للشيخ من مصادر ومراجع، ولحاجة الطلبة بالدرجة الأولى له ولحاجة الناس له أجمعين في حياتهم اليومية، وقد جاء فيه ما يلي:

1- زاد السالك شرح أسهل المسالك، (وهو مطبوع في جزأين).

[1] الرحلة العلية، محمد باي، ج2، 363، من أعلام الجنوب الجزائري، ابراهيم بن الساسي، دار صبحي، ج2، ص 75.

[2] إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فلان في الجزائر ، محمد باي، ص 77

2- فتح الرحيم المالك في مذهب الإمام مالك، وهو عبارة عن أرجوزة جامعة شاملة لأصول المذهب المالكي وفروعه وتشتمل على 2509 بيت، مابين توحيدٍ ومعاملة وفرائض وأحكام وفقه العبادات والمعاملات والأخلاق. (وهو مطبوع في جزء واحد)

3- ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية الموضحة للسالك على فتح الرحيم المالك، شرح فيها الشيخ أرجوته السالفة الذكر بمنهجية ذكر النص ثم الأدلة الأصلية من كتاب وسنة ثم الأدلة الفرعية، (وهو مطبوع في أربعة أجزاء).

4- الجواهر الكنزية لنظم ما جمع في العزية للشيخ أبي الحسن علي المالكي الشاذلي ويشتمل على 34 باباً وعدد أبياته 1049 بيتاً. (وهو مطبوع في جزء واحد).

5- الاستدلال بالكتاب والسنة النبوية شرح على نثر العزية ونَظْمِها الجواهر الكنزية، (وهو مطبوع في جزأين).

6- السبائك الإبريزية على الجواهر الكنزية، يحتوي على (1049 بيتاً)، وهو نظم وشرح للشيخ باي جمعه من شرحه لزاد السالك وفتح الجواد. (وهو مطبوع في جزء واحد)

7- فتح الجواد شرح على نظم العزية للشيخ محمد بن باد، ويشتمل على 66 ما بين فصل وباب.

8- الكوكب الزهري نظم على مختصر الشيخ عبد الرحمان الأخضري، وعدد أبياته 384 بيتاً ويشتمل على 20 باباً. (وهو مطبوع في جزء واحد)

9- الإشراق البدري شرح على الكوكب الزهري، نظمه الشيخ ثم شرحه، وأصل النثر للشيخ عبد الرحمان الأخضري. (وهو مطبوع في جزء واحد)

10- المباحث الفكرية شرح على الأرجوزة البكرية. (وهو مطبوع في جزء واحد)

11- أنوار الطريق لمن يريد حج البيت العتيق(مناسك)، جمع فيه الشيخ بين التاريخ والفقه والفتاوى خاصة الحديثة منها، وما ينبغي للمفتي أن يراعيه في مثل هاته الفتاوى. (وهو مطبوع في جزء واحد)

12- إقامة الحجة بالدليل شرح على نظم ابن بادي لمختصر خليل ، وفيه شروحات بالأدلة الأصلية والفرعية من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأقوال العلماء. (وهو مطبوع في أربعة أجزاء)

13- مرجع الفروع إلى التأصيل من الكتاب والسنة والإجماع الكفيل، شرح نظم الشيخ خليفة بن الحسن القماري السوفي على مختصر خليل المسمى "جواهر الإكليل"، أصل فيها الشيخ للمذهب المالكي بحثاً وشرحاً وتأصيلاً. (وهو مطبوع في عشرة أجزاء)

14- تحفة الملتمس على الضوء المقتبس في مذهب الإمام مالك بن أنس، وهو شرح لنظم الشيخ محمد بن محمد الفطيس الليبي، (وهو مطبوع في ثلاثة أجزاء)

15– السيف القاطع والرد الرادع لمن أجاز في القروض المنافع، (وهو مطبوع في جزء).

رابعاً: علم الفرائض (المواريث).

1- الدرة السنية في علم ما ترثه البرية(نظم)، وهي من أوائل ما أنتج الشيخ، حيث انه نظمها في حياته والده وهو لا زال يدرس بمدرسة مولاي الطاهر السباعي، (وهو مطبوع في جزء واحد).

2- الأصداف اليمية شرح الدرة السنية، (وهو مطبوع في جزء واحد)..

3-كشف الجلباب شرح على جوهرة الطلاب في علم الفروض والحساب، والمنظومة للشيخ عبد الرحمان السكوتي، (وهو مطبوع في جزء واحد).

4- فواكه الخريف شرح على بغية الشريف في علم الفرائض المنيف لابن باد، (وهو مطبوع في جزء واحد).

5- مركب الخائض شرح على النيل الفائض في علم الفرائض، وهو شرح لنظم الشيخ بونان بن الشيخ الطالب خيار الشنقيطي، (وهو مطبوع في جزء واحد).

خامساً: أصول الفقه :

1- ركائز الوصول على منظومة العمريطي في علم الأصول، وهو شرح لنظم الشيخ شرف الدين يحي بن بدر الدين موسى بن رمضان بن عميرة الشهير بالعمريطي، (وهو مطبوع في جزء واحد).

2- ميسر الحصول شرح على سفينة الوصول في علم الأصول للشيخ محمد الأمين القرشي بن البصير الهاشمي الحسني، (وهو مطبوع في جزء واحد).

سادساً: السيرة النبوية :

1- فتح المجيب في سيرة النبي الحبيب صلى الله عليه وسلم، (وهو مطبوع في جزء واحد).

سابعاً: النحو:

1- اللؤلؤ المنظوم نظم مقدمة ابن آجروم، (وهو مطبوع في جزء واحد).

2-كفاية المنهوم شرح اللؤلؤ المنظوم لمقدمة ابن آجروم ، (وهو مطبوع في جزء واحد).

3- منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب، نظم الإمام أبي حامد محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري العراقي، (وهو مطبوع في جزء واحد).

4- الرحيق المختوم شرح على نزهة الحلوم، نظم الشيخ العبقري اللامع محمد بن أب المزمري رحمه الله، (وهو مطبوع في جزء واحد).

5- التحفة الوسيمة على الدرة اليتيمة، (وهو مطبوع في جزء واحد).

6- عون القيوم شرح على كشف الغيوم، (وهو مطبوع في جزء واحد).

ثامناً : التاريخ

1- الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، (وهو مطبوع في جزأين).

2- قبيلة فلان في الماضي والحاضر ومالها من العلوم والمعرفة والمآثر، (وهو مطبوع في جزء واحد).

3- إرشاد الحائر لمعرفة قبيلة فلان في جنوب الجزائر وغيرها من البلدان، (وهو مطبوع في جزء واحد).

4- مختصر إرشاد الحائر لمعرفة الفلانيين في الجزائر، (وهو مطبوع في جزء واحد).

تاسعاً: السير والتراجم

1- الغصن الداني في حياة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني، (وهو مطبوع في جزء واحد).

2- محاضرة بعنوان "علماء توات" ألقاها ببليدة رقان بها 134 ترجمة لعلماء وفقهاء توات، وهي لا تزال مخطوطة.

عاشراً: الوعظ والإرشاد والتوجيه وأهمها:

1- محاضرة عنوانها كيفية التعليم القرآني والفقهي في منطقة توات، وهي لا تزال مخطوطة.

2- محاضرات في الدعوة والتوجيه والإرشاد في مساجد (ورقلة ، تمنراست، عين صالح، أولف، رقان ، سالي، وبعض قرى توات)، كما له عدة محاضرات وندوات ألقيت على شاشة التلفيزيون الجزائرية، وكانت له دروس يومية في شهر رمضان ومحاضرة كل يومين في الشهر في مساجد (أولف).

حادي عشر: الفتاوى:

له فتاوى شفهية وكتابية حول أسئلة ترد عليه بواسطة الهاتف والرسائل ذكر بعضها في رحلاته منها:

انقشاع الغمامة والإلباس عن حكم العمامة واللباس من خلال سؤال سعيد هرماس، وهي لا تزال مخطوطة.

ثاني عشر: الأدب

1- له قصيدتان في الرد على الغاز بعث له بها الشيخ أحمد الطاهري السباعي، (وهو مطبوع في جزء واحد).

2- له قصيدتان في رثاء الشيخ أحمد الطاهري السباعي، (وهي مخطوطة في جزء واحد).

3- له قصيدتان في الرد على الملحد سلمان رشدي، (وهي مخطوطة في جزء واحد).

4- له مجموعة قصائد مضمونها الرد على قصائد وصلته من أصدقائه، (وهي مخطوطة في جزء واحد).

ومن ذلك كله يتبين لنا أن الشيخ رحمه الله تعالى، قد حاول أن يترك أثر في كل صنف من أصناف العلوم الشرعية، ومنها العقيدة التي وإن لم يفرد لها مؤلفاً خاصاً فإنه وكعادة علماء الأشاعرة قد تضمنها في كتب الفقه.

المطلب الثاني: وفاته وثناء العلماء وغيرهم عليه.

بعد عمرٍ مليء بالتعلم والتعليم، والنصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وبعد تأليفه لكثيرٍ من الكتب وفي شتى صنوف العلم والمعارف، وقبل ذلك تأليفه للقلوب في شتى أرجاء الوطن وخارجه، ترجل فارس العلم والإصلاح وودع دار العمل لينتقل إلى دار الجزاء والرحمة والمغفرة.

كان ذلك بعد عودته من الملتقى السنوي للمذهب المالكي ومدرسته الجزائرية بعين الدفلة، يقول مرافقه في حله وترحاله عبد الله حامد لمين" وخلال رجوعنا من رحلتنا هاته، وبعد مأدبة الغداء التي أقيمت لنا من قبل أحد أصدقاء الشيخ، طلب مني رحمه الله أن أتلوا على الحاضرين شيئاً من القرآن، فتلوت من قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾ [1] إلى آخر السورة، ألقى بعدها درساً في تفسيره لهاته الآيات المباركات، ثم إنه لما رجع إلى أولف كانت آخر خطبة خطبها لصلاة الجمعة حول العلم وفضله بمناسبة عيد العلم، وفي اليوم الموالي يوم السبت 22 ربيع الثاني 1430هـ، الموافق لـ 19 ابريل 2009م، صلى الشيخ الصبح بالناس بالآيات السالفة الذكر".

وكعادته في ضبطه لبرنامجه اليومي، وحرصه على الوفاء بالالتزامات التي تربطه بطلبته وبالناس جمعياً، جاء إلى مكتبه مع ضيوف له، فأصابه ألم في مكتبه، نقل في المساء إلى مستشفى أدرار[2]، الذي لم يمكث به سوى ساعات...وفي طريقه للمستشفى استشار مرافقيه في مكان دفنه مبدياً رغبته في دفنه في مقبرة أولف بدل أقبلي[3]، وفي ليلة الأحد أُسلمت الروح إلى بارئها[4]، وانتقل الشيخ إلى جوار ربه عن عمرٍ ناهز 80 سنة، وبعد عناءٍ طويل مع مرض السكري الذي لازمه لسنوات[5]، نال من جسمه وقواه كما نالت منه هموم الدعوة والنصح والإرشاد.

وقد أقيمت في اليوم الموالي، أي يوم الأحد 23 ربيع الثاني 1430هـ، الموافق لـ 20 ابريل 2009م، جنازة مهيبة على قدر مكانة الشيخ بين الناس داخل الوطن وحتى خارجه وعلى قدر جهاده في الدعوة إلى الله، وتوافد المشيعون من كل ربوع الوطن شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، علماء ودعاة وطلبة، ورؤساء حكومة ووزراء ومسئولون، ورجال تربية وتجار

---

[1] الفتوحات الربانية على العقائد الإسلامية لطلبة المدارس القرآنية، محمد لكصاسي، (دار صبحي للطباعة والنشر،متليلي، غرداية، الجزائر، ط 01، 2017م)، ص 03.

[2] من أعلام الجزائر، العلامة الشيخ محمد باي بالعالم وأدواره العلمية والاجتماعية، بوسماحة بن محمد بن عبد الكريم، (مذكرة لنيل شهادة كفاءة برتبة إمام مدرس، من المعهد الوطني لتكوين الإطارات الخاصة بإدارة الشؤون الدينية والأوقاف، بتمنغست، الموسم الدراسي:1437-1438/201-2017)، ص 85

[3] من أعلام الجنوب الجزائري، إبراهيم بن الساسي، ج2، ص 90.

[4] من أعلام الجزائر، العلامة الشيخ محمد باي بالعالم وأدواره العلمية والاجتماعية، بوسماحة بن محمد بن عبد الكريم، ص 85

[5] من أعلام الجنوب الجزائري، إبراهيم بن الساسي، ج2، ص 90.

وقضاة، ومن جميع فئات الشعب الجزائري، وأدى المصلون صلاة الجنازة بإمامة الشيخ مولاي عبد الله الطاهري الإدريسي[1]، وصلي عليه في مؤسسة علمية تسمى متوسطة الإمام مالك بن أنس رحمه الله ورضي عنه.

وبعد أن أدى الحاضرون صلاة الجنازة...وقفوا يتابعون كلمات تأبينية تداول على منصتها زمرة من العلماء والوزراء والأساتذة وتلاميذ الشيخ ومعارفه وذويه[2]، كما تكلم عن الشيخ قبل وفاته وبعدها الكثير من العلماء والمصلحين داخل الوطن وخارجه ممن عرفوا قدره ومكانته، ونهجه في الدعوة والتزامه بالوسطية سواءً في عمله أو عمله أو أخلاقه، فقد قال عنه الشيخ شيبان[3]" هو مرشد بصير يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة التي تهدي إلى الصراط المستقيم وذلك لانتهاجه في الدعوة نهج الوسطية في العقيدة والعبادات والسلوك[4]، وقال في تقريظه لكتابه الرحلة العلية الجزء الأول" فالأخ المؤلف قد جمع فأوعى ومع ما قلت فلا غرور إذ أنا ركّزت كلمتي عن المؤلف لا عن التأليف وذلك اهتماما بالغابة لا بإحدى شجراتها وبالكاتب لا بالكتاب ،فالأخ المؤلف الشيخ باي دمث الأخلاق ، متواضع مؤنس محسن باللسان واليد والقلم، يؤلف بين القلوب ويصلح بين الناس في مختلف المشكلات التي بين الأقارب والأباعد، وطريف يحب الطرفة وينشئها إلى غير ذلك من الكمالات الإسلامية والإنسانية...

ويُشهد للشيخ بكثرة حركاته وتنقلاته سعياً في الخير وتعليمه للناس، مما نال من بدنه وقواه، يقول يوسف بالمهدي في ذلك "لا يترك لحظة تمر من غير فائدة إما بتدريس أو تعليم ينثر بين جلسائه القلائد ويصحح العقائد[5]، وهذا كله سعياً

---

[1] نفس المرجع والصفحة.

[2] نفس المرجع السابق والصفحة..

3 ولد الشيخ عبد الرحمن بن شيبان سنة 1818م، ببلدة الشرفة الجزائرية. وتعلم القرآن الكريم وتلقى مبادئ العربية، والتوحيد، والفقه، بمسقط رأسه وفي العشرين من عمره شدَّ الرحال إلى الجامعة الزيتونية بتونس سنة 1938م، ونال شهادة التحصيل في العلوم سنة 1947م، وإلى جانب ذلك كان يقوم بالنشاط الثقافي، وترأس جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين بتونس .في عام 1948م عيّنه رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الإمام الرحال محمد البشير الإبراهيمي أستاذاً للبلاغة والأدب العربي، بمعهد الإمام عبد الحميد بن باديس بقسنطينة وفي عام 1954م صُنِّف من أساتذة الطبقة الأولى بالمعهد بقرار من المجلس الإداري لجمعية العلماء كما أصبح عضواً مهلاً في الجمعية وعضواً في لجنة التعليم العليا المكلفة بإعداد مناهج التربية والتعليم، والكتب المدرسية بمدارس الجمعية المنتشرة في أرجاء القطر الجزائري، التحق بالمجاهدين في المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني خلال ثورة التحرير بالجزائر، بعد استقلال الجزائر ساهم مساهمة إيجابية مع مجموعة من النواب من أهل العلم والجهاد في جعل الإسلام دين الدولة و"العربية اللغة الوطنية الرسمية"، كما عُيِّنَ وزيراً للشؤون الدينية لمدة ست سنوات (1980-1986)م، وبعد التقاعد ظل مداوماً على إلقاء دروس دينية في التفسير، والحديث، والسيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي، في المساجد، والمراكز الثقافية في العاصمة وغيرها .وتولى رحمه الله رئاسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وإدارة جريدة البصائر الأسبوعية، لسان حال الجمعية منذ سنة 1999م، وفي فجر يوم الجمعة 12 رمضان 1432هـ الموافق 12 أوت 2011 التحق الشيخ عبد الرحمن شيبان بالرفيق الأعلى عن عمر ناهز 93سنة، وحرص أبناؤه وإخوته على تنفيذ وصيته بدفنه في مسقط رأسه، وفي عصر يوم الجمعة وري جثمانه بمقبرة الشرفة بدائرة أمشدالة ولاية البويرة في جنازة حاشدة حضرتها كل أطياف المجتمع. الترجمة من موقع البصائر، يوم 2021/03/24، على الساعة 15:01 من مقال بعنوان"في ذكرى الشيخ عبد الرحمان شيبان محطات مضيئة في حياة مجيدة" بقلم عبد الحميد عبدوس. ومن موقع طريق الإسلام، يوم 2021/03/24، على الساعة 15:00، من مقال بعنوان"الشيخ عبد الرحمان شيبان رحمه الله رجل العلم والجهاد" بقلم محمد لافي.

[4] الرحلة العلية، محمد باي، ج 1 ، ص13

[5] نفس المصدرالسابق، ص 23.

منه رحمه الله في أن يضرب في كل غنيمة بسهم، وأن يضع في كل مجال بصمته سواء في التدريس أو التأليف أو في غيرهم من المجالات، وهو ما يدل على البركة في العمر.

كما يقول يوسف بن حفيظ "وإن تعجب فعجبك من أين وجد كل هذا الوقت لتأليف كل هذه الكتب التي بلغت عشرات الأسفار وهو المدرس والإمام والخطيب الواعظ والمفتي والقاضي والمحاضر الذي يسافر أينما دعي للدعوة إلى الله لولا أنها بركة الوقت التي يمنحها الله سبحانه وتعالى لأوليائه فينجزوا في اليسير من الوقت ما لا ينجزه غيرهم في أضعافه وتلك منة من الله"[1].

وخير من يشهد للشخص وما عاش عليه هم أهله والمقربون منه، ومنهم الشيخ أحمد بن مالك[2] ، الذي خلفه في مكانته العلمية والتعليمية وتسيير شؤون المدرسة والإشراف عليها، حيث يقول في حق الشيخ باي بلعالم " إنه داعية من دعاة الإسلام وطود شامخ في العلم والجود والكرم، محب للعلم والعلماء، كرس حياته النورانية في طلب العلم وتعليمه، فهو أستاذ الطلبة ومربيهم والحريص على إرشادهم وتعليمهم والمتفاني في توجيههم إلى ما فيه سعادتهم "[3]

فقد عاش الشيخ باي رحمه الله تعالى حياته للناس، يرشدهم إلى ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة، ويصلح معاشهم ومعادهم، عاش ذلك في حله وترحاله، في تعلمه وتعليمه، وفي شبابه وشيبته، فكان علماً في الفقه المالكي في الجزائر، يرجع إليه في مسائله ومستجدياتها، لما حباه الله به من سعة الإطلاع وسرعة البديهة، وصبراً على التصنيف والتأليف.

[1] إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فلان في الجزائر ، محمد باي، ص77

[2] سبق ذكر ترجمته في تلاميذ الشيخ باي

[3] محاضرة ألقيت بمناسبة الملتقى التكويني السابع، والذي كان تحت عنوان" الخطاب المسجدي والتحديات المعاصرة"، أحمد بن مالك، ص 01

الفصل الثالث

المعرفة العقدية والقضايا التطبيقية عند الشيخ

وينقسم إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول: المعرفة العقدية عند الشيخ باي بلعالم

المبحث الثاني: مسألة التكفير عند الشيخ باي بلعالم

المبحث الثالث: مسألة التبديع عند الشيخ باي بلعالم

المبحث الرابع: مسألة الَولاية والتصوف عند الشيخ باي بلعالم

المبحث الأول: المعرفة العقدية عند الشيخ باي بلعالم

المطلب الأول: مصادر المعرفة العقدية:

لاشك أن كل متبني لفكرة أو رأي أو قضية ما، لابد له أن يؤصل لهاته الفكرة أو الرأي أو القضية المتناولة، وذلك من بابب التثبيت والاستدلال، وجعل ما تبناه أكثر قوة وقبولاً عند القارئ والمستمع، ويكون هذا المنهج أكثر طلباً في العلوم الشرعية وعند الكلام عن الله عز وجل وعن رسوله صلى الله عليه وسلم أو ما يتعلق بهما وما يدور حولهما من العقائد والشرائع.

ولذالك لا يخلو كتاب لعالم من علماء المسلمين يتحدث عن العقيدة قديماً أو حديثاً من الاستدلال على أرائهم ومعتقداتهم، من المصادر التي يرونها كفيلة بإثبات تلك الأرآء والمعتقدات لما لها من المصداقية والتسليم عند الناس عامة، أو على الأقل عند من يشاركونهم المصدر ويخالفونهم في فهمه والاستنباط منه.

وقد اختلف العلماء المسلمون في المصادر المعتبرة لديهم في التقعيد للمسائل الأصولية، وهذا الاختلاف راجع إلى اختلاف مدارسهم، سواء التي تلقوا فيها العلوم والمعارف، وهذا بالمعنى الضيق، أو بالمعنى الأوسع تلك التي ينتمون إليها والتي تعرف بالمدارس الإسلامية العقدية الكبرى من أشاعرة وماتريدية وأهل الحديث، والمعتزلة والشيعة وغيرهم، والذين بدورهم اختلفوا في اعتبار المصادر العقدية التي يمكن للمسلم من خلالها استقاء عقائد إيمانه والاستدلال على صحة معتقداته، كما اختلفت هاته المدارس في ترتيب ما اتفقت على اعتباره مصادر عند اختلافها أو تعارضها في طرح القضايا العقدية.

فمن هاته المدارس الإسلامية من أخذت بحجة العقل، على اعتبار أنه مجموعة من القواعد والمسلمات التي لا تقبل التعارض، فجعلته في المقام الأول للمصادر المعرفية في العقيدة، ثم النقل من كتاب وسنة ثم الإجماع، وقد مثل هذا الاتجاه مدرسة المعتزلة[1]، أما المنتمون إلى المدرسة الشيعية فيعتمدون على قول المعصومين من أئمتهم، وما رؤوا أنه حجة من القرآن، لقول بعضهم بتحريفه[2]، وإن كان البعض ومن نفس المدرسة قد خالف هذا الرأي واعتبر أن القرآن قد حوا كل

[1] الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، (مطبوعات جامعة الكويت، ط01، 1998)، ص66

[2] أشهرهم حسين النوري الطبرسي، الذي أفرد لذلك كتاباً سماه" فصل الخطاب في تحريف كلام رب الأرباب" جمع فيه من الأقوال لأهل السنة والشيعة ما يراه هو دليل على تحريف القرآن، وتبعه على هذا القول العديد من علماء الشيعة، منهم المفسر محمد بن الفيض الكشاني، صاحب التفسير المسمى بـ"الصافي" والذي ضمنه أقوال ونقول يراها دليل على تحريف القرآن. أنظر ، كتاب"الصافي"، محمد بن الفيض الكشاني، (منشورات مكتبة الصدر، طهران، د ط، د ت)، ج01، ص 13

شيء إلى قيام الساعة[1]، كما يعتمدون –أي الشيعة– جميعهم على السنة وهي عندهم" ما نقله أئمتهم عن النبي صلى الله عليه وسلم، وما أجمعوا عليه، بالإضافة إلى ما سلم من الفطرة لديهم[2]، فهو يعتد به إذا لم يخالف ما ثبت عندهم النقل.

أما أهل الحديث فقد ذهبوا إلى الاستدلال بالقرآن والسنة والإجماع على ترتيبهم هذا، ثم بما صح من العقل[3]، وقد وافقت مدرسة الأشاعرة مدرسة أهل الحديث في اعتبار المصادر العقدية وترتيبها، وإن كانت قد اختلفت معها في نظرتها لبعض القضايا العقدية كتأويل بعض الصفات والقول في القرآن وغيرها من المسائل[4].

وسنتناول نظرة الشيخ باي بلعالم– وهو أحد علماء المدرسة السنية الأشعرية بالجزائر– ومنهجه في اعتبار وترتيب مصادر المعرفة العقدية من خلال هذا المبحث:

الفرع الأول : من النقل (الكتاب – السنة)

يعتبر القرآن الكريم المصدر الأول للعقيدة الإسلامية لما له من قدسية النسبة له سبحانه والحفظ منه تعالى، فقد جعله الرعيل الأول من الأمة المعين الصافي الذي يستقون منه عقائدهم ودينهم، لأنه سبحانه وتعالى" جمع فيه علم الأولين والآخرين، وأكمل به الفرائض والدين، فهو صراط الله المستقيم وحبله المتين، من تمسك به نجا، ومن خالفه ضل وغوى وفي الجهل تردى"[5]، والقرءان قد عرض المسائل العقدية بكل وضوح وبيان، وإدراك وإمعان، يحصل بهما العلم اليقيني ويطمئن بهما القلب من الزيغ والضلال[6].

كما تعتبر السنة النبوية المصدر الثاني للعقيدة الإسلامية، خاصة المتواتر منها، فهي وإن كانت في لفظها من عند النبي صلى الله عليه وسلم، لكنها في معناها ومضمونها وحيٌ من عند الله، فهي في مجملها أقوال وأفعال وتقريرات من لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى، تبين للناس ما نُزِّل إليهم من ربهم سبحانه وتعالى، ولذلك عدّ علماء المسلمين مَن أنكر كون حديث النبي صلى الله عليه وسلم قولاً كان أو فعلاً بشرطه المعروف في الأصول حجة، كفر وخرج عن دائرة الإسلام"[7]

---

[1] الكافي، الكليني، تحقيق علي أكبر الغفاري، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ط 05، 1986)، مج01، ص62

[2] المرجع السابق، مج01، ص 32

[3] أنظر كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، البقلاني، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، (مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط03، 1993م)، ص33. أساس التقديس في علم الكلام، فخر الدين الرازي، (دار الفكر اللبناني، بيروت، ط01، 1993)، ص 125. العقيدة الصغرى وشرحها، محمد بن يوسف السنوسي، (منشورات المجلس الأعلى الإسلامي، الجزائر، د ط، 2011) ص58.

[4] الأشاعرة في ميزان أهل السنة، فيصل بن قزار الجاسم، (المبرمة الخيرية لعلوم القرآن والسنة، الكويت، ط 01، 2007)، مج01، ص 146

[5] الإبانة عن أصول الدين، أبي الحسن الأشعري، (مكتبة دار البيان، دمشق، ط 03، 1996) ص 35

[6] درء تعارض العقل والنقل، أو موافقة صحيح المقول لصريح المعقول، تقي الدين أحمد بن تيمية، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، 1997)، مج 04، ص56

[7] مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، جلال الدين السيوطي، (المطبعة المنيرية لصاحبها ومديرها محمد عبده آغا الدمشقي، نمرة، د ط، د ت،) ص 02

أولاً: من القرآن الكريم والسنة المتواترة

على المنهج السابق العرض في الاستدلال على العقيدة من القرآن والسنة سار الشيخ باي رحمه الله من خلال مؤلفاته، وخاصة المؤلفات الفقهية التي عكف فيها الشيخ على شرح العقيدة في أوائلها، ككتابه" ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية الموضحة للسالك"[1] وغيره من الكتب، فقد بيّن الشيخ منهجه في ترتيب مصادر المعرفة العقدية، فهو يضع القرآن الكريم ولسنة النبوية ضمن أولى المصادر للمعرفة العقيدة، وهذا ما نراه جلياً في الكتاب السابق، حيث يتبع الشيخ فيه منهجية واضحة في شرحه سواء للعقيدة أو حتى للفقه.

كما جاء بيّان وذكر هاته المنهجية في أول الكتاب عند تبيينه للطريقة التي سيسلكها في شرحه للنظم، والذي من بين أبياته ما يختص بالعقيدة فقال رحمه الله:" لهذا عَن لي أن نؤصل كل ما جاء في نظمي المسمى : فتح الرحيم المالك في مذهب الإمام مالك من الكتاب والسنة"[2]، ثم ذكر الشيخ رحمه الله مجمل الأدلة الأصلية من القرآن والسنة والتي ساقها للاستدلال على باب التوحيد في هذا الكتاب، فذكر أن هذا الباب" مشتمل على 48 ثمانية وأربعين بيتاً، ومن الأدلة القرآنية 143 ثلاثة وأربعين ومائة دليل من كتاب الله، وعلى 24 أربعة وعشرين حديثاً من السنة...وعلى الأدلة العقلية"[3].

وقد عمل الشيخ رحمه الله بهاته القاعدة في جميع الكتاب بما في ذلك العقيدة، حيث يسوق الشيخ عند كل نقطة الأدلة من القرآن ثم من السنة، ثم يعقبها بالدليل من العقل، وبعد ذلك يشرح الأبيات؛ وقد يختم تلك النقطة التي تطرق لها بنتيجة أو حوصلة لما تناوله فيها.

وإذا كان القرآن قد قطع بصحته، على الأقل بين أهل المدرسة السنية، فإن السنة النبوية قد أختلف في بعضها من جهة الصحة والضعف، ولذلك بيّن الشيخ أنه لم يستشهد إلا بما صح عنه صلى الله عليه وسلم، وبما يطمئن إليه المسلمون، فقال:"وتوخينا من كتب الحديث الجوامع والمسانيد الصحيحة التي يصح الاعتماد عليها، واجمع على صحتها كافة علماء المسلمين"[4]، وهو ما يدخل في نظر الشيخ تحت مسمى الحديث الصحيح، والذي حكمه " انه صالح

---

[1] إن اختيارنا لهذا الكتاب وهو " ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية الموضحة للسالك" للاستدلال على منهج الشيخ في العقيدة من بين جميع كتبه، يرجع إلى بسط الشيخ وشرحه للعقيدة أكثر في هذا الكتاب من بين جميع الكتب الفقهية التي خصص فيها جانباً للعقيدة ككتاب " السبائك الإبريزية شرح على الجواهر الكنزية" وغيره من الكتب

[2] ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية الموضحة للسالك، محمد باي بالعالم، (دار ابن حزم بيروت لبنان، ط01، 1430هـ/2009م)، مج01، ص126

[3] نفس المصدر والصفحة.

[4] المصدر السابق، مج 01، ص131

للاحتجاج به والاستشهاد بالاتفاق في الأصول والفروع"[1]، وهذا المنهج من الشيخ في تعامله مع السنة النبوية، كذلك أولى به العقيدة من غيرها أي الفقه.

كما أن هذا الاحتياط في الأخذ من السنة والتثبت من المرويات، نجد أن الشيخ قد تعامل به بل وطبقه مع ما هو دون العقيدة وقضاياها، ففي حديث الشيخ عن كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وإثبات طرق رواية تلك الكيفيات، ينبهّ الشيخ رحمه الله تعالى إلى واجب احتياط المسلم في أخذه للروايات المتعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأن" لا يؤخذ من الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا ما صحّ عن النبي صلى الله عليه وسلم سنده، لئلا يدخل في حيز الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبينما هو يطلب الفضل، إذ هو به قد أصاب النقص بل ربما أصاب الخسران المبين"[2].

وقد بيّن الشيخ رحمه الله بما لا يدع مجالاً للشك أن الحديث الضعيف" حكمه أنه لا يعمل به في العقائد والأحكام ويجوز العمل به في الفضائل والترغيب والترهيب"[3]

ومن هذا يتبين أن الشيخ رحمه الله كان حريصاً كل الحرص على استقاء وربط كليات العقيدة بل وحتى جزئياتها بالكتاب والسنة ما استطاع إلى ذلك سبيلا، لأنه وفي نظره كل المذاهب وإن تشتت، وكل طرق الاستدلال وإن تعددت، ترجع إلى القرآن والسنة، فيقول في ذلك أن" عمدة الدين وأصله كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان المذاهب الإسلامية ترجع إلى هذين الأصلين فمنهما تستمد وعليهما تعتمد بما في ذلك الإجماع والقياس فإنهما كذلك يرجعان إلى كتاب الله وسنة رسوله فالمدار كله على كتاب الله والسنة المطهرة"[4]، وإن أولى ما يستمد من الكتاب والسنة ويرجع فيها إليهما هي العقيدة، فهي أولى بالتثبيت والتحقيق والتأصيل من غيرها، لما تتعلق به من ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته وأسمائه وأفعاله، أو ما يتعلق بالأنبياء أو بغيرها من القضايا.

ثانياً: موقفه من خبر الآحاد

إن من خلال ما عرضناه من اعتبار السنة النبوية مصدر من مصادر العقيدة، ومن كون السنة النبوية كأحاديث نبوية تختلف درجاتها وأنواعها، يتبادر للذهن سؤال، عن موقف الشيخ من خبر الآحاد؟ والعمل به في القضايا العقدية؟

---

[1] كشف الدثار شرح على تحفة الآثار، محمد باي، ص 76.

[2] ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية، محمد باي بالعالم، مج01، ص140

[3] كشف الدثار شرح على تحفة الآثار، محمد باي بالعالم، ص 78.

[4] ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية، محمد باي بالعالم، مج01، ص125

وقبل أن نعرض رأي الشيخ رحمه الله تعالى في هذه المسألة لابد لنا أن نقف وقفة مع رأي علماء أهل السنة والجماعة في هذه المسألة في القديم، فإنهم لم يختلفوا في اعتبار أن السنة المتواترة تفيد العلم، و ذلك ما عليه أهل الإسلام؛ وما روي من خلاف في ذلك فهو باطل لا يستحق قائله الجواب عليه[1].

وإذا كانت السنة المتواترة تفيد العلم فمن باب أولى أنها تفيد العمل، الذي تشترك فيه مع أحاديث الآحاد، لكن الخلاف في المدرسة السنية وقع في الأخذ بأحاديث الآحاد في العلم كما أخذ بالسنة المتواترة، وقد نتج عن ذلك رأيين هما كالتالي:

رأي الفريق الأول: وهم القائلون بأن الآحاد والمتواتر سواء، وقد ّبرر بعضهم قولهم ورأيهم هذا بثلاث حجج هي:

1- الكل قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق الصحابة وهم عدول لا يمكنهم الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

2- أن النبي صلى الله عليه وسلم قد عمل بخبر الواحد[2]

3- أن الأمة قد تلقت أحاديث الآحاد بالقبول، ومنها ما جاء في البخاري ومسلم.

ومن أصحاب هذا الرأي من العلماء الأوائل، الإمام مالك بن أنس [3]، والإمام أحمد بن حنبل[4] رحمهما الله تعالى جميعاً.

---

[1] إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، د ت)، ص 73

[2] كإقراره صلى الله عليه وسلم للصحابة الذين حولوا وجوههم للكعبة لما حولت القبلة، وذلك بخبر رجل واحد، ولم ينكر عليهم صلى الله عليهم صلى الله عليه وسلم ذلك، وكإرساله صلى الله عليه وسلم للصحابة فرادى لتعليم الناس دينهم، ومنهم سيدنا معاذ رضي الله عنه إلى اليمن. أنظر " وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين"، محمد ناصر الدين الألباني، (مكتبة خالد بن عبد الرحمان بن علي الجريسي، رسائل الدعوة السلفية)، رقم 05، ص 10.

[3] الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، (دار الكتب العلمية ، د ط، د ت)، مج 01، ص 115، وقد روى ابن حزم هذا عن الإمام مالك كما ذكرنا رغم أنه أشتهر بتقديمه لعمل أهل المدينة. وهو الإمام مالك ابن أنس بن مالك الأصبحي اليمني، ولد بالمدينة سنة 93 هـ على أكثر الأقوال، إشتغل بعلم الأثر والحديث والفقه، وكان حريصاً منذ صغره على حفظ ما يكتب، تعلم من شيخه" هرمز" و"ابن شهاب الزهري"، وبعد أن إكتملت دراسة مالك للآثار والفتيا، جلس للتدريس في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقد روي عنه تأثره بعمل أهل المدينة في الفقه، وهو صاحب المذهب المشهور في الفقه، وقد ترك مؤلفات عدة أشهرها " الموطأ" والذي أشتهر به فلا يعرف إلا موطأ مال، توفي رحمه الله في صفر 179هـ. أنظر سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت : محمد نعيم العرسوقي، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 03، 1982)، مج 0، ص 48

[4] لقد عرف عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى تمسكه بالحديث حتى أنه قال رحمه الله تعالى" من رد حديث رسول الله فهو على شفا هلكة". المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، عبد الله بن سلمان بن سالم الأحمدي، (دار طيبة، الرياض، ط0، 1995)، مج02، ص400. وهو الإمام أحمد بن حنبل، ولد في ربيع الأول سنة 164هـ، ببغداد، ثم رحل إلى الكوفة ومكة والمدينة واليمن والشام، إمام في الحديث والفقه، وثاحب المذهب الحنبلي، عرف عنه تمسكه بالسنة ومحاربته للبدع، منها مسألة" خلق القرآن " مع المعتزلة، وتعرض لمحن شديدة، من آثاره" المسند"، الذي روى فيه أكثر من أربعين ألف حديث، توفي 17 ربيع الأول سنة 241هـ. انظر سير أعلام النبلاء ، شمس الدين الذهبي، مج 11، ص 177.

وقد انتصر لهذا الرأي بعض العلماء المعاصرين ومنهم الشيخ الألباني[1] رحمه الله تعالى، حتى أن هذا الأخير رحمه الله تعالى قد أفرد لهذه المسألة رسالة سماها" وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين"[2]، كما انتصر لهذا الرأي من المعاصرين الشيخ أحمد شاكر[3] في كتابه" الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير" وبعد أن عرض الأرآء في المسألة، قال "...وذهب غيرهم إلى انه يفيد العلم اليقيني...وهو الذي أختاره"[4].

رأي الفريق الثاني: وهم الذين اعتبروا حديث الآحادحديث دون المتواتر فهو عندهم لا يفيد العلم مطلقاً، خاصةً إذا لم تكن هناك شواهد حديثية تعضده وتقويه، فهو عند ذلك لا يفيد إلا العمل عندهم، ويعتبرون قولهم هذا هو الراجح والذي عليه جمهور العلماء[5]، وقد صرفوا قول ورأي المحدثين السابق أصحاب الرأي الأول بقولهم" أنه يفيد العلم بوجوب العمل، أو سمّوا الظن علماً، ولهذا قال بعضهم: يورث العلم الظاهر، والعلم ليس له ظاهر وباطن، وإنما هو الظن"[6].

رأي الشيخ رحمه الله : من خلال إطلاعنا على شرح الشيخ "لتحفة الآثار" والتي جاءت في علم الحديث وشرح مصطلحاته في كتابه " كشف الدثار شرح تحفة الآثار"، نجد أن الشيخ لم يسمي هذا النوع من الحديث- أي حديث الآحاد- باسمه، ولكنه رحمه الله قد شرح أقسامه باعتبار طرقه، والتي جاءت في ثلاثة أقسام هي المشهور والعزيز والغريب،

---

[1] محمد ناصر الدين الألباني: ولد في مدينة "أشقودرة" عاصمة ألبانيا سنة 1914م، وهو محدث الشام، له مصنفات وتآليف كثيرة ومشهورة منها: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وسلسلة الأحاديث الصحيحة، وكتاب إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، وكتب غيرها ، توفي في رجب "1420هـ. حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه، محمد إبراهيم الشيباني، (مكتبة السداوي للنشر والتوزيع ، القاهرة، ط 01، 1408هـ- 1987م)، ص 25.

[2] الرسالة كتبها الشيخ رحمه الله تعالى بدمشق ومؤرخة في 04 صفر 1394هـ الموافق لـ 01 مارس 1974م، وطبعتها له مكتبة خالد بن عبد الرحمان بن علي الجريسي، ضمن رسائل الدعو السلفية رقم05، يقول في مقدمتها" ....وقد إقترح على الكثير من الإخوان طبع ذلك البحث المفيد، ونشره ليعم الانتفاع به أكبر عدد ممكن من المسلمين، ولذلك وعدنا في رسالتنا" الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام"، بنشره في أقرب فرصة ممكنة، وها نحن نستجيب لتلك الطلبات الكثيرة ونفي بوعدنا السابق ونقدم هذه الرسالة إلى القرآء الكرام بعد ان أعدنا النظر فيها، وأجرينا عليها بعض التنقيح.

[3] احمد شاكر: هو احمد بن محمد شاكر بن احمد بن عبد القادر، من آل علباء الحسيني ، شمس الدين، أبو الأشبال، محدث، مفسر، فقيه، اديب، ولد سنة: 1309 هـ- 1892م، بالقاهرة ورحل مع والده إلى السودان، فألحقه بكلية غوردون، ثم بمعهد الأسكندرية، فأخذ فيه عن محمود أبي دقيقة، وكان لوالده اثر في حياته العلمية، فقد قرأ له ولإخوانه التفسير والحديث والأصول والمنطق والبيان والفقه، ثم التحق بالأزهر وحاز شهادة العالمية منه، وعين مدرسا بمدرسة ماهر، فموظفا قضائيا، فقاضيا فعضوا بالمحكمة العليا، وحقق ونشر عددا من كتب الحديث والفقه والأدب، وأخذ عن عبد الله بن أدريس السنوسي ومحمد ابن الامين الشنقيطي وشاكر العراقي وغيرهم، وتوفي بالقاهرة في 26 ذي القعدة : 1377 هـ- 1958، من آثاره: نظام الطلاق في الإسلام، الشرع واللغة، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير، ابحاث في احكام فقه وقضاء وقانون. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، د ت)، ج 13، ص 368

[4] " الباعث الحثيث، شرح إختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير"، أحمد شاكر، (مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط 01، 1996م)، مج01، ص 126.

[5] "إرشاد الفحول"، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ص 75.

[6] المستصفى من علم الأصول، أبوحامد الغزالي، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 01، 1998م)، ج01، ص 272. أنظر أساس التقديس، فخر الدين الرازي، ص 123.

فأما "المشهور" فإنه قد يكون صحيحاً وقد يكون حسناً وقد يكون ضعيفاً"[1]، كما أن "العزيز" قد يكون كذلك مثل سابقه"صحيحاً وقد يكون حسناً وقد يكون ضعيفاً"[2]، وأما القسم الأخير من أقسام حديث الآحاد وهو"الغريب"فإنه " منه الصحيح المقبول كإفراد الصحيحين وهي كثيرة..ومنه الضعيف المردود"[3].

ومن خلال عرضنا لتعريفات الشيخ لأقسام حديث الآحاد يتبن لنا حكمه رحمه الله تعالى على هذا النوع من الأحاديث، حيث أنه رحمه الله يرجع الحكم على كل حديث إلى درجة الحديث نفسه في الصحة والضعف، وبذلك تختلف هاته الأحاديث بين المقبولة والمؤولة، كما يكون سبب تأويل هاته الأحاديث هو مخالفة ظاهرها لنص قرآني، لذلك نجد الشيخ في مسألة مصير والد النبي صلى الله عليه وسلم يؤول حديث الآحاد الذي يَرُد فيه أن مصير أبيه صلى الله عليه وسلم النار إلى العم، حيث روى مسلم في صحيحه ﴿**أن رجلاً قال يا رسول الله أين أبي قال "في النار" فلما قفى دعاه، فقال" إن أبي وأباك في النار**﴾[4]، وهذا ما يفهم من خلال حديث الشيخ عن نجاة أهل الفترة وقوله أن " أبوي الرسول صلى الله عليه وسلم ناجيان لكونهما من أهل الفترة، بل هما من أهل الإسلام للحديث المروى عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل الله أن يحيي له أبويه فأحياهما له فآمنا به ثم أماتهما، .. والله قادر على كل شيء له أن يخص نبيه بما شاء من فضله، وقد ألف السيوطي[5] مؤلفات كثيرة فيما يتعلق بنجاتهما.."[6]

الفرع الثاني : من العقل

لقد اهتم الشيخ رحمه الله تعالى بالعقل والدعوة لاستخدامه في ما يحقق حكمة استخلاف الإنسان في هذه الأرض، وكيف لا، وهو قد حارب ذلك الجمود الذي أصاب العقل المسلم ومنه العقل الجزائري خلال الحقبة الاستدمارية، وما ترتب على ذلك من أضرار على كافة المستويات الاجتماعية والدينية ، ومن هاته الأخيرة التفكير العقدي في سنن الله في كونه وخلقه، سواء فيما يثبت وحدانيته وتفرده بالربوبية والإلوهية، أو ما يثبت عزة دينه وجنده وأولياءه المؤمنين.

---

[1] كشف الدثار شرح على تحفة الآثار، محمد باي بالعالم، ص 89.

[2] نفس المصدر، ص 90.

[3] نفس المصدر والصفحة.

[4] صحيح مسلم، كتاب" الإيمان"، باب "بيان أن من مات على الكفر فهو في النار"، رقم 347، أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم،(دار الأفكار الدولية، الرياض، د ط، 1998م)، ص 113

[5] عبد الرحمن السيوطي: هو جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد المصري الشافعي، عالم مشارك في أنواع من العلوم، ولد في رجب سنة 849 هـ- 1445 م، نشأ بالقاهرة يتيما، وقرأ على جماعة من العلماء ، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس وخلا بنفسه في روضة المقياس على النيل منزويا عن أصحابه جميعا فألف أكثر كتبه، وتوفي في 19 جمادي الأولى سنة:911 هـ - 1005 م. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ج5، ص 128

[6] السبائك الإبريزية، محمد باي، ص 13

ويبيّن الشيخ تلك النظرة للعقل والدعوة لترشيده، في اعتباره ودعوته لجعل من واجبات الزوايا الاهتمام بالعقل الذي فضل به الإنسان على باقي مخلوقات الله سبحانه وتعالى، فقال"كما أن من واجب الزوايا أن تربي العقل البشري الذي هو من الطاقات التي أنعم الله بها على الإنسان: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [1]. [2]

ويرجع الشيخ رحمه الله تعالى تلك الدعوة للزوايا بالاهتمام بالعقل وترشيده، إلى أصل دعوة الإسلام وطبيعته في احترام العقل البشري وتقديره له، ووضعه للأطر الصحيحة لعمل ذلك العقل، ودعوته-أي الإسلام- لتنمية تلك العقول وطاقاتها بما يعود على المسلم بالخير والرشاد في دينه ودنياه، ومن أمور دينه التي يعود بها عليه عقله الرشيد، هو تدبر خلق الله وما أودع فيها من حكمة تدل على أنه هو الخالق وحده سبحانه المستحق للعبادة، يقول الشيخ رحمه الله تعالى:" فالإسلام يقدر الطاقات العقلية وينميها ليستخدمها المسلم في الخير، وقد وضع المنهج الصحيح للنظر العقلي فطلب تدبر نواميس الكون وتأمل ما فيها من دقة وارتباط"[3].

كما يبيّن الشيخ الدعوة القرآنية التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء بها الأنبياء عليهم السلام من قبله وجادلوا بها قومهم، بنهيهم عن التقليد الأعمى، والذي يجّمد فيه الإنسان عقله على فكرة أو على اعتقاد، بحجة وجود من سبقه على تلك الفكرة أو ذلك الاعتقاد، وإن كان الذي جاء به الأنبياء ومن بعدهم من المصلحين أهدى مما وجد عليه المقلدون أسلافهم، يقول الشيخ رحمه الله تعالى:"ولذلك فقد نعى على الإنسان التقليد المطلق الذي لا يستخدم العقل ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [4] فقال: ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ [5]"[6]، وكل هذا البيان في وجوب تقديس العقل بما يخدم الدين هو لفك ما أصاب العقل المسلم من الأغلال والقيود والتي كانت سبباً في الإساءة من حيث يدري المسيء أو من حيث لا يدري.

المطلب الثاني: منهج الشيخ باي في عرض مسائل التوحيد

إن المتتبع لمنهج الشيخ باي رحمه الله تعالى في عرضه لمسائل العقيدة وقضاياها، والاستدلال عليها في كتبه التي تناولتها وخاصة كتاب " ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية الموضحة للسالك" يلاحظ حرص الشيخ على إِتْباع الاستدلال بالكتاب والسنة، بالاستدلال العقلي، وهذا في كل المسائل العقدية الخاصة بالإلهيات والنبوات لا بالسمعيات، والتي تناولها في هذا الكتاب، فهو لم يكتفي بالدعوة إلى التفكر بالعقل الصحيح في وحدانيته سبحانه وتعالى وإثبات ما يليق به من

---

[1] الملك 23

[2] الرحلة العلية، محمد باي بالعالم، مج 01، ص342

[3] نفس المصدر السابق والصفحة

[4] الزخرف 22

[5] الزخرف 24

[6] الرحلة العلية، محمد باي بالعالم، ج 01، ص342

الأسماء والصفات والأفعال، ونفي ما لا يليق به كذلك من الأسماء والصفات والأفعال، بل قد وظّف ذلك رحمه الله في معرض حديثه عن القضايا العقدية وإثبات ما يليق به سبحانه وبرسله، ونفي ما لا يليق به سبحانه وبرسله.

ففي معرض حديثه عن استدلاله على باب التوحيد، أشار الشيخ إلى أنه ساق 143 دليلاً من الكتاب و 24 حديثاً من السنة وعلى الأدلة العقلية[1]، والتي بيّنها الشيخ فيما بعد تفصيلاً عند كل قضية متناولة، حيث أنه ذهب إلى الدليل النقلي من القرآن والدليل العقلي عند إثباته لوجود الله سبحانه وتعالى، فقال رحمه الله: "والدليل على وجود الله من القرآن: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [2] أما الدليل العقلي فقد استخدم الشيخ " قياس الغائب على الشاهد"[3] في هذا الإثبات فقال:" يجب لله الوجود الذاتي: بمعنى أنه وجد لذاته لا لعلة، فلا يقبل العدم لا أزلاً ولاأبداً لوجوب افتقار العالم وكل جزء من أجزائهإليه تعالى، وكل من وجب افتقار العالم إليه لا يكون وجوده إلا واجباً لا جائزاً وإلا لزم الدور والتسلسل وهما باطلان" ومن العقل: لو لم يكن واجب الوجود لكان جائزاً فيفتقر إلى حدوث ويفتقر محدثه إلى محدث وهكذا فيلزم الدور والتسلسل وتقدم بطلانه[4].

وعند مناقشتنا للدليل القرآني نجد أن استخدام الشيخ لقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ كان صائباً، لأن هاته الآية وإن كان ظاهرها والمقصد القريب منها محصور فيما يخص القبلة وان المسلم حيثما صلى فصلاته صحيحة[5] ، إلا أنها في مقصدها البعيد هي إثبات لوجوده سبحانه وتعالى، فبعد أن نزلت لإعلام النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه " أن لهم التوجه بوجوههم للصلاة حيث شاءوا من نواحي المشرق والمغرب، لأنهم لا يوجهون وجوههم وجها من ذلك وناحية، إلا كان جل ثناؤه في ذلك الوجه وتلك الناحية، لأن له المشارق والمغارب، وأنه لا يخلو منه مكان"[6]

كما أن هناك أدلة قرآنية تدل على وجوده سبحانه، ومستدلة بصنعته سبحانه وبأفعاله عليه وهي كثيرة، وقد نبهت الرسل ُ قوَمها إلى هاته الأدلة، قال سبحانه: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ﴾[7] ، وقد استدل الله بوجود المخلوقات

---

[1] ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية، محمد باي بالعالم، مج01، ص126

[2] المصدر السابق مج01، ص166، ودائم يستخدم الشيخ رحمه الله هذا الدليل القرآني في استدلاله على وجود الله حيث نجده في كل كتبه التي اعتنى فيها بشرح العقيدة ، أنظر السبائك الإبريزية، محمد باي بالعالم، ص 13، كما استخدمه في كتابه فتح الجواد شرح على نظم العزية لابن باد والذي لا يزال مخطوط، وقد حققه عمر بن عراج كأطروحة لنيل درجة الدكتوراه، أنظر ص 134.

[3] قياس الغائب على الشاهد: هو أن يوجد حكم في جزء معين واحد فينقل حكمه إلى جزء آخر يشابهه بوجه ما"، أنظر "معيار العلم في فن المنطق"، أبي حامد الغزالي، (المطبعة الغربية، مصر، ط 02، 1346هـ، 1937م)، ص105

[4] ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية، محمد باي بالعالم، مج01، ص166

5 وتكون صلاته صحيحة بشروط قد فصلها الفقهاء في كتبهم وعقدوا لذلك فصول ومباحث، فليرجع لكتب الفقه من أراد معرفة التفاصيل أكثر

[6] جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت أحمد محمد شاكر، (مؤسسة الرسالة، ط 1420هـ 2000م)، ج 2، ص528.

[7] إبراهيم 10

وحدوثها على أنه لابد وأن يكون لها محدث أحدثها من العدم و"الذي خلقها وابتدعها على غير مثال سبق، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليها، فلا بد لها من صانع، وهو الله لا إله إلا هو، خالق كل شيء وإلهه ومليكه"[1]

أما في استدلاله على حدوث العالم – والذي ذكره في غير كتاب ملتقى الأدلة والذي التزم فيه منهجية ذكر الدليل القرآني قبل الدليل العقلي، بل إنه ذكره في كتاب السبائك الإبريزية– فإن الشيخ لم يذكر الدليل القرآني بل ذكر الدليل العقلي فقط، ولكن القرآن مستفيض بالأدلة التي تثبت حدوث العالم كقوله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ [2] وقد جاء هذا الاستفهام إنكاري الواقع بمعنى التوبيخ، أي أيشركون بالله في العبادة ما لا يخلق شيئاً وهو ذاته مخلوق"[3]، فقد ذهب الشيخ بالدليل العقلي، لاستخدام منهج "القياس المنطقي الاقتراني[4] فقال:" وحدوث العالم مستفاد من تلازم الأعراض الحادثة للأجرام وكل ملازم لأعراض الحادثة حادث وحدوث الأعراض ثابت بتجددها وتغيرها وما قررناه دل على أن العالم صنعة وكل صنعة لابد لها من صانع وذلك الصانع هو الله لا غير"[5].

واثبت القدم لله سبحانه وتعالى مستدلاً من القرآن بقوله تعالى:﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾[6] ، وقد جاء في تأويلها أنه "قبل كل شيء بغير حدّ.. وإنما قيل ذلك كذلك، لأنه كان ولا شيء موجود سواه"[7] ، فله سبحانه وحده القدم المطلق وغيره حادث، أما الدليل العقلي فقد ساقه الشيخ مستخدماً منهج"قياس الغائب على الشاهد" مرة أخرى فقال:" لو لم يكن قديماً لكان حادثاً إذ لا واسطة فيفتقر سبحانه إلى محدث ويفتقر محدثه إلى محدث لانعقاد المماثلة بينهما هكذا، فيلزم الدور والتسلسل وكلاهما محال لما علمت قبل، فما أدى إليهما يكون محالاً ، وإذا استحال حدوثه وجب قدمه، والقدم من الصفات السلبية التي سلبت على الله أمراً لا يليق به"[8].

وللاستدلال من النقل على وجوب البقاء لله سبحانه وتعالى استدل الشيخ من القرآن بقوله تعالى:﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[9]، والتي جاء في تأويلها وتأويل الآية التي قبلها" أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون، وكذلك

---

[1] تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير ، ت سامي بن محمد سلامة، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط02، 1420هـ، 1999م)، ج4، ص 482.

[2] الأعراف 191.

[3] زهرة التفاسير، أبي زهرة محمد بن أحمد، (دار الفكر العربي، القاهرة، د ت، د ط)، ج 06، ص3032

[4] القياس المنطقي : وهو" قولٌ مؤلف من قضايا إذا سلمت لزم عنه لذاته قول آخر، وينقسم إلى قسمين 1– اقتراني: وهو ما لم تذكر فيه النتيجة ولا نقيضها بالفعل، 2– الاستثنائي: وهو ما ذكرت فيه النتيجة أو نقيضها بالفعل. أنظر : البصائر النصيرية في علم المنطق، الإمام زين الدين عمر بن سهلان السامري، (المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط 01، 1316هـ– 1898م)، ص78–79.

[5] زاد السالك ، محمد باي، ص 13

[6] الحديد 03

[7] جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ج23، ص 168

[8] ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية ، محمد باي بالعالم، مج01، ص167

[9] الرحمان 27

أهل السموات، إلا من شاء الله، ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم؛ فإن الرب –تعالى وتقدس–لا يموت، بل هو الحي الذي لا يموت أبدا"[1]، فأثبت سبحانه في هذه الآية الفناء لجميع من في السماوات والأرض وهذا التفسير الذي ذهب إليه ابن كثير[2] هو الأشمل، لأن البعض فسر الآية على أهل الأرض فقط[3]، كما ساق الشيخ نفس المنهج السابق كدليل عقلي على البقاء وهو"قياس الغائب على الشاهد"، فقال عن البقاء:الذي هو امتناع لحوق العدم، لأن ما ثبت قدمه يستحيل عدمه، قال" لو جاز أن يلحقه العدم، لاستحال عليه القدم وهو الباقي"[4].

وفي استدلاله على مخالفة الله للحوادث ذكر الشيخ قوله تعالى:﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[5] ، والتي جاء في تفسيرها، أنه سبحانه" ليس كخالق الأزواج كلها شيء؛ لأنه الفرد الصمد الذي لا نظير له"[6]، وقد جمع الله سبحانه هذا التفرد في الذات والأسماء والصفات والأفعال في جملة واحد وهي في قوله تعالى:﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾[7]، و استخدم الشيخ الدليل العقلي في صورة "القياس المنطقي الاستثنائي"[8] على أن ليس كمثله شيء وهو السميع البصير: ومعناها مخالفته للحوادث: أي سلب الجرمية، والعرضية، والكلية، والجزئية ولوازمها عنه، فلازم الجرمية التحيز، ولازم العرضية القيام بالغير، ولازم الكلية الكبر، ولازم الجزئية الصغر، إلى غير ذلك فهو مخالف للمخلوقات في ذاته وصفاته وأفعاله"[9]

وقد استدل الشيخ باي بقوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾[10]على وحدانيته سبحانه وتعالى كما أنه في الدليل العقلي شرح برهان التمانع واستخدمه في إثبات وحدانيته سبحانه في الذات والصفات والأفعال، فقال رحمه الله تعالى" والدليل العقلي على الوحدانية في الذات والصفات والأفعال: أعني عدم النظير فيها بأنه لو وجد فردان بصفات الإلوهية لأمكن بينهما تمانع بأن يريد أحدهما حركة زيد، والآخر سكونه، لأن كلاً منهما في نفسه ممكن، وكذا تعلق الإرادة بكل منهما إذ لا تضاد بين الإرادتين بل بين المرادين، وحينئذ إما يحصل الأمران فيجتمع الضدان أو لا، فيلزم عجز

[1] تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، ج7، ص494.

[2] عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي الشافعي. ولد بعد السبعمائة أو فيها وسمع من ابن الشحنة، وابن الزراد، وطائفة وله عناية بالرجال، والمتون، والتفقه، خرج وألف وناظر وصنف وفسر وتقدم. سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ج1، ص 27.

[3] جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ج23، ص 38

[4] ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية ، محمد باي بالعالم، مج01، ص167

[5] الشورى 11

[6] تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير ، ج7، ص194

[7] الإخلاص 01

[8] القياس المنطقي الاستثنائي: عرفناه من قبل، أنظر البصائر النصيرية في علم المنطق، الإمام زين الدين عمر بن سهلان السامري، ص78-79 .

[9] ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية، محمد باي بالعالم، مج01، ص167

[10] الأنبياء 22

أحدهما وهو أمارة الحدوث والإمكان لما فيه من شائبة الاحتياج" فالتعدد مستلزم لإمكان التمانع المستلزم للمحل فيكون محالاً ، وهذا يقال له برهان التمانع"[1].

وجاء الشيخ رحمه الله تعالى بمنهج " الاستدلال بالمتفق عليه على المختلف فيه"[2] للاستدلال العقلي على الغنى والذي عبر عنه بعبارة"القيام بالنفس" وقد قال عن الغنى"أنه عبارة عن عدم الافتقار إلى المحل والمخصص، والدليل من العقل على الغنى : أنه لو افتقر إليه لكان صفة، والصفة لا تتصف بصفات المعاني والمعنوية، والله عز وجل يجب أن يتصف بهما فيجب أن لا يكون صفة فلا يفتقر إلى محل وهو المطلوب والدليل على عدم افتقاره إلى المخصص: أنه لو افتقر إليه لكان حادثاً ، وقد سبق وجوب وجوده وقدمه وبقائه"[3].

المطلب الثالث: أول واجب على المكلف:

تعتبر مسألة "أول واجب على المكلف" من المسائل التي كثر فيها الخلاف والرد بين المدارس الإسلامية، ويرجع بعضهم ذلك إلى اختلاف مدلول النصوص الدينية سواء القرآنية منها أو الحديثية، أو الاختلاف في الأحق بالأسبقية التي توصل إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى وكيفية تحصيل ذلك.

فذهب بعضهم إلى أن أول واجب على المكلف هو المعرفة[4]، وبرروا قولهم هذا بكون الأوامر والنواهي تؤتى وتترك بمعرفة الناهي والآمر ، واكتفى البعض بجعل المعرفة شرط للصحة لا سبب لدخول الإسلام والذي يكون بالنطق باللسان[5]، إلا أن هذه المعرفة لا تحصل إلا بالنظر ، ولذلك ذهب البعض الآخر[6] للقول بأولويته وأسبقيته للمعرفة، ودليلهم الآيات القرآنية التي تدعو إلى النظر والتفكر وما حملته من الوعيد لمن ترك تلك العبادة، يقول سبحانه:﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

[1] نفس المصدر، ص168

[2] هذه الصورة تستخدم بين المتكلمين في مواضع النزاع فيقسون ما اختلفوا فيه على ما اتفقوا عليه، فيجعلون ما اتفقوا عليه هو الأصل وما اختلفوا فيه هو الفرع، ليثبتوا الحكم الذي ثبت في المتفق عليه للمختلف فيه، انظر: منهج إمام الحرمين في دراسة العقيدة، عرض ونقد، أحمد عبد اللطيف، (مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، السعودية، ط 01، 1414هـ، 1993م) ص 187

[3] ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية الموضحة للسالك، محمد باي بالعالم، مج01، ص168

[4] ومن هؤلاء إمام الحرمين الجويني. أنظر: البرهان في أصول الفقه، إمام الحرمين أبي المعالي عبد المالك بن عبد الله بن يوسف، تحقيق: عبد العظيم الديب، (مطابع الدوحة الحديثة، قطر، الطبعة الأولى 1399هـ) ج01، ص98. . المعرفة: هي إدراك الشيء على ما هو عليه، وهي غير مسبوقة بنسيان حاصل بعد العلم، بخلاف العلم،ولذلك يسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، (دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 01، 1991)، ص 323. وقيل : المعرفة هي الاستدلال، لأن العارف لابد من كونه مستدلا. موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي، سميح دغيم ،(مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط01، 1998)، مج02، ص 1265.

[5] قال بهذا القاضي عياض ، أنظر شرح صحيح مسلم، المسمى إكمال المعلم بفوائد مسلم، للإمام الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، ت، يحي اسماعيل،(دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر المنصورة، ط 01، 1419هـ، 1998م)، ج01، ص240

[6] ومن الذين قالوا بالنظر هو الباقلاني، أنظر: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، (مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط 03، 1993)، ص 25-27. وقد ذهبت المعتزلة إلى هذا الرأي ومنهم القاضي عبد الجبار، أنظر: الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار، ص 65. إلا أن وجوب النظر عند المعتزلة عقلي وعند الأشاعرة شرعي

وَٱلۡأَرۡضِ﴾[1]، وهذا الوعيد منه سبحانه وتعالى في ترك النظر هو الذي حمل البعض على جعل صحة الإيمان متوقفة على النظر، ومن لم ينظر فهو كافر، وبذلك يكفر عامة المسلمين، إلا فئة قليلة من أهل الكلام[2].

أما أهل الحديث فقد ذهبوا إلى أن أول واجب على المكلف هو نطقه بالشهادتين بدليل قوله صلى الله عليه وسلم في حديث سيدنا معاذ رضي الله عنه ﴿**فإذا عرفوا الله** ...﴾ [3]، أي عرفوا توحيد الله، والمراد بالمعرفة الإقرار والطواعية[4]"، كما تواترت الأحاديث عنه صلى الله عليه وسلم وهو يدعو الناس فيها للنطق بالشهادتين، كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ﴿ **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله**...﴾[5]، وهذا يعتبر قول صريح منه صلى الله عليه وسلم أن الحكم يكون بالظاهر وبما نطقت به ألسن الناس.

وفي بعض كتابات الشيخ باي رحمه وشروحه نجد أنه قد ذهب في هذه المسألة إلى ما ذهبت إليه المدرسة الأشعرية في أن أول واجب على المكلف هو المعرفة، حيث قال:"أول ما يجب على كل مكلف من ذكر أو أنثى وجوباً عينياً معرفة الله"[6]، ثم بيّن رحمه الله هاته المعرفة وحدودها التي يجب على المكلف الإحاطة بها دون أن يتجاوزها أو أن يقصر عنها فقال و" المعرفة: المعنى المطابق عن دليل، ومعناها الجزم بوجود ذاته وصفاته الدالة على إلوهيته لا معرفة كنه ذاته لقوله تعالى:﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[7] فيجب على المكلف معرفة كل عقيدة بدليل ولو إجمالياً[8].

وهذه المعرفة التي جعلها الشيخ رحمه الله كأول واجب على المكلف، إنما هي على من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، لا على الذي لم يدخل بعد في الدين، والذي يطالب أولاً بالشهادتين، والدليل على رأينا هذا هو في نقطتين:

---

[1] يونس101

[2] من هؤلاء الذين قالوا بأن صحة الإيمان متوقفة على النظر ومن لم ينظر فهو كافر، أبي اسحاق الأسفرايني، أنظر : فتح الباري، ابن حجر العسقلاني،(مكتبة دار السلام، الرياض، مكتبة الفيحاء ، دمشق، ط 01، 1997)، مج 13، ص 434

[3] الجامع الصحيح، محمد بن اسماعيل البخاري، كتاب " الزكاة"، باب" لا تؤخذ كرائم الناس في الصدقة"، برقم 1458،(الطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ط01، 1440هـ، 1980م) ج01، ص 119

[4] فتح الباري، ابن حجر،مج 13، ص434. وإلى هذا ذهب أبو حامد الغزالي، وقد خالف في هذا جمهور الأشاعرة، وقال بخطأ مذهبهم، أنظر الغزالي، الإحياء، ص132-148

[5] الجامع الصحيح، محمد بن اسماعيل البخاري، كتاب " الإيمان"، باب" فإن أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم"، برقم 24،(الطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ط01، 1440هـ، 1980م) ج01، ص24

[6] زاد السالك شرح أسهل المسالك، محمد باي بالعالم، (الشركة الجزائرية اللبنانية 4 شارع الهواء الجميل ، باش جراح ، الجزائر العاصمة، دار ابن حزم ، بيروت ، ط 1، 1429هـ- 2008)، ص 13، السبائك الإبريزية، محمد باي بالعالم، ص 12

[7] سورة محمد صلى الله عليه وسلم19

[8] زاد السالك شرح أسهل المسالك، محمد باي بالعالم، ص 13، السبائك الإبريزية ، محمد باي بالعالم، ص 12

النقطة الأولى: كلام الشيخ باي في "فتح الجواد شرح على نظم العزية لابن باد"[1]، على أن أول ما يلزم المكلف– والذي عّرفه على أنه "هو البالغ العاقل الذي بلغته دعوة النبي صلى الله عليه وسلم سليم الحواس، ذكراً كان أو أنثى، حراً أو رقاً، مسلماً أو كافراً، انسياً أو جنياً"– هو النطق بالشهادتين[2]، وقد ذكر الشيخ باي أن المخاطب بالنطق بالشهادتين هو المكلف والذي يدخل فيه حتى المسلم الذي نطق بالشهادتين، وهذه المطالبة للمسلم بالنطق بالشهادتين ليس من باب الإعادة ولكن من باب تبيين أنه قد حصّل المطلوب منه، وهو أول واجب على المكلف.

النقطة الثانية: حتى وإن سلمنا جلاً أن الشيخ يرى بأن أول واجب على المكلف هو المعرفة؛ إلا أننا نجد أن كلام الشيخ على هذه المعرفة وتبيينه لها يؤكد أن المطالب بها هو من شهد الشهادتين والذي بدوره يستكفى بالدليل الإجمالي على شهادته، ويضرب لذلك مثالاً فيقول رحمه الله: فإذا قيل لك : ما الدليل على وجود الله فقلت العالم، ولم تعرف وجهة الدلالة فهو دليل إجمالي والعالم هو ما سوى الله"[3] ، ثم يستدرك الشيخ رحمه الله تعالى في موضع آخر ليبين أن على المكلف أن يدرك أن الوجودين – أي وجود الله ووجود العالم– مختلفين، فيقول" نعم، يجب أن يعرف أن وجوده تعالى ليس كوجود العالم" ثم يسوق الشيخ الأدلة من القرآن والسنة والعقل[4]، والتي قد سقناها سابقاً في البحث

ولم يكتف الشيخ بعرض قوله فقط، بل ذكر رأي من طالبوا بالدليل التفصيلي ورأوا بوجوب النظر الموصل إلى ذلك الدليل التفصيلي واعتبر ذلك أي الدليل التفصيلي فرض كفاية لا فرض عين يتأتى لبعض الناس وهم العلماء لا كلهم حتى يدفعوا عن المسلمين الشبه ويبينوا لهم الحق من الباطل فقال "وأما معرفته بالدليل التفصيلي ففرض كفاية، فيجب على كل قطر يشق الوصول منها إلى غيرها أن يكون فيهم من يعرفه بالدليل التفصيلي، لأنه ربما طرأت شبهة فيدفعها"[5].

واعتبر الشيخ رحمه الله تعالى مطالبة عوام الناس بالدليل التفصيلي على عقيدتهم تشدد في الدين وتضييق لرحمة الله الواسعة وإخراج لعامة المسلمين من الجنة وجعلها لطائفة يسيرة حققت الدليل التفصيلي، فقال رحمه الله: "وبعضهم أوجب الدليل التفصيلي وجوباً عينياً وردوه بأنهم ضيقوا رحمة الله الواسعة، وجعلوا الجنة مختصة بطائفة يسيرة، فالحق أن الواجب

---

[1] كتاب "فتح الجواد شرح على نظم العزية لابن باد" حققه عمر بن عراج كدراسة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم قسم التاريخ تخصص " تحقيق المخطوطات " ، من جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان ، الجزائر السنة الجامعية 2018/2017.

[2] فتح الجواد، محمد باي، ص 116

[3] زاد السالك، محمد باي بالعالم،ص 13.

[4] ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية، محمد باي بالعالم، مج01، ص166

[5] زاد السالك، محمد باي بالعالم، ص 13، السبائك، الإبريزية ، محمد باي بالعالم، ص 12

وجوباً عينياً إنما هو الدليل الإجمالي"[1] والذي قد بيّن الشيخ رحمه الله تعالى أن المكلف يكفيه في تحصيله أن يعرف أن الله موجود"[2]

وهذا الرد منه رحمه الله تعالى على من طالبوا بالدليل التفصيلي، إنما هو لتجنيب المسلمين الجدال والتكلف؛ فعند كلام الشيخ عن الوجود والموجود والحال واختلاف علماء الكلام في تحديدهم، ذكر الشيخ ما يفيد تحييد واستغناء المكلف عن كل هذا الجدال والتكلف فقال:" ويكفي المكلف أن يعرف أن الله موجود، ولا يجب عليه معرفة أن وجوده تعالى عين ذاته أو غيرها"[3]، وهذا الجدال قد وقع فيه الكثير من المتكلمين وبالغوا فيه ولم يجدوا له نفعا.

[1] نفس المصدر السابق الأول، ص 13، نفس المصدر السابق الثاني، ص 12

[2] المصدر الأول نفسه ، ص 14

[3] ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية، محمد باي بالعالم، مج01، ص166

المبحث الثاني: مسألة التكفير عند الشيخ باي بلعالم

وقبل أن نتطرق لنظرة العلماء والشيخ باي لمسألة التكفير، نمهد لذلك بتعريف الكفر لغة وشرعاً.

المطلب الأول: الكفر لغة وشرعاً.

الكفر لغة: جاء في اللغة أن الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية[1]، تقول: كفر درعه بثوب[2] وكفر الشيء وكفّره: أي غطّاه[3]، والكُفر، بالضم: ضد الإيمان، ويفتح؛ وأصل الكُفر من الكَفر بالفتح مصدر كَفَر[4] ، والكُفُر: نقيض الإيمان[5]، وكفر نعمة الله يكفرها كفوراً وكفراناً وكفر بها: جحدها وسترها[6]، وقد كَفَر بالله كُفْراً ، وجمع الكافِر كفار وكفرة وكفار أيضا[7].

الكفر شرعاً: اختلف العلماء المسلمون في تعريفهم للكفر، وجاءت عباراتهم على حسب الفعل الذين يعدونه كفراً ، فقد ذهب بعضهم إلى اعتبار أن "الكفر يكون بتكذيب الرسول صلى الله عليهم وسلم فيما أخبر به أو الامتناع عن متابعته مع العلم بصدقه[8]، ويصدق هذا على من شاهد النبي صلى الله عليه وسلم ككفار قريش ومن عاصروه صلى الله عليه وسلم، كما يشمل من جاء بعده من العباد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فمن علم بصدق رسالته وهي للعالمين جميعاً ثم كذب بها فهو حسب هذا التعريف داخل في الكفر ويصدق عليه، وعلى هذا يكون "الكفر هو عدم الإيمان؛ باتفاق المسلمين سواء اعتقد نقيضه وتكلم به أو لم يعتقد شيئا ولم يتكلم[9]"أي سواء اعتقد هذا الكافر ديناً مناقضاً للإيمان، أو لم يعتقد ديناً أصلاً .

والتعريف الأول يصدق على من لم يدخل في الدين أصلاً ولم يعتقده جملة وتفصيلاً ، وهناك من رأى للكفر تعريفاً ثانياً يشمل الذي لم يدخل في الدين أصلاً كالتعريف الأول، إضافة إلى من دخل في الدين ولكنه أخل بركن من أركانه مما يوجب الكفر، فرأى أن الكفر "في الدين صفة من جحد شيئا مما افترض الله تعالى الإيمان به بعد قيام الحجة عليه ببلوغ

---

[1] مقاييس اللغة، لابن فارس، ج5، ص 191

[2] مجمل اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، ت زهير عبد المحسن سلطان، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 02، 1406هـ، 1986م)، ج 01، ص 788.

[3] أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، ت محمد باسل عيون السود، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، 1419هـ، 1998م)، ج2، ص 140.

[4] لسان العرب، لابن منظور، ج5، ص 144

[5] كتاب العين، الخليل الفراهيدي، ج5، ص 356

[6] تاج العروس، الزبيدي، ج14، ص 50

[7] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الفارابي، ج2، ص 807.

[8] درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت محمد رشاد سالم، ج1، ص 242.

[9] مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج20، ص 86.

الحق إليه بقلبه دون لسانه أو بلسانه دون قلبه أو بهما معا أو عملعملاً جاء النص بأنه مخرج له بذلك عن اسم الإيمان[1]، ففي هذا التعريف يعتبر الكفر شاملاً لمن ترك الدين كله، كما يشمل من آتى ببعضه وترك بعضه الآخر.

المطلب الثاني: رأي العلماء والشيخ باي في الكفر والأعمال التي توجبه: وفي هذا المبحث سنتعرض لبعض النقاط التي ذكرها الشيخ باي في كتبه مما ناقش فيها مسألة الكفر ورأيه فيها، مع عرضنا لرأي غيره من العلماء ومقارنتها ومعرفة وجوه الاختلاف فيها إذا وجدت، كما نحاول أن نبيّن وجه الصواب منها والدليل على ذلك، ومن هاته النقاط التي تعرض لها الشيخ باي نذكر مسألة تكفير الفرق الإسلامية التي خالفت أهل السنة والجماعة، كما نذكر مسألة تكفير من كفر بيوم القيامة ولو آمن بجميع المسائل دونها، إضافة إلى مسألة تكفير من قال أن الله يعلم الكليات دون الجزئيات، وكذلك مسألة تفكير المجسمة، سواءً الذين قالوا إن الله جسم كالأجسام، أو الذين قالوا إنه جسم ولكنه لا كالأجسام، تعالى الله عن ذلك كله علواً كبيرا، ونبدأ بالمسألة الأولى وهي:

أولاً: القول في تكفير الفرق التي خالفت أهل السنة والجماعة:

يرى أهل السنة والجماعة أن مسألة التكفير من المسائل الخطيرة التي ينبغي على المسلم أن يتوقف فيها، وأن لا يسارع إلى إطلاق حكمها على المخالف له سواءً في الفروع أو حتى في بعض مسائل العقيدة، "فمن أخطأ في بعض مسائل الاعتقاد من أهل الإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر والعمل الصالح .... فيغفر الله خطأه أو يعذبه إن كان منه تفريط في إتباع الحق على قدر دينه، وأما تكفير شخص علم إيمانه بمجرد الغلط في ذلك فعظيم"[2]، إلا إذا ثبتت عليه الحجة وانتفت الشبه وكان فعله مما يخرج من الدين، فهم في غير ذلك يقولون على الفعل أنه كفر، لكنهم لا يكفرون الفاعل ما دام من أهل القبلة وشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، لاحتمال تأوله في الرأي الذي ذهب إليه وخالفهم فيه، يقول ابن تيمية عن اعتقاد أهل السنة في التكفير " وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر"[3]، ومرد ذلك كما يرى ابن تيمية أنه لم تقم عليه الحجة يقول:"فإن التكفير المطلق مثل الوعيد المطلق لا يستلزم تكفير الشخص المعين حتى تقوم عليه الحجة التي تكفر تاركها"[4].

---

[1] الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، ت أحمد محمد شاكر، (دار الآفاق الجديدة، بيروت، د ط، د ت)، ج1، ص 49.

[2] الاستقامة أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، ت محمد رشاد سليم، (مكتبة السنة، القاهرة، ط 02، 1409ه)، ج 01، ص 165.

[3] العقيدة الواسطية، اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، (أضواء السلف، الرياض، ط 02، 1420ه، 1999م)، ص113.

[4] الاستقامة، ابن تيمية، ج 01، ص 164.

وهذا المذهب في اتخاذ الأعذار للمخالف وعدم التكفير للقائل بمجرد أن قوله كفر هو مذهب الشيخ باي، فهو يرى بعدم كفر الفرق التي خالفت في بعض قضايا العقيدة أهل السنة والجماعة، وإن كان يرى تفسيقها، فقال في شرحه للأبيات من أسهل المسالك، " ثم أشار بقوله:

وذو ابتداع واعتزال فسقا من غير تكفير .....

إلى الفرق الضالة أصحاب البدع والاعتزال كالقدرية والمرجئة والمعتزلة وغيرهم من الفرق الضالة، وأنه محكوم عليهم بالفسق لا بالكفر على الصحيح"[1]؛ فالشيخ باي أشار إلى بعض الفرق الإسلامية وسماها باسمها، ورأى أن أفعالها ضلال وأنها ضالة ومبتدعة، في إشارة منه لمخالفتها أهل السنة وللتحذير منها ومن أرائها وأفكارها، ولكنه مع ذلك لم يكفرهم، ولكن حكم عليهم بالفسق، واعتبر ذلك الرأي في الحكم عليهم هو الصحيح المعتبر من أقوال العلماء والسلف، وهاته الفرق التي لم يرى الشيخ باي بتكفير أصحابها بل تفسيقهم فقط قد حصرهم في أربعة فرق رئيسية تتفرع منها بمجموعها اثنتان وسبعون فرقة، فقال: " فَرِقُ الاعتزال اثنتان وسبعون فرقة كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأمهات هذه الفرق أربعة : الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة، ففي كل من هذه الفرق ثمانية عشر فرقة"[2]، وقد استدل الشيخ على ذلك، أي افتراق هاته الأمة إلى فرق وطوائف بما جاء في السنة النبوية من افتراق اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافتراق النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وأن هاته الأمة ستفترق على ثلاثة وسبعين فرقة، فقال :" وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿ **تفرقت اليهود على إحدى، أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة** ﴾[3] قال الترمذي هذا حديث صحيح، وأخرجه عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿**ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي**﴾[4] ، وكأن بالشيخ باي وهو يستدل بهاذين الحديثين بعد تفسيقه وعدم تكفيره لتلك الفرق، يريد أن يشير إلى أنها من أمته صلى الله عليه وسلم رغم اختلافها ووعيده صلى الله عليه وسلم لمن خالفت ما عليه هو وأصحابه لها بالنار، لكن لا يعني هذا أنها

---

[1] زاد السالك، محمد باي، ص 24

[2] زاد السالك، محمد باي، ص 24

[3] سنن ابن ماجه، ابن ماجة، كتاب" الفتن"، باب" افتراق الأمم"، رقم3991، ج2، ص 1321. سنن الترمذي، الترمذي، "أبواب الإيمان"، "باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد ألا إله إلا الله"، رقم 2640، ج4، ص322. المستدرك على الصحيحين ، للحاكم ، كتاب "الإيمان"، رقم 10، ج 1، ص 47.

[4] سنن الترمذي، الترمذي، "أبواب الإيمان"، "باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد ألا إله إلا الله"، رقم 2641، ج4، ص323. المستدرك على الصحيحين ، للحاكم ، كتاب "العلم"، "حديث عبد الله بن عمرو"، رقم 444، ج 01، ص 218.

كافرة، لذلك قال بعدها"وحيث قلنا أنه لا يحكم عليها بالكفر..."[1]، أي على هاته الفرق؛ ثم ساق بعد ذلك الكلام على الفرق التي كفرها بمقولتها التي أنكرت فيها معلوماً من الدين بالضرورة، في إشارة منه إلى أن هاته الفرق ليست كمثيلاتها السابقة في الحكم عليها وعلى مقولاتها وأرائها.

وضابط الشيخ باي في عدم تكفير للفرق الأولى، أنها إذلنكر ما أدخلها في هذا الدين سواء ً كله أو جزء ً منه، ودليل ذلك قوله بكفر من نفى لقاء الله واليوم الآخر أو قال بأن الله سبحانه وتعالى لا يعلم الجزئيات،أو القائلين أن الله جسم، وقد سأل الشيخ تقي الدين السبكي[2] عن حكم تكفير غلاة المبتدعة وأهل الأهواء، والمتفوهين بالكلام على الذات المقدسة فقال:"اعلم أيها السائل، أن كل من خاف الله واستعظم القول بالتكفير لمن يقول لا إله إلا الله محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذْ التكفير أمر هائل عظيم الخطر،...فما بقي الحكم بالتكفير إلا لمن صرح بالكفر واختاره ديناً وجحد الشهادتين، وخرج عن دين الإسلام جملة"[3]، ولا شك أن كل من نفى لقاء الله واليوم الآخر، أو نفى علمه سبحانه وتعالى بالجزئيات، أو جعله سبحانه وتعالى جسماً داخلاً في نفي الشهادتين أو معناهما ولذلك رأى الشيخ باي كفر أصحابها.

ثانياً: القول في نفاة لقاء الله واليوم الآخر:

جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية من النصوص القطعية الثبوت والدلالة ما يخبر عن اليوم الآخر ووجوب الإيمان به والإخبار عن ما يقع فيه من أمر ربنا سبحانه وتعالى وحكمه بين العباد بعد بعثهم من قبورهم، وذلك من تمام عدله سبحانه وتعالى وتحقيق وعده الذي وعد به رسله عليهم السلام، وليتبّين للذين كفروا أنهم كانوا كاذبين، قال سبحانه وتعالى عن ذلك: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾[4]، يقول تعالى ذكره: بل ليبعثن الله من يموت وعدا عليه حقا، ليبين لهؤلاء الذين يزعمون أن الله لا يبعث من يموت، ولغيرهم الذين يختلفون فيه من إحياء الله خلقه بعد فنائهم، وليعلم الذين

---

[1] زاد السالك، محمد باي، ص 24

[2] هو تقي الدين أبو الحسن، علي بن عبد الكافي السبكي، ولد بسبك بالمنوفية سنة 683 هـ، أخذ الفقه عن أبي الرفعة، والتفسير عن العلم العراقي، والحديث عن الشرف الدمياطي، كما أخذ غيرها من العلوم، ثم رحل إلى الشام والأسكندرية والحجاز وسمع من شيوخها، وتولى مناصب عدة، منها القضاء، ثم تفرغ إلى التصنيف فصنف أكثر من مائة وخمسين مصنفاً في شتى العلوم، منها:" السيف المسلول على من سب الرسول"، توفي بالقاهرة سنة 759هـ، أنظر : معجم محدثي الذهبي، شمس الدين الذهبي،ت روحية عبد الرحمن السويفي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، 1993م)، ص 64.

[3] الطبقات الكبرى، عبد الوهاب الشعراني، ت أحمد عبد الرحيم السايح، توفيق علي وهبة، (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط 01، 142هـ، 2005م)، ج 01، ص 27

[4] النحل 38-39

جحدوا صحة ذلك، وأنكروا حقيقته أنهم كانوا كاذبين في قيلهم: لا يبعث الله من يموت"[1]؛ وهؤلاء المنكرين للبعث واليوم الآخر وجد في الأمة الإسلامية من يؤمن بقولهم ويرى برأيهم في استحالة البعث واليوم الآخر عقلاً، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في هؤلاء" وأما اليوم الآخر: فأحسنهم حالا من يقر بمعاد الأرواح دون الأجساد..."[2]، إلى أن يقول رحمه الله عنهم، "...فمن عبد الله وحده لزم أن يؤمن برسله ويؤمن باليوم الآخر؛ فيستحق الثواب وإلا كان من أهل الوعيد يخلد في العذاب هذا إذا قامت عليه الحجة بالرسل"[3]، وقد قامت الحجة على الذين ذكرنا أنهم ينتسبون إلى الإسلام ومع ذلك هم ينكرون البعث واليوم الآخر بحجة استحالته عقلاً.

وقد ذهب صاحب أسهل المسالك إلى كفر نفاة لقاء الله واليوم الآخر، وينقل ذلك عنه الشيخ باي فيقول:

..... سوى نافي اللقا

وحيث قلنا أنه لا يحكم عليهم بالكفر استثنى الناظم من ذلك قوله (سوى نافي اللقا) أي: النظر إليه تعالى أي: إلا من نفى لقاء الله عز وجل وعرض العباد عليه يوم القيامة فاعتقاد هذا عند أهل السنة كفر، وإليه أشار بقوله: سوى نافي اللقا"[4]؛ فالشيخ باي بدأ حديثه عن الفرق التي لا تكفر بقولها ممن ذكر من الاثنتين وسبعين فرقة، ثم ذكر الاستثناء الذي يكون من هاته الفرق و هي التي تكفر بقولها، فبدأ بالحديث عن نفاة البعث واليوم الآخر، وأن رأي أهل السنة في هذا الاعتقاد أنه كفر، بل يذكر الشيخ باي في موضع آخر أنه قد انعقد إجماع أهل السنة على ذلك فيقول في حديثه عن وجوب الإيمان بيوم القيامة:" وقد انعقد الإجماع على كفر من كذب بها"[5]، أي بالقيامة، ثم استدل الشيخ باي على رأي أهل السنة في هذه المسألة من القرآن والسنة والإجماع فقال:" والدليل على رؤية الله تعالى الكتاب والسنة والإجماع؛ أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[6]، فإن الحسنى هي الجنة، والزيادة هي النظر لوجهه الكريم كما قال جمهور المفسرين[7]، وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾[8] ، ومعنى النظر هنا الرؤية[9].

---

[1] تفسير الطبري، ج17، ص 204

[2] مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج9، ص 35.

[3] نفس المرجع، ج 9، ص 38.

[4] زاد السالك، محمد باي، ص 24

[5] نفس المصدر، ص 33.

[6] يونس 26

[7] تفسير الطبري، ج15، ص 62. تفسير الثعلبي ، ج5، ص129. تفسير الرازي، ج17، ص 240
تفسير القرطبي، ج8، ص 330

[8] القيامة 22- 23

[9] تفسير الطبري، ج12، ص 16. تفسير الثعلبي، ج10، ص 88. تفسير القرطبي، ج 19، ص 107

وأما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم:﴿ **إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر..**﴾[1] والتشبيه للرؤية في عدم الشك والخفاء لا للمرأى كما يتوهم، وأما الإجماع فقد أجمعت الأمة على وقوع الرؤية في الآخرة والآيات والأحاديث محمولة على ظاهرها من غير تأويل"[2]؛ وبهذا يتبيّن رأي الشيخ باي في تكفير ناكري البعث واليوم الآخر وهو نفس الرأي الذي ذهب إليه ابن تيمية وهو رأي أهل السنة والجماعة كما سبق ذكره.

ثالثاً: القول في نفاة علم الله بالجزئيات:

تعتبر مسألة علمه سبحانه وتعالى بالجزئيات من المسائل المتفق عليها بين الفرق الإسلامية، لأنها من أساسيات الإيمان بالله سبحانه وتعالى وتنزيهه عن كل نقص ووصفه بكل كمال، ولم يخالف الإجماع ولم ينكر علمه سبحانه وتعالى بالجزئيات إلا من غال في استعمال العقل بل قد أخطأ في استعماله استعمالاً صحيحاً منطقياً، وهم الفلاسفة " المسمون عند من يعظمهم بالحكماء، فإن من علم حقيقة قولهم علم أنهم لم يؤمنوا بالله ولا رسله ولا كتبه ولا ملائكته ولا باليوم الآخر، فإن مذهبهم أن الله سبحانه موجود مجرد لا ماهية له ولا حقيقة، فلا يعلم الجزئيات بأعيانها"[3]، وهذا القول من الفلاسفة يعتبره ابن تيمية "كذب، وضلال مبين، وهو من أخبث الأقوال، وشرها، ولهذا لم يقل به أحد من طوائف الملة[4].

وقد ذهب الفلاسفة إلى هذا الرأي الذي خالفوا فيه الأمة كلها، فكفرهم من كفرهم بقولهم هذا، نقول"إنما ألجأهم إلى هذا الإلحاد فرارهم من تجدد الأحوال للبارئ تعالى"[5] ؛ ومع تكفير علماء المسلمين لقول الفلاسفة هذا، فإنه قد رُدّ على قولهم هذا من جهة ما احتجوا به ورأوا أنه دليلهم في هذا القول وعلى هذا الرأي، فمن العقل ما يثبت بطلان قولهم ومن ذلك وجوه[6]:

الأول أنه تعالى هو الفاعل لا بد أن الحيوانات وفاعلها يجب أن يكون عالما بها وذلك يدل على كونه عالما بالجزئيات.

---

[1] الحديث أخرجه الترمذي في سننه بلفظ:﴿ **أتضامون في رؤية القمر ليلة البدر، وتضامون في رؤية الشمس؟ قالوا: لا، قال: فإنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته**﴾، سنن الترمذي، 4، ص 270، وقال الترمذي عنه : هذا حديث حسن غريب. كما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير بلفظ ﴿ **إنكم سترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته...**﴾. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، ج 2، ص 294.

[2] زاد السالك، محمد باي، ص 24

[3] شرح الطحاوية، أبي العز الحنفي، ص 277

[4] شرح العقيدة الواسطية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، خالد بن عبد الله بن محمد المصلح، (دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، ط 01، 1421هـ)، ص 46.

[5] جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، أبو البركات خير الدين نعمان بن محمود الآلوسي، ت الداني بن منير آل زهوي، (المطبعة العصرية، صيدا ، بيروت، ط 01، 1426هـ، 2006م)، ص 293.

[6] معالم أصول الدين، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، ت طه عبد الرؤوف سعد، (دار الكتاب العربي، بيروت، د ط، د ت)، ص 57.

الثاني أن العلم صفة كمال والجهل صفة نقص ويجب تنزيه الله تعالى عن النقائص

الثالث أن كون الماهية موصوفة بالقيود التي صارت لأجلها شخصا معينا واقعا في وقت معين من معلومات ذات الله تعالى إما بواسطة أو بغير واسطة وعندهم أن العلم بالعلة يوجب العلم بالمعلول فوجب من علمه تعالى بذاته علمه بهذه الجزئيات.

وقد ذهب علماء أهل السنة إلى تكفير الفلاسفة بقولهم هذا، ومن هؤلاء العلماء من أهل السنة ابن تيمية كما ذكرنا قوله من قبل فهو يعتبرهم ليسوا من ملة الإسلام بقوله عن قولهم أنه لم تقل به طائفة من طوائف الملة، كما كفرهم أبو حامد الغزالي في كتابه "الاقتصاد في الاعتقاد"، حيث عقد باباً يبيّن فيه من يجب تكفيره من الفرق، فقال في الباب الرابع "بيان من يجب تكفيره من الفرق"، فبيّن مسألة التكفير وكيف تكون وبما يكون الدليل عليها فقال:" اعلم أن للفرق في هذا مبالغات وتعصبات، فربما انتهى بعض الطوائف إلى تكفير كل فرقة سوى الفرقة التي يعزى إليها، فإذا أردت أن تعرف سبيل الحق فيه فاعلم قبل كل شيء أن هذه مسألة فقهية، أعني الحكم بتكفير من قال قولاً وتعاطى فعلاً، فإنها تارة تكون معلومة بأدلة سمعية وتارة تكون مظنونة بالاجتهاد، ولا مجال لدليل العقل فيها البتة، ....." إلى أن قال "والأصل المقطوع به أن كل من كذب محمداً صلى الله عليه وسلم فهو كافر أي مخلد في النار بعد الموت، ومستباح الدم والمال في الحياة، إلى جملة الأحكام. إلا أن التكذيب على مراتب..." ثم ذكر من هاته المراتب الرتبة الثالثة: الذين يصدقون بالصانع والنبوة ويصدقون النبي، ولكن يعتقدون أموراً تخالف نصوص الشرع، ... وهؤلاء هم الفلاسفة. ويجب القطع بتكفيرهم في ثلاثة مسائل وهي: .... والأخرى: قولهم إن الله لا يعلم الجزئيات وتفصيل الحوادث وإنما يعلم الكليات، وإنما الجزئيات تعلمها الملائكة السماوية"[1].

وقد وافق الشيخ باي أهل السنة في تكفيرهم للفلاسفة بقولهم هذا، وضرب مثال على قولهم ومعتقدهم الذي من اعتقد به فقد كفر بالله سبحانه وتعالى فقال في شرحه لأسهل المسالك:

أو قال بالكلي رب عالما من دون جزئياته.....

" ...كذلك يحكم بالكفر على من قال أن الله تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات بل يستأنف للجزئية علماً عند حصولها، كمن يعتقد أن الله يعلم ديار البلدة ولكن لا يعلم تفاصيل ما في كل دار، فهذا الاعتقاد كفر"[2]، فالشيخ باي يعتبر مسألة إنكار علمه سبحانه وتعالى بالجزئيات من المسائل التي لا يفسق صاحبها فقط، بل يكفر ويخرج من الدين

[1] الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ص 133.

[2] زاد السالك، محمد باي، ص 25

بلعتقاده هذا، فهو غير داخلاً في الفرق التي تحسب على الإسلام وعلى أمته صلى الله عليه وسلم من الاثنتين وسبعين فرقة والتي رأى الشيخ باي بتفسيقها دون كفرها.

رابعاً: القول في المجسمة[1]:

تُرّد مسألة التجسيم إلى الاختلاف الحاصل في الأمة في فهم آيات الصفات، فمنهم من مررها كما جاءت وهو مذهب أهل الحديث، ومنهم من أولها غير الصفات السبع وهم الأشاعرة، ومنهم من حملها على ظاهرها في التشبيه، وصرحوا به، وهو قول المجسمة[2]، واختلفت المجسمة فيما بينهم في التجسيم، وهل للبارئ تعالى قدر من الأقدار وفي مقداره، على ست عشرة مقالة[3]، كما ذهبت المجسمة إلى أن الله تعالى يرى في الدنيا والآخرة[4]، وقد أنكر أهل السنة على المجسمة قولهم أن الله سبحانه وتعالى جسم، وقالوا أن ذلك لو جاز عليه لوجب أن يكون ذا حيز وشغل في الوجود[5]، كما أنكروا عليهم خالفوا فيه صريح القرآن والسنة من الاعتقادات.

وأما حكم أهل السنة على المجسمة فقد اختلفوا ما بين مفسق لهم وما بين مكفر، فرأى عبد القاهر البغدادي في كتابه "الفرق بين الفرق" أن "الصحيح عندنا أن أمة الإسلام تجمع المقرين بحدوث العالم وتوحيد صانعه وقدمه وصفاته وعدله وحكمته ونفى التشبيه عنه، وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته إلى الكافة وبتأييد شريعته، وبأن كل ما جاء به حق، وبأن القرآن منبع أحكام الشريعة، وأن الكعبة هي القبلة التي تجب الصلاة إليها، فكل من أقر بذلك كله ولمشبّه ببدعة تؤدى إلى الكفر فهو السني الموحد، وأن ضم إلى الأقوال بما ذكرناه بدعة شنعاء نظر، ....." إلى أن يقول" وإن كانت بدعته من جنس بدع المعتزلة أو الخوارج ..... أو المجسمة فهو من الأمة في بعض الأحكام"[6]، كما يقول في موضع آخر عن حكمه على المجسمة، "وليست الباطنية من فرق ملة الإسلام بل هي من فرق المجوس ....خلاف الكرامية المجسمة"[7].

---

[1] المجسمة هم القائلون بأن الله جسم من الأجسام، وشبهوه سبحانه بالمخلوقات، وهو مذهب فرق من الشيعة الغلاة، وبعض من يغالون في ذم أهل الحديث يصفونهم بهذا الوصف. انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري، ج1، ص102 – 105

[2] الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، أبو الربيع نجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي، ت سالم بن محمد القرني، (مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط 01، 1419هـ)، ج1، ص 130.

[3] مقالات الإسلاميين للأشعري، ج 01، ص 165.

[4] الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري، (مكتبة الخانجي، القاهرة، د ط، د ت)، ج3، ص 2.

[5] تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، ص220

[6] الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر البغدادي، ص 11.

[7] نفس المرجع، ص 16

غير أن الكثير من علماء السنة رأوا بكفر المجسمة، لأن "مخالفة السنة والجماعة قد تكون مخالفةً كبيرةً جداً توصِلُ صاحبها إلى الكفر والعياذ بالله كحال الجهمية ومن نحا نحوهم، والمشبهة المجسمة[1]؛ ومن كفّر المجسمة إنما كفرهم لما يؤول إليه قولهم ومعتقدهم في قولهم أن ما لم يتحيز ولم تكن له جهة فهو معدوم، وبهذا يكون من يثبت عكس قولهم فهو ينفي وجوده سبحانه وتعالى، قال الإمام الرازي:"والأقرب أن المجسمة كفار لأنهم اعتقدوا أن كل ما لا يكون متحيزا ولا في جهة فليس بموجود[2].

أما الشيخ باي وفي تكفيره للمجسمة فقد فصّل في ذلك وفّرق بين من يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى جسماً ولكن لا كالأجسام، وبين من يعتقدون أنه جسماً كأجسامنا، فقال في شرحه لقول صاحب أسهل المسالك:

..... أو جسما

"كما يحكم بالكفر على المجسمين الذين يعتقدون أن الله جسم كالأجسام، أما الذين يعتقدون أن الله جسم لا كالأجسام فإنه يحكم عليهم بالفسق دون الكفر [3].

ومرد حكم الشيخ باي في أن من اعتبر أن الله سبحانه وتعالى جسماً ولكن ليس كالأجسام بأنه يحكم عليه بالفسق دون الكفر، هو اعتبار وتفسير قولهم:" هو جسم، أي: موجود، وقوم آخرون منهم قالوا: هو جسم، أي : قائم بنفسه، فلا نزاع معهم على التفسيرين إلا في التسمية؛ أي : إطلاق لفظ الجسم عليه سبحانه وتعالى، ومأخذها التوقيف ولا توقيف هنا[4]، أي أن أصحاب هذا القول لم يتوقفوا في تسميته سبحانه وتعالى بالجسم ولم يلتزموا بما ورد في القرآن والسنة في وصفه سبحانه وتعالى وتسميته بما سمى به نفسه ووصفها بها، وبما سماه به نبيه صلى الله عليه وسلم ووصفه به من الصفات، ولذلك حكم عليهم بالفسق دون الكفر.

كما أن مرد حكم الشيخ باي في اعتبار أن من قال بأن الله سبحانه وتعالى جسم كالأجسام بأنه يحكم عليه بالكفر، هو تفسيرهم واعتبارهم للجسم المطلق عليه سبحانه وتعالى بأنه جسم حقيقة، فقيل مركب من لحم ودم، ...قاتلهم الله أنى يوفكون[5]، ولا شك أن هذا الاعتقاد نقض للتوحيد الذي من ضمنه توحيد الأسماء والصفات المبني على "تنزيه الله جل وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين"[6]، فكيف يكون كله سبحانه وتعالى شبيهاً

---

[1] شرح الطحاوية، أبي العز الحنفي، ص 754.

[2] معالم أصول الدين ، محمد بن عمر الرازي، ص 138.

[3] زاد السالك، محمد باي، ص 24-25

[4] جلاء العينين بمحاكمة الأحمدين، خير الدين نعمان بن محمود الآلوسي، ص 333

[5] نفس المرجع السابق والصفحة

[6] الأسماء والصفات نقلاً وعقلاً ، محمد الأمين الشنقيطي، (الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية، ط 05، 1973م)، ص 09.

بالمخلوق تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ولذلك حكم أهل السنة على القائلين بهذا القول بالكفر وقد وافقهم الشيخ باي على ذلك وذهب إلى ما ذهبوا إليه في الحكم عليهم.

المبحث الثالث: مسألة التبديع عند الشيخ باي بلعالم.

وقبل أن نتطرق إلى نظرة الشيخ باي لمسألة التبديع ومقارنتها برأي العلماء الموافقين لرأيه والمخالفين له، نود أن نعرّف البدعة لغة واصطلاحاً، كما جاء في كتب اللغة وكما جاء في كتب العقيدة والفقه وغيرها من الكتب التي تناولت هذا الموضوع وهذه المسألة، ونبدأ بتعريف البدعة

المطلب الأول: البدعة لغة وشرعاً

البدعة لغة: جاء في اللغة أن الباء والدال والعين أصلان: أحدهما ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال، والآخر الانقطاع والكلال[1]، يقال بدعت الشيء إذا أنشأته. والله عز وجل بديع السموات والأرض أي منشئها؛ وبدعت الركية إذا استنبطتها. وركي بديع: حديث الحفر، وتقول العرب: لست ببدع في كذا وكذا أي لست بأول من أصابه هذا وهو من قوله عز وجل: ﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾[2]،وكل من أحدث شيئا فقد ابتدعه والاسم البدعة والجمع البدع[3]، وأَبْدَعت هِيَ: كَلَّت أَوْ عَطِبَت[4]، وأبدعت الراحلة أو أبدعت به: بركت في الطريق من هزال أو داء[5]، ويقال: سقاء بديع أي جديد[6]، وسميت البدعة لأن قائلها أبتدعها من غير مقال إمام[7]، كم يقال أبدعت الشيء: اخترعته لاعَلى مثالٍ[8].

البدعة اصطلاحاً:

ذهب الشاطبي إلى تعريف البدعة في الاصطلاح إلى أنها ليست على اعتبار واحد بل إنها على اعتبارين؛ على اعتبار أن العادات ليست داخلة في معنى البدعة وأنها تخص العبادات فقط، والاعتبار الثاني على أنها تشمل العادات والعبادات على حد سواء، فتعّرف على أنها "طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه، وهذا على رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة وإنما يخصها بالعبادات؛ وأما على رأي من أدخل الأعمال العادية في معنى البدعة فيقول: البدعة طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية"[9].

---

[1] مقاييس اللغة، لابن فارس، ج 1، ص 209

[2] الأحقاف 09

[3] جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، ج1، ص298

[4] لسان العرب، لابن منظور، ج 8، ص 7

[5] تاج العروس، الزبيدي، ج20، ص 311

[6] تهذيب اللغة، الهروي، ج 2، ص 142

[7] مجمل اللغة لابن فارس، ص 118

[8] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الفارابي، ج 3، ص 1183

[9] الاعتصام، إبراهيم بن موسى الشاطبي، ت محمد بن عبد الرحمن الشقير، (دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، ط 01، 1429هـ، 2008م)، ج1، ص 47.

ثم إن الإمام الشاطبي رحمه بيّن وعلى حسب التعريف الأول، أن الشيء الجديد في الدين بدوره ينقسم إلى ما له أصل وما ليس له أصل، فما كان من "سائر العلوم الخادمة للشريعة، فإنها وإن لم توجد في الزمان الأول، فأصولها موجودة في الشرع"، إلى أن يقول" فعلى القول بإثباتها أصلا شرعيا لا إشكال في أن كل علم خادم للشريعة داخل تحت أدلته التي ليست بمأخوذة من جزء واحد، فليست ببدعة ألبتة"[1]، وهذا الرأي لا أحد ينكره أو يخطأه من جهة أنها مطلوبة ومرغوبة من الشرع ومأذون للناس بالاجتهاد فيها، وإن اختلفوا في تسميتها، إلا أنهم متفقون على مشروعيتها، ولا ينكر ذلك أو يخطأه إلا جاهل بالدين؛ وهاته التي لها أصل في الشرع يسميها البعض الآخر بدعة محمودة، لأنها وافقت الشرع، "فما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا، فهي محدثة غير مذمومة"[2]

وأما ما ابتدع في الدين ولم يكن له أصل كسابقه، فعدّ البعض ذلك بدعة منهي عنها، لأن صاحبها يضاد بها السنة حتى "يكون ملبساً بها على الغير أو تكون هي مما تلتبس عليه"[3]، إلى أن يقول: "وقد تبين بهذا القيد أن البدع لا تدخل في العادات، فكل ما اخترع من الطرق في الدين مما يضاهي المشروع ولم يقصد به التعبد; فقد خرج عن هذه التسمية، كالمغارم الملزمة على الأموال وغيرها على نسبة مخصوصة وقدر مخصوص مما يشبه فرض الزكوات ولم يكن إليها ضرورة، وكذلك اتخاذ المناخل، وغسل اليد بالأشنان، وما أشبه ذلك من الأمور التي لم تكن قبل، فإنها لا تسمى بدعا"[4]، وبهذا يخرج أصحاب هذا التعريف كل العادات من مسمى البدعة، كما يخرجون ما كان له أصل في الشرع؛ ولم يبقى إلا ما كان على وجه العبادات والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى ولم يكن له أصل في الشرع فإن ذلك عندهم هو عين البدعة المنكرة في الدين، والتي جاءت الأحاديث النبوية في التحذير منها ومن التلبس بها.

إلا أن البعض يخالف هذا الاعتبار كذلك ، فيرى أن كل ما جاء وأبدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في العادات فإنه يدخل في معنى البدعة إلا أنه غير منهياً عنه،"بل المنهي عنه بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع أمراً من الشرع مع بقاء علته"[5]

ثم إن الإمام الشاطبي يبيّن معنى التعريف الثاني، وأنه متفق مع التعريف الأول في أن البدعة أمر مخترع في الدين تضاهي الشريعة الإسلامية، إلا أن التعريفان يختلفان فيما بقي من التعريف، فيعدّ أصحاب التعريف الأول أن ذلك كله إنما يقصدبه صاحبه المبالغة في الدين وهو الممنوع كما بيّ نا في شرح التعريف الأول؛ وأما أصحاب التعريف الثاني فيعلّون

---

[1] نفس المرجع، ج1، ص 52.

[2] الحاوي للفتاوي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1424هـ، 2004م)، ج1، ص 225.

[3] الاعتصام، إبراهيم بن موسى الشاطبي، ج1، ص 53.

[4] الاعتصام، إبراهيم بن موسى الشاطبي، ج1، ص 56.

[5] إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ج 2، ص 3.

ذلك الأمر المخترع إنما يقصد به ما يقصد بالشرع من التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وهم يدخلون في ذلك العادات والعبادات على حد سواء، و"الشريعة إنما جاءت لمصالح العباد في عاجلتهم وآجلتهم; لتأتيهم في الدارين على أكمل وجوهها، فهو الذي يقصده المبتدع ببدعته"[1].

ووجه الاختلاف بيّن التعريفين هو حمل كل واحد منهم لما تؤول إليه تلك المشابهة وهي المقصودة في قولهم تضاهي[2]، والقصد من وراء استحداث البدع، فمنهم من حملها على المضادة وهم أصحاب التعريف الأول وبذلك تكون المضاهاة وهي المشاكلة والمشابهة للسنة أو الشرع في حد ذاتها محرمة ومنهي عنها، ومنهم من حمل المشاكلة والمشابهة للأمور الشرع على الزيادة في الخير وبلوغ أسمى المراتب والتمتع وإن كان ذلك في العادات، وهم أصحاب التعريف الثاني.

ومن كل هذا يحصل لنا ثلاثة تعاريف للبدعة:

أولاً: منهم من يجعلها عامة تشمل ما كان له أصل في الدين وما لم يكن له أصل في الدين، فهو يعتبر بدعة عندهم، إلا أن الذي له أصل في الدين فهو بدعة محمودة، وما كان غير ذلك فهو بدعة مذمومة، وما كان في العادات فهو ليس عندهم من البدعة وإنما هي تقصر على ما كان في الدين.

ثانياً: منهم من يجعلها عامة في الدين وغيره من العادات، فهي تتنوع إلى دينية وعادتية، وكل واحدة منهما منها ما هو مقبول ومحمود، ومنها ما هو مردود ومذموم.

ثالثاً: ومنهم من يعتبر البدعة خاصة بما احدث في الدين ولم يكن له أصل فيه، وبهذا يكون مسمى البدعة عندهم كله مذموم، وأما ما جاء من العلوم على سبيل خدمة الدين، فهو عندهم من الدين وداخل فيه.

المطلب الثاني: أقسام البدعة

في معرض شرح الشيخ باي لأبيات صفات المؤمن من نظمه المسمى"فتح الرحيم المالك في مذهب الإمام مالك" والذي شرحه في كتابه "الأدلة الأصلية والفرعية الموضحة للسالك على فتح الرحيم المالك في مذهب الإمام مالك"، يبيّن البدعة وأقسامها وحكم كل واحدة منها، يقول في شرحه لقوله: "والترك للبدع والقول السخيف": قال في الرسالة " وترك

[1] الاعتصام، إبراهيم بن موسى الشاطبي، ج1، ص 56..

[2] ضاهأت الرجل وضاهيته أي شابهته، يهمز ولا يهمز وقرىء بهما قوله عز وجل "يضاهئون قول الذين كفروا".التوبة، الآية 30. لسان العرب، لابن منظور ، ج1، ص 112. تاج العروس، محمد الزبيدي، ج1، ص 322.

كل ما أحدثه المحدثون "[1] وفي الحديث:﴿**وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**﴾[2] وقد ذهب بعض العلماء[3] إلى أن البدعة تعتريها الأحكام الخمسة:

الأول: بدعة واجبة إجماعاً: وهي ما تناولته قواعد الوجوب وأدلته من الشرع، كتدوين القرآن والشرائع إذا خيف عليها الضياع فإن تبليغها لمن بعدنا واجب إجماعاً وإهماله حراماً إجماعا[4].

وهاته البدعة التي ذهب الشيخ باي إلى أنها واجبة لا يختلف في مشروعيتها بين الأمة، ولكن الاختلاف يقع في تسميتها بالبدعة من عدمه، كما ذكرنا في بسطنا لتعريف البدعة.

ويرى الإمام النووي أن من البدع الواجبة الاشتغال بعلم النحو الذي يفهم به كلام الله تعالى وكلام رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وذلك واجب؛ لأن حفظ الشريعة واجب، ولا يتأتى حفظها إلا بذلك وما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب، الثاني حفظ غريب الكتاب والسنة في اللغة، الثالث تدوين أصول الدين وأصول الفقه، الرابع الكلام في الجرح والتعديل، وتمييز الصحيح من السقيم، وقد دلت قواعد الشريعة على أن حفظ الشريعة فرض كفاية فيما زاد على المتعين ولا يتأتى ذلك إلا بما ذكرناه[5]، كما يرى أن من الواجبة نظم أدلة المتكلمين للرد على الملاحدة والمبتدعين وشبه ذلك[6]

الثاني:بدعة محرمة إجماعاً: وهي كل ما تناولته أدلة التحريم وقواعده كالمكوس[7] وتقديم الجهلاء على العلماء وتولية المناصب الشرعية لمن لا يصلح لها[8]

---

[1] متن الرسالة، لابن أبي زيد القيرواني، (المكتبة الثقافية، بيروت، د ط، د ت)، ص 12

[2] كتاب" صلاة العيدين"، كيفية الخطبة، رقم 1799، السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ت حسن عبد المنعم شلبي، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 01، 1421هـ، 2001م)، ج 02، ص 308.

[3] ويقصد الشيخ باي الإمام النووي، والذي يرى أن البدعة في الدين تعتريها الأحكام الخمسة، فمنها الواجبة والمندوبة والمحرمة والمكروهة والمباحة. أنظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين بن شرف النووي، ج 06، ص 154.

[4] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج2، ص 1286. تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي، (دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، د ت)، ج 3، ص 22.

[5] نفس المرجع الثاني، ج 3، ص 22.

[6] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين بن شرف النووي، ج 06، ص 154.

[7] المكس في البيع استنقاص الثمن من باب ضرب ، والمكس أيضا الجباية وهو فعل المكاس، المكاس العشار ومنه :"لا يدخل صاحب مكس الجنة" ، والمكس واحد المكوس، و هو ما يأخذه تسمية بالمصدر. أنظر : المغرب في ترتيب المعرب ، أبو الفتح ناصر بن عبد السيد برهان الدين الخوارزمي، (دار الكتاب العربي، بيروت، د ط، د ت)، ص 444. وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم ﴿...**مهلا يا خالد، فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له**..﴾ صحيح مسلم، كتاب"الحدود"، باب" من اعترف على نفسه بالزنى"، رقم 1695، ج3، ص 1323.

[8] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج02، ص 1286.

وهاته البدعة هي من جنس المعاصي، وهو كل فعل من جهة المعصية لله سبحانه وتعالى، وخالف السنة والهدي النبوي فهو داخل في البدعة المحرمة، وتسميتها بالبدعة هو من باب مقابلتها بالسنة والتي تأتي هنا بمعنى الطاعة، كما يعتبر الشيخ باي العوائد السيئة في المجتمعات المسلمة من البدع المحرمة، والتي تجب محاربتها وتبيين ضلالها للناس وأنها ليست من الدين بل هي دخيلة عليه، ويرجع الشيخ رحمه الله هاته البدع والعوائد الغير الحسنة إلى صنفين من الناس، فالصنف الأول هم أعداء الإسلام والمسلمين الذين دسوا هاته السموم في المجتمع المسلم، ومن هؤلاء الأعداء الاستعمار الفرنسي، والصنف الثاني هم المسلمون الجاهلون بالإسلام وبتعاليمه من السكان القدامى بالمنطقة، لأن غالب أسماء هاته العوائد السلبية غير عربية[1].

يقول الشيخ احمد بن مالك عن هاته البدع وتأثيرها على المجتمع المسلم، وكيفية محاربة الشيخ باي لهاته البدع، وطريقة تخليص المجتمع منها، يقول:" لقد واجه شيخنا رحمه الله مجتمعاً كان يعيش في فراغ حيث صيرته البدع والخرافات كليلاً بهيماً....فما كان من الشيخ إلا أن أشهر سلاحه الدعوي في وجهها فحاربه بالحكمة والموعظة الحسنة إلى أن أستأصلها من جذورها وأقبرها مكان ولادتها"[2]

ويرى الإمام النووي أن من البدع المحرمة مذاهب القدرية والجبرية والمرجئة والمجسمة، وأن الرد على هؤلاء من البدع الواجبة[3]، وهذه البدع كلها داخلة في المعصية التي ذكرنا، إلا أن الشيخ باي ذهب إلى المعاصي من جانب المسؤوليات والعوائد المجتمعية والتي قد تمس الجانب العقدي من الدين، والإمام النووي ذهب إليها من الجانب العقدي فقط.

الثالث:بدعة مندوبة : كصلاة التراويح وإقامة[4] صور[5] الأئمة والقضاة وولاة الأمور على خلاف ما كانت عليه الصحابة فإن التعظيم الأول كان بالدين، فلما اختل النظام وصار الناس لا يعظمون إلا الصور، كان مندوباً بحفظها لظلم الخلق[6].

---

[1] إرشاد الحائر ، محمد باي ، ص52

[2] محاضرة " الخطاب المسجدي والتحديات المعاصرة"، أحمد بن مالك، ص 02

[3] تهذيب الأسماء واللغات، ابو زكريا محيي الدين بن شرف النووي، ج 3، ص 22.

[4] والمقصودة بإقامة صور الأئمة والقضاة وولاة الأمور أي تنصيبهم ، جاء في اللغة : نصب الشيء: أقامه. أنظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ص 311.

[5] الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته. أنظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير، ج 3، ص 58. والصورة، بالضم: الشكل والهيئة. أنظر: تاج العروس، محمود الزبيدي، ج 12، ص 357. من تكون له صورة من يشغل مركزاً رفيعا. أنظر: تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دوزي، نقله إلى العربية محمد سليم النعيمي، (وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط 01، 1979هـ –2000م)، ج 6، ص 481. وهنا جاءت صور الأئمة ...، أي هيئاتهم، والصور ة بمعنى الهيئة كما في اللغة، أي إقامة هيئاتهم.

[6] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج02، ص1286.

ويقصد الشيخ باي أن من البدع المندوبة تنصيب هيئة الأئمة وولاة الأمور والقضاة والذين بهم تحفظ الحقوق وترد المظالم ويحكم بين الناس بالعدل، فرغم أن ذلك لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة الكرام رضوان الله عليهم حيث كان الناس يأتمرون بالقرآن والسنة وينتهون بنهيهم، إلا أن من جاء بعدهم أُحدث فيهم من الشر الذي لم يزجرهم عنه إلا ما كان مما ذكر من تنصيب القضاة وولاة الأمور والأئمة ولذلك كان كل ذلك من البدع المندوبة.

ولعل من البدع المندوبة التي يراها الشيخ، هي قراءة القرآن جماعة، لما في ذلك من الخير الكثير من حفظ الناس للقرآن وتثبيتهم لحفظهم بتلك الطريقة، ويعتبر ذالك داخل في معنى حديث الترغيب على الاجتماع على الذكر، فقال " كان لهذا العمل المبرور نتائجه الايجابية وآثاره الطيبة، حيث أن الكثير من الأميين قد حفظوا القرآن عن ظهر قلب حفظاً متقناً بفضل مواظبتهم على حضور الحزب، كما أن الكثير من حفظة القرآن الذي اعتراهم نسيانه من جراء شواغل قطعتهم عن استذكار القرآن لما رجعوا إلى قراءة الحزب اليومي أجادوا الحفظ وأتقنوه، وقد بارك هذه السنة الحميدة المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث قال:﴿**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**﴾[1]"[2]

ومن البدع المندوبة التي ذكرها الإمام النووي، إحداث الربط والمدارس، وكل إحسان لم يعهد في العصر الأول، ومنها التراويح، والكلام في دقائق التصوف، وفي الجدل، ومنها جمع المحافل للاستدلال إن قصد بذلك وجه الله تعالى[3]

وجامع هاته البدع المندوبة أنها تسهل على الناس إتيان الخير لهم، ودفع الشر عنهم، وكل ذلك مزيداً لهم في التقرب إلى الله سبحانه وتعالى والتعاون على الطاعة والبر والتقوى، ودفع المظالم والإثم والعدوان عنهم.

الرابع: بدعة مكروهة: وهي ما تناولته قواعد الكراهة كتخصيص الأيام الفاضلة بنوع من العبادات، ومنه الزيادة على القرب المندوبة كالصاع في صدقة الفطر، وكالتسبيح ثلاثة وثلاثين والتحميد والتكبير والتهليل، فيفعل أكثر مما حده الشارع فهو مكروه حيث أتى به لا لشك، لما فيه من الاستظهار على الشارع، فإن العظماء إذا حددت شيئاً تعد الزيادة عليه قلة أدب ، ومن البدع المكروهة أذان جماعة بصوت واحد[4]

وهاته البدع المكروهة إنما كرهت لما فيها من الزيادة في أصل العبادة، والتي حدد الشرع مقدارها سواء بالعدد كالتسبيح، أو المقدار كالصاع في صدقة الفطر، وغيرها من الزيادات في أصل الشيء المحدد شرعاً، ولم يكّره الشيخ باي

---

[1] الحديث:﴿**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**﴾، سنن أبي داود، ابو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني، ج 2، ص 71.

[2] إرشاد الحائر، محمد باي، ص 65

[3] تهذيب الأسماء واللغات، النووي، ج3، ص 22

[4] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج02، ص 1286.

الزيادة المطلقة في العبادة بقصد التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، فإن ذلك عنده من البدع المندوبة كما مر معنا، وهذه عند البعض كما سبق ذكره محرمة ومذمومة لما فيها من المبالغة في التعبد بغير ما شرع الله سبحانه وتعالى، وبغير ما جاء به نبيه صلى الله عليه وسلم، ولا فعله الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم والقرون المشهود لها بالخيرية.

ويرى الإمام النووي أن زخرفة المساجد، وتزويق المصاحف[1]، من البدع المكروهة، وكانت كذلك لأنها تشغل صُحابها عن العبادة، وخاصةً زخرفة المساجد، فإنها تشغل عُمَّارها عن العبادة وبالخصوص الصلاة، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن زخرفة المساجد وجعل ذلك من علامات الساعة، فعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿ **من أشراط الساعة، أن يتباهى الناس في المساجد** ﴾[2]، و ذهب بعض العلماء أن الحديث استنبط منه كراهية زخرفة المساجد لاشتغال قلب المصلّي بذلك أو لصرف المال في غير وجهه[3].

الخامس:بدعة مباحة: وهي كل ما تناولته قواعد الإباحة كاتخاذ المناخل لإصلاح الأقوات واللباس الحسن والمسكن الحسن والتوسعة في لذيذ المأكول والمشروب، ومن البدع المباحة اتخاذ الملاعق[4].

وهاته الأمور قد عدّها الإمام النووي كذلك من البدع المباحة، فعند ذكره لها قال" ومنها التوسع في اللذيذ من المآكل، والمشارب، والملابس، والمساكن"[5]، إلا أن البعض لا يعدها بدعاً ولا يطلق عليها اسم البدعة، ولكّن من أعدها من البدع فهو للاعتبار اللغوي لمعنى البدعة وهو كل ما استجد ولم يكن له مثال سابق.

ثم أن الذين قسموا البدعة إلى أقسام، يختلفون فيما بينهم في بعض الاعتبارات، فيعتبر البعضُ أموراً وتصرفات، هي بدعة داخلة في المكروه، في حين يراها آخرون أنها من السنن المفعولة في عهده صلى الله عليه وسلم وفي عهد الصحابة والتابعين، وهذا "كلبس الطيالسة، وتوسيع الأكمام... فيجعله بعض العلماء من البدع المكروهة، ويجعله آخرون من السنن المفعولة في عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فما بعده"[6]، وغيرها من الأمور المختلف في الأخذ بها أو تركها وكراهتها.

---

[1] تهذيب الأسماء واللغات، النووي، ج3، ص 22

[2] كتاب" المساجد"، باب" المباهاة بالمساجد"، رقم 689. أنظر: المجتبى من السنن، السنن الصغرى، أبو عبد الرحمان احمد بن شعيب النسائي، ت عبد الفتاح أبو غدة، (مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط 02، 140هـ، 1986م)، ج 2، ص 32.

[3] إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني، (المطبعة الكبرى الأميرية ، مصر، ط 07، 1323هـ)، ج 1، ص 440.

[4] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج02، ص1286.

[5] تهذيب الأسماء واللغات، النووي، ج3، ص 22

[6] نفس المرجع، ج3، ص 23

ولأجل ذلك الاختلاف الحاصل في اعتبار البدعة، نجد أن الشيخ باي وبعد عرضه لأقسام البدع، ذكر الخلاصة والنتيجة من ذلك كله، والضابط فيما يجوز من البدع المحدثة بعده صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز، وأن مرّد ذلك كله إلى القواعد الشرعية، فقال" والضابط لما يجوز وما لا يجوز مما لم يكن في زمنه صلى الله عليه وسلم، عرضه على قواعد الشرع، فأي القواعد اقتضه أُلْحِقَ بها"[1] .

وهذا الضابط في الأخذ بالبدعة أو تركها، أو حتى نوع تصنيفها، قد بيّنه الإمام النووي رحمه الله، وجعله قاعدة في الفصل بين البدع فقال:"والطريق في ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة، فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة، أو في قواعد التحريم فمحرمة، أو الندب فمندوبة، أو المكروه فمكروهة، أو المباح فمباحة[2].

كما أن هذا التصنيف للبدعة والتفصيل بينها، اعتبره الشيخباي دليلاً مفسراً لمعنى البدعة المذمومة شرعاً، والتي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أنها ضلال، وأنها تؤدي بصاحبها إلى النار، وذلك بحملها على البدعة المحرمة شرعاً، فقال:" فعلم من هذا التقسيم أن قوله صلى الله عليه وسلم " وكل بدعة ضلالة " محمول على البدعة المحرمة[3].

ويوضح الإمام النووي هذه المسألة أكثر، وأن المقصود من قوله صلى الله عليه وسلم ﴿**كل بدعة**﴾ هو غالب البدع وليس كلها، فيقول:" قوله صلى الله عليه وسلم وكل بدعة ضلالة هذا عام مخصوص والمراد غالب البدع"[4]، ويستدل الإمام النووي على ذلك بمجموعة من الأدلة منها "قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في التراويح نعمت البدعة"، كما يعتبر أن ورود حرف"كل" لا يمنع أن يكون الحديث عاماً مخصوص، لأن "كل" قد ترد في الشرع ولكن لا يراد بها العموم، واستدل على ذلك بشاهد من القرآن فقال"ولا يمنع من كون الحديث عاما مخصوصا قوله كل بدعة مؤكدا بكل، بل يدخله التخصيص مع ذلك، كقوله تعالى:﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [5]،[6]، وإنما عنى بقوله:"تدمر كل شيء بأمر ربها" مما أرسلت بهلاكه، لأنها لم تدمر هوداً ومن كان آمن به[7]؛ فتبيّن بذلك أن المراد بالضلالة هنا ما ليس له أصل في الشرع[8]، وليس كل ما تشمله كلمة بدعة في اللغة.

---

[1] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج2، ص1286.

[2] تهذيب الأسماء واللغات، النووي، ج 3، ص 22.

[3] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج2،ص 1286.

[4] شرح النووي على مسلم، ج6، ص 154

[5] الأحقاف 25

[6] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ج6، ص 155

[7] تفسير الطبري ، ج21، ص 158

[8] دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد البكري الصديقي الشافعي، ت خليل مأمون شيحا، (دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 04، 1425هـ، 2004م)، ج 2، ص 418.

المبحث الرابع: التصوف والوَلاَية عند الشيخ.

تعتبر كل من مسألة التصوف والوَلاية من المسائل التي وقع فيها خلاف كبير بيّن المسلمين، ما بين مجحف في حقهما، وما بين مغال فيهما ، وطرف ثالث حاول جاهداً أن ينصفهما ويزنهما بميزان الشرع، ويعرضهما على الكتاب والسنة، فما وافقهما من مسائل فيهما أخذ بها واعتدها مقبولة وجائزة، وما كان غير ذلك، نبه على مخالفتها وخطرها ودعا إلى الحذر من اعتقادها والقول أو العمل بها، وسنقف مع هاتين المسألتين وكيف نظر الشيخ باي لهما وحديثه عنهما، وكل ذلك مع عرض أقوال العلماء الموافقين أو المعارضين له في الرأي والحكم عليهما.

المطلب الأول: التصوف في نظر الشيخ.

وقبل أن نعرض نظرة الشيخ باي للتصوف وما يرتبط به، نعّرف التصوف لغة واصطلاحاً.

الفرع الأول: التصوف لغة واصطلاحاً:

أولاً: لغة : وقع خلاف كبير بين علماء المسلمين في اعتبار نشأة التصوف ومبدأه، والمادة المشتق منها، وقد دار اشتقاقه عندهم بين قائل أنه من الصفاء، وبين من اعتبره أنه من الصوف، وآخرون ذهبوا إلى أنه الصُفَّة، ورابع الأقوال وآخرها أنه من الصف، وغي ذلك من الأقوال

فأما من قالوا أن التصوف مشتق من الصفاء، فإنهم عنوا بذلك الصفاء النفسي والروحي اللذان يمتاز بها الصوفي، فهو أي "الصوفي من صفا باطنه وظاهره بمتابعة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم"[1].

ولم يسلم هذا التعريف من النقد، لأن " اشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة[2]، ولو كان صحيحاً لكان "حقه أن يقال: صفائية. ولو كان مقصورا لقيل صفوية"[3].

وأما من قالوا أنه من لبس الصوف، فإنهم اعتبروا أن "السلف يسمون أهل الدين والعلم : القراء، فيدخل فيهم العلماء والنساك، ثم حدث بعد ذلك اسم الصوفية الفقراء، واسم الصوفية هو نسبة إلى لباس الصوف"[4].

ولم يسلم هذا التعريف كذلك من النقد، حيث اعترض على ذلك بأن "القوم لم يختصوا بلبس الصوف "[5]، فما الداعي لتخصيصهم بذلك الاسم عن غيرهم.

---

[1] الفتح الرباني، عبد القادر الجيلاني، ص 207 وهذا نقلاً عن كتاب "الشيخ عبد القادر الجيلاني، وآراؤه الاعتقادية والصوفية، سعيد مسفر بن مفرح القحطاني، ص 486.

[2] الرسالة القشيرية، أبي القاسم عبد الكريم القشيري، ت: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، (دار المعارف، القاهرة، د ط د ت)، ج 2، ص 440.

[3] مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج10، ص 369

[4] نفس المرجع، ج11، ص 195

[5] الرسالة القشيرية، عبد الكريم القشيري، ج 2، ص 440.

وقد ذهب البعض إلى أن الصوفية مشتقة من الصُفَّة، وهي المكان الذي كان فقراء المسلمين من المهاجرين يجتمعون فيه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك المكان بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة بأنواره صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء لم يكن لهم بيت ولا أهل، فكان اجتماعهم ونزولهم بالمسجد النبوي، وقد تفرغوا لطلب العلم ومصاحبة النبي صلى الله عليه وسلم وملازمته.

وُرّد هذا الاشتقاق كذلك، وقيل بعدم صحته لأن " النسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي"[1]، وإنما "كان حقه أن يقال: صفية"[2]

ورابع الأقوال وآخرها في ردّ اشتقاق كلمة الصوفية، أنهم قالوا أنها من الصفّ، ويعنوا بذلك الصف الأول في الصلاة، ورغم أن الرأي له نسبة في عملهم، إلا أن البعض رأى أنه لا يصلح من جانب اللغة فقال:" وقول من قال: إنه مشتق من الصف فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله تعالى فالمعنى صحيح، ولكن اللغة لا تقتضى هذه النسبة إلى الصف"[3]، و "كان حقه أن يقال: صفية"[4].

وقد ذكر العلماء أراء غير هاته التي سقناه على اشتقاق كلمة "التصوف"[5]، وإنما اكتفينا بذكر هذه الأقوال ونقدها للاختصار فقط.

و يرى القشيري[6] أنه لا يترجح شيئاً من هاته الأقوال التي سقناها وغيرها التي لم نسقها، وأن كلمة "الصوفية" لقب لمن اتصف بأقوالهم وأفعالهم فيقول: "ليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس والاشتقاق والأظهر فيه أنه كاللقب"[7]

إلا أن ابن خلدون[8] يعارض هذا الرأي، ويرى أن نفي القشيري لقول من قال أن التصوف من لبس الصوف– بحجة أن ذلك غير مختص بهم – غير صحيح؛ وأن غيرهم وإن لبسوا الصوف، ولكنهم لم يختصوا به، كما اختص به الصوفية، وهذا لمذهبهم في الزهد ومفارقتهم للناس والتفرغ للعبادة، فكان ذلك علامة على هذا، فيقول" الأظهر إن قيل

---

[1] نفس المرجع والصفحة

[2] مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج10، ص 369

[3] الرسالة القشيرية، عبد الكريم القشيري، ج2، ص 440

[4] مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج10، ص 369

[5] التعرف لمذهب أهل التصوف، أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي، (مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 02، 1415هـ، 1994م)، ص 05

[6] عبد الكريم بن هوزان القشيري الصوفي، صاحب كتب الرسالة، المصنف في الكلام على الصوفية وأحوالهم وأخلاقهم، ولد سنة 375هـ، وكان عديم النظير في السلوك والتذكير، لطيف العبارة، طيب الأخلاق، ويعتبر من شيوخ التصوف في خرسان، مات سنة 465هـ. سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ص 2326.

[7] الرسالة القشيرية، عبد الكريم القشيري، ج2، ص440

[8] عبد الرحمن بن محمد بن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الاشبيلي الفيلسوف المؤرخ العلم الاجتماعي البحاثة، ولد سنة 732هـ،باشبيلية وكان فصيحاً جميل الصورة عاقلاً ، صادق اللهجة، عزوفاً عن الضيم، طموحاً للمراتب العلية، له عدة مصنفات من أشهرها: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، وهو سبع مجلدات، أولها المقدمة والتي تعتبر من أصول علم الاجتماع، مات 808هـ. أنظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، ج 03، ص 330.

بالاشتقاق أنّه من الصّوف وهم في الغالب مختصّون بلبسه، لما كانوا عليه من مخالفةالنّاس في لبس فاخرالثّياب إلى لبس الصّوف، فلّما اختصّ هؤلاء بمذهب الزّهد والانفراد عن الخلق والإقبال على العبادة، اختصّوا بمآخذ مدركة لهم[1].

التصوف اصطلاحاً:

كثرة التعاريف التي أوردها العلماء في مفهوم التصوف واختلفت عباراتهم بين سهلة مفهومة، وبين أخرى يكتنفها الغموض ويغلب عليها طابع الحكمة ويستعمل فيها السجع، وقد أورد الإمام القشيري الكثير من هاته التعاريف حتى قال عنها "فكل عبر بما وقع له"[2]، أي بما شاهده من أعمال التصوف واستحسنها.

وقد عّرف ابن تيمية التصوف على أنه" نوع من الصديقية، فهو أي الصوفي الصديق الذي اختص بالزهد والعبادة على الوجه الذي اجتهدوا فيه، فكان الصديق من أهل هذه الطريق، كما يقال صديقوا العلماء، وصديقوا الأمراء، فهو أخص من الصديق المطلق، ودون الصديق الكامل الصديقية من الصحابة والتابعين وتابعيهم"[3]

ويعرفه ابن خلدون بأنها " طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدّنيا وزينتها، والزّهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذّة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة"[4].

أما الشيخ باي وعند تعريفه للطريقة الصوفية، ذكر ما يقوم عليه التصوف من عبادات وأخلاق وأعمال دينية توصل صاحبها إلى تعلق روحه بالملأ الأعلى، فتطمئن نفسه لما عند الله وتستحقر ما دونه من أمور الدنيا، وكل ذلك تحقيقاً لمعنى الشهادتين فقال:" الطريقة الصوفية طريقة روحية تتخذ التعبد والتنسك وسيلة لإصلاح النفس والمجتمع، وتقوم بالرياضة لكي تسمو بها النفس إلى درجة الاتصال الروحي إلى الملأ الأعلى، فيصير كل ما عدا الله باطلاً حقيراً في أعينهم، وفي ذلك تحقيق لمعنى لا إله إلا اللهمحمداً رسول الله"[5].

الفرع الثاني: كلام العلماء وحكمهم على التصوف:

إن التصوف ومنذ نشأته، ، وهو ما بين مغال في مدحه وما بين مجحف في حقه، وطرف ثالث نظر إليه كما نظر إلى غيره من الفقه وأصوله وعلوم الحديث، وكل ما استحدث من العلوم لخدمة الشريعة والرقي بالمسلم إلى مراتب الكمال وحفظ هذا الدين من الضياع في الجانب العملي كما يحفظ من الضياع في الجانب العلمي.

---

[1] تاريخ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون ، ت: خليل شحادة، (بيت الأفكار الدولية، لبنان د ط، د ت)، ص 611.

[2] الرسالة القشيرية، عبد الكريم القشيري، ج2، ص 440

[3] مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج 11، ص 17

[4] تاريخ ابن خلدون، ص611.

[5] الرحلة العلية، محمد باي، ج 01، ص 329.

وقد ذهب أصحاب الطرف الأول وهو المغالون في وصف التصوف ومادته ورجالاته إلى حد الكمال الذي لا يعتريه النقص، كما بالغوا في الدعوة إلى الاشتغال به حتى تركوا العلم الشرعي وطلبه من الكتاب والسنة، والذي يُعرف به الحلال من الحرام، ويعبد الله به حق العبادة، "فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات"[1]، ورأوا أن كل ما صدر عن أهل التصوف فهو من عند الله سبحانه وتعالى، وبرضاه ومن هداه، فقالوا أن "كل كلمة خطها الصوفية كانت كالقلب الصوفي خالدة لا تموت، لأنها ارتبطت بالله واستهدفت رضاه، واقتبست من هداه وأشرقت بحبه وأضاءت بنوره"[2]؛ وهذا التعميم فيه إدخال لمن خالف في كلامه الكتاب والسنة والهدي النبوي، ومن ذلك جعل التصوف غاية التكليف وعنوان أداء الأمانة التي أوكلها الله للإنسان، فإن أداها فهو الصوفي، والذي بتخلقه بأسماء الله مع الله ومع عباده يصبح المعصوم الذي لا يخطئ أبدا والمحفوظ من أن يتحرك أو يسكن سدى، ومن ذلك قول ابن عربي[3]" فالموجودات بيد الإنسان أمانة عرضت عليه فحملها، فإن أّداها فهو الصوفي، وإن لم يؤدها فهو الظلوم الجهول، والحكمة تناقض الجهل والظلم، فالتخلق بأخلاق الله هو التصوف، وقد بيّن العلماء التخلق بأسماء الله الحسنى وبيّنوا مواضعها وكيف تنسب إلى الخلق ولا تحصى كثرة، وأحسن ما تصرف فيه مع الله خاصة، فمن تفطن وصرفها مع الله أحاط علماً بتصريفها مع الموجودات فذلك المعصوم الذي لا يخطئ أبداً ، والمحفوظ من أن يتحرك أو يسكن سدى"[4].

وطرف ثاني مقابل للطرف الأول، وهم الذين رأوا أن التصوف في أصله مدعاة لتجاوز أوامر الله سبحانه وتعالى ونواهيه، وتقدم بين يدي الله ورسوله، وإتيان لما حرم الله، وترك لما أباح الله سبحانه وتعالى، كما هو بذلك مدعاة للتطرف الذي نهى عنه الإسلام الذي جاء بالوسطية، حتى عقد من تكلم في ذم التصوف باباً وسماه "باب التطرف من لوازم التصوف"، وتحدث في هذا الباب عن أن التصوف عامة مذموم، لأن من خصائصه ولوازمه مخالف الشرع في معاملة النفس والرفق بها، كما أن أعماله أشياء زائدة على الشرع فقال:" إن التطرف من لوازم التصوف وخصائصه , وأنه أمر زائد على الزهد المشروع المجب إليه , ولا يوجد صوفي لا يبالغ في التجويع والتعري وترك الحلال , ويفرط في التقشف والتعنت وتعذيب النفس وتكليفها ما لا يطاق , وجلب الأذى , والتجاوز في أوامر الله ونواهيه , والتقدم بين يدي الله ورسوله حتى

[1] تلبيس إبليس، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي، (دار القلم للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1403هـ، 1983م)، ص 158.

[2] التعرف لمذهب أهل التصوف، أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي، ص 3

[3] محيي الدين، أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي، ابن العربي، نزيل دمشق، كان ذكيا، كثير العلم، وعلق شيئا كثيرا في تصوف أهل الوحدة. توفي: في ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وست مائة. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 23، ص 48.

[4] الفتوحات المكية، محيي الدين بن عربي، ت أحمد شمس الدين، ج 03، ص 402.

يصل إلى اجتناب ما أمر الله به وتحريم ما أحل الله , وتحليل ما حرم الله وإتيان ما منع الله عنه ورسوله صلاة الله وسلامه عليه [1].

وأصحاب هذا الرأي، إنما ينقمون على أهل التصوف مجاهدتهم لأنفسهم بما يرونه سبباً لها في أن تغلّب الخوف على الرجاء، فتنجو بذلك في دنياها وتفوز في آخرتها، وليس عامة المتصوفة يبالغون في التجويع والتعري وترك الحلال والاتصاف بتلك الصفات التي وصفها بهم، بل عرف منهم من القليل ممن كانوا يحملون أنفسهم على ذلك، وحتى أولئك لم يكونوا ليفعلوا ذلك بقصد جلب الأذى ولا لتجاوز أمر الله ونهيه، والتقدم بين يدي الله ورسوله، وإنما هو للمقصد الذي ذكرناه من مجاهدة النفس وتغليبهم الخوف على الرجاء، ومن المغالطة الكبرى أن يجعل التطرف من لوازم التصوف وخصائصه، لأن بهذا القول يعتبر كل من تصوف فهو متطرف في الدين وخارج عن وسطيته واعتداله، وأن التصوف ليس من الوسطية في شيء، وهو الذي تحدث القرآن في أكثر من ثلثه عن مادته والدعوة إليه، فدعا إلى مجاهدة النفس ومحاسبتها، وعدم الاغترار بالدنيا وزخرفها وبهرجتها، والاشتغال بدل ذلك بالعبادة والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بأنواع الطاعات ومختلف القربات.

وطرف ثالث وهو الذي توسط بين الرأيين في نظرته للتصوف ورجالاته، فلم ينزه عامة ولم ينزه كل من اتصف به وادعاه، ومن جهة أخرى لم يرفضه جملة وتفصيلاً ولم يجعله سبباً للتطرف وتجاوز الشرع، ومن هؤلاء العلماء شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث يتكلم عن التصوف والمتصوفة ويرى أنهم في اجتهاداتهم كالفقهاء في الرأي، فمنهم المخطئ ومنهم المصيب، كما أن في التصوف من التصرفات والأعمال ما هو مذموم وما هو ممدوح، فقال: " والتحقيق فيه أنه مشتمل على الممدوح والمذموم كغيره. من الطريق وأن المذموم منه قد يكون اجتهاديا وقد لا يكون وأنهم في ذلك بمنزلة الفقهاء في " الرأي " فإنه قد ذم الرأي من العلماء والعباد طوائف كثيرة"[2]

وقد انتهج الشيخ باي هذا النهج الوسطي في كلامه عن التصوف والمتصوفة، فيتكلم الشيخ عن التصوف الحقيقي وينقل للشيخ عبد القادر الجيلاني[3] كلاماً في ذلك فيقول:"كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة، طِر إلى الحق بجناحي الكتاب والسنة"[4].

---

[1] دراسات في التصوف، إحسان إلهي ظهير الباكستاني، (دار الإمام المجدد لنشر والتوزيع، القاهرة، ط 01، 1426هـ، 2005م)، ص 20.

[2] مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ، ج10، ص 370

[3] الشيخ عبد القادر أبو محمد بن عبد الله الجيلي، شيخ بغداد.مولده: بجيلان ، في سنة إحدى وسبعين وأربع مائة، وعاش الشيخ عبد القادر تسعين سنة، وانتقل إلى الله في عاشر ربيع الآخر، سنة إحدى وستين وخمس مائة، وشيعه خلق لا يحصون، ودفن بمدرسته – رحمه الله تعالى. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج20، ص 439

[4] الرحلة العلية، محمد باي، ج 01، ص 334

وبنقل هذا القول يريد الشيخ باي أن يربط التصوف بالكتاب والسنة، فما كان منهما فهو على الجادة، وما خالفهما فهو ليس من الإسلام، وإن حاول أصحابه أن يصبغوه بصبغة الإسلام.

كما أنه ومهما بلغ المتصوف من الدرجات والكرامات، إلا أن الكتاب والسنة يبقيان المرجع المحكم له في حكمه على التصرفات والأعمال عند تعارضها، و ينقل الشيخ باي كلاماً للشيخ الشاذلي[1] عن ذلك فيقول:"إن تعارض كشفك مع الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف وقل لنفسك إن الله ضمن لنا العصمة بالكتاب والسنة ولم يضمنها في جانب الكشف و لا الإلهام ولا المشاهدة إلا بعد العرض على الكتاب والسنة"[2]

كما يحذر الشيخ من متابعة من خالف الكتاب والسنة واتبع غيرهما من الهوى بسبب الجهل، وينقل كلاماً عن سهل بن عبد الله التستري[3] فيقول:"احذر صحبة ثلاثة أصاف من الناس: الجبابرة الغافلين، والقراء المداهنين، والمتصوفة الجاهلين"[4].

وبعد حديث الشيخ باي عن التصوف السني وما يكون عليه من إتباع للكتاب والسنة والحذر مما خالفهما، يتكلم الشيخ عن رجالاته وهم المتصوفة وعن أخلاقهم وأعمالهم التي جمعوا فيها بين الدنيا والدين، ووظفوا فيها علمهم الذي تعلموه، فوافق عملهم علمهم، وهم فوق ذلك يرون أنهم يخطئون ويصيبون، فيتقبلون النصيحة ويعملون بها؛ يقول الشيخ عن أصحاب الزوايا الصوفية في الجزائر: "ثم إن هؤلاء الذين تقدم ذكرهم، هم الذين حملوا خلال العصور قديماً أمانة الدعوة إلى الله عز وجل، ورسالة الإسلام الحقة إلى الناس، وهم الذين جمعوا ما بين العبادة والجهاد، ووفقوا بين حقوق الله وحقوق العباد، وهم الذين أعلنوا صوت الحق أمام المستبدين الظالمين، ووقفوا ببسالة فائقة أمام المستعمرين الغاشمين، وهم الذين ربطوا الحق بشريعة الإسلام لا بأشخاصهم الفانية، ينتظرون ما يحكم الشرع لهم أو عليهم، ويقبلون الانتقاد إذا أخطئوا، والمناصحة إذا زلوا، اعتقاداً بأنهم بشر يصيبون ويخطئون، لأن العصمة لا تكون إلا للأنبياء"[5]

وفي تقسيم الشيخ للمسلمين في الجزائر في كتابه" إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فلان في جنوب الجزائر" وضع ثلاثة أقسام لهم، فجعل منهم السنة وقال بأنهم أغلبية المسلمين في الجزائر وهم على المذهب السني، ويتمذهبون بالمذهب

---

[1] علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي، الزاهد نزيل اسكندرية وشيخ الطائفة الشاذلية، وكان كبير المقدار عالي المنزلة عباراته فيها رموز، مات بصحراء عيذاب قاصداً الحج فدفن هناك في ذي القعدة ، سنة ستة وخمسين وستمائة، الطبقات ، الشعراني، ج 02، ص 4

[2] الرحلة العلية، محمد باي، ج 01، ص 335

[3] سهل بن عبد الله التستري، هو صوفي زاهد له كلمات نافعة، ومواعظ حسنة؛ وقدم راسخ في الطريق، من كلامه :أصولنا ستة: التمسك بالقرآن، والاقتداء بالسنة، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق، وقال كذلك: من تكلم فيما لا يعنيه حرم الصدق، ومن اشتغل بالفضول حرم الورع، ومن ظن ظن السوء حرم اليقين، ومن حرم هذه الثلاثة هلك ، توفي في المحرم، سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وقيل عاش ثمانين سنة. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج13، ص330

[4] الرحلة العلية، محمد باي، ج 01، ص 335

[5] نفس المصدر، ج 01، ص 332.

المالكي والذي عليه الإفتاء في الدولة، ثم ذكر الصوفية وجعلهم قسماً آخر، وذكر بأنهم ينتشرون أكثر في المناطق الغربية والداخلية، ومن بين أهم طرقها: الميجانية، والقادرية، والشاذلية، والمهدية، تغلغلت في المجتمع منذ القدم وعادت مؤخراً إلى البروز، وتحظى حالياً برعاية الدولة، ثم جعل ثالث الأصناف الإباضية"، ثم طرح الشيخ تساؤلاً، تحت أي الفئات الثلاثة يصنف الفلانيين؟ وإذا كانوا سنة فما مذهبهم[1].

ونود أن نوضح أن إيراد الشيخ لهذا التقسيم وقوله عن الفلانيين إذا كانوا سنة فما مذهبهم؟، لا يعني إخراج المتصوفةمن أهل السنة، وجعلهم مذهباً مغايراً لهم كالإباضية، بل القصد من وراء ذلك ذكر كل طائفة وما يغلب عليها من الأعمال وما اشتهرت به، والنص السابق خير دليل على رؤية الشيخ باي أن المتصوفة من أهل السنة لا طائفة مغايرة لهم، فهم كما قال "الذين حملوا خلال العصور قديماً أمانة الدعوة إلى الله عز وجل، ورسالة الإسلام الحقة إلى الناس"، ولا شك أن من رسالة الإسلام الحقة، إتباع منهج أهل السنة والدعوة له وعدم مخالفته.

كما أن الشيخ باي وعند ذكره لقسم المتصوفة، ذكر أن هاته الطائفة قد تغلغلت في المجتمع منذ القدم، فهم منها وهي منهم، وليس هناك تضاد بين القسمين، بل غاية ما يكون من الفرق بينهما أن قسم المتصوفة قد تخصص في هاته الطرق المذكورة وتبناها وأصبح من مريديها، فيدرس في مدارسها ويعمل على عاداتها وتقاليدها، والقسم الثاني وهم الذين عناهم بأهل السنة بقوا غير منتسبين لأي طريقة من الطرق المذكورة ولا يتبعون لأي واحدة منها، فلذلك كانوا عامة الناس وغالبيتهم كما قال.

المطلب الثاني: الَولاَية عند الشيخ.

الفرع الأول: تعريف الَولاية والولي في اللغة والاصطلاح:

الولاية لغة: جاء في اللغة أن ولي من الَولاية والتي هي مصلدُر والاة[2]، كما أن الَولاية مصدر الولي، كأنهم يعترفون بالله تعالى أنه الولي[3]، والولي: فعيل بمعنى الفاعل، وهو من توالت طاعته من غير أن يتخللها عصيان، أو بمعنى: المفعول، فهو من يتوالى عليه إحسان الله وأفضاله. والولاية: من الولي، وهو القرب، فهي قرابة حكيمة حاصلة من العتق، أو من الموالاة[4]، وقيل الولاية النصرة. يقال: هم علي ولاية أي مجتمعون في النصرة[5]، قال تعالى :﴿هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّ﴾[6]، بفتح الواو

[1] إرشاد الحائر، محمد باي، ص 16

[2] العين، الخليل الفراهيدي، ج8، ص 365

[3] شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليماني، ج 11، ص 7284.

[4] التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ص 254

[5] لسان العرب، لابن منظور، ج15، ص 407

[6] الكهف 44

من الولاية، يعنون بذلك هنالك والاة لله[1]، وقيل بالفتح النصرة والتولي[2].

وفي الاصطلاح:

لم يبتعد العلماء في تعريفهم الشرعي والاصطلاحي للولي والولاية عن التعريف اللغوي، فهما يدوران حول القرب والنصرة، فالولاية هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، وذلك بتولي الحق إياه حتى يبلّغه غاية القرب والتمكين"[3].

كما أن الولي: من تولى الحق أمره وحفظه من العصيان، ولم يخله ونفسه بالخذلان، حتى يبلغه في الكمال مبلغ الرجال، قال تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾[4]"[5]، وأولياء الله، هم العارفون به حسبما يمكن، المواظبون على الطاعات، والمعرضون عن الانهماك في اللذات والشهوات، المجتنبون للمعاصي[6]

وإلى تولي الله لأمر العبد ذهب الشيخ باي في تعرفه للولي فقال:"الولي: هو من تولى الله أمره، وقيل هو التقي لله "[7]

فحاصل تعريف العلماء للولي والولاية، أنهما من قيام العبد بحق ربه سبحانه وتعالى، وتولي الله لأمر ذلك العبد بالنصرة والتمكين، وهما من النعم التي ينعم الله بها على عبده ثم يجعل أجرها له، فهي منه سبحانه وتعالى وبفضله، ولولاه ما حصل من ذلك شيء، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾[8]، فبين اللّه – تعالى – أنه هو الذي تفضل بتزكية من زكا[9].

الفرع الثاني: الولاية والولي بين المغالاة والإجحاف:

انقسم الناس في مسألة الولاية والولي إلى أقسام، فمنهم المغالي الذي رفعهما فوق مكانتهما الطبيعية وحدود الشرع، فأدخل فيهما ما خالف الكتاب والسنة، ونحى بهما منحى غير الذي جعله الله ورسوله لهما من اقتداءٍ بأعمال أهل الولاية والأولياء ليصل العبد إلى ما وصل إليه أولئك من المعية في الدنيا، والدرجات العلا في الآخرة، بل جعل المغالون الولاية والأولياء مقصداً في حد ذاتها، وسبيلاً إلى التحلل من واجبات الشرع وفرائضه، وإثباتاً للعصمة لمن لم يثبتها الشرع له.

---

[1] تفسير الطبري، ج18، ص 28

[2] تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبي البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي، ت يوسف علي بديوي، (دار الكلم الطيب، بيروت، ط 01، 1419هـ، 1998م)، ج 2، ص 303.

[3] معجم اصطلاحات الصوفية، عبد الرزاق الكاشاني، ت عبد العال شاهين، (دار المنار للطباعة والنشر، القاهرة، ط 01، 1413هـ، 1992م)، ص 79.

[4] معجم اصطلاحات الصوفية، عبد الرزاق الكاشاني، ص 79

[5] الأعراف 196

[6] الإنصاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات والألطاف، محمد بن اسماعيل الصنعاني، ت: عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد، (دار ابن عفان للنشر والتوزيع، السعودية، ط 01، 141هـ، 1997م)، ص 46.

[7] زاد السالك، محمد باي، ص 53

[8] النور 21

[9] تأويلات أهل السنة ، الماتريدي، ج 10، ص 544.

كما أن هناك من الناس من أساء وأجحف في حق الولاية والأولياء، وجعل خطأهم في الاجتهاد وهو أمر واقع لكل أحد من الناس إلا من عصمه الله، والأولياء ليسوا بمعصومين، جعل ذلك مخرجاً لهم من الولاية ومسمى الولي، فيطعن في أرائهم وأشخاصهم، وهو بذلك يرى عدم متابعتهم والاقتداء بهم، كما ينكر ما يحصل لهم من الكرامات من باب أنهم قد خالفوا بعض المسائل الشرعية التي يعتقدها هو.

لقد حاول العلماء ومنهم الشيخ باي جاهدين في إنصاف هاته المسألة وتبيّنها للناس وما وقع فيها من أخطاء وما فيها من صواب، فبيّن شيخ الإسلام ابن تيمية أنه "ليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات فلا يتميزون بلباس دون لباس إذا كان كلاهما مباحاً، ولا بحلق شعر أو تقصيره أو ظفره إذا كان مباحاً... بل يوجدون في جميع أصناف أمة محمد صلى الله عليه وسلم"[1]، وفي هذا ردّ على الذين يتاجرون بالولاية والأولياء، ويجعلونهما مقصداً لجمع الدنيا وتحقيق مآربهم العاجلة، بل إن الولاية والأولياء مكانة من الله سبحانه وتعالى لمن آمن به واتقاه، مهما كانت حرفته ومهما كان عمله ومنصبه، يكون بتحصيله للإيمان والتقوى ولياً لله سبحانه وتعالى، ولا يشترط أن يكون في مكان مخصوص ولا على هيئة مخصوصة، أو يتصرف بأعمال مخصوصة.

كما يبيّن الشيخ باي أن الأولياء ليسوا على درجة واحدة في الولاية والقرب من الله سبحانه وتعالى، وذلك راجع لأعمالهم من إتيان للطاعات واجتناب للمعاصي والتي قد تصدر عنهم، فهم غير معصومين عنها كما يعتقد البعض، يقول الشيخ: "يتفاوتون في درجاتهم بحسب تقواهم وإيمانهم، وقد جاء في الحديث القدسي:﴿**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب..**﴾[2][3]، فالشيخ باي يجمع في قوله هذا بين بيان أنهم غير معصومين، وبين بيان خطر الطعن فيهم ومعاداتهم، فلا هذا ولا ذلك بمقبول، وإنما على العبد أن ينزلهم منزلتهم البشرية التي قد تخطئ وتصيب، وألا يجعل ذلك غرضاً للطعن فيهم والتقليل من شأنهم ومكانتهم عند الله سبحانه وتعالى، لأنما نالوا المكانة بما قدموه من أعمال صالحة عند الله سبحانه وتعالى.

أما من جهة ثبوت الكرامة وحصولها للأولياء، فإن الشيخ باي يرى بوجوب اعتقاد ذلك وإثباته لهم، كيفما كانت تلك الكرامة الحاصلة لأحدهم، وإن استغرب بعض الناس حصولها لهم من جهة كونها خارجة عن قدرة البشر واختصاص الأنبياء والمرسلين بها، كونها معجزة تدل على صدق إدعائهم، إلا أنها قد تحصل للأولياء ككرامة من الله لهم، يقول الشيخ:

---

[1] مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج11، ص 194

[2] صحيح البخاري، كتاب"الرقائق"، باب" التواضع"، رقم 6502، ج 8، ص 105.

[3] زاد السالك، محمد باي، ص 53

"مما يجب اعتقاده ثبوت الكرامة للأولياء،..إلى أن يقول:" وقد ذكر الشيخ السيد مَحمد بن المختار الكنتي[1] في كتابه "الطرائف والتلائد" الكثير من الكرامات مما يستغربه السامع وينكره الغبي الناطع[2].

وهذه الكرامات التي خص الله بها أوليائه فأجراها على أيديهم، تعتبر سبباً رئيسياً في خطأ بعض الناس في مسألة الولاية والأولياء، ورفعهما كما قلنا فوق مكانتهما، واعتقاد الضر والنفع من جهتهما، ولذلك يبيّن الشيخ خطأ بعض عوام المسلمين في اعتقاد أن الولاية تثبت باعتقاد الضر والنفع للشخص فيقول في شرحه لأبيات صفات المؤمن" وأن يطهر اعتقاده من كل شرك وتعظيم لغير الله، ولا يرى لغير لله نفعاً أولا بلا ، أي ضرا ،بل على المسلم أن يعتقد أن النافع والضار هو الله لا غيره من المخلوقات ولو اجتمعوا على أن ينفعوا مخلوقاً لا يستطيعون نفعه إلا ما كتب الله له ولوا اجتمعوا على أن يضروه لم يضروه إلا بشيء كتبه الله عليه"[3].

وبهذا يبيّن الشيخ باي الحد الفاصل بين الفريقين، المغالون والمجحفون، فمن غال في الولاية والأولياء، رأى أن بأيديهم ضر العباد ونفعهم، فارتكبوا بذلك مخالفة الشرع بصرف الدعاء لهم ورجاء النفع ودفع الضر منهم، ومن أجحف في حق الولاية والأولياء أنكر ما أكرمهم الله به من الكرامات، ورأى أن إثبات ذلك لهم مخالف للعقيدة والدين، وأن الأولياء دون ذلك من الإكرام والمعية الإلهية، فانتقصوا من حقهم ولربما نالوا من عرضهم فوقعوا في معاداتهم وذلك هو المحظور لذي حذرنا الله من الوقوع فيه.

ويؤكد الشيخ باي على ذلك الحد الفاصل فيما يجب اعتقاده في الولاية والأولياء، والتصرف الذي ينبغي على العبد أن يتحلى به مع الأولياء، ويضرب لذلك مثال حي قام به هو؛ فخلال كلامه عن رحلته إلى المغرب يقول الشيخ:

---

[1] هو محَمد بن مصطفى بن عمر الكنتي ، وينحدر نسبه من الصحابي الجليل سيدنا عقبة بن نافع الفهري القرشي، فاتح إفريقية والمغرب، كما يعتبر المترجم له الحفيد التاسع لمؤسس الزاوية الكنتية سيد أحمد الكنتي، وقد ولد الشيخ محَمد بن مصطفى خلال 1367هـ- 1948م بزاوية كنتة، نشأ وتربى يتيماً بمسقط رأسه، وفي الخامسة من عمره التحق كعادة أبناء المنطقة بكتاب الحي، فقرأ القرآن على يد كادي الحاج بلعيد سالم، بمسجد سيدي علي بن أحمد، وبعد حفظه للقرآن وبعض المتون التحق بمدرسة الشيخ سيدي أحمد ديدي بتمنطيط، ثم انتقل إلى مدرسة الشيخ مولاي أحمد الطاهري بسالي فدرس بها الفقه والنحو والتوحيد، ثم ارتحل إلى مراكش ليلتحق بشيخه مولاي أحمد الطاهري في رحلة خاطر فيها بنفسه في سبيل العلم والمعرفة ذلك أواخر سنة 1383هـ- 1964م، ثم رجع بعد عام أي أواخر1384هـ- 1965م إلى مسقط رأسه في زيارة خفيفة لم تدم سوى أسبوع، غادر بعدها إلى البقاع المقدسة لأداء مناسك الحج، وبعدها رجع إلى مراكش لإتمام دراسته فلازم شيخه سبع سنوات درس عليه أمهات الكتب في مختلف علوم الشريعة، وقد أجازه شيخه في مختلف تلك العلوم، وبعدا رجع إلى مسقط رأسه سنة 1390هـ-1970م، ليحي الله به الزاوية الكنتية ومرافقها التعليمية، وقد تخرج منها على يديه العديد من حفظة القرآن وحملة الفقه وطلبة العلم، وبقي مدرساً بالزاوية رغم معاناته مع مرض السكري إلى أن وافه الأجل بعد جلطة دماغية وذلك يوم الاثنين 1433/02/27هـ الموافق لـ2012/02/20م، وذلك بمستشفى عين النعجة العسكري بالجزائر العاصمة، وقد دفن بمسقط رأسه بعد الصلاة عليه من طرف جمع غفير من المصلين حضروا من داخل الوطن وخارجه. أنظر: العلم الهادي للتعريف بالشيخ مَحمد مصطفى الكنتي الرقادي، مبارك بن بشير لحسن، (مطبعة مختاري، لخضر ، الجزائر، ط 01، 2015)، ص 10. وانظر: النفحات البهية في أفنان الشجرة الكنتية، عقباوي عزيز بن بوبكر الكنتي، (مطبعة عزي، غرداية، الجزائر، د ط، دت)، ص 82.

[2] زاد السالك، محمد باي، ص 53

[3] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج02، ص 1287

"...وزرنا الرجال السبعة بقصد السلام عليهم والترحم على أرواحهم، والهدف من زيارتهم كغيرهم من الأموات والصالحين والأولياء هو ما حدده الرسول في زيارة الأموات من التذكر بالآخرة وأن نذكر أعمالهم وعبادتهم وطاعتهم لله وأن لهم كرامة لا ينكرها إلا جاهل أو متجاهل،وليس المقصود ما يقصده البسطاء من أن الأموات يعطون وينفعون ويضرون لا لا، فجزى الله عنا الأولياء والصالحين خيراً ورزقنا محبتهم آمين"[1].

فالشيخ باي ومن خلال كلامه السابق أراد أن يبيّن مجموعة من النقاط المهمة في مسألة الأولياء؛ ومن هاته النقاط ما يلي:

01 أن زيارة الأولياء والصالحين في قبورهم، إنما تكون للترحم على أرواحهم

02 أنه على العبد أن يتقيد في زيارته لأولياء والصالحين وجميع الأموات بالضوابط الشرعية مما جاء به القرآن والسنة النبوية

03 أن في زيارة الأولياء والصالحين تذكير للناس بأعمالهم ليحصل الاقتداء بهم

04 كما أن في زيارتهم تذكير للأحياء بالآخرة، وما في ذلك من الاعتبار بالموت الذي هو خير واعظ

05 الترغيب في الطاعات، والتقرب إلى الله ونيل معيته ورضاه، وذلك بذكر ما ناله أولئك الأولياء من الكرامات.

06 ألا يقصد الزائر للأولياء بزيارته تلك دفع ضر بهم أو جلب نفع، مما لا يطلب إلا من الله سبحانه وتعالى.

و المنهي عنه في هذا الباب هو أن يعتقد المرء أن الولي بحد ذاته يملك الضر والنفع، فهو ينفع من شاء ويضر من شاء، وكذلك ما ينهى عنه في هذا الموضع ما يحصل من بعض الناس من كتابة حاجاتهم على ورق ورميها داخل قبور الأولياء والصالحين، ظناً منهم أن يقرءونها ويقضون حوائج أصحابها، وغير ذلك من الاعتقادات والتصرفات التي لم يختلف العلماء في مجانبتها للشرع والعقيدة الصحيحة.

أما ما يكون من توسل بالأولياء إلى الله سبحانه وتعالى والاستشفاع بهم فهو محل خلاف بين العلماء، بين محرم لذلك وبين مجوز؛ والشيخ باي ممن يرى بجواز ذلك وأنه لا بأس به، فيقول الشيخ شارحاً للأبيات الأولى من أسهل المسالك" افتتح الدعاء بالتوسل إلى الله بجاه أحمد وهو سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وهذا مما يدل على جواز التوسل به في حياته وبعد مماته خلافاً لمن أنكر ذلك عفا الله عنهم وتاب عليهم، ثم توسل بآله وفي هذا المقام يراد بهم أقاربه المؤمنون من بني هاشم وبني المطلب"[2].

[1] الرحلة العلية،محمد باي، ج2، ص257

[2] زاد السالك، محمد باي، ص12

فالشيخ باي يرى بجواز التوسل بالأولياء والصالحين، لما لهم من مكانة عند الله سبحانه وتعالى وجاه، ويرى أن من يقول غير ذلك فهو المخطئ في اعتقاده والمجانب للصواب في رأيه، وهذا لا يناقض ما قاله الشيخ باي في عدم جواز اعتقاد الضر والنفع من الأموات، فالتوسل بالأولياء هو توجه إلى الله تعالى، لا توجه إلى الأولياء نفسهم،"لأن الاعتقاد الصحيح هو اعتقاد أن الله هو الخالق للعباد وأفعالهم، لا تأثير لأحد سواه، لا لحي ولا لميت، فهذا الاعتقاد هو التوحيد، بخلاف من اعتقد غير هذا فإنه يقع في الإشراك، وليس في المسلمين إطلاقاً من يتعقد لأحد مع اللهفعلاً أو تركاً أو رزقاً أو إحياء ًأو إماتةً ، وما جاء من الألفاظ الموهمة؛ فإن مقصود أصحابها هو الاستشفاع إلى الله بتلك الوسيلة، فالمقصود هو الله سبحانه وتعالى وليس من المسلمين رجل واحد يتعقد فيمن يطلبه أو يسأله، أنه قادر على الفعل والترك دون التفات إلى الله تعالى من قريب أو بعيد"[1].

[1] مفاهيم يجب أن تصحح، محمد بن علوي المالكي الحسني، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط 02، 1430هـ، 2009م)، ص 188.

الباب الثاني

التوحيد وأنواعه عند الشيخ باي بلعالم

وينقسم إلى فصلين:

الفصل الأول:مدخل إلى التوحيد وقسميه (الربوبية والإلوهية)

الفصل الثاني: توحيد الأسماء والصفات

الفصل الأول:مدخل إلى التوحيد وقسميه (الربوبية والإلوهية)

وفيه مبحثين:

المبحث الأول: مدخل إلى التوحيد وتوحيد الربوبية

المبحث الثاني: توحيد الإلوهية

المبحث الأول: مدخل إلى التوحيد وتوحيد الربوبية

المطلب الأول : مدخل إلى التوحيد

إن غاية ما يرمي إليه المسلم في حياته، و إن أجّل ما يصبوا إليه ذلك الخلاف الذي وقع بين العلماء المسلمين– والذي ذكرناه آنفاً في أول ما يجب على المكلف–هو أن يتحقق التوحيد لرب العالمين سبحانه وتعالى شاملاً كاملاً من كل النواحي والأركان، ولقد سعى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاهد بالقرآن عمره كله وخاصةً الفترة المكية منها مبيناً التوحيد وأهميته، وقد سبقه إلى ذلك الأنبياء والمرسلون فجاهدوا قومهم بتلك الدعوة التي انقسم الناس حيالها إلى مهتد متبع لدعوة الرسل، وضالٍ حقت عليه الضلالة ولعياذ بالله، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[1].

ثم جاءت السنة النبوية على ذلك المنهاج القرآني في الدعوة إلى التوحيد والحرص عليه، بل وجعله من أولى أولويات الدعوة النبوية، فكانت وصيته صلى الله عليه وسلم لسيدنا معاذ رضي الله عنه وأرضاه، وهو يرسله إلى اليمن لتبليغ دعوة الله ورسوله لأهل اليمن بأن قال له صلى الله عليه وسلم: ﴿**فليكن أول ما تدعوهم إليه هو عبادة الله وحده لا شريك له**...﴾[2]، ولقد رتب الله سبحانه وتعالى وجعل الجنة لمن وحده سبحانه لم يشرك به شيئاً، حيث قال صلى الله عليه وسلم:﴿ **فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**﴾ [3]ورتب سبحانه النار وأعدها لمن لم يحقق ذلك، قال سبحانه وتعالى:﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾[4] .

ولقد حرص الصحابة رضي الله عنهم ومن جاء بعدهم من التابعين وتابعيهم ومن العلماء والمصلحين، على تلك الوصية الربانية والنبوية وجعلوها أسمى غايات الإنسان في حياته.

الفرع الأول: التوحيد لغة وشرعاً

أولاً: التوحيد لغة:

أصل التوحيد لغة من الواو والحاء والدال، كما ذهبت إلى ذلك معاجم اللغة العربية، والتي تعني اَلْوَحْدَةُ والإنفراد[5]، بالشيء لواحد دون سواه، سواء في ذاته أو أفعاله أو صفاته، وهذه مجموعة لا ينفرد ولا يختص بها إلا الله سبحانه وتعالى،

---

[1] النحل 36

[2] سبق تخريج الحديث

[3] صحيح البخاري، كتاب "الصلاة"، باب "المساجد في البيوت"، رقم:425، ج01، ص 92،.

[4] المائدة 72

[5] الصحاح تاج اللغة العربية وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ت393 هـ، ت: أحمد عبد الغفور عطار، (دار العلم للملايين– بيروت، ط 04، 1407هـ-1987م)، ج02، ص547.

كما تشمل هاته المادة و، ح، د، المخلوق كذلك فيقال: أوحده الله: جعله واحد زمانه، وفلان أوحد أهل زمانه[1]، سواء كان في علمه أو أخلاقه أو غير ذلك، وهذه الدلالة اللغوية نفسها قد ذكرها ابن منظور[2] في معجمه فقال: اَلْوَحْدَةُ الِانْفِرَادُ يقال رأيته وَحْدَهُ وجلس وحده منفرداً ، فلفظ أحد و واحد متقاربان، وقيل إن أصل أحد وَحَدَ، قلبت الواو همزة ، ومعناه الوتر الذي لا شبيه له ولا نظير ولا صاحبة ولا ولد ولا شريك، وقيل في التفرقة بينهما أن أحداً تأتي لنفي العموم خاصة، وواحد قد تحتمل ذلك وغيره[3]؛ ولذلك نجد أن ابن منظور قدفرّق بين التوحيد للمخلوق والتوحيد للخالق في اللغة، فنقل عن الزهري[4] قوله: وأما اسم الله عز وجل "أحد" فإنه لا يوصف شيء بالأَحدية غيره؛ لا يقال رجل "أحد" ولا درهم "أحد" كما يقال رجل "وَحْدٌ" أي "فرْدٌ" لأن "أحداً "صفة من صفات الله عز وجل التي استخلصها لنفسه ولا يشركه فيها شيء[5]،

فرغم أن التوحيد والإنفراد بالشيء قد يشترك فيه المخلوق، إلا أن الألفاظ التي تطلق على هذا التوحيد تختلف بين الخالق والمخلوق، وهذا الذي ذهب إليه ابن منظور في اعتبار لفظة "أحد" لا تطلق إلا على تفرد الله في أسمائه وأفعاله وصفاته هو عين ما ذهب إليه القرآن الكريم في سورة الإخلاص في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[6] فلفظة "أحد" هنا قد عبرت عن توحيد الله الذي لا يشبهه توحيد، بخلاف لفظة" وحد" التي تعبر عن توحيد شخص فيما انفرد به عن بني جنسه من أسماء وأفعال وصفات.

وهذا الاشتراك في التوحيد بالشيء والانفراد به بين المخلوق والخالق- مع الفرق الذي ذكرناه في الألفاظ- هو الذي ذهب إليه الشيخ باي رحمه الله تعالى في تعريفه للتوحيد لغة فقال: هو"العلم بأن الشيء واحد"[7]؛ وقال رحمه الله في الجواهر الكنزية لنظم ما جمع في العزية[8]: باب تعين على المكلفين معرفة الإله رب العالمين

---

[1] معجم مقاييس اللغة- لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبد السلام محمد هارون، (دار الجيل، بيروت، ط 1420ه)، ج 06، ص 90

[2] محمد بن منظور: هو جمال الدين، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن منظور الانصاري الافريقي، المصري، أديب، لغوي، ناظم، ناثر، مشارك في علوم.ولد في أول المحرم بمصر، وقيل بطرابلس الغرب سنة 630ه- 1232م ، وروى عن ابن الطفيل ويوسف المحيلي، وابن المقير وغيرهم، وخدم في ديوان الانشاء بالقاهرة، ثم ولي القضاء في طرابلس، وعاد إلى مصر، فتوفي بها في شعبان سنة 711 ه - 1311 م، من آثاره الكثيرة: مختار الاغاني في الاخبار والتهاني، لسان العرب، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، نثار الازهار في الليل والنهار، ومختصر مفردات ابن البيطار. معجم المؤلفين، عمر بن رضا كحالة، ج12 ،ص 46

[3] الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، (دار الكتاب العربي، القاهرة، د ط، 1387ه)، مج20، ص244.

[4] الشيخ العالم الثقة العابد, مسند العراق, أبو الفضل, عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد القرشي الزهري العوفي البغدادي، ولد سنة تسعين ومائتين, تفرد في زمانه، مات الزهري في ربيع الأول، وقيل: مات في ربيع الآخر سنة إحدى وثمانين وثلاث مائة. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج12، ص377

[5] لسان العرب، محمد بن مكرم أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، (دار صادر، بيروت، ط 03، 1414ه)، ج 03، ص451

[6] الإخلاص 01

[7] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 162، زاد السالك، محمد باي، ص 08

[8] الجواهر الكنزية لنظم ما جمع في العزية، محمد باي بالعالم، (دار هومه، الجزائر، د ط، 2002)، ص 4.

وأنه الواحد لا شريك له في ملكه ولا نظير شابهه

فعبر رحمه بلفظة "الواحد" وهي التي يشترك فيها توحيد الخالق والمخلوق، ولكن إذا أضيفت لها ما بعدها من ملك وأسماء وأفعال وصفات فإنها لا تصرف مجموعة إلا إلى الله سبحانه وتعالى وهو ما جمُع في صفة" أحد" كما ذكرنا سابقاً.

ثانياً: التوحيد شرعاً: من خلال التعريف اللغوي للتوحيد تتبين ملامح التعريف الشرعي واختصاصه بالله سبحانه وتعالى، وجمعه بين العمل والاعتقاد، عمل بالأبدان واعتقاد بالجنان، فيرى الشيخ رحمه الله أن التوحيد شرعاً "يطلق على إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً وهذا هو المراد[1] ، وخَتْم الشيخ لتعريف التوحيد شرعاً بجملة " وهذا هو المراد" يقصد به: وهذا هو المطلوب من التوحيد أن يجمع بين العلم والعمل، فمتى اختل أحدهما كان التوحيد ناقصاً أو لربما باطلاً؛ وقد جمع الشيخ رحمه الله من خلال هذا التعريف بين توحيد الإلوهية بقوله" إفراد المعبود بالعبادة" وبين توحيد الربوبية بقوله" .مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً".

ولم يكتفي الشيخ رحمه الله تعالى بتعريف التوحيد لغة وشرعاً، بل ذهب رحمه الله تعالى إلى الكلام عن علم التوحيد وهو غير الأول أي التوحيد، لأن الأول أعمال وأقوال قلبية لابد للمسلم أن يمتثلها، أما الثاني فهو مجموعة من التعريفات والقواعد والضوابط التي تتناول هذا الجانب وهو " التوحيد" من حيث مادة بحثه وموضوعه والثمرة منه، وسنتكلم عن "علم التوحيد" في المبحث الموالي.

الفرع الثاني: علم التوحيد

ذهب البعض[2] إلى تعريف التوحيد شرعاً أو اصطلاحا على أنه تعريف لعلم التوحيد والذي كان نتاجاً لتطور الأول وهذا قد ذكرنا سابقاً أنه غير صحيح؛ فالتوحيد هو عمل قلبي، في حين أن الثاني وهو"علم التوحيد" قد عرّفه البعض على أنه "العلم الذي يقتدر به على إثبات العقائد الدينية بالأدلة اليقينية"[3]، وبهذا التعريف يتضح الفرق الجلي بين "التوحيد" كمطلب شرعي يجب تحقيقه على كل مسلم وبين "علم التوحيد" الذي لا يتسنى لكل إنسان وإنما يكتسب بالبحث والتفكير وإعمال العقل في الأدلة اليقينية، ولذلك عرّفه الشيخ باي بلعالم رحمه الله على أنه:" علم يبحث فيه على العقائد الدليلية المكتسبة من الأدلة اليقينية وهذا حدّه"[4] أي تعريفه الجامع لحدود المعرف المانع لغيره من الدخول فيه، ثم فصل

[1] ملتقى الأدلة، محمد باي ج1، ص 162، زاد السالك، محمد باي، ص 08

[2] جلال الدين السيوطي وآراؤه الإعتقادية، عرض ونقد على ضوء عقيد أهل السنة والجماعة، سعيد ابراهيم مرعي خليفة، (جامعة أم القرى، السعودية، د ط، 2000،)، ج1، ص194.

[3] المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، ابراهيم بن محمد البريكان، (دار السنة، السعودية، د ط، د ت)، ص 10.

[4] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 163

الشيخ رحمه الله في هذا الموضوع وبيّن مجال البحث في هذا العلم وما يختص به من الأمور البحثية في العقيدة الإسلامية وذكر أن "موضوعه ذات الله من حيث ما يجب له وما يستحيل عليه وما يجوز، وذات الرسل كذلك"[1].

والهدف والثمرة من هذا الجهد في البحث والتفكير وإعمال العقل هو" معرفة الله سبحانه وتعالى بالأدلة القطعية"[2]ومعرفة رسله، وهذه المعرفة عند تحصيلها في القلب تنعكس على تصرفات الفرد وتزيد من تعلقه بالله سبحانه وتعالى وتعظيم شأنه وإتباع أمره، ولذلك كان هذا العلم من حيث مادة تناوله هو 'أشرف العلوم لكونه متعلقاً بذات الله".[3]

وقد تعددت مسميات هذا العلم على اختلاف المصطلح الذي تسمى به موضوع دراسته، وعلى اختلاف تسميته بين المتقدمين والمتأخرين؛ فنجده "يسمى بعلم الكلام لأن المتقدمين كانوا يقولون في الترجمة عن مباحثه الكلام في كذا أو لكثرة الاختلاف في مسألة الكلام ويسمى علم العقائد وعلم أصول الدين[4]".

ويرى الشيخ أن علم التوحيد "هو أفضل العلوم وهو فرض عين على كل مسلم"[5]، وهذه الرؤية من الشيخ رحمه الله للفرضية العينية لعلم التوحيد على كل مسلم لا شك أن لها تأويلين:

أولهما: أنه يقصد بعلم التوحيد، التوحيد ذاته، وقد ذكرنا سابقاً أن البعض يرى أن التوحيد قد تطور ليصبح هو ذاته علم التوحيد، كما ذكرنا كلام الشيخ رحمه الله في التوحيد وأن الجمع بين الاعتقاد والعمل هو المراد منه .

ثانيهما: أن المخاطبين بالفرضية العينية لتحصيل علم التوحيد هم من اقتدروا على ذلك ومكنوا من أدواته، من علماء ومختصين، لا العوام من الناس، وهذا هو المرجح من التأويلين، ونقول هذا لأننا نجد أن الشيخ باي رحمه وقد سمى علم التوحيد بعلم الكلام، اعتبر الدليل التفصيلي–والذي يتحصل بالعلم– فرض كفاية لا فرض عين، يتأتى لبعض الناس وهم العلماء لا كلهم، حتى يدفعوا عن المسلمين الشبه ويبينوا لهم الحق من الباطل فقال "وأما معرفته بالدليل التفصيلي ففرض كفاية، فيجب على كل قطر يشق الوصول منها إلى غيرها أن يكون فيهم من يعرفه بالدليل التفصيلي، لأنه ربما طرأت شبهة فيدفعها"[6]، ثم يبين الشيخ هذه المسألة –وأن تعلّمها متعلق بالعلماء لا العوام – أكثر فيقول: "وهذا لابد له

[1] نفس المصدر والصفحة

[2] نفس المصدر والصفحة

[3] نفس المصدر،ص 162، زاد السالك، محمد باي، ص 08

[4] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 163

[5] نفس المصدر، ج 01، ص 148

[6] زاد السالك ، محمد باي ، ص 13، السبائك الإبريزية ، محمد باي، ص 12

من علم فيجب على الإنسان أن يتعلم من علم التوحيد ما يصحح به عقيدته"[1]، ولا شك أن من يصحح عقائد الناس هم العلماء وهم المطالبون بتعلم علم التوحيد أو ما يسمى بعلم الكلام.

وقد عرضنا سابقاً إنكار الشيخ على الذين طالبوا العوام بالدليل التفصيلي ورؤيته بكفاية الدليل الإجمالي ووضحنا ذلك سابقاً [2]، وبهذا يسير الشيخ على ما سار عليه أبو حامد الغزالي[3] رحمه الذي يرى" أن العوام المشتغلين بالحرف والصناعات يجب أن يتركوا على سلامة عقائدهم التي اعتقدوها مهما تلقنوا الاعتقاد الحق..فإن تعليمهم الكلام ضرر محض في حقهم"[4]

ثم إن التوحيد يترتب على ثلاثة أجزاء أو أقسام، تشكل مطلب واحداً لا ينفك بعضها عن بعض ولا يستغنى ببعضها عن بعض، ولا يتخلف جزء منها عن بقية الأجزاء إلا اختل ذاك التوحيد بل وحكم ببطلانه وعدم تحقيقه لمراد الله من العباد وحقه سبحانه وتعالى عليهم.

وإننا نجد الشيخ رحمه الله وفي عرضه لهاته الأقسام،- وعلى غير عادة الكثير من علماء العقيدة في تقسيمهم للتوحيد وجعلها ثلاثة أقسام- قد قسم التوحيد على حسب الوظيفة التي يؤديها ذلك القسم، فجعل قسم من التوحيد يختص "بالإثبات والمعرفة"، كما جعل قسم آخر سماه بـ"توحيد الطلب والقصد، و قال أن غالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد[5]

يعني أن الشيخ جعل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات تحت مسمى"توحيد الإثبات والمعرفة" وجعل توحيد الإلوهية تحت مسمى" توحيد الطلب والقصد"؛ وهذا التقسيم هو الذي بنى عليه الشيخ شرحه للتوحيد في بعض كتبه، وسنقف إن شاء الله على الحكمة من دمج الشيخ باي رحمه الله لتوحيد الربوبية مع توحيد الأسماء والصفات فيما يلي من نقاط البحث.

---

[1] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص153.

[2] أنظر مبحث أول واجب على المكلف ورأي الشيخ فيه.

[3] الغزالي أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، صاحب التصانيف، والذكاء المفرط، تفقه ببلده أولا، ثم تحول إلى نيسابور، عرف بالزهد والورع في أخر حياته، توفي يوم الاثنين، رابع عشر جمادى الآخرة، سنة خمس وخمس مائة، وله خمس وخمسون سنة. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج19، ص322

[4] إحياء علوم الدين، أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، ص115.

[5] ملتقى الأدلة، محمد باي ، ج1، ص 163

كما أن الشيخ رحمه الله قد ذهب في بعض الأحيان إلى تقسيم آخر إعتمدناه في بحثنا وهو توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الإلوهية فقال " التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع"[1] ثم ذكرها بشيء من التعريف اللغوي والاصطلاحي، وسنتعرض لهذا التقسيم في بحثنا هذا بشيء من التفصيل.

المطلب الثاني : توحيد الربوبية

الفرع الأول: توحيد الربوبية لغة:

نجد في اللغة العربية اشتراك كبير لمعنى كلمة "رب"فهي تطلق على عدة معاني منها ما يختص بالله سبحانه وتعالى وحده ومنها ما هو مشترك بين الناس، فيقول ابن منظور: الرب يطلق في اللغة على المالك والسيد والمدبر والمربي والقيم والمنعم[2]، والخالق والصاحب[3]، فنقول ربُّ كل شيء : أي مالكه وقيل صاحبه، ويقال فلان ربُّ هذا الشيء، أي ملكه له، وكل من ملك شيئاً فهو ربه، يقال رب الدابة، ورب الدار، وفلان رب البيت، وهن ربات الحجال[4]".

والرب في الأصل التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدنقلهام[5]، فلان ولده يَرُبُّهُ رَبّاً، وَرَبَّبَهُ ، وَتَرَبَّبَهُ ، بمعنًى أيَ رَبَّاهُ [6]، وقد جاء ما يشير إلى هذا في كتاب الأدلة الأصلية والفرعية للشيخ رحمه الله فقال:"ولهذا كانت الربوبية منبئة عن التربية والتبليغ إلى الكمال اللائق شيئاً فشيئاً [7]، وإنه سبحانه وتعالى يربي العباد بما انعم عليهم من إيجاد من العدم وتسويتهم في أحسن صورة ثم إتمام نعمته عليهم بإرسال الرسل وتشريع الشرائع.

وتجدر الإشارة إلى أن كلمة"الرب" اسم من أسماء الله –عز وجل– ولا يقال في غيره إلا بالإضافة[8]، وعلى هذا لا يصلح أن يقال الرب مطلقاً إلا على الله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات، وبالإضافة يقال: رب الدار[9]، غير معرفة بالألف واللام ومضافة لشيء ما، سواء ً كان هذا الشيء مادياً أو معنوياً.

---

[1] نفس المصدر، ص44

[2] لسان العرب ، ابن منظور، ج1، ص399.

[3] مقاييس اللغة، لابن فارس، ج 2، ص 381.

[4] لسان العرب، ابن منظور، مج 02، ص1098.

[5] المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، (دار المعرفة، بيروت، د ط، د ت،)، ص 184.

[6] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، ت: أحمد عبد الغفور عطار، (دار العالم للملايين، بيروت، ط 2، 1402هـ)، ج1، ص 130.

[7] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص151.

[8] الصحاح للجوهري، ج1، ص 130.

[9] المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص 184

الفرع الثاني: توحيد الربوبية شرعاً:

إذا كان توحيد الربوبية في اللغة ورغم ما وقع في مصدر الربوبية من الاشتراك بين الخالق والمخلوق، إلا أن ربوبيته سبحانه مطلقة وربوبية غيره مقيدة بالإضافة، فإن توحيد الربوبية في الشرع أشد إفراد له سبحانه وتعالى واعتقاد جازم بأنه سبحانه الموجد الحقيقي للأشياء والمالك لها حق التملك والمتصرف فيها دون إذن من أحد، " فلا يستقل شيء سواه بإحداث أمر من الأمور بل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن"[1]، وهذا من حيث الإيجاد، فإنه سبحانه الموجد الحقيقي للأشياء من العدم، كما أنه سبحانه وحده المتصرف فيها بالتسيير والتدبير، وهاذين الخاصيتين هما ما يميزان ربوبيته سبحانه فلا يشبهه أحد فيهما " فربنا جل ثناؤه، السيد الذي لا شبه له، ولا مثل في مثل سؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر"[2]، قال سبحانه وتعالى مبيناً ربوبيته على العالمين التي لا أحد من الخلق يشاركه فيها، وأنه سبحانه خالق السماوات والأرض والمتصرف فيها بالتسخير لعباده بما ينفعهم في دينهم ودنياهم، قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[3]

وقد تطرق الشيخ باي إلى تعريف توحيد الربوبية وأنه متميز –أي هذا التعريف– بالإيجاد له وحده سبحانه وتعالى فقال رحمه الله" وهو بيان أن الله وحده خالق كل شيء[4]، وهذا جزء يكتفى به في تعريف ربوبيته سبحانه وتعالى وإن كان البعض يضيف إليه التسيير والتدبير لأمور الخلق وشؤونهم، إلا أن الجزء الثاني متضمن في الجزء الأول، فمادام كل ما دون الله مخلو ق من الله فهو مفتقر لعنايته ورعايته وتسييره، كما أن الشيخ باي رحمه الله عّرف هذا التوحيد الذي سماه أو ضمنه في توحيد الإثبات والمعرفة، وقال أنه " إثبات حقيقة ذات الرب سبحانه وصفاته وأسمائه وأفعاله " ليس كمثله شيء" في ذلك كله كما أخبر عن نفسه وكما أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم" [5]، ويبسط الشيخ باي رحمه الله هذا التعريف بالشرح في موضع آخر فيقول:"فوحدة الذات معناها أن ذاته ليست مركبة من أجزاء وأنه لا شريك له في حكمه، ووحدة الصفات معناها: أنه ليس لأحد صفة تشبه صفة من صفاته، ووحدة الأفعال معناها: انه ليس لأحد غيره تعالى فعل من الأفعال فالله خالق كل شيء ومبدع كل شيء فهو تعالى مستقل بالإيجاد والإبداع"[6].

والناظر للتعريفين يرى فيهما اختلاف في المبنى ولكن معناهما واحد، ويرميان إلى تحقيق هدف واحد وهو تنزيه الله عن الشريك في الخلق المفضي إلى تنزيهه عن الشريك في العبادة.

---

[1] فتاوى ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، (طبعة الرئاسة العامة للحرمين الشريفين، السعودية، د ط، د ت)، ج 10، ص 331.

[2] جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، مج01، ص 142.

[3] الأعراف 53

[4] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 162

[5] نفس المصدر والصفحة

[6] نفس المصدر، ج1، ص79

فالتعريف الأول وهو أن الله وحده خالق كل شيء، يستلزم أن ما دونه مخلوق محدث قد سبقه عدم، وما دام كل ما غير الله قد اتصف بهذه الصفات فإنه لا يستحق الربوبية المطلقة التي تستلزم العبادة الحقة، والتي يرمي إليها توحيد الربوبية، والتعريف الثاني والذي يدور حول إثبات ذات الرب سبحانه وصفاته وأسمائه وأفعاله، وهذا الإثبات إنما يرمي لتوضيح مغايرة كل من: ذاته سبحانه لذوات غيره ومباينتها لهم وصفاته التي تعني الكمال في كل شيء لصفات غيره التي تعني النقص، وأسماءه الحسنى المطلقة والمعرفة لغيرها من الأسماء المقيدةلنكرة، ولأفعاله الحكيمة ابتداءً والتي لا يسأل عنها لأفعال غيره التي تكتسب حكمتها منه سبحانه؛ فكل هذا التغاير يعني شيئاً واحد وهو ألا رب سواه.

وقد استحسن هذا التعريف الذي ذكره الشيخ باي رحمه الله الكثير من علماء العقيدة ، ومنهم ابن القيم[1] رحمه الله وهذا في شرحه لمعنى التوحيد عند الإمام محمد الجنيد والذي جاء فيه أنه " إفراد للقدم من الحدث"[2]، يقول ابن القيم رحمه الله" فتفريد القديم سبحانه عن المحدث في ذاته وصفاته وأفعاله، ... كانت عبارة الجنيد عن التوحيد عبارة سادة مسددة[3]" كما جُمِعَ تعريفي الشيخ باي لتوحيد الربوبية في تعريف واحد لأبي العز الحنفي[4] ففي شرحه للعقيدة الطحاوية، يقول عنه رحمه الله بأنه: " الإقرار بأن الله خالق كل شيء وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال وهذا التوحيد حق لا ريب فيه وهو الغاية عند كثير من أهل النظر والكلام وطائفة من الصوفية"[5]

الفرع الثالث: منهج الشيخ في الاستدلال على توحيد ربوبيته سبحانه وتعالى

وبعد عرض الشيخ رحمه الله لتعريف توحيد الربوبية شرعاً ذهب ليتكلم عن دلائله المتعددة، فمنها ما يتعلق بالله سبحانه وإثبات صفاته ومنها ما يتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم وصدق نبوته ورسالته، وأن هاته الأدلة لا تحتاج إلى بحث كبير وغوص وتعمق في التفكير، وإنما هي ظاهرة وبينة وواضحة، وظهورها نابع من رحمة الله بعباده والتيسير عليهم خاصة فيما هم في أمس الحاجة إليه وإلى معرفته، كيف لا وهو ما يتعلق بربهم وبما يكون الإقرار به خطوة مهمة في سعادتهم في دنياهم ونجاتهم في أخراهم، فيقول رحمه الله عن هاته الأدلة "وإذا كان توحيد الربوبية داخلاً في التوحيد الذي

---

[1] ابن قيم الجوزية: هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين: من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده في دمشق سنة691هـ، 1292م. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شئ من أقواله، ألف تصانيف كثيرة منها: إعلام الموقعين و الطرق الحكمية في السياسة الشرعية وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل وكشف الغطاء عن حكم سماع الغناء وغير ذلك من المؤلفات، توفي بدمشق التي ولد فيها وذلك سنة: 751 هـ ،1350 م. الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي،(دار العلم للملايين، ط 15، 2002م) ، ج6، ص 56

[2] الرسالة القشيرية، عبد الكريم القشيري، ت: معروف مصطفى،(المكتبة العصرية، بيروت، ط 01، 1431هـ)، ص 41

[3] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم الجوزية، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط 03، 141هـ، 16م)، ج3، ص 414.

[4] علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الدمشقي : ولد سنة 731هـ، وكان ذا فقه، شغل منصب قاضي القضاة في دمشق، ثم بالديار المصرية، توفي سنة 792هـ، الأعلام للزركلي، ج 4، ص313.

[5] شرح الطحاوية، ابي العز الحنفي، ت عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 6، 1414هـ)، مج 1، ص28.

جاءت به الرسل ونزلت به الكتب فليعلم أن دلائله متعددة كدلائل إثبات الصانع[1]، ودلائل صدق الرسول[2]، فإن العلم كلما كان الناس إليه أحوج كانت أدلته أظهر رحمة من الله بخلقه[3]"، ولعل الشيخ أراد بقوله دلائل إثبات الصانع الاستدلال بوجهين كليهما يدلان على ربوبيته سبحانه وتعالى، ومنهما: وجود الخالق ذاته سبحانه وأسمائه وصفاته وأفعاله، والتي بإثباتها تُثْبِتُ الخلق له سبحانه وتعالى وحده، كما أراد بقوله دلائل صدق الرسول المعجزة، والتي يؤيد الله بها رسوله ليتحدى بها ويثبت بها صدقه، كما أن قول الشيخ باي "فإن العلم كلما كان الناس إليه أحوج كانت أدلته أظهر رحمة من الله بخلقه" يفُهُم منه أن من الأدلة على توحيد الربوبية دليل الفطرة التي تعني الجبلّة التي جبل اللهُ الناسَ عليها، وهي ظاهرة، وظهورها نابع من رحمة الله بخلقه كما ذكر الشيخ باي، وسنتعرض لهاته الأدلة وكيف اُسْتُدِلَ بها على توحيد ربوبيته سبحانه وتعالى.

أولاً: دليل إثبات الصانع

ذكرنا سابقاً أن دليل إثبات الصانع وهو الله سبحانه وتعالى على ربوبيته يتفرع عنه أمران:

1- دلالة وجود الخالق سبحانه:

رغم أنني لم أقف فيما اطلعت عليه من كتب الشيخ باي على نص صريح يتكلم فيه على إثبات توحيد الربوبية من خلال إثبات وجود الله، إلا أن نصه السالف الذكر والذي عرضناه يفهم منه ذالك صراحةً، كما أنه تعرض في بعض كتبه لإثبات وجود الله وصفاته وأفعاله من النقل والعقل وذلك إما بشكل عام وفي بعض الأحيان بشكل تفصيلي وقد نقلنا ذلك له في سابق بحثنا هذا.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز من الآيات القرءانية ما يبين به فساد وبطلان اعتقاد المنكرين له سبحانه والمشركين به، حيث جمع في آية ما يرد به على الطائفتين المذكورتين، ويدحض شبههم فقال سبحانه: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾[4]، قال ابن كثير رحمه الله في تفسيرها" هذا المقام في إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية[5]"، فمن جهة المنكرين له سبحانه وتعالى أحتج عليهم من وجهين: من وجه أنهم لم يخلقوا من غير شيء، كما أنهم لم يخلقوا أنفسهم، " أي: لا هذا ولا هذا، بل الله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئا مذكورا[6]" فقوله سبحانه: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ أي "من

---

[1] قد سقنا كلام الشيخ باي رحمه الله عن دليل إثبات الصانع وهو نفسه دليل وجود الله في معرض حديثنا عن مصادر المعرفة العقدية من العقل أنظر البحث

[2] هذه الدلائل موجودة في مبحث النبواة، أنظر البحث

[3] ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية، محمد باي، ج01، ص169

[4] الطور 35-36

[5] تفسير ابن كثير، ج7، ص 437.

[6] نفس المصدر السابق والصفحة.

غير رب خلقهم وقدرهم"[1]، فيستحق بذلك أن يكونوا عبيده، أم يزعمون أنهم هم الذين خلقوا أنفسهم "أي أيقولون إنهم خلقوا أنفسهم فهم لا يأتمرون لأمر الله وهم لا يقولون ذلك"[2]، لأن المشركين كانوا يقرون بأن الله هو الذي خلقهم قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾[3] ولكنهم أشركوا معه غيره في عبادتهم ظناً منهم أنها تقربهم إلى الله زلفا.

وبعد أن ذكرنا احتجاجه سبحانه على المنكرين له بالآية السابقة، قال سبحانه وتعالى بعدها: ﴿أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾[4] ، ثم انتقل الاحتجاج على المقرين بوجوده سبحانه ولكنهم يشركون به، فكانت هاته الآية" إنكاراً عليهم في شركهم بالله وهم يعلمون أنه الخالق وحده لا شريك له،[5]"، وقد ذكر علماء التفسير أنه سبحانه وبعد إبطاله للاحتمالات السابقة، لم يذكر الاحتمال الباقي وهو أن الله خالقهم وخالق السماوات والأرض، بل ترك ذكره لأنه تحصيل حاصل، وهم يعرفون ذلك ويقرونه ، لذلك قال سبحانه: ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ أي "ولكن عدم إيقانهم هو الذي يحملهم على ذلك[6]"، فبقوا يتخبطون في ظلمات الشك والشرك به سبحانه وتعالى.

2- دلالة الخلق:

بعد أن أثبتنا أن دليل وجوده سبحانه وتعالى يستفاد منه وحدانيته في ربوبيته، لا شك أن ما أودعه الله سبحانه في هذا العالم من مخلوقات كبيرة كانت أو صغيرة، من حيث وجودها أو في تسيرها وتدبيرها بحكمة بالغة، دليل على أن لهذا العالم خالقاً أبدعه بقدر ومدبراً أحكم أمره وسيره أحسن تسيير، وقد حفل القرءان الكريم بالآيات التي تدعو إلى النظر والتفكر في الخلق مما يشهد بوحدانيته وتنزهه سبحانه عن الشريك، وإحاطة علمه بكل شيء، لأنه سبحانه خالق كل شيء، قال سبحانه وتعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[7]، فاستدل سبحان بخلق السماوات والارض وإبداعهما على غير مثال سابق، بل وخلقه لكل شيء على وحدانيته كما قال ابن كثير رحمه الله في تفسير لهذه الآية :﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾[8] " أي الذي خلق كل شيء، ولا ولد له ولا صاحبة لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه أي فاعبدوه وحده،

---

[1] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج17، ص74.

[2] نفس المصدر والصفحة.

[3] الزخرف 87.

[4] الطور 36.

[5] تفسير ابن كثير، ج7، ص 437.

[6] نفس المصدر والصفحة

[7] الانعام101، 102

[8] الانعام 102

لا شريك له، وأقروا له بالوحدانية"[1]، وهذا الإقرار له سبحانه بالوحدانية في الخلق وإن كان ليس هو الغاية التي ينتهي إليها العبد من النظر والتفكر في الخلق مما تدعوا إليه الآيات القرءانية ، بل هو يستلزم شيئاً أجل منه وهو المطلوب من العباد تحصيلهوهو الذي خلقوا لأجله، وهي عبادته وحده لا شريك له، إلا أن القرآن الكريم بيّنه للناس واحتج به عليهم مما هم مقرين به، لأنه خطوة مهمة في الإقرار له وحده سبحانه وتعالى بالعبادة، يقول الشيخ باي رحمه الله" ولقد بيّن القرآن توحيد الربوبية، وبيّن أنه لا خالق إلا الله؛ وأن ذلك مستلزم أن لا يعبد إلا الله، وأنه هو الذي يأتي العباد بما ينفعهم، ويدفع عنهم ما يضرهم لا شريك له في ذلك فلم يعبدون غيره ويجعلون معه آلهة أخرى"[2]، ثم يستشهد الشيخ باي بآيات من سورة النمل من قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ٥٩﴾[3] إلى آخر الآيات المختومة بقوله :﴿ءَإِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ ويقول عنها "وهذا استفهام إنكاري يتضمن نفي ذلك، وهم كانوا مقرين بأنه لم يفعل ذلك غير الله فاحتج عليهم بذلك"[4]، وهذا الاحتجاج نتيجته أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا.

3 – دليل الفطرة:

إن ما تكلمنا عنه في دليل إثبات وجود الله وكيف يستدل به على توحيد الربوبية، وأن الشيخ أومأ إليه ولم يذكره صراحة، ينطبق هذا كذلك على دليل الفطرة، فإن الشيخ وحسب ما أمكنني الإطلاع عليه لم يرد عنه نصاً يتكلم فيه عن هذا الدليل لكنه ألمح إليه بأنه مما يستدل به على توحيد ربوبيته بعبارة عامة، وذلك عندما قال أن" العلم كلما كان الناس إليه أحوج كانت أدلته أظهر رحمة من الله بخلقه"، وقلنا أن هذا قد يفهم منه أو قد يدخل فيه دليل الفطرة لأنها أظهر للناس، وهي بين جنبيهم يشعرون بها، ولا ينكرها إلا شرذمة من الناس من شواذ النفوس من الدهريين و الملاحدة، والذين بدورهم يثبتون ما أنكروها منها عند الشدائد والمصائب، ويندفعون إليها لدفع ضر أو جلب نفع.

وقد جاء القرءان بالآيات الدالة على أن الفطرة التي فطر الله الناس عليها هي دين الحق، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا﴾[5]، "أي الدين الذي هو فطرة الله لأن التوحيد هو الفطرة، والإشراك تبديل للفطرة[6]"، وهاته الفطرة التي فطر الله الناس عليها معلومة للناس مقرين بها، وهم في صلب أبيهم آدم عليه وعلى نبينا وجميع الأنبياء

---

[1] تفسير ابن كثير، ج 3، ص 277.

[2] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص169

[3] النمل 59

[4] نفس المصدر والصفحة.

[5] الروم 30

[6] التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (الدار التونسية للنشر – تونس، د ط، 1984 هـ)، ج21، ص 89.

أفضل الصلاة وأزكى التسليم، قال ابن جرير الطبري[1] رحمه الله فيما نقله في تفسيره عن هاته الآية أن الفطرة هي"الإسلام ُهذ خلقهم الله من آدم جميعاً يقرون بذلك.. "[2].

كما تشهد السنة النبوية بأحاديثها على أن الأصل في الإنسان وأن ما يولد به ويخرج به إلى هاته الدنيا هي الفطرة، ويضرب النبي صلى الله عليه وسلم لذلك مثال بالبهيمة التي تولد سليمة الأعضاء ليس فيها قطع لأذن أو أنف أو طرف ، يقول صلى الله عليه وسلم:﴿ **ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء**﴾[3]، أي لو بقي الإنسان على حاله التي خرج بها إلى الدنيا، وإن كان لا يعلم ولا يدرك تعاليم العبادة لربه وكيفيتها، لدفعته فطرته إلى ألإقرار بخالقه سبحانه ومعرفته ومحبته، يقول ابن القيم في ذلك:" ومما ينبغي أن يعلم أنه إذا قيل أنه ولد على الفطرة أو على الإسلام أو على هذه الملة أو خلق حنيفا فليس المراد به أنه حين خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده فإنه الله يقول:﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾[4]

ولكن فطرته موجبة مقتضية لدين الإسلام لقروبه ومحبته فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه ومحبته وإخلاص الدين له وموجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئا بعد شيء بحسب كمال الفطرة إذا سلمت من المعارض[5] "، وهاته المعارض قدتكون أحياناً الوالدين كما جاء في الحديث السابق، وقد تكون أحياناً أخرى الشياطين كما جاء في الحديث القدسي عنه صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل قال﴿ **إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم**﴾[6]، فدل كل هذا أن في الإنسان دليل على توحيد ربوبيته يوصله هذا الدليل لمبتغاه إذا ترك لحاله وسلم من العوارض.

---

[1] محمد بن جرير ابن يزيد بن كثير، الإمام العلم المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، من أهل آمل طبرستان، مولده سنة أربع وعشرين ومائتين، وطلب العلم بعد الأربعين ومائتين وأكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علما، وذكاء، وكثرة تصانيف، قل أن ترى العيون مثله، توفي ابن جرير عشية الأحد ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاث مائة، ودفن في داره برحبة يعقوب يعني ببغداد. سير أعلام النبلاء ط الحديث، شمس الدين الذهبي، ج11،ص 165.

[2] تفسير الطبري، ج20، ص 97.

[3] صحيح البخاري، كتاب" الجنائز، باب" إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام"، رقم: 1385، ج 02، ص 94. صحيح مسلم، كتاب" القدر"، باب" معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين"، رقم: 2658، ج 04، ص 2047.

[4] النحل 78.

[5] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن القيم الجوزية، (دار المعرفة، بيروت، د ط، 1398، 1978)، ص 289

[6] صحيح مسلم، كتاب"الجنة وصفة نعيمها وأهلها"، باب" الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار"، رقم:2865، ج 04، ص 2197.

ثانياً :دليل صدق الرسول صلى الله عليه وسلم أو (دليل المعجزة):

إذا علمنا أن الغاية من بعث الرسل هو التبشير والإنذار، فإن من مضمون هذا التبشير والإنذار هو إعلام الناس بأن هناك إله واحد سبحانه، قال تعالى ملخصاً مضمون القرآن الكريم: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾[1]، ولذلك كانت المعجزة المؤيدة للرسل تصبوا إلى تلك الغاية، وتحقق ذالك الهدف الأسمى.

وقد عّرف الشيخ باي المعجزة في اللغة على أنها "العجز"، وفي الاصطلاح "الأمر الخارق للعادة المقرون بدعوى الرسالة أو للنبوة، مع عجز المنكرين عن الإتيان بمثله، وتكون قولاً كالقرآن وفعلاً كنبع الماء بين أصابع نبينا صلى الله عليه وسلم، وتركاً كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم الخليل"[2]،: ولا شك أن هاته الرسالة والنبوة تتضمنان المطلوب وهو أعظم ما تدعوا له الرسالات السماوية والنبوات الإلهية من إثبات وحدانيته سبحانه وتعالى في ربوبيته وإلوهيته، والتي سعى كل رسول أرسله الله إلى قومه أن يبدأ بها دون غيرها من أمور العبادات، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾[3]، وقول الشيخ" الأمر الخارق للعادة المقرون بدعوى الرسالة أو النبوة " لا يفهم منه أن الشيخ يرى أن الغاية من المعجزة أنها دليل على صدق الرسول في رسالته لا دليل في حد ذاتها على توحيده سبحانه، لأن هذا فهم خاطئ لمقولة الشيخ باي، ونقول هذا لأمور مهمة:

أولها: أن النص السابق والذي عرضناه يتكلم فيه الشيخ بوضوح عن دلائل صدق الرسول وكيف تثبت توحيد ربوبيته سبحانه وتعالى وليس صدق الرسول، ومعلوم أن من أعظم دلائل صدق الرسول هي المعجزة.

ثانيها أن الشيخ وفي كلامه عن المعجزة ذكر أن القرآن الكريم والذي أوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم هو أعظم المعجزات، ومن أكبر ما أوتي من البينات، ثم ساق حديثه صلى الله عليه وسلم والذي يقول فيه: ﴿ **ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة**﴾[4]، فربط صلى الله عليه وسلم بين الآيات والتي هي المعجزات والإيمان به سبحانه وتعالى، ولا شك أن أول الإيمان هو توحيد الله سبحانه وتعالى ومنه توحيد ربوبيته سبحانه.

ثالثها: أن جملة" المقرون بدعوى الرسالة والنبوة" الواردة في التعريف لا يستفاد منها اختصاص المعجزة بتصديق الرسول والنبي لا غير، وإنما يستفاد منها اختلاف المعجزة عن الكرامة، واللتان تشتركان في خرق العادة، إلا أن الكرامة لا تكون مقرونة بدعوى الرسالة والنبوة.

---

[1] إبراهيم 51

[2] زاد السالك، محمد باي، ص 30

[3] الأنبياء 25

[4] صحيح مسلم، كتاب"الإيمان"، باب "وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم"، رقم 239، ج1، ص 134.

ودليل المعجزة هو من أقوى الأدلة على توحيد ربوبيته سبحانه وتعالى وأنه لا شريك له في ذاته ولا أسمائه ولا صفاته، ولو كان غير ذلك لأتوا بما تحداه بهم من معجزات، يقول ابن القيم عن المعجزة "وهذا الطريق من أقوى الطرق وأصحها وأدلها على الصانع وصفاته وأفعاله"[1].

[1] الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، ابن القيم الجوزية، ت: علي بن محمد دخيل الله، (دار العاصمة، الرياض، ط 01، 1408هـ)، ج03، ص1197.

المبحث الرابع : توحيد الألوهية

يعتبر هذا القسم من التوحيد توحيد مهم، فهو الخطوة الثانية التي يطالب بها العبد بعد توحيده لربوبيته سبحانه، ولا يعقل توحيد إلوهية دون توحيد ربوبية، وأَصل "الألوهية" منأَلِهَ يَأْلَهُ إِذا تَحَيَّر، يريد إذا وقع العبدُ في عظمة الله وجلاله وغير ذلك من صفات الربوبية وصَرَفَ وهمه إليها، أبغض ذلك العبدُ الناسَ حتى لا يميل قلبه إِلى أَحد، كما أنه إذا آلَهَ هُ وعَلَّلِ يه اشْتَدَّ جزعه وبالمكان أَقَامَ[1]، و"الألوهية" هي "العبادة" وقدقُرئ: ويذرلكِ آلِهَتَكَ، وقرأ ابن عباس: ويذركوإِلاهتك، بكسر الهمزة، أي وعبادتك، وعليه فتوحيد الألوهية يشمل إفراده سبحانه وتعالى بالعبادة مع ميل القلب إليه دون سواه وكل ذلك مع تعظيم الله وإجلاله، وذلك لحقه سبحانه وتعالى على خلقه.

ولذلك وإذا ما تمعنا في تعريف الشيخ للتوحيد شرعاً بصفة عامة، وفي كل الكتب التي تعرض فيها للتوحيد بشكل تفصيلي وبعد أن يعرفه لغة على أنه:" العلم بأن الشيء واحد"، يعرفه شرعاً: أنه"يطلق على إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً[2]" ثم يختم هذا التعريف بقوله :"وهذا هو المراد".

قلنا: إذا ما تمعنا في هذا التعريف وجدنا أنه يقدم توحيد الألوهية على توحيد الربوبية لأهميته، كما يقدمه في شرحه للجواهر الكنزية في كتابه "السبائك الإبريزية شرح على الجواهر الكنزية" فيقول:" ومما يجب اعتقاده والإيمان به أن الله تبارك وتعالى واحد منفرد بالإلوهية والربوبية[3]"، وهذه الأهمية التي يحظى بها توحيد الألوهية هو ما سنتحدث عنه في النقطة الموالية.

المطلب الأول: أهمية توحيد الألوهية:

أولاً: الغاية من خلق الله لعباده

يعتبر القرآن الكريم هو مصدر أهمية توحيد الألوهية، حيث يبيّن الله سبحانه وتعالى الغاية والحكمة من خلق المكلفين أي الجن والإنس، ويحصر هاته الغاية في العبودية، والتذلل له سبحانه وتعالى يقول تبارك وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[4]، أي "ما خلقت الجن والإنس إلا لعبادتنا، والتذلل لأمرنا[5]"، وهاته العبادة و هذا التذلل هما مما

[1] لسان العرب، ابن منظور، ج13، ص 467. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، (دار الدعوة، د ط، د ت)، ج1، ص25.

[2] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج 01، ص 164، السبائك الإبريزية، محمد باي، ص 8.

[3] نفس المصدر الثاني، ص 13

[4] الذاريات 56

[5] جامع البيان، الطبري، ج21، ص 555.

بميزان توحيد الألوهية في تعريفه والذي جاء فيه أنه "إفراده تعالى بالعبادة، والتأله له، والخضوع والذل، والحب والافتقار، والتوجه إليه تعالى[1]".

وقد سمى الشيخ باي توحيد الألوهية بعلم العبادات وميزه عن باقي التوحيد وهما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات حيث يقول" وبعده أي علم التوحيد يأتي علم العبادات أي عبادة الله الذي عرفناه بالتوحيد الألوهية[2]، وهذا التطابق في المضمون بين توحيد الألوهية وعلم العبادات يكمن في الشمولية التي تميز كل منهما، واحتوائهما على كل ما يرضاه الله سبحانه وتعالى قولاً وعملاً، ظاهراً وباطناً، ولذا جاء في تعريف العبادة على أنها" اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة[3]"

ثانياً: شرط في صحة العبادات وقبولها

كما يكمن هذا التطابق بين توحيد الألوهية وعلم العبادات في أن الأول شرط في صحة الثاني، فلا يقبل الثاني وإن عظم شأنه إلا بصحة الأول وسلامته من كل ما يعارضه وينقص من دلالته ومعانيه، ولهذا لابد على العبد كما يقول الشيخ باي أن يصحح اعتقاده أولاً " لأن العمل مهما كان لا يقبل إلا بعد الإيمان وتصحيح الاعتقاد وتطهيره من كل شوب وهذا لابد له من علم فيجب على الإنسان أن يتعلم من علم التوحيد ما يصحح عقيدته"[4]

ثالثاً: احتواءه على ما دونه من التوحيد

وقد احتوى هذا التوحيد أي توحيد الألوهية على ما سبقه من توحيد الربوبية وما اشتمل عليه، لأن العبادة والخضوع له سبحانه وتعالى لا يكون إلا ممن اعتقد جازماً أن ما يعبده هو من أنعم عليه بشتى النعم ويرعاه بلطفه ويدبر أمره بحكمته، ويجلب له النفع ويدفع عنه الضر، ولذا اعتبر الشيخ باي توحيد الألوهية متضمناً لتوحيد الربوبية وأقسامه فيقول في شرحه لأسهل المسلك في كتابه "زاد السالك شرح أسهل المسالك" يقول الشيخ"ولما فرغ من الكلام على ما يجب في حق الله وما يستحيل وما يجوز وهو ما يندرج تحت قولنا لا إله إلا الله"[5]، أي لا معبود بحق سواه.

---

[1] لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضيئة في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي، (مؤسسة الخافقين، دمشق، ط 2، 1402هـ، 182م)، ج1، ص 129.

[2] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج 01، ص 152

[3] العبودية، تقي الدين ابن تيمية، ت محمد زهير الشاويش، (المكتب الإسلامي، بيروت، ط 7، 1426هـ.2005م)، ص 44

[4] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج 1، ص149

[5] زاد السالك، محمد باي، ص 28

رابعاً: مهمة الرسل وأول ما يطالبون به أممهم

تعتبر شهادة "ألا إله إلا الله" موقع الخلل عند من عبدوا غير الله سبحانه وتعالى، فكان من الضروري أن تصحح النتيجة طبقاً للمقدمة وأن يصرف الحق لأهله، وأعظم الحقوق هو حق الله على عباده، لذا جعل الشيخ باي أولى مهام الرسل هو الدعوة إلى توحيد الألوهية ثم استشهد من القرآن بالآيات التي تأمر الرسل بدعوة قومهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى حيث قال" التوحيد هو أول دعوة الرسل، قال تعالى:﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا .....﴾[1] ، فنوح أول رسول أرسله الله بعد آدم إلى قومه ليوحدوا الله، ففي الآية يقول الله : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾[2] ، وبمثل هذه الدعوة من نوح وهود دعا صالح وشعيب كل منهما قومه وغيرهم[3]، من الأنبياء وإن اختلف هؤلاء القوم وهاته الأمم في المعصية التي اشتهروا بها بعد الإشراك بالله سبحانه وتعالى، إلا أن الإصلاح يبدأ بالأساس وهو توحيده سبحانه في العبادة والقصد والطلب.

وما يذكر عن الأمم السابقة في الدعوة أولاً لتوحيده سبحانه وتعالى واهتمام رسلهم بتحقيق ذلك وجعله أولى الأولويات ، ينطبق على هاته الأمة والتي هي آخر الأمم، لذا أُمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقاتل الناس حتى يشهدوا بها؛ قال صلى الله عليه وسلم: ﴿**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله** ﴾[4] وحديث هذا الباب إنما قاله عليه السلام، في حال قتاله لأهل الأوثان الذين كانوا لا يقرون بتوحيد الله، وكانوا إذا قيل لهم: لا إله إلا الله يستكبرون، فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإقرار بالوحدانية وخلع ما دونه من الأوثان[5]".

خامساً: علامة على حسن الخاتمة

ولا تكمن أهمية توحيد الألوهية والعبارة الدالة عليه في أنه أول ما يطالب به من أراد الدخول إلى الإسلام، بل زيادة على ذلك يعتبر آخر واجب على العبد وهو يخرج من هاته الدنيا فَيَسعدُ من وُفِّقَ لأدائه بالدخول إلى الجنة والنجاة من النار، يقول الشيخ باي في ذلك" التوحيد أول ما يدخل به المرء إذا أراد الإسلام وهو آخر ما يخرج به من الدنيا كما قال

---

[1] النحل 36

[2] المومنون 23

[3] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج 01، ص 163

[4] صحيح البخاري ، كتاب" الزكاة"، باب "وجوب الزكاة" رقم 1399، ج02، ص 105.

[5] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محي الدين يحي بن شرف النووي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 2، 1392هـ)، ج 2، ص 53.

صلى الله عليه وسلم:﴿ **من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**﴾[1]، فهو أول واجب وآخر واجب والمقصود هنا توحيد الإلوهية[2].

ولهاته الأهمية التي يحظى بها توحيد الألوهية وغيرها، فقد حرص العلماء على تبيينه للناس وتعريفه، حتى أن الكلام عن التوحيد بصفة عامة قد يلخص في الكلام عن توحيد الألوهية وبيان معانيه ويستكفى بلأنه شامل ٌ لغيره وغيره ُمتضمنٌ فيه، فهو النتيجة والمحصلة من التوحيد عامة، لذا نجد أن الشيخ باي وبعد أن ينهي شرح أبيات التوحيد في كتاب ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية يقول "والنتيجة من باب التوحيد التي يجب علينا اعتقادها جزماً ويقيناً أن الله إله واحد لا شريك له ولا ضد ولا ند ولا منازع وأنه الذي ينفع ويضر ويرزق ويحي ويميت ويعطي ويمنع وأنه المعبود بالحق لا سواه ولا نعبد إلا إياه ولا نستعين إلا به"[3] فبدأ بالحديث عن هاته النتيجة من باب التوحيد بتوحيد الألوهية ثم ختم به لأهميته وشموليته كما ذكرنا.

المطلب الثاني: منهج الشيخ باي في الاستدلال على ألوهيته سبحانه وتعالى:

إن الوصول إلى الثمرة المرجوة يتطلب عناء ً وصبراً مع العلم بالمسلك والحكمة في السير إليه، وقد جادل الأنبياء والمرسلون ومنهم نبينا صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين أقوامهم بالتي هي أحسن، كما أمرهم ربهم سبحانه وتعالى بعد أن دعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة، فاستدل –أي الرسل والأنبياء– لأقوامهم بما يقرونه على ما ينكرونه، وهذا مسلك القرآن الذي دأبت الآيات عليه، ولم يكن هذا مسلك الأنبياء والمرسلون فقط، بل التزم هذا المسلك العلماء والمصلحون والدعاة، فنجد الشيخ باي رحمه الله وفي تعريفه أو حديثه بصفة عامة عن توحيد الألوهية، لا يذكر ذلك التوحيد أو يتكلم عنه إلا وهو يستدل له على ما تقرر في الوجدان وسلمت له الفطرة وعلم أن نقيضه باطل لا يصلح، وقد استدل رحمه الله على توحيد ألوهيته سبحانه بمجموعة من الأمور نذكرها في نقاط هي:

أولاً: الاستدلال بالربوبية على ألوهيته سبحانه وتعالى:

يعتبر مسلك الاستدلال بربوبيته سبحانه وتعالى على توحيد ألوهيته من المسالك التي استفاضت به الآيات القرآنية، فَيُذَكِّر الله سبحانه وتعالى خلقه بما أقروه وشهدوا عليه، وهو أنه سبحانه وتعالى يخلق وغيره لا يخلق، ثم يستفهم استفهاماً

[1] وفي رواية" وجبت له الجنة " أنظر مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، ت شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد، وآخرون، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 01، 1421هـ، 2001م، ج 36، ص 363. سنن أبي داود، أبو داود، ت محمد محي الدين عبد الحميد، (المكتبة العصرية، بيروت، د ط، د ت)، ج 3، ص 190.

[2] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج 01، ص44

[3] نفس المصدر، ص 194

إنكارياً سبحانه وتعالى فيقول: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧﴾[1]، أي " أفمن يخلق هذه الخلائق العجيبة التي عددناها عليكم وينعم عليكم هذه النعم العظيمة، كمن لا يخلق شيئا ولا ينعم عليكم نعمة صغيرة ولا كبيرة؟ يقول: أتشركون هذا في عبادة هذا؟ فيّهم بذلك عظم جهلهم، وسوء نظرهم لأنفسهم، وقلّة شكرهم لمن أنعم عليهم بالنعم التي عدّدها عليهم، التي لا يحصيها أحد غيره[2]"، ولم يكتفي القرآن ببيان أن الشركاء من دون الله الذين لا يخلقون شيئاً لا يكافئون الله في شيء، بل ذكّر المشركين أن شركائهم الذين يعبدونهم من دون الله هم مخلوقون مثلهم، قال تعالى: ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١﴾[3]، فالكل مخلوق لله؛ العابد والمعبود، ففيما التفاضل حتى تصرف العبادة لمخلوق "وإنما العبادة الخالصة للخالق لا للمخلوق[4]".

و يذكر الشيخ باي هذا المسلك في حديثه عن تبيّن القرآن لتوحيد الربوبية والغاية منه فيقول" ولقد بيّن القرآن توحيد الربوبية، وبيّن أنه لا خالق إلا الله؛ وأن ذلك مستلزم أن لا يعبد إلا الله.."[5]، ثم يستشهد الشيخ باي بآيات من سورة النمل من قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ إلى آخر الآيات المختومة بقوله: ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ﴾[6] ويقول عنها "وهذا استفهام إنكاري يتضمن نفي ذلك، وهم كانوا مقرين بأنه لم يفعل ذلك غير الله فاحتج عليهم بذلك"[7]، وهذا الاحتجاج نتيجته أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا

كما عبر الشيخ باي عن كلمة"مستلزم" في موضع آخر بكلمة"استحقاق" وهذا الحق له سبحانه على خلقه هو الذي جعله الشيخ باي محوراً في تعريفه لتوحيد الألوهية حيث يقول فيه: "هو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له[8]"، وكلمة "استحقاقه" الواردة في تعريف الشيخ لها مدلولاتها، فهذه الكلمة من "استحقه: أي استوجبه[9]" فهي تربط تعريف توحيد الألوهية بتعريف توحيد الربوبية في الحق الذي وجب على الخلق بعد أن أنعم عليهم بشتى النعم من إيجاد ورزق وتسيير وتدبير، فاستحق بذلك سبحانه أن يعبد وحده لا شريك له.

---

[1] النحل 17

[2] تفسير الطبري، ج17، ص 186.

[3] الأعراف 191.

[4] نفس المصدر، ج 13، ص 318.

[5] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج 01، ص169

[6] النمل 59.

[7] نفس المصدر والصفحة.

[8] المصدر نفسه، ص 44

[9] شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني، ت حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني، يوسف محمد عبد الله، (دار الفكر المعاصر، بيروت، ط 1، 1420هـ، 1999م)، باب "الاستحقاق" ج 3، ص 1302.

وتوظيف كلمة "استحقاق" في تعريف توحيد الألوهية من الشيخ باي لها دليلها من السنة النبوية، حيث أنه صلى الله عليه وسلم سأل سيدنا معاذ فقال له :﴿**هل تدري ما حق الله على العباد» قلت: لا، قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا...**﴾[1]، وجاء في شرح الحديث "فحق الله تعالى على العباد معناه ما يستحقه عليهم متحتماً عليهم[2] " وهذا التحتم مبناه توحيد الربوبية وما يتضمنه من اعتراف وتقرير له سبحانه بالخلق والأمر.

ثانياً: الاستدلال بوحدانيته سبحانه في الذات والصفات والأفعال على توحيد ألوهيته

يبيّن الله سبحانه وتعالى أنه المتفرد في الذات والصفات والأسماء والصفات في الكثير من الآيات يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾[3]، فأمر سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ومن آمن به أن يفردوه بتلك الأسماء الحسنى، فهي له سبحانه وليس لغيره فيها شيء، ويدعونه بها فهي كلها دالة عليه سبحانه وتعالى، وهذا لما تحمله تلك الأسماء والصفات من معاني ودلالات، كما توعد سبحانه المشركين الذين "كان إلحادهم في أسماء الله، أنهم عَدَلوا بها عمّا هي عليه، فسموا بها آلهتهم وأوثانهم، وزادوا فيها ونقصوا منها، فسموا بعضها "اللات"اشتقاقاً منهم لها من اسم الله الذي هو "الله"، وسموا بعضها العُزَّى"اشتقاقاً لها من اسم الله الذي هو "العزيز[4]".

فبيّن سبحانه وتعالى إلوهيته ببيان أسمائه الحسنى وصفاته العلى والتي تفرد بها دون غيره، لأن هاته الأسماء الحسنى والصفات العلى يقتضي كل منها ما لا يقدر عليه إلا هو سبحانه وتعالى، فقال سبحانه: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾[5]، أي "هل تعلم لله مساميا ومشابها ومماثلا من المخلوقين. وهذا استفهام بمعنى النفي، المعلوم بالعقل. أي: لا تعلم له مساميا ولا مشابها، لأنه الرب وغيره مربوب، وهو الخالق وغيره مخلوق، وهو الغني من جميع الوجوه وغيره فقير بالذات من كل وجه، وهو الكامل الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وغيره ناقص ليس فيه من الكمال إلا ما أعطاه الله تعالى، فهذا برهان قاطع على أن الله هو المستحق لإفراده بالعبودية، وأن عبادته حق، وعبادة ما سواه باطل، فلهذا أمر بعبادته وحده، والاصطبار لها، وعلل ذلك بكماله وانفراده بالعظمة والأسماء الحسنى[6].

---

[1] صحيح البخاري ، كتاب" الاستئذان"، باب "من أجاب بلبيك وسعديك"، رقم: 6267، ج8، ص60. مسلم، كتاب"الإيمان"، باب" من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار"، رقم:30، ج1، ص58.

[2] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ج 1، ص 231.

[3] الاعراف 180

[4] تفسير الطبري، ج 13، ص 282.

[5] مريم 65

[6] تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكريم المنان، عبد الرحمان بن ناصر السعدي، ت: عبد الرحمان بن معلا اللويحق، (مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ، 2000م)، ص 498.

وهاته الأسماء الحسنى والصفات العلى والأفعال الحكيمة، و كذلك الكمال المطلق وكل ما يليق بالإلوهية قد جمع ذلك كله سبحانه في اسم واحد هو"الله" تحدى خلقه أن تسمى أحد به، وهذا رأي بعض المفسرين[1] في قوله تعالى:﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾[2] ، "فالله اسم للموجود الحق الجامع لصفات الإلهية، المنعوت بنعوت الربوبية، المنفرد بالوجود الحقيقي، لا إله إلا هو سبحانه[3]".

فهذا التحدي منه سبحانه للمشركين وإثباته لتوحيد ألوهيته واختصاصه وحده سبحانه بالعبادة من جهة أن أحداً لم يتسمى باسم "الله" وما يحمله ذلك الاسم من معاني ودلالات، كما أنه تحدي أن تجمع تلك الأسماء الحسنى والصفات العلى والكمال المطلق في غيره سبحانه، لأنها إن جمعت في غيره، أو تسمى با"الله" أحدٌ سواه لكان هناك إلهين، وقد بيّن سبحانه بطلان هذا الاعتقاد، قال سبحانه وتعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢﴾[4]، أي "لو كان فيهما إلهان لفسد التدبير، لأن أحدهما إن أراد شيئا والآخر ضده كان أحدهما عاجزا: وقيل: معنى" لفسدتا" أي خربتا وهلك من فيهما بوقوع التنازع بالاختلاف الواقع بين الشركاء[5]"

وقد استدل الشيخ باي بهاته الآية على وحدانيته سبحانه وتعالى في ألوهيته، شارحاً الدليل العقلي الذي تضمنته الآية الكريمة فقال" والدليل العقلي على الوحدانية في الذات والصفات والأفعال: أعني عدم النظير فيها بأنه لو وجد فردان بصفات الإلوهية لأمكن بينهما تمانع بأن يريد أحدهما حركة زيد، والآخر سكونه، لأن كلاً منهما في نفسه ممكن، وكذا تعلق الإرادة بكل منهما إذ لا تضاد بين الإرادتين بل بين المرادين، وحينئذ إما يحصل الأمران فيجتمع الضدان أو لا، فيلزم عجز أحدهما وهو أمارة الحدوث والإمكان لما فيه من شائبة الاحتياج، فالتعدد مستلزم لإمكان التمانع المستلزم للمحل فيكون محالاً ، وآيات كثيرة من القرآن دلت على أن الله إله واحد، ومن ذلك: سورة الإخلاص :﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾[6] إلى آخر السورة [7]

---

[1] أنظر : الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 01، ص 10. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، ت: عبد الرزاق المهدي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، 1422هـ)، ج3، ص 141. تفسير الماتريدي، (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد أبو منصور الماتريدي، ت: مجدي باسلوم، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، 142هـ، 2005م)، ج، ص252.

[2] مريم 65.

[3] تفسير القرطبي، ج1، ص 102

[4] الأنبياء 22

[5] تفسير القرطبي، ج11، ص 279.

[6] الإخلاص 1

[7] ملتقى الأدلة، محمد باي، مج01، ص168

فتبين مما سبق أن إفراده سبحانه وتعالى بوحدة الذات والصفات والأفعال هو ما يقتضيه صلاح الكون، فهو المتصرف فيه وحده لا شريك له وبذلك يستحق العبادة وحده، ولو كان غير ذلك لفسد الكون وهذا لم يحدث، فبطل أن يكون غيره متصرفاً فيه وهذا بدوره يبطل أن يشاركه غيره في الذات والصفات والأفعال.

ثالثاً: الاستدلال بالعجز عن جلب نفع أو دفع ضر على بطلان الشرك:

إن الدافع الغريزي للبقاء عند المخلوقات بصفة عامة والإنسان بصفة خاصة، تجعله يسعى لجلب النفع لنفسه ودفع الضر عنها، وإذا كان تحصيل ذلك غير قادر عليه بنفسه هو، استعان بغيره لتحقيق ذلك وخاصة وقت الشدائد والأزمات، ومن هذا الباب ذكّر الله سبحانه وتعالى خلقه بتلك الحقيقة فقال سبحانه: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ٥٦﴾[1]، أي " قل يا محمد لمشركي قومك الذين يعبدون من دون الله من خلقه، ادعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم أرباب وآلهة من دونه عند ضر ينزل بكم، فانظروا هل يقدرون على دفع ذلك عنكم، أو تحويله عنكم إلى غيركم، فتدعوهم آلهة، فإنهم لا يقدرون على ذلك، ولا يملكونه، وإنما يملكه ويقدر عليه خالقكم وخالقهم[2]"، فاستحق بذلك وحده سبحانه وتعالى العبادة لا يشاركه فيها أحد كما لم يشاركه في دفع الضر عنكم أحد.

وقد بيّن الشيخ باي هذا المسلك وهذا الدليل الموصل لتوحيد ألوهيته سبحانه وتعالى، في إثبات الضر والنفع له وحده، فلم الإشراك به في العبادة وقد علم ذلك فقال: "وأنه هو الذي يأتي العباد بما ينفعهم، ويدفع عنهم ما يضرهم لا شريك له في ذلك فلم يعبدون غيره ويجعلون معه آلهة أخرى[3]".

كما ينقل الشيخ باي الاستدلال بعدم امتلاك الضر والنفع لغير الله على توحيد ألوهيته سبحانه وتعالى في شرحه لنظم العزية لابن باد، والذي سماه بـ" فتح الجواد شرح العزية لابن باد،"يقول في شرح (لايستحق غيره العبادة) من المخلوقات: فالعبادة لله وحده لقوله تعالى: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾[4]، (إذ ماله) الضمير يرجع إلى غير الله (ضر ولا إفادة) أي : ولا نفع كما قيل[5]: فالنفع من غير الإله يستحيل ومثله الضر محال يا خليل

---

[1] الإسراء 56

[2] تفسير الطبري ، ج 17، ص 471.

[3] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج 01، ص169

[4] النساء 36.

[5] فتح الجواد، شرح على نظم العزية لابن باد، محمد باي بالعالم، ص 122.

الفصل الثاني: توحيد الأسماء الصفات

المبحث الأول: مدخل إلى توحيد الأسماء الصفات

المبحث الثاني: الصفات النفسية والصفات السلبية

المبحث الثالث: صفات المعاني

المبحث الرابع: الصفات المعنوية والمستحيلة والباقية

المبحث الأول: مدخل إلى توحيد الأسماء الصفات

يعتبر قسم توحيد الأسماء والصفات من آخر أبواب قسم التوحيد وكثيراً ما يختم به العلماء حديثهم عن باب لتوحيد عموماً، بعد حديثهم عن توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وكل هذه الأقسام ذات أهمية عظيمة في معرفة الخلق بربهم وتعظيمهم له سبحانه، فبعد أن يقروا أنه الخالق سبحانه وتعالى وحده، ويفردوه بالعبادة ولا يشركوا بعبادته أحداً، يصفوه سبحانه ويثبتوا له ما أثبته لنفسه وينفوا ما نفاه سبحانه عن نفسه وهذا من كمال التوحيد وإخلاصه، ولذلك اعتبر " التشبيه هو أصل الشرك، وأما إثبات صفات الكمال فهو أصل التوحيد[1]".

ولا يكمل توحيد العبد إلا إذا أكمل هاته الأقسام الثلاثة و حققها على الوجه المطلوب له سبحانه؛ وإن مما يعين على تحقيق هذه الأقسام ومن أولويات ذلك أن يعّرفها حتى تتضح معالمها، ولذلك فإن ما نحن بصدده من هاته الأقسام وهو قسمتوحيد الأسماء والصفات يُعدّ تعريفه عملاً جوهرياً في بيان ترابط القسمين السابقين بهذا القسم الأخير، وتكملة وتصفية السابق باللاحق حتى يكون توحيد العبدلله توحيداً نابعاً من القلب متشرباً له يجد العبد أثره في صلاح أعماله وصوابها وإخلاصها لله سبحانه وتعالى.

تعريف توحيد الأسماء والصفات

قد جاءت تعريفات عديدة لتوحيد الأسماء والصفات، ، ومن هاته التعريفات أنه إثبات لله ما أثبته لنفسه، والإقرار بذلك بالألسن، وتصديق بالقلوب، من غير تشبيه بالمخلوقين[2]، وقيل هو تنزيه الله جل وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين و الإيمان بما وصف الله به نفسه والإيمان بما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم[3]،

ويعرفه الشيخ باي رحمه الله على أنه توحيد معرفة لله سبحانه وتعالى في صفاته وأسمائه وأفعاله... ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ...﴿١١﴾﴾[4]، في ذلك كله كما أخبر عن نفسه وكما أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم[5].

وهاته التعريفات وغيرها وإن اختلفت في تركيبها إلا أن أجزائها و مضمونها واحد، فالكل يقصد ثلاثة أمور يرتكز عليها وهي:

أولاً: إثبات للأسماء والصفات بلا تشبيه بالمخلوق

---

[1] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، ت: محمد حامد الفقي، (مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، د ط، د ت)، ج03، ص233.

[2] كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، أبو بكر محمد بن خزيمة، ت: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، (مكتبة الرشد، الرياض، ط 05، 1414هـ، 1994م)، ج01، ص 26 (بتصرف).

[3] الأسماء والصفات نقلاً وعقلاً، محمد الأمين الشنقيطي، (الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية، ط 05، 1973م)، ص 09. (بتصرف)

[4] الشورى 11

[5] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج 01، ص165

ثانياً: تنزيهه عن مشابهة الخلق في صفة من الصفات بلا تعطيل لتلك الصفات

ثالثاً: أن المرجع في ذلك الإثبات وذلك التنزيه إلى الله سبحانه ونبيه صلى الله عليه وسلم

وبهذه الأمور الثلاثة في تعريف توحيد الأسماء والصفات يتميز أهل السنة عن الطائفتين اللتان خالفتا المنهج وتطرفتا في هذا التوحيد، ونقصد هنا الجهمية[1] والمعتزلة[2].

وقد تبين فساد كل من الطرفين؛ فأما فساد الجهمية فلا يخفى على أحد، وقد عطلوا صفاته القائمة به سبحانه فقالوا: "أن الله تعالى لا علم له، ولا قدرة، ولا حياة، ولا سمع، ولا بصر له، وأرادوا أن ينفوا أن الله تعالى عالم، قادر، حي، سميع، بصير [3]"، زعماً منهم أن ذلك تنزيه للرب عن التركيب، كما عطلوا صفات أفعاله التي تعلقت بمشيئته وقدرته زعماً منهم أنهم ينزهونه عن التغير، إضافة إلى تعطيلهم لعلوه سبحانه واستواءه على عرشه زعماً منهم كذلك لتنزيهه عن التحيز.

وأما المعتزلة وإن أثبتوا الأسماء الحسنى له سبحانه إلا أنهم نفوا عنه سبحانه الصفات وعطلوها وجعلوها هي عين الذات فقالوا: " إن الله عالم، قادر، حي، سميع، بصير من طريق التسمية من غير أن يثبتوا له حقيقة العلم، والقدرة، والسمع، والبصر[4]"، فراراً منهم وحسب اعتقادهم من تعدد القدماء بتعدد الصفات، وقد رد الشيخ باي على المعتزلة الذين يعطلو الصفات ويجعلونها هي عين الذات ويعتبر هذا اعتقاداً باطلاً ، فيقول في تنزيهه لله سبحانه وتعالى وإثباتاً لصفاته" وتنزه عن التعطيل بأن تكون ذاته معطلة عن الصفات كما يعتقد المعتزلة فراراً من تعدد القدماء وقالوا هو تعالى قادر بذاته مريد بذاته إلى آخرها من غير صفة زائدة وهذا الاعتقاد باطل باتفاق أهل الحق سلفاً وخلفاً "[5].

وهذا الرد من الشيخ باي على المعتزلة له ما يؤيده من العقل الصريح والنقل الصحيح، فمن جهة العقل لا يعلم أن يكون عالماً وقادراً وحياً وغير ذلك من صفات المعاني إلا من قامت به هذه الصفات، كما لا يعقل ذاتاً بغير صفات، وحتى الصفات التي جعلها المعتزلة بائنة عنه سبحانه– والتي عندهم تحل بما يخلقه من خلقه كتكلمه وإرادته سبحانه بما

---

[1] الجهمية اتباع جهم بن صفوان ظهرت بدعته بترمذ، وقتله سلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية ومن قوله لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه، لأن ذلك يقضي تشبيها، فنفي كونه حيا عالما، وأثبت كونه: قادرا، فاعلا، خالقا؛ لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة، والفعل، والخلق وغيرها من الاعتقادات التي خالف بها أهل السنة. أنظر الملل والنحل، للشهرستاني، ج1، ص 86. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر البغدادي، (دار الأفاق الجديدة ، بيروت، ط 02، 1977م)، ص199.

[2] المعتزلة ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية، والعدلية، والذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد قول بأن الله تعالى قديم، والقدم أخص وصف ذاته. ونفوا الصفات القديمة1 أصلا، فقالوا: هو عالم بذاته، قادر بذاته، حي بذاته؛ لا بعلم وقدرة وحياة. هي صفات قديمة، ومعان قائمة به ، وغيرها من الاعتقادات التي خالفوا بها أهل السنة، الملل والنحل، ج1، ص 43. الفرق بين الفرق، البغدادي، ص 190

[3] الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري، ت: فوقية حسين محمود، (دار الأنصار ، القاهرة، ط 01، 1397هـ)، ص 143.

[4] الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن، ص 143

[5] زاد السالك، محمد باي، ص 18

يخلق في غيره، وهذا حتى يثبوا الصفات وينفوا التعدد– قد تبين فسادها من حيث أن ذلك يقتضي أن إرادته سبحانه وكلامه هي عين المخلوقات التي أوجدها في الخارج، فتكون بذلك صفاته تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا.

ومن جهة النقل فقد قال الله سبحانه وتعالى في أعظم آية أنزلها في كتابه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾[1] فبعد أن ذكر أسمه الذي تسمى به وحده دون غيره وهو " الله" ونفى أن يكون هناك إله سواه، سمى نفسه سبحانه بالحي القيوم و "هذان الاسمان الكريمان يدلان على سائر الأسماء الحسنى دلالة مطابقة وتضمنا ولزوما، فالحي من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات، كالسمع والبصر والعلم والقدرة، ونحو ذلك، والقيوم: هو الذي قام بنفسه وقام بغيره، وذلك مستلزم لجميع الأفعال التي اتصف بها رب العالمين من فعله ما يشاء من الاستواء والنزول والكلام والقول والخلق والرزق والإماتة والإحياء، وسائر أنواع التدبير، كل ذلك داخل في قيومية الباري[2]"، فهو سبحانه قد أثبت لنفسه أسماء وصفات وهو أعلم بنفسه سبحانه وليس للخلق إلا أن يثبوا ما أثبته لنفسه من غير تكييف ولا تعطيل

المطلب الثاني: منهج الشيخ باي في تقسيم الصفات:

قد علمنا أن أهل السنة يخالفون الجهمية الذين يرون أن الصفات مدعاة للتشبه بالخلق فعطلوها فراراً من ذلك، كما أنهم خالفوا من رأى أنها هي عين الذات فراراً من تعدد القدماء أو أنها هي عين الموجودات التي تعلقت بها، وهذان الرأيان الأخريان نسبا إلى المعتزلة، وفي كلا الحالتين ومن كلا الرأيين يجرهم قوله إلى إثبات ذات مجردة عن الصفات ؛ والذي عليه أهل السنة أن هذه الصفات ثابتة له سبحانه، يثبتون ما أثبته سبحانه لنفسه أو ما أثبته له رسله إثباتاً بلا تمثيل ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفته عنه الرسل كذلك نفي بلا تعطيل، عنوانهم وملخص قولهم في ذلك، هو ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، كقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[3] كما أنهم أيضاً التزموا في تقسيمهم لهاته الصفات ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية، من صفات ذاتية وصفات فعلية[4] وهو ما سبق ذكره في استشهادنا بآية الكرسي في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾[5] فتعلقت الصفات الذاتية بالاسم الأول منهما وهو " الحي"، كما تعلقت الصفات الفعلية بالاسم الثاني منهما وهو" القيوم"، وهذا التقسيم قد ذكره الشيخ باي في ذكره لبراعة استهلال سورة إقرأ

---

[1] البقرة 255

[2] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمان بن ناصر السعدي، ص 110

[3] الشورى 11

[4] لوامع الأنوار البهية، محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي، ج 1، ص116

[5] البقرة 255

نقلا لكلام السيوطي في "الإتقان" فيقول عن ذلك"...وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب وإثبات ذاته وصفاته من صفة ذات وصفة فعل"[1]، كما أن الشيخ باي عمل على هذا التقسيم في عرضه للصفات وحديثه عنها.

وقبل أن نتكلم عن هذا التقسيم نعّرف الصفات الذاتية والصفات الفعلية.

أولاً: الصفات الذاتية: وهي التي لا تنفك عنها الذات، بل هي لازمة لها أزلا وأبدا، ولا تتعلق بها مشيئته تعالى وقدرته، وذلك كصفات: الحياة، والعلم، والقدرة، والقوة، والعزة، والملك، والعظمة، والكبرياء، والمجد، والجلال إلخ.

ثانياً : صفات فعلية: وهي التي تتعلق بها مشيئته وقدرته كل وقت وآن، وتحدث بمشيئته وقدرته آحاد تلك الصفات من الأفعال، وإن كان هو لم يزل موصوفا بها، بمعنى أن نوعها قديم، وأفرادها حادثة، فهو سبحانه لم يزل فعالا لما يريد، ولم يزل ولا يزال يقول ويتكلم ويخلق ويدبر الأمور، وأفعاله تقع شيئا فشيئا، تبعا لحكمته وإرادته[2]

وبعد أن قسم الشيخ باي صفاته سبحانه وتعالى إلى ذاتية وفعلية على منهج أهل السنة، أعاد تقسم صفات الذات إلى صفات واجبة وصفات مستحيلة،وبدورها الصفات الذاتية الواجبة تنقسم إلى صفات نفسية وصفات سلبية وصفات المعاني وصفات معنوية، وهي في مجموعها عشرون صفة، ثم أن الجزء الثاني من صفات الذات وهي الصفات المستحلية تشمل كذلك عشرون صفة هي على نقيض العشرين الأولى الواجبة، وبهذا ينتهي من صفات الذات وينتقل إلى صفات الفعل ثم إلى الصفات الباقية، وما أجملناه هنا سنفصله في المباحث التالية ولكن على حسب المادة العلمية لا حسب ما ذكره الشيخ باي في تقسيمه السالف ذكره.

---

[1] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 146

[2] شرح العقيدة الواسطية، محمد بن خليل حسن هراس، ت: علوي بن عبد القادر السقاف، (دار الهجرة للنشر والتوزيع، الخبر، السعودية، ط 03، 1415هـ)، ص 159-160.

المبحث الثاني: الصفات النفسية والصفات السلبية

المطلب الأول: الصفة النفسية[1]: والتي قال في بيانها :

يجب للإله جل وعلا الوجود .....

وبعد أن ذكر الصفات الواجبة بيّن تفاصيل تلك الصفات فقال :

فالصفة الأولى هي النفسية .....

فبدا بالصفة الأولى وسماها بالصفة النفسية ، ثم يشرح هذا المعنى فيقول:" ومعنى النفسية: بفتح النون وسكون الفاء وكسر السين وشد المثناة تحت، أي المنسوبة للنفس أي الذات لتوقف تعقل الذات عليها وهو الوجود[2]"، وقيل هي "صفة ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات، دون معنى زائد عليها[3]"، ثم يتحدث عن صفة الوجود وأنه ليس كالوجود للخلق، ووجوب هذا الوجود لله وعلة ذلك الوجوب وما يترتب على نقيضه ونتيجة ذلك كله، فيقول: " يجب للإله جل وعلا الوجود" الذاتي" بمعنى أنه وجد لذاته لا لعلة، فلايقبل العدم لا أزلاً ولا أبداً، لوجوب افتقار العالم وكل جزء من أجزائه إليه تعالى، وكل من وجب افتقار العالم إليه لا يكون وجوده إلا واجبا لا جائزاً، وإلا لزم الدور والتسلسل وهما باطلان[4]، ثم ذكر الشيخ اختلاف العلماء في الوجود هل هو عين الموجود أو غيره؟ وخلص إلى أن على المكلف أن يعرف أن الله موجود ولا يجب عليه معرفة أن وجوده تعالى عين ذاته أو غيرها.

وقد استدل الشيخ باي على وجود الله سبحانه وتعالى من القرآن بقوله تعالى:﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[5]، وقد سبق لنا الكلام عن هذا الاستدلال وصلوحيته في إثبات وجوده سبحانه وتعالى[6]، أما من العقل فقد ذهب إلى قاعدة بطلان الدور والتسلسل فقال: "لو لم يكن واجب الوجود لكان جائزاً، فيفتقر إلى محدث، ويفتقر محدثه إلى محدث وهكذا فيلزم الدور والتسلسل وهذا باطل[7]".

---

[1] زاد السالك ، محمد باي، ص 14

[2] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 167. زاد السالك ، محمد باي، ص14

[3] شرح جوهرة التوحيد، عبد السلام بن ابراهيم اللقاني، (مطبعة السعادة، مصر، ط 02، 1375هـ، 1955م)، ص 73

[4] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 163

[5] البقرة 115

[6] انظر مبحث منهج الشيخ باي في الاستدلال على العقيدة

[7] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 164

المطلب الثاني: الصفات السلبية[1]

وبعد إن انتهى من القسم الأول من الصفات الذاتية الواجبة انتقل إلى الجزء الثاني وهي الصفات السلبية فقال:

..... ثم البواقي بعدها سلبية

ويبيّن سبب تسميتها بذلك الاسم فيقول:

لكونها عن الإله سلبت ما ليس للمولى يليق ونفت

ويشرح الشيخ باي هذا البيت ويبيّن حكم هاته الصفات في حقه سبحانه، كما يبين الدليل في سلبيتها أي عدم انتفائها عن الله سبحانه وتعالى وهو العقل، وهذا للدور الذي قامت به، وهو نفيها بوجودها ما لا يليق به سبحانه وتعالى فقال:"وهذه الصفات الست واجبة لله سبحانه وتعالى، ولا يصدق العقل بسلبها فسلبت عن الله أمراً لا يليق به[2]"

و يُعّرف العلماء معنى السلبية بأنه " كل صفة مدلولها عدم أمر لا يليق به سبحانه[3]"، ثم يعّرفها الشيخ باي أكثر فيقول " **ثم البواقي بعدا سلبية**" بفتح السين المهملة وسكون اللام وكسر الموحدة وشد المثانة تحت، المنسوبة للسلب، أي النقص نسبة الدال إلى مدلوله لأن معانيها سلبت النقائص المستحيلة على الله تعالى"[4].

ثم ذكرها في قوله[5]:

....والقدم والبقا- ولا

يشابه الخلق له المخالفة وقائم بذاته فلتعرفه

وواحد في الذات والأفعال وفي الصفات فاسمعن مقالي

ويتناول الشيخ باي هاته الصفات بالشرح والتفصيل والدليل القرآني والعقلي، فبدأ بأول صفة من الصفات السلبية وهي:

1/2- " القدم[6]": وهو نعت لله والذي يعني في حقه سبحانه وتعالى ألا ابتداء له، ودليلها أي هاته الصفة من

---

[1] زاد السالك ، محمد باي، ص 14

[2] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج 01، ص170.

[3] شرح جوهرة التوحيد، عبد السلام بن إبراهيم اللقاني، ص 78

[4] زاد السالك ، محمد باي، ص 14

[5] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج 1، ص 164. زاد السالك ، محمد باي، ص 14

[6] هذه الصفة وهي القدم، منهم من يرى أن الله جل وعلا لم يصف في كتابه نفسه بالقدم وبعض السلف كره وصفه بالقدم لأنه قد يطلق مع سبق العدم نحو {كالعرجون القديم} ، {إنك لفي ضلالك القديم} ، {أنتم وآباؤكم الأقدمون}، وقد جاء فيه حديث بعض العلماء يقول هو يدل على وصفه بهذا، وقد ذكر الحاكم في المستدرك في بعض الروايات القديم في أسمائه تعالى وفي حديث دخول المسجد: " أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان==

القرآن كما يرى الشيخ باي هو قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ﴾[1]، والتي جاء في تفسيرها أنه "قبل كل شيء بغير حدّ[2]"، وهذا من جهة تقدمه على خلقه، كما فسرت على جهة عدم الحدوث، فقيل أنه " الذي لا ابتداء له[3]"، ومنهم من جمع التفسيرين السابقين لهذه الصفة، فقال أنه الذي تقدم خلقة وألا ابتداء له فهو " قبل كل شيء بلا حد ولا ابتداء، كان هو ولا شيء موجود[4]"؛ وقيل " القديم هو الذي لم يسبق وجوده عدم[5]"، وإن دلت هذه الأقوال على شيء إنما تدل على اختلاف المفسرين على معناها، ولذلك يرى البعض أن الأولى أن يكتفى في شرحها بالذي جاء في السنة النبوية، "وقد شرحها رسول الله صلى الله عليه وسلم شرحا يغني عن قول كل قائل، فقال في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: ﴿**اللهم أنت الأول فليس قبلك شي** ...﴾[6]، وهذا الاكتفاء بشرحه صلى الله عليه وسلم مرده أن كلامه صلى الله عليه وسلم كله صواب فهو لا ينطق على الهوى، كما انه صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم، وأعلم من تكلم عن ربه ووصفه جل وعلا.

وبعد أن ذكر الشيخ باي دليل هاته الصفة من القرآن، ذكر ما يثبتها من العقل، واعتمد على قاعدة "بطلان الدور والتسلسل"، فقال ودليل وجوبها من العقل:لو لم يكن قديماً لكان حدثاً إذ لا واسطة بينه[7]، فيفتقر سبحانه إلى محدث ويفتقر محدثه إلى محدث لانعقاد المماثلة بينهما، هكذا فيلزم الدور والتسلسل وكلاهما محال....وإذا استحال حدوثه وجب قدمه[8]"، وهذه النتيجة التي توصل إليها الشيخ باي في إثباته لصفة القدم من العقل وهي وجوب قدمه سبحانه وتعالى، قد أثبتها الإمام فخر الدين الرازي[9] انطلاقاً من أنه سبحانه " واجب الوجود " وجعل ذلك دليل عقلياً في إثبات قدمه

===الرجيم**"**. أنظر مقال "الأسماء والصفات نقلاً وعقلاً"، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، السنة الخامسة، العدد الرابع، 1393هـ، 1973م. لم أجد الحديث في المستدرك للحاكم ولكن الحديث أخرجه أبو داوود في سننه، باب" فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد. أنظر :سنن أبي داوود، ج01، ص 127. كما أخرجه البيهقي في كتاب" الدعوات الكبير، باب" القول والدعاء عند دخول المسجد" أنظر كتاب "الدعوات الكبير، أبو بكر البيهقي، ت بدر بن عبد الله البدر، (غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط 01، 2009م)، ج01، ص 129.

[1] الحديد 03.

[2] تفسير الطبري، ج 23، ص168.

[3] تفسير الماتريدي، ج 9، ص513.

[4] تفسير الثعلبي، ج 9، ص 227.

[5] لوامع الأنوار، السفاريني، ج 01، ص38.

[6] تفسير القرطبي، ج17، ص 236. والحديث رواه مسلم، في كتابه " صحيح مسلم"، كتاب" الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار"، باب" ما يقول عند النوم وأخذ المضجع"، رقم: 2713، ج 04، ص 2084.

[7] هذه الكلمة هكذا وردت "بينه" ولعله خطأ مطبعي، ولعل الأصح "بينهما" أي بين القديم والحادث والله أعلم بمراد الشيخ

[8] ملتقى الأدلة ، محمد باي، ج 1، ص 164. زاد السالك، محمد باي، ص 14

[9] أبو عبد الله، فخر الدين، أبو المعالي.محمد الرازي: هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي التيمي، البكري، الطبرستاني، الرازي، الشافعي، المعروف بالفخر الرازي، وبابن خطيب الري، مفسر، متكلم، فقيه، أصولي، حكيم، أديب، شاعر، طبيب، مشارك في كثير من العلوم الشرعية والعربية، والحكمية،==

سبحانه وهذا في تفسيره للآية السابقة ، فبعد شرحه للمعنى القرآني، ساق الدليل العقلي فقال: والبرهان دلّ أيضا على هذا المعنى، لأنا نقول: كل ما عدا الواجب ممكن، وكل ممكن محدث، فكل ما عدا الواجب فهو محدث، وذلك الواجب أول لكل ما عداه[1]"، فكل من الإثباتين وإن اختلافا في الطريقة إلا أنهما استخدما نفس المنهج وهو" منهج قياس الغائب على الشاهد"

2/2 **"البقاء"**:

تعتبر صفة " البقاء" ملازمة في ذكرها للصفة السابقة وهي" القدم"كما أن ذكر ما في معناها ملازم لمعاني سابقتها ، فلا يذكر القدم إلا ويذكر بعده "البقاء"، كما لا يذكر " الأول" إلا ويذكر معه" الأخر"، وإذا كانت الصفة الأولى وهي "القدم" تعني عدم سبقه سبحانه بعدم، فإن صفة" البقاء تعني عدم لحوقه سبحانه بعدم، وإذا ثبتت الصفة الأولى وهي "القدم"فإن ذلك دليل على ثبوت الصفة الثانية وهي" البقاء"، لأن لحوق العدم ينفي القدم، والذي يفسر هنا بالبقاء، ولا نقصد بالقدم هنا أي قدم، بل المقصود هو القدم الإلهي الذي لم يسبقه عدم.

ولذلك قيل في صفة " البقاء" أنها" نفي للعدم اللاحق بعد الوجود؛ والبقاء صفة واجبة له تعالى كما وجب له القدم، لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه[2]"، فهذا التعريف للبقاء ارتكز على نفي صفةٍ وهي العدم، ومنهم من ارتكز في تعريفه على نفي فعلٍ وهو "لحوق العدم"، وهو ما عرف به الشيخ باي صفة "البقاء" فقال: "وهو امتناع لحوق العدم لأن ما ثبت قدمه يستحيل عدمه[3]"، كما أن الشيخ وفي موضع آخر عبّر عن كلمة "العدم" بكلمة " الآخرية"، والتي يقصد بها هنا النهاية، وجعل عدم نسبتها لوجود الله تعريفاً للبقاء فقال: " والمراد بالبقاء عدم الآخرية للوجود[4]".

والدليل القرآني الذي ساقه الشيخ باي على اتصافه سبحانه وتعالى بصفة البقاء، هو قوله تعالى: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾[5]، وهو أي الشيخ باي يريد من ذلك صرف الوجه في الآية إلى ذاته سبحانه، وهذا ما ذهب إليه بعض المفسرين، منهم القرطبي والذي قال في تفسيرها" أي ويبقى الله، فالوجه عبارة عن وجوده وذاته سبحانه[6]" وقد

==والرياضية، ولد سنة 543هـ- 1149م بالري من أعمال فارس، ورحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وأخذ عنه خلق كثير، توفي سنة 606 هـ- 1210 م. معجم المؤلفين، عمر بن رضا كحالة، ج11، ص 79

[1] تفسير الرازي، ج 29، ص 445.

[2] لوامع الأنوار البهية، شمس الدين محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي، ج1، ص39.

[3] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج 01، ص 167.

[4] زاد السالك، محمد باي، ص 14

[5] الرحمن 27

[6] تفسير القرطبي، ج 17، ص 165. أنظر، صفوة التفاسير، محمد بن علي الصابوني، (دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 01، 1417هـ، 1997م)، ج 03، ص278.

استشهدا القرطبي بالكثير من العلماء وحتى الصحابة على ما ذهب إليه وقد نقل عن ابن عباس قوله في الآية " الوجه عبارة عنه[1]"

أما الدليل من العقل: فلأنه – سبحانه – لو قدر لحوق العدم له لكانت نسبة الوجود والعدم إلى ذاته – تعالى – سواء، فيلزم افتقار وجوده إلى موجد يخترعه بدلا عن العدم الجائز عليه – تقدس وتعالى عن ذلك – فيكون حادثا، واللازم باطل فكذا الملزوم ; لأن وجوده – تعالى – واجب لذاته[2]" أما الذي ساقه الشيخ باي كدليل عقلي على صفة البقاء، هو ما اسْتُلْزِم من إثبات صفة القدم، فقال: "لو جاز أن يلحقه العدم لاستحال عليه القدم، فهو القديم وهو الباقي[3]".

وإذا ما تمعنا في كلا الاستدلالين وجدنا أن استحالة الحدوث عنه سبحانه هي مرّد وجوب البقاء له سبحانه، لأن الحدوث يؤدي إلى الدور والتسلسل وهما باطلان، إلا أن الدليل العقلي الأول عبّر عن استحالة الحدوث بأن وجوده سبحانه"واجب لذاته"، وعبّر الدليل العقلي الثاني عن استحالة الحدوث بصفة "القديم".

3/2- عدم المماثلة في الصفات والأفعال:

وهذه الصفة — إن جاز لنا القول عنها أنها صفة– هي تدور عن تنزيهه سبحانه بأن تثبت مخالفة صفاته وأفعاله سبحانه لصفات المخلوقين، وهي تتلخص في نفي المماثلة أو نفي التجسيم، وهي– أي هذه الصفة– بذلك تتشابه في مقصدها مع صفة الوحدانية في الذات والصفات والأفعال له سبحانه؛ إلا أن صفة عدم المماثلة تقتضي تنزيهه سبحانه بأن تثبت مخالفة صفاته وأفعاله سبحانه لصفات المخلوقين، ، وصفة الوحدانية تقتضي تنزيهه سبحانه أن يشابهه خلقه في صفاته سبحانه أو إحداها، أو بمعنى آخر أن صفة عدم المماثلة تقتضي عدم إنزال مكانة الألوهية لتشابه الناسوتية، والوحدانية تقتضي عدم رفع الناسوتية لتشابه الألوهية، وكلاهما تنزيه له سبحانه وتعالى.

وقد فسرت هاته الصفة وهي " عدم المماثلة" بمخالفته سبحانه لما عداه، وهي المخلوقات جميعاً، "أي مخالفة ذاته وصفاته لكل ما يقوم به العدم ويجوز عليه من الحوادث... والمخالفة عبارة عن سلب الجرمية والعرضية أو الكلية والجزئية ولوازمها عنه تعالى[4]" ويشرح الشيخ باي لوازم الجرمية والعرضية والكلية والجزئية فيقول:" وهي سلب الجرمية التي تلزم التحيز، والعرضية التي تلزم القيام بالغير، والكلية التي تلزم الكبر، والجزئية التي تلزم الصغر، فهو مخالف للمخلوقات في ذاته وصفاته وأفعاله[5]"، لأن كل مما سبق ذكره من التحيز والقيام بالغير والكبر والصغر، كل تلك الأشياء يجمعها الحدوث،

---

[1] تفسير القرطبي، ج 17، ص 165.

[2] لوامع الأنوار البهية، شمس الدين محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي، ج1، ص 39.

[3] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج01، ص167، زاد السالك، محمد باي، ص 14

[4] شرح جوهرة التوحيد، عبد السلام بن إبراهيم اللقاني، ص 79

[5] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج 1، ص 167

ولذلك قال شارح الجوهرة" لأن الحوادث إما أجسام وإما جواهر وإما أعراض ، والأعراض إما أزمنة وإما أمكنة إما جهات وإما حدود ونهايات، ولا شيء منها بواجب الوجود؛ لما ثبت لها من الحدوث واستحالة القدم عليها[1]".

ثم إن الشيخ باي يتوقع إشكالية عن الذي سبق تنزيه الله عنه، ثم يبيّن المخرج من تلك الإشكالية، وهي عدم إدراك الخلق لذاته سبحانه فلا يدرك ذاته سواه، فيقول:فإذا ألقى الشيطان في ذهنك أنه إذا لم يكن الله جرماً ولا عرضاً ولا كلاً ولا جزءاً، فما حقيقته، فقل في رد ذلك لا يعلم الله إلا الله[2]"، وهذا هو الصواب إذ لا يعد عدم تسميته سبحانه وتعالى بشيء مما مضى نقصاً، لأنه قد قيل "العجز عن الإدراك إدراك[3]".

ثم يستدل على هاته الصفة بالصفة السابقة وثبوتها له سبحانه وتعالى وهي " القدم" فيقول: " برهان أي دليل هذا الحكم الواجب له تعالى؛ وهو مخالفته للحوادث القدم[4]" ثم يشرح الرابط بين القديم ومخالفته للحوادث فيقول:"لأن كل ما وجب له القدم بالمعنى السابق استحال عليه العدم، ولا شيء من الحوادث بمستحيل عليه العدم؛ فلا شيء بقديم[5]"، وبهذا فهو ينطلق من الإثبات السابق وهو "القدم" وأن الحوادث غير متصفة به، ليحقق الإثبات اللاحق وهو " عدم المماثلة"، أو بمعنى آخر مخالفته سبحانه للحوادث، وهذا إثبات من جهة الخلق، وهو نفس الدليل العقلي الذي ساقه الشيخ باي في هذه القضية ولكن من جهته الخالق سبحانه وقد أثبت له القدم وما يمثله القدم من استحالة الحدوث وما يجره هذا الحدوث من المماثلة عليه سبحانه ليصل إلى مخالفته للحوادث فقال: والدليل على ذلك من العقل: انه تعالى لما وجب له القدم استحالت عليه المماثلة للحوادث إذ لو ماثلها لكان حادث مثلها والحدوث عليه وتعالى مستحيل فما أدى إليه يكون مستحيلا وإذا استحالت مماثلته للحوادث وجبت مخالفته لها [6]"

وملخص ذلك كله ومرّده إلى بطلان الدور والتسلسل والذي يبطل الحدوث عليه سبحانه أومن جهة أخرى يثبت له القدم والذي بدور–أي القدم – يبطل المماثلة للحوادث، أو من جهة أخرى يثبت مخالفته سبحانه للحوادث.

ثم إن الشيخ باي لم يكتفي بالدليل العقلي على مخالفته سبحانه وتعالى للحوادث، بل ساق دليل من القرآن على ذلك وجعل الدليل القرآني راداً على الذين ماثلوا الخالق بالخلق وشبهوه بهم، فقال:" ودليله من القرآن: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ

---

[1] شرح جوهرة التوحيد، عبد السلام بن إبراهيم اللقاني، ص 79

[2] زاد السالك، محمد باي، ص 15.

[3] تنسب هذه المقولة لسيدنا أبو بكر الصدق رضي الله عنه، فإنه لما سئل بم عرفت ربك؟ فقال: عرفت ربي بربي، ولولا ربي ما عرفت ربي، فقيل له: وهل يتأتى لبشر أن يدركه؟ فقال: "العجز عن الإدراك إدراك"، أنظر : الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي علي، (المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية السعودية، ط 01، 1408 ه)، ص 90. وانظر كتاب "مجموعة الرسائل والمسائل" تقي الدين ابن تيمية، علق على الكتاب السيد محمد رشيد رضا، (لجنة التراث العربي، د ط، د ت)، ج 04، ص 54

[4] شرح جوهرة التوحيد، عبد السلام بن إبراهيم اللقاني، ص 79

[5] نفس المصدر والصفحة.

[6] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج 01، ص 167

ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[1] وهذا رد على الممثلة والمشبهة؛ وهو استدلال في محله في مخالفته سبحانه للحوادث، لكن الشيخ بعد ذلك انحرف في كلامه من تنزيهه سبحانه عن المماثلة إلى توحيده سبحانه في صفاته، وجعل يتكلم عن توحيد الألوهية وما وقع فيه النصارى من الشرك، وأن كل من وقع فيما وقعوا فيه من وصف المخلوق بصفات الخالق فهو نظيرهم فقال:" فمن جعل صفات المخلوق مثل صفات الخالق فهو نظير النصارى في كفرهم، وعليه فالواجب لله المخالفة للحوادث[2]"، وهذا الانحراف من الشيخ باي في الكلام مرده إلى التشابه الذي سقناه في أول كلامنا بين هاته الصفة وصفة الوحدانية.

كما أن الشيخ وفي حديثه عن هاته الصفة وفي شرحه لنظمه المسمى"فتح الرحيم المالك في مذهب الإمام مالك"، يتكلم في نظم البيت عن عدم المماثلة، وفي شرح البيت يتكلم عن التوحيد دون أن يفصل بينهما فقال في النظم:

ولا يشابه الخلق له المخالفة .....

أما في الشرح فيقول :" (و) الله (لا يشابهـ)ـه المخلوقات ولا يشابهم فلا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته[3]"، ولا شك أن هناك فرق بين حديث النظم وحديث الشرح.

4/2- " **القيام بالنفس** ": تقوم هاته الصفة على شيئين :

أولاً: المراد من قولنا" القيام بالنفس" ومعنى ذلك .

ثانياً: قيامه بنفسه سبحانه، أو بعبارة أخرى" وجوب قيامه سبحانه بنفسه"، والأدلة النقلية والعقلية على ذلك.

أما من حيث فهم القيام بالنفس، فإن الشيخ باي عبّر عن ذلك وفسره بالغنى فقال: "ومن الواجب القيام بالنفس وهو الغنى ، والغنى عبارة عن عدم الافتقار إلى المحل والمخصص[4]"، كما أن فهم عبارة الشيخ باي وهي "الغنى" والذي عرفه بـ" عدم الافتقار إلى المحل والمخصص" منه سبحانه وتعالى راجع إلى فهم المخالفة، أي ما خالفه في تلك الصفة سبحانه وهي كل الحوادث والأشياء التي تفتقر إلى ما يقوم بها سواءً بتخصيص محل؛ وإن استغنى ذاك الحادث أو الشيء عن المحل فإن افتقاره يكون من حيث أنه وجوده بالأساس متعلق بما يوجد ويعرف ويظهر به، فإن الأشياء والحوادث " تنقسم إلى ما يفتقر إلى محل كالأغراض والأوصاف فيقال فيها إنها ليست قائمة بأنفسها وإلى ما لا يحتاج إلى محل فيقال إنه قائم بنفسه كالجواهر إلا أن الجوهر وإن قام بنفسه مستغنيا عن محل يقوم به فليس مستغنيا عن أمور لا بد منها لوجوده وتكون شرطا

[1] الشورى 11

[2] نفس المصدر والصفحة.

[3] زاد السالك، محمد باي، ص 15

[4] نفس المصدر والصفحة. ملتقى الأدلة، محمد باي، ج 01، ص 168

في وجوده فلا يكون قائما بنفسه لأنه يحتاج في قوامه إلى وجود غيره وإن لم يحتج إلى محل[1]"، إلا أن وجوده متعلق بالأعراض فينعدم بانعدامها ويوجد بوجودها، فكان بذلك كل من المعلق والمتعلق به غير قائماً بنفسه، لأنه وبطريقة أخرى، لا شك أن الأعراض تختص بجهة، و "كل مختص بجهة شاغل لها متحيز، وكل متحيز قابل لملاقاة الجواهر ومفارقتها، وكل ما يقبل الاجتماع والافتراق لا يخلو عنها، وما لا يخلو عن الاجتماع والافتراق حادث كالجواهر[2]".

وإذا كانت الجواهر وما تعلقت به حادث، فإن افتقارها يكون من جهتين، من جهة تخصيصها بمحل أو جهة كما أسلفنا، ومن جهة أخرى يكون افتقارها لمحدث يحدثها أو مخصص يخصصها، وبذلك يكون الله مغايراً لها لذلك السببين وهما ما يوضحان الشطر الثاني من صفة " القيام بالنفس" وهو ما سنثبته لله بالنقل والعقل.

ثانياً: قيامه بنفسه سبحانه، أو بعبارة أخرى" وجوب قيامه سبحانه بنفسه"، والأدلة النقلية والعقلية على ذلك.

أما من ناحية إثبات قيامه بنفسه سبحانه فإن ذلك يعني مخالفته سبحانه لما سبق لنا وأن أثبتنا أنه مفتقر إلى محل ومخصص وهي الأعراض والجواهر، والتي لا تقوم بذاتها وإنما لا بد لها من قائم أو موجد يقومها أو يوجدها، وبطلان للدور والتسلسل فإن ذلك الموجد يكفي ذاته، "فإن كان في الوجود موجود يكفي ذاته بذاته ولا قوام له بغيره ولا يشترط في دوام وجوده وجود غيره فهو القائم بنفسه مطلقا فإن كان مع ذلك يقوم به كل موجود حتى لا يتصور للأشياء وجود ولا دوام وجود إلا به فهو القيوم لأن قوامه بذاته وقوام كل شيء به وليس ذلك إلا الله سبحانه وتعالى[3]"، ولذلك فسرت صفة "القيوم" والتي هي مما وصف به نفسه سبحانه بأنها "من قام، أي القائم بتدبير ما خلق[4]"

وقد أثبت الشيخ باي قيامه بنفسه سبحانه بإثبات استغناءه عن الشيئين المذكورين سابقاً والذي أثبتنا أن الحوادث غير مستغنية عنهم، وهما المحل والمخصص، فقال عن المحل والدليل من العقل: أنه لو افتقر إليه لكان صفة والصفة لا تتصف بصفات المعاني والمعنوية والله يجب أن يتصف بهما فيجب أن لا يكون صفة فلا يفتقر إلى محل وهو المطلوب" وقول الشيخ باي" أن الصفة لا تتصف بصفات المعاني والمعنوية"لأن الصفة حادثة تتصف بصفات المعاني فقط دون صفات المعنوية والتي من تعريفها أنها لا تتعلق بوجود ولا بعدم، وهي –أي الصفات المعنوية– ما يتصف بها الله وحده

---

[1] المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد الغزالي، ت: بسام عبد الوهاب الجابي، (الجفان والجابي، قبرص، ط 01، 1407هـ، 1987م)، ص 132

[2] لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، إمام الحرمين أبو المعالي الجويني، ت: فوقية حسين محمود، (عالم الكتب، لبنان، ط 02، 1407هـ، 1987م)، ص 108.

[3] المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبوحامد الغزالي، ت: بسام عبد الوهاب الجابي، (الجفان والجابي، قبرص، ط 01، 1407هـ، 1987م)، ص 132

[4] تفسير القرطبي، ج 3، ص 271.

سبحانه، كما قال الشيخ باي عن استغناءه سبحانه عن المخصص" أنه لو افتقر إلى مخصص لكان حادثاً وقد سبق وجوب وجوده وقدمه وبقائه[1]، فثبت بذلك أنه سبحانه قائم بنفسه.

والدليل من القرآن الذي ساقه الشيخ باي على ثبوت صفة القيام بالنفس له سبحانه وتعالى هو قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦٤﴾﴾[2] ، وقد فسرت كلمة "الغني" على أنه" الذي كمل في غناه[3]" ولا شك أن من الكمال في الغنى أن يستغني عن المحل والمخصص وهما من باب الأولى، فكان هذا الدليل من الشيخ باي على قيامه سبحانه بنفسه في محله ودال على ما سيق له.

5/2- " الوحدانية":

الوحدانية في اللغة من "وحد" و يقال "الله الأوحد والمتوحد: ذو الوحدانية[4]"،كما تطلق كلمة (الأوحد) على الله ذو الوحدانية، ومن ذلك (الأحدية) وهي مصدر صناعي من أحد وصفة من صفات الله تعالى، معناها أنه أحدي الذات أي لا تركيب فيه أصلا [5]"، فالوحدانية –بفتح الواو وسكون الحاء- نسبة إلى الوحدة، فهذه الياء التي هي فيها، هي ياء النسبة، وقد زيدت الألف والنون قبل الياء لإفادة المبالغة...وقيل: لا يصح كون الياء للنسبة؛ لأن المراد ثبوت الوحدة نفسها لا ثبوت شيء منسوب إليها، وصاحب هذا القول استظهر أن الياء التي في " الوحدانية" ياء المصدر الصناعي، مثل: الضاربية والعالمية والمفهومية ونحوها، وهو مردود بأن الشيء قد ينسب لنفسه لقصد المبالغة[6] .

أما في الاصطلاح فإن الوحدانية له سبحانه وتعالى تعني أنه واحد في ذاته وواحد في صفاته وواحد في أفعاله، ويقصد بالتوحيد في الذات والصفات والأفعال أي عدم النظير فيها[7] "، ويتفرع كل من توحيد الذات والصفات إلى توحيد في نفي التعدد في الواحد وهو الله سبحانه وتعالى، وتوحيد في نفي الشبيه عنه من خلقه، ويلخص الشيخ باي الأقسام المذكورة فيقول:"فجملة الأمور المنفية عن الله جل وعلا بمطلق الوحدانية خمسة[8]"، وهي ما عبر عنها بنفي الكم المتصل والكم المنفصل في الذات، والكم المتصل والكم المنفصل في الصفات، والكم المنفصل في الأفعال[9].

---

[1] زادالسالك، محمد باي، ص 14-15. ملتقى الأدلة، محمد باي، ج 01، ص168.

[2] البقرة 267.

[3] تفسير الطبري،ج 5، ص 521.

[4] القاموس المحيط، أبو الطاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ت محمد نعيم العرقسوسي، (مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 08، 1426هـ، 2005م)، ص 324.

[5] المعجم الوسيط ج 2، ص 1016.

[6] شرح الجوهرة، للقاني، ص82

[7] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج 01، ص 168

[8] زاد السالك، محمد باي، ص 15

[9] شرح الجوهرة، للقاني، ص 87

ويشرح الشيخ باي الأقسام الخمسة ويبدأ بالقسمين الأولين واللذان يعتنيان بوحدة الذات ويبينها بقوله" وواحد في ذاته" أي: ليست ذاته مركبة من أجزاء كالمخلوقات ولا في الوجود ذات كذاته[1] "، وقد عبر الشيخ باي عن هذا التوحيد الذاتي له سبحانه وتعالى في موضع آخر بنفي الكم المتصل ونفي الكم المنفصل والذي ذكرناه سابقاً فقال" لا ثاني له في ذاته لا في الكم المتصل وفي الكم المنفصل، والمراد بالمنفصل:المماثلة في الذات المستلزمة للصفات، إذ لا تصدق ذات إلا مع الأوصاف[2]" فقول الشيخ "ليست ذاته مركبة من أجزاء كالمخلوقات" فهذا مستفاد من إثباتنا له سبحانه صفة المخالفة للحوادث، وهو ما وضحه الشيخ باي بقوله: "واعلم أن في نفي الكم المتصل الذاتي رداً على المجسمة[3]"، وأما قوله " ولا في الوجود ذات كذاته" فدليله نفي الألوهية عن غيره والتي من مقتضياتها –أي الألوهية– التشابه في الذات؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا؛ وسنوضح ذلك أكثر في نفى الشبيه له في الصفات والتي هي كذلك من مقتضيات الألوهية، فنفي هاته– أي الشبيه في الصفات– ينفي تلك–أي– الشبيه في الذات، وقد عبر الشيخ باي عن هذا بقوله" ...وفي نفي الكم المنفصل رداً على الثانوية المشركين[4]"

كما يشرح الشيخ باي القسم الثالث والرابع واللذان يعتنيان بوحدة الصفات فيقول:"وفي الصفة" أي: أن صفته تعالى متحدة لا متعددة وليس لأحد صفة كصفاته[5]"، ويعبر عن هذا بنفي بالكم المتصل والمنفصل في الصفات، كما هو الحال مع الذات، ونعني بالكم المتصل هو قول الشيخ باي " أن صفته تعالى متحدة لا متعددة"، وهذا في نفسه سبحانه" فأنه ليس له صفتان من جنس واحد كقدرتين وإرادتين وعلمين[6]، كما يعبر بنفي الكم المنفصل عن قول الشيخ باي"وليس لأحد صفة كصفاته" وهو ذكره في موضع آخر بقوله" نفي الكم المنفصل في الصفات معناه: أنه ليس هناك أحد من الحوادث له قدرة كقدرة الله توجد الذوات[7]"وهو ما أثبته الشيخ باي بالدليل العقلي والنقلي.

فأما الدليل العقلي على أن لا أحد يتصف بصفاته سبحانه "فإنه لو وجد فردان بصفات الألوهية لأمكن بينهما تمانع،بأن يريد أحدهما حركة زيد، والآخر يريد سكونه، لأن كلاً منهما في نفسه ممكن، وكذا تعلق الإرادة بكل منهما، إذ

[1] زاد السالك، محمد باي، ص 15

[2] السبائك الإبريزية، محمد باي، ص 14

[3] نفس المصدر والصفحة

[4] نفس المصدر والصفحة

[5] زاد السالك، محمد باي، ص 15

[6] شرح الجوهرة، للقاني، ص 87

[7] فتح الجواد شرح على نظم العزية لابن باد، محمد باي، ص 139.

لا تضاد بين الإرادتين بل بين المرادين، وحينئذ إما أن يحصل الأمران فيجتمع الضدان؛ أو لا فيلزم عجز أحدهما، وهو أمارة الحدوث والإمكان لما فيه من شائبة الاحتياج[1]".

فالفرضيتان اللتان ساقهما الشيخ باي في إمكان وجود فردان بصفة الألوهية، وهو ما يحدث بينهما تمانع فيكون عجز أحدهما وقد تبيّن أن ذلك العجز مستلزم للحدوث والإمكان وهو منافي للإلوهية التي تقتضي صفات الكمال، ولذلك قال الله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾[2]، وقد جاء في تفسير "ولعلا بعضهم على بعض" أي "غلب القوي منهم الضعيف؛ لأن القوي لا يرضى أن يعلوه ضعيف، والضعيف لا يصلح أن يكون إلها[3]"، وبهذا تبطل الفرضية الأولى، أما الفرضية الثانية وهي اجتماع الضادان فإن البعض[4] يرى أن ذلك محال، ويرى البعض الآخر أن ذلك هو أحد التفسيرين لقوله تعالى: ﴿لَفَسَدَتَا﴾ ، فيقول:" أي لو كان فيهما إلهان لفسد التدبير، لأن أحدهما إن أراد شيئا والآخر ضده كان أحدهما عاجزا: وقيل: معنى" لفسدتا" أي خربتا وهلك من فيهما بوقوع التنازع بالاختلاف الواقع بين الشركاء[5]".

وقد ساق الشيخ باي قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[6] كدليل قرآني يوضح برهان التمانع والذي يبطل الفرضيتين السابقتين، والذي قال أن من خطواته إثبات أن" التعدد مستلزم لإمكان التمانع المستلزم للمحل فيكون محالاً وهذا يقال له برهان التمانع وإليه الإشارة بقوله تعالى﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ ، وآيات كثيرة من القرآن دلت على أن الله إله واحد ومن ذلك سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾[7]" [8]

وينتهي الشيخ باي إلى القسم الخامس من الأقسام الخمسة وهو توحيد الأفعال له سبحانه وتعالى ويعرفه بقوله:" نفي الشريك في الأفعال، أي أنه ليس هناك أحد له قدرة توجد الأفعال[9]" ويوضح هذا التعريف ويفصله بقوله: أنه" عدم تأثير غيره في فعل من الأفعال لا بالاستقلال ولا بالمشاركة لهم تبارك وتعالى، فالأفعال كلها بتأثير الله وإيجاده وحده وليس لغيره فيها إلا الاختيار والكسب[10]"، فقول الشيخ باي " لا بالاستقلال ولا بالمشاركة" هذا للرد على المعتزلة القائلين أن

---

[1] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج 01، ص 168

[2] المومنون 91

[3] تفسير الطبري، ج17، ص 102.

[4] شرح الجوهرة، للقاني، ص 88

[5] تفسير القرطبي، ج11، ص 279.

[6] الأنبياء 22

[7] الإخلاص 01.

[8] ملتقى الأدلة ، محمد باي، ج 01، ص168.

[9] فتح الجواد شرح على نظم العزية لابن باد، محمد باي، ص 139.

[10] زاد السالك، محمد باي، ص 15

للعبد قدرة يخلقها الله والعبد يوجد بها أفعالاً اختيارية؛ فقال" ولا في أفعاله فهو نفي للشريك له في الأفعال والملا، والمراد بالأفعال: الممكنات كلها، وهذا رد على المعتزلة القائلين أن للعبد قدرة خلقها المولى، وتلك القدرة لا توجد ذواتاً بل أفعالاً اختيارية، فالمعتزلة لم يثبتوا الكم المنفصل في الصفات، وإنما أثبتوا الشريك في الأفعال[1]" أي أن المعتزلة لم يشركوا الله في صفاته بل في أفعاله.

وبعد أن نفينا عن الله عز وجل الكم المنفصل والمتصل في الذات، والكم المنفصل والمتصل في الصفات، والكم المنفصل فقط في الأفعال، بقيا الحديث عن الكم المتصل في الأفعال وهو ما نثبته لله سبحانه وتعالى،وقد أثبته الشيخ باي وبيّن أنه على غير سابقيه؛ فلا يصح نفيه لأن أفعاله سبحانه في خلقه شاهدة على ذلك، فقال:" أما تعدد أفعاله فهو ثابت لا يصح نفيه، لأن أفعاله كثيرة من خلق ورزق وإحياء وإماتة وغير ذلك[2]".

[1] فتح الجواد شرح على نظم العزية لابن باد، محمد باي، ص 139.

[2] زاد السالك، محمد باي، ص 15

المبحث الثالث: صفات المعاني[1]:

جاء في اللغة: أن المعنى هو ما يدل عليه اللفظ؛ وجمعه معان؛ والمعاني ما للإنسان من الصفات المحمودة يقال فلان حسن المعاني[2]؛ وقيل أن معنى كل شيء محنته وحاله التي يصير إليها أمره[3]، والمعاني هي الصور الذهنية من حيث وضع بإزائها الألفاظ والصورة الحاصلة من حيث أنها تقصد باللفظ تسمى معنى، ومن حيث حصولها من اللفظ في العقل تسمى مفهوما، ومن حيث أنها مقولة في جواب ما هو تسمى ماهية، ومن حيث ثبوتها في الخارج تسمى حقيقة، ومن حيث امتيازها عن الأعيان تسمى هوية[4]، والمراد الأقرب في اللغة إلى بحثنا وموضوعنا من كلمة معنى هو "ما يقابل الذات، فيشمل النفسية والسلبية[5]"

أما في الاصطلاح وعند علماء الكلام فإن المعنى هو "كل صفة قائمة بموصوف موجبة له حكماً [6]"، والمعاني يراد بها هنا وفي بحثنا هذا من حيث ثبوتها في الخارج والتي تسمى حقيقة، وهي بذلك تتطابق مع تعريف ما يضاف إليها وهي كلمة "صفات"، وتكون بالمعنى الأشمل للخالق والمخلوق، فتشمل كل موجود من صفات القديم والحديث، ولذالك ذهب الشيخ باي وقد عرّف صفات المعاني بأنها "الموجودة في نفسها سواءً كانت حادثة كبياض الجرم مثلاً وسواده أو قديمة كعلمه تعالى وقدرته، فكل صفة موجودة في نفسها فإنها تسمى في الاصطلاح صفة معنى"[7]

وقال الشيخ باي عن هاته الصفات في النظم:

وصفة المعاني قدرة كذا إرادة علم حياة فخذا

والسمع والبصر والكلام واجبـــة للــه يا همــام

ثم شرع الشيخ باي في شرح أبيات صفات المعاني فقال:

1/3-**القدرة:** في اللغة هي القوة والاستطاعة[8] وقد ذكر الشيخ باي أنها في اللغة ضد العجز[9].

---

[1] زاد السالك ، محمد باي، ص 14

[2] المعجم الوسيط، ج 2، ص 633

[3] تاج العروس من جواهر القاموس، محمد الزبيدي، (دار الهداية، د ط، د ت)، ج39، ص 122

[4] نفس المصدر والصفحة

[5] شرح الجوهرة، اللقاني، ص 86

[6] نفس المصدر والصفحة

[7] زاد السالك ، محمد باي، ص 17

[8] شرح الجوهرة، اللقاني، ص 91

[9] زاد السالك، محمد باي، ص 16

وفي الاصطلاح أو عرفاً: "هي صفة أزلية يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة[1]"، وقيل "هي صفة أزلية تؤثر في المقدورات عند تعلقها بها [2]"، وهذا التعريف الأخير للقدرة أشمل من التعريف الأول، لأن التعريف الأول أقصر القدر في التأثير على أن يكون بالإيجاد والإعدام فقط، أما التعريف الثاني فإنه شمل الإيجاد والإعدام وغيرهما من التغيرات الطارئة على المقدورات عند تعلق القدرة بها، كما أن التعريف الأول أضاف صفة الإرادة، أي أن ما يوجد ويعدم لا يكون ذلك إلا بقدرته سبحانه وعلى وفق إرادته، والقدرة كما يقول ويضيف الشيخ باي في التعريف"قديمة قائمة بذاته،[3]"وقد عُبّر عن الإرادة في التعريف الثاني بقوله"تؤثر" والتي يخرج بها جميع ما لا تأثير له من الصفات كالعلم والحياة والسمع والبصر والكلام ونحوها، ما عدا الإرادة[4].

أما الدليل من القرآن الذي ساقه الشيخ باي على اتصافه سبحانه وتعالى بالقدرة هو قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤٥﴾[5]، وقد حفل القرآن ببيان أنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، وجاء ذلك بصيغ مختلفة كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾[6]، والتي جاء في تأويلها: "إنك يا رب أنت العزيز القوي الذي لا يعجزه شيء أراده[7]"، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٥٣﴾[8]، "أي بعد الموت، قال ابن عباس رضي الله عنه: يريد أن الله لا يعجزه شيء ولا يفوته[9]".

أما الدليل من العقل الذي ساقه الشيخ باي على اتصاف الله سبحانه وتعالى بصفة القدرة هو قوله: أنها وجبت له، لأنه صانع قديم له مصنوع حادث، وصدور الحادث عن قديم إنما يتصور بطريق القدرة والاختيار دون الإيجاد[10]"، فجعل الشيخ باي الحوادث كلها دليل على قدرته سبحانه وتعالى، فهو خالقها بالقدرة والاختيار دون أن توجد نفسها بنفسها،

---

[1] نفس المصدر والصفحة

[2] لوامع الأنوار البهية، شمس الدين محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي، ج1، ص 150

[3] فتح الجواد، محمد باي، ص 135.

[4] شرح الجوهرة، اللقاني، ص 92

[5] النور 45

[6] البقرة 129

[7] تفسير الطبري، ج 3، ص 88.

[8] يونس 53

[9] الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، ت : مجموعة من العلماء وهم : عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن عويس، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، 1415هـ، 194م)، ج 2، ص 550.

[10] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج01، ص 170

ومنهم من رأى أن نفي ما ينفيها هو إثبات لها فقال" لو لم يجب اتصاف الله سبحانه وتعالى بالقدرة لما وجد شيء من هذا العالم...والفعل الذي هو إيجاد العالم لا يصح بدون القدرة لأن العاجز لا يقوى على فعل ما يريد[1].

أما من ناحية ما تتعلق به صفة القدرة فقد ذكر الشيخ باي أن القدرة تتعلق بالممكن [2]، دون الواجبات والمستحيلات[3]، فتوجد الممكن؛ أما الواجب فلا واجب سواه وهو سبحانه لا يصح عدمه حتى يوجد، كما أن المستحيل لا يصح وجوده، ويشرح الشيخ باي معنى التعلق عند علماء الكلام فيقول: والتعلق عند علماء هذا الفن هو طلب الصفة[4]، والتي يكون عليها الموجود وهو أمر زائد على قيامه[5].

2/3- الإرادة:

لغـــة: جاء في اللغة أن "الإرادة بمعنى القصد [6]"؛ وقال الشيخ باي أن الإرادة في اللغة " مطلق القصد[7]" وأراد الشيء: شاءه؛ ...والإرادة تكون محبة وغير محبة[8]، أما من حيث الأصل فالإرادة أصلها الواو، وحجته أنك تقول راودته على كذا[9]، أي أردته على أن يفعل كذا[10].

اصطلاحاً: وهي صفة قديمة زائدة على الذات قائمة بها شأنها التخصيص، تخصص كل ممكن ببعض ما يجوز عليه[11] على وفق العلم[12] من طول أو قصر وبياض أو سواد إلى غير ذلك[13]، فهو سبحانه وتعالى له أن يتصرف في الكون حسب مشيئته وإرادته وحكمته، فيجعل هذا طويلاً أو قصيراً، أو حسناً أو قبيحاً، أو عالماً أو جاهلاً[14]، وهو تعالى مريد بإرادته[15]، وإرادته قديمة يفعل ما يشاء وما يريد جلَّ عن النقائص وعزَّ بصفات الكمال[16] ويشرح الشيخ باي معنى

---

[1] شرح الجوهرة، اللقاني، ص 92

2 زاد السالك، محمد باي، ص 16

3 فتح الجواد، محمد باي، ص 135

4 زاد السالك، محمد باي، ص 16

5 شرح الجوهرة، اللقاني، ص 92

6 شرح الجوهرة، اللقاني، ص 93

7 زاد السالك، محمد باي، ص 17

8 لسان العرب، ابن منظور، ج 3، ص 188

9 مقاييس اللغة، ابن فارس، ج2، ص 458

10 تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الهروي، ت محمد عوض مرعب، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 01، 2001م)، ج14، ص 115.

11 شرح الجوهرة، اللقاني، ص 93

12 زاد السالك، محمد باي، ص 16

13 ملتقى الأدلة، محمد باي، ج01، ص 170

14 نفس المصدر، ص 196

15 فتح الجواد، محمد باي، ص 118

16 السبائك الإبريزية، ص 13

"يخصص بها الممكن" فيقول :أي يرجع له بها وقوع ما يجوز عليه بدلاً عن وقوع مقابل" أي شيء آخر ، ويفصّل الشيخ باي ذلك أكثر ويبّن ما يجوز وقوعه على الممكن والذي تتعلق به الإرادة فيقول" والذي يجوز على الممكن ستة أمور تقابلها ستة أخرى: وهي الوجود ويقابلها العدم؛ والصفة المخصوصة كالبياض ويقابلها سائر الصفات؛ والزمن المخصوص كزمن طلوع الشمس ويقابله سائر الأزمنة؛ والمكان المخصوص كبلد كذا ويقابله سائر الأمكنة؛ والجهة المخصوصة كجهة المشرق ويقابلها سائر الجهات؛ والمقدار المخصوص كالطول ويقابله سائر المقادير كالقصر؛وتسمى هذه الأمور بالممكنات المتقابلات أي المتنافيات، بمعنى لا يجتمع منها واحد مع ما يقابله[1]".

دليلها: ودليلها من القرآن يقول الشيخ باي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ۝١٤﴾ [2]"[3]، أما الدليل العقلي فإني لم أجد الشيخ باي قد ذكره فيما توفر لدي من مادة علمية؛ واستدل بعضهم على كونه سبحانه وتعالى مريداً بقولهم "ويدل على أنه مريد من جهة العقل ترتيب الأفعال واختصاصها بوقت دون وقت، ومكان دون مكان، وزمان دون زمان، وكذلك يدل على أنه أراد أن يكون هذا قبل هذا، وهذا بعد هذا، وهذا على صفة، والآخر على صفة غيرها، وهذا من مكان، وهذا من مكان آخر، إلى غير ذلك[4]"، ومعنى هذا الكلام أن تلك الاختيارات من تلك الأشياء إما أن تكون لنفوسها أو لمعنى يعود إليها أو لمعنى يعود إلى الفاعل؛ ولا يجوز أن يكون ذلك المعنى يعود إليها، لأن وجود كل موجود ليس موقوف على اختياره، وإذا بطل هذا ثبت أنه لمعنى يعود لفاعل وليس ذاك إلا الإرادة الإلهية.

أنواع تعلق الإرادة: يقول الشيخ باي: للإرادة تعلقان: صلوحي قديم، ويعرفه بقوله: هو صلاحيتها في الأزل للتخصيص[5]مع ثبوت التخصيص بالفعل أزلاً أيضا[6] أي أن الله سبحانه وتعالى اتصف بالإرادة في الأزل قبل أن يخلق الخلق؛ وأما التعلق الثاني: فهو تعلق تنجيزي قديم ويعرفه بقوله: هو تخصيص الممكن أزلاً بالأمور التي يعلم الله أنه يوجد عليها في ما لا يزال[7]، وتعلق ثالث والذي قال أن بعضهم زاده، هو تعلق تنجيزي حادث" وينقل الشيخ باي عن الشيخ

1 زاد السالك، محمد باي، ص 16

2 الحج 14

3 نفس المصدر، ص 18

4 الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للباقلاني، ت: عزت العطار الحسني، (دار الكتب الملكية المصرية، القاهرة، د ط، 1369هـ، 1950م)، ص22

5 فتح الجواد، محمد باي، ص 119

6 شرح الجوهرة، اللقاني، ص 91

7 فتح الجواد، محمد باي، ص 119

عليش[1] في شرحه على إضاءة الدجنة قوله:"التحقيق أنه ليس تعلقاً مستقلاً، وإنما هو إظهار للتنجيز القديم، وعليه فليس لها إلا تعلقان صلوحي قديم وتنجزي كذلك[2]

ومعنى هذا الكلام أننا وبعد أن ذكرنا أن القدرة تتعلق بالممكنات دون الواجب والمستحيلات، وعلمنا أن الإرادة تسبق القدرة وكلاهما قديم، علمنا أن الإرادة تتعلق من جهتين : من جهة أنها صفة لله تعالى اتصف بها في القدم، ومن جهة أخرى تعلقها بالأشياء التي أراد الله سبحانه وتعالى، وبقي وقوع هاته الأشياء على ما أراده الله فمنهم من عدّه تعلقاً، ومنهم من عظهاراً لا تعلقاً، تحرزاً من القول أن الله محل ٌ للحوادث، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا.

3/3**– العلم**: هو صفة أزلية قائمة بذات الله سبحانه وتعالى، ينكشف بها المعلوم على ما هو به، انكشافاً لا يحتمل النقيض بوجه من الوجوه[3]، وزاد بعضهم عند تعلقها بها[4]، أي عند تعلق صفة العلم بالمعلومات، وقول الشيخ باي "انكشافاً لا يحتمل النقيض بوجه من الوجوه" أراد أن يخرج الظن والوهم والشك ..أكان مطابقاً للواقع أم لم يكن مطابقاً؛ لأن متعلقات هذه الأشياء تحتمل النقيض، وسواء ً كان هذا النقيض بحسب الذهن أو بحسب الخارج أو تشكيك مشكك[5]، فإن ذلك كله خارج عن صفة العلم إذا تعلقت بالمعلومات، "لأن الاحتمال فيها يمنع من انكشاف ذلك المظنون والمشكوك والموهوم ويوجب الخفاء[6]"، كما زاد الشيخ باي على هذا التعريف وفي تعريف آخر أن صفة العلم متعلقة بجميع الأمور على وجه الإحاطة من غير سبق خفاء[7]، لكي لا يتوهم أن انكشاف تلك الأشياء قد سبقه خفاء، وهو ما يوحيه ظاهر اللفظ.

كما يشرح الشيخ باي بعض مفردات هذا التعريف ويبيّن معنى الانكشاف الذي يحصل للأشياء إذا تعلقت بها صفة العلم فيقول: "ومعنى ينكشف، أي يتضح ذلك المعلوم لمن قامت به تلك الصفة ويتميز عن غيره اتضاحاً لا خفاء معه[8]"، وهذا حتى يخرج كما قلنا الظن والوهم والشك، وهو ما يجرنا إلى استنتاج أن انكشاف الأشياء إذا تعلقت بها صفة

---

[1] محمد عليش: هو أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن محمد عليش المالكي، الأشعري، الشاذلي، الأزهري، فقيه، متكلم، نحوى، صوفي، ولد سنة 1217 هـ الموافق لـ :1802 م أصله من طرابلس الغرب، وولد بالقاهرة في رجب، وتعلم في الأزهر، وولي مشيخة المالكية فيه واتهم بموالاة ثورة عرابي، فأخذ من داره وهو مريض، وألقي في سجن المستشفى، فتوفي فيه بالقاهرة في 9 ذي الحجة. سنة 1299 هـ الموافق1882 م، من تصانيفه: هداية السالك إلى اقرب المسالك في فروع الفقه المالكي، تذكرة المنتهى في فرائض المذاهب الأربعة، حاشية على رسالة الصبان البيانية في البلاغة، وهداية المريد لعقيدة أهل التوحيد. انظر معجم المؤلفين، عمر بن رضا كحالة، ج 9، ص 12

[2] فتح الجواد، محمد باي، ص 119

[3] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج 01، ص 171

[4] شرح الجوهرة، اللقاني، ص 99

[5] نفس المصدر السابق والصفحة

[6] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج01، ص 171

[7] زاد السالك، محمد باي، ص 17

[8] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج01، ص 171

العلمتنفي الخفاء السابق واللاحق، أي في القديم فلم يسبق علمه بها سبحانه وتعالى جهلاً ، وأبداً فلا ينسى ربنا ولا يجهل منها شيئاً في المستقبل، ولذلك يوصف الله سبحانه وتعالى بلعالم و لا يوصف بالعارف.

الدليل من النقل والعقل على اتصافه سبحانه وتعالى بالعلم:

والدليل من القرآن الذي ساقه الشيخ باي على اتصافه سبحانه وتعالى بصفة العلم هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٧٥﴾[1]، وقد ذكر الله في القرآن الكثير منالآيات التي تشير إلى علمه سبحانه بكل صغير وكبير جزءاً كان أو كلاً ، حتى الذرة وما هو أقل منها وما هو أكبر منها، وقد ذكر الله أنه لا يغيب عنه ذالك، قال تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣﴾[2].

أما الدليل من العقل على اتصافه سبحانه وتعالى بصفة العلم، فإني لم أقف على مادة علمية للشيخ باي تتحدث عن ذلك؛ ولكن يدل على علمه سبحانه وتعالى إيجاده – سبحانه وتعالى – الأشياء لاستحالة إيجاده الأشياء مع الجهل وبيانه من وجوه:

أحدها : أن إيجاده الأشياء هو بإرادته، والإرادة تستلزم تصور المراد وهو العلم، فكان الإيجاد مستلزما للإرادة، والإرادة مستلزمة للعلم، فالإيجاد مستلزم للعلم.

الثاني : أن المخلوقات فيها من الإحكام والإتقان ما يستلزم علم الفاعل بها ; لأن الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير عالم.

كما أن من المخلوقات ما هو عالم، والعلم صفة كمال، ويمتنع أن يكون المخلوق أكمل من الخالق، إذ كل كمال فيه فهو منه، فيجب أن يكون الخالق عالما، وهذا له طريقان:

إحداهما: أن يقال: يعلم بالضرورة أن الخالق أكمل من المخلوق، وأن الواجب أكمل من الممكن، ويعلم بالضرورة أنا إذا فرضنا شيئين أحدهما عالم، والآخر غير عالم، كان العالم أكمل، فلو لم يكن الواجب عالما، لزم أن يكون الممكن أكمل منه، وهو ممتنع.

الثاني: أن يقال كل علم في الممكنات التي هي المخلوقات فهو منه، ومن الممتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عاريا منه، بل هو أحق به، والله – سبحانه – له المثل الأعلى، لا يستوي هو والمخلوق في قياس شمول، ولا في قياس

[1] الأنفال 75

[2] سبأ 03

تمثيل، بل كل ما ثبت لمخلوق من كمال، فالخالق – تعالى – أحق به، وكل نقص تنزه عنه مخلوق ما، فتنزيه الخالق عنه أولى[1].

بما تتعلق صفة العلم:

بعد أن عّرفنا صفة العلم ورأينا أن من الضروري في تعريفها أنها تتعلق بجميع الأمور؛ يفصّل الشيخ باي تلك الأمور ويبيّنها فيقول"فهي تتعلق بجميع الأمور من الواجبات والجائزات و المستحيلات فيعلمها سبحانه وتعالى أزلاً وأبداً[2]،" فهي أي صفة العلم على خلاف صفتي القدرة والإرادة– اللتان تتعلقان بالممكنات دون الواجبات والمستحيلات– فإنها تتعلق بالواجبات والجائزات والمستحيلات، ولذلك قيل أن الله" علم ما كان وما يكون وما لم يكن أن لو كان كيف يكون[3]"، ولهذا سمى الشيخ باي الأشياء التي تعلقت بها صفة العلم با"لمعلوم" ويشرح الشيخ هذا اللفظ فيقول"والمراد بالمعلوم: كل ما يصح أن يعلم وهو كل واجب وكل مستحيل وكل جائز[4]".

أما ما يخص كيفية هذا التعلق ونوعه، فيقول الشيخ باي بأن" تعلق العلم تنجزي قديم" ويشرح هاته العبارة وهذا التعلق التنجيزي القديم فيقول" وهو تعلقه بالأشياء أزلاً ، فيعلم سبحانه وتعالى الأشياء في الأزل على ما هو عليه[5]"، ولا يعني أن وجود تلك الأشياء بعد أن لم تكن أن ذلك الحدوث تغيراً في صفة العلم، بل ذلك التغير يلحق المعلوم نفسه لا صفة العلم التي اتصف بها سبحانه وتعلقت بالأشياء، ويوضح الشيخ باي هذا الأمر فيقول"وكونها وجدت في الماضي، أو موجودة في الحال، أو توجد في المستقبل أطوار في المعلومات؛ ولا توجب تغيراً في تعلق العلم؛ فالمتغير أنما هو صفة المعلوم لا تعلق العلم[6]"وهذا حتى لا يكون الله محلاً للحوادث وهو ما يجر إلى القول بالحدوث تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا، ويضرب الشيخ باي على ذلك القول مثالاً للتوضيح أكثر فيقول:"يعني أن علمه تعالى يتعلق أزلاً بوجود زيداً ، وبأنه سيكون، وبعده يوصف بأنه كان؛ وأما تعلق العلم بوجوده فيه فهو أزلي لا يوصف بأنه سيكون ولا يطرأ عليه الوصف بأنه كان؛ خلافاً لمن قال له تعلق صلوحي قديم، وتعلق تنجيزي حادث[7]"؛ لأن الصالح لأن يعلم ليس بعالم فعلاً ، والتنجيزي الحادث يستلزم سبق الجهل، وكلاهما لا يجوز في حقه تعالى[8].

---

[1] لوامع الأنوار البهية، السفاريني، ج 01، ص149.

[2] زاد السالك، محمد باي، ص 17

[3] نتائج الأفكار القدسية، مصطفى العروسي، ت: عبد الوارث محمد علي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، 1420هـ)، ج 01، ص 92.

[4] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج01، ص 171

[5] فتح الجواد، محمد باي، ص 120

[6] نفس المصدر والصفحة

[7] نفس المصدر والصفحة

[8] شرح الجوهرة، اللقاني، ص 100

4/3- **الحياة:**

تعتبر صفة الحياة هي الصفة الجامعة لسائر الصفات، متقدمة الرتبة عليها، فلا يتقدمها إلا الوجود[1]، وهي صفة أزلية تقتضي صحة العلم[2]، بمعنى اتصافه سبحانه وتعالى بالعلم[3] وغيره من الصفات الواجبة له[4]، كالقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، وهي لا تتعلق بشيء[5].

دليلها من القرآن: أشار القرآن في أعظم آية فيه وهي آية الكرسي إلى صفة الحياة كأول صفة وصف بها نفسه سبحانه وتعالى بعد أن وحد نفسه ونفى عن غيره الألوهية فقال سبحانه وتعالى:﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝﴾[6]، وهي أي صفة الحياة– كثير ما تأتي مرادفة للتوحيد كما سبق في آية الكرسي، وكما جاء في الدليل القرآني الذي ساقه الشيخ باي على اتصافه سبحانه وتعالى بصفة الحياة فقال سبحانه وتعالى:﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[7].

دليلها من العقل: قد ذهب الشيخ باي في إثبات صفة الحياة له سبحانه وتعالى من العقل إلى أن وجوبها له تعالى مستلزم من وجوب اتصافه سبحانه وتعالى بالعلم والقدرة والإرادة وغيرها، إذ لا يتصور قيامها بغير حي[8]، إذ لو لم يتصف بالحياة لاتصف بضدها وهو الموت والفناء–تعالى الله– وهو محال، بدليل ظهور الأفعال منه سبحانه وتعالى، واستحالة ظهورها ممن يجهلها ويعجز عنها، فهو عالم قادر، فهو حي بالضرورة[9].

كما ثبتت صفة الحياة له سبحانه من ثبوتها للمخلوق، ولأن الحياة من صفات الكمال، بل هي مستلزمة لجميع صفات الكمال، وكل كمال لا نقص فيه ثبت لمخلوق وأمكن أن يتصف به الخالق فهو أولى به[10]

ولا يعني هذا أن حياة الخالق كحياة المخلوق، بل يشير الشيخ باي إلى هذا الفرق فيقول: وحياته سبحانه وتعالى تختلف عن حياة غيره من المخلوقات، فالحياة الحادثة كيفية يلزمها قبول الحس والحركة الإرادية[11]،وهـي حياة ليست لذات

---

[1] لوامع الأنوار البهية، السفاريني، ج 01، ص 132

[2] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج01، ص 171

[3] فتح الجواد، محمد باي، ص 117

[4] زاد السالك ، محمد باي، ص17

[5] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج01، ص 197

[6] آل عمران 2

[7] غافر 65

[8] نفس المصدر، ص 171

[9] المواقف في علم الكلام، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، (عالم الكتب، بيروت، د ط، د ت)، ص 290

[10] لوامع الأنوار البهية، السفاريني، ج 01، ص 134

[11] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج01، ص 171

صاحبها بل بسبب روح، أما حياته سبحانه وتعالى فهي لذاته ليست بسبب روح، فهو حي بحياة قديمة دائمة[1].

بما تتعلق صفة الحياة

إن صفة الحياة له سبحانه وتعالى- لا تتعلق بشيء[2]، لا موجود ولا معدوم[3]، أي من الممكنات أو الواجبات أو المستحيلات فهي ليست كغيرها من الصفات التي سبقتها من القدرة والعلم والإرادة، وهي بذلك لا تستلزم أمراً زائداً على القيام بمحلها[4]، بل هي صفة ذاتية قائمة بذاته سبحانه وتعالى .

5/3، 6- السمع والبصر: وهاتان الصفتان كثيراً ما يجمعان في الذكر والشرح عند من يتكلم في العقيدة فيما يخص صفاته سبحانه وتعالى، كما يجمعهما غالباً سبحانه وتعالى في قرآنه، سواء في الحديث عن صفاته أو عن الخلق واتصافهم بهاتين الصفتين، وهذا الجمع مرّده إلى أن كل من الصفتين، السمع والبصر، يحصل به انكشافاً للموجودات[5]

وقد عّرف الشيخ باي السمع والبصر بأنهما صفتان قائمتان بذاته تتعلقان بكل موجود على وجه الإحاطة به تعلقاً زائداً على تعلق العلم[6]، ينكشف بهما الموجود على ماهو به، انكشافاً زائداً على الانكشاف بالعلم[7]، ويباين سواهما ضرورة، أي ينكشف له تعالى بسمعه وبصره جميع الموجودات حتى أنفسهما؛ فينكشف له تعالى بسمعه ذاته وصفاته حتى سمعه وبصره؛ ويبصر ببصره، أي ينكشف له تعالى ببصره ذاته وصفاته حتى بصره وسمعه[8]، ويوضح الشيخ باي هذا التعريف ببيان الموجودات التي تنكشف بالسمع والبصر وأنها مهما خفية –أي صغرت- فإنها غير مخفية –أي غائبة- عنه سبحانه؛ وكيف تخفى عنه سبحانه وهو خالقها، فإنه سبحانه كان ولم يكن معه شيئاً، فقال" ودخل في قولنا بكل موجود، الأصوات ولو خفية جداً، والأجسام وألوانها فيسمع سبحانه جميعها ويبصر جميعها، بمعنى أنها منكشفة ومتضحة له بسمعه وبصره من غير سبق خفاء[9]"، فالله سميع يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الملساء في الليلة الظلماء، وبصير يرى كل شيء رؤية شاملة تستوعب كل المدركات[10]

---

[1] فتح الجواد، محمد باي، ص 117

[2] زاد السالك، محمد باي، ص 17

[3] لوامع الأنوار البهية، السفاريني ج 01، ص 132

[4] شرح الجوهرة، اللقاني، ص 104

[5] فتح الجواد، محمد باي، ص 121

[6] زاد السالك، محمد باي، ص 16، وقول الشيخ "زائدة على تعلق العلم"، هذا خلافاً لمن اعتبر أن السمع والبصر يرجعان إلى العلم بالمسموعات والمبصرات، وينسب هذا القول للكعبي وبعض المعتزلة. أنظر شرح جوهرة التوحيد، اللقاني، ص 111

[7] المصدر السابق، ص 115

[8] فتح الجواد، محمد باي، ص 121

[9] زاد السالك، محمد باي، ص 16

[10] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج01، ص 197

وقد استثنى الشيخ باي من الموجودات التي تنكشف بصفتي السمع والبصر الأمور العدمية؛ كالسلب والأمور الثبوتية كالأحوال والأمور الاعتبارية فلا يتعلقان بها[1]، فإن ذلك مما يتعلق به العلم، ولكن صفتي السمع والبصر تتعلقان بالموجودات كما جاء في تعريفهما دون ما سواها، إلا أن هناك فرق بين الانكشافين الحاصلين من السمع والبصر، وما يوضح ذلك الفرق بينهما هو تعريف كل منهما.

فالسمع : كما يعّرفه الشيخ باي هو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالمسموعات أو الموجودات فتدرك إدراكاً تاماً لا على طريق التخيل والتوهم، ولا على طريق تأثر حاسة[2] ووصول هواء[3]

وأما البصر:فهو صفةأزلية تتعلق بالمبصرات أو الموجودات فتدرك إدراكاً تاماً لا على طريق التخيل والتوهم ولا على طريق تأثر الحاسة[4].

أما من حيث تعلق صفتي السمع والبصر، فإن في تعلقهما بالموجودات ثلاث تعلقات، فانكشاف الذات العلية والصفات القائمة بهما تعل تنجزي قديم، وانكشاف ذوات الكائنات وصفاتها الوجودية بهما عند وجود هاته الذوات وهذه الصفات تنجيزي حادث، وانكشاف ذوات الكائنات وصفاتها بهما عند وجودها صلوحي قديم[5]

دليلهما من القرآن: ويدل كما يقول الشيخ باي من القرآن على اتصافه سبحانه وتعالى بصفتي السمع والبصر قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١﴾[6]

دليلهما من العقل: يقول الشيخ باي:" أن ثبوت الحياة له سبحانه وتعالى، يصح منها اتصافه بالسمع والبصر وكل ما يصح للواجب من الكمالات يجب أن يثبت له بالفعل لبراءته من أن يكون له ذلك بالقوة والإمكان والجميع صفات الكمال قطعاً والخلو عن صفات الكمال في حق من يصح اتصافه به نقص وهذا محال عليه تعالى[7]، يعني ذلك أن من كمالات صفة الحياة أن يتصف بالسمع والبصر، والذي يصح أن يتصف بهما من اتصف بالحياة؛ وإلا كانت تلك صفة نقص وهي محال على الله تعالى، ألم تر أن الله عاب على قوم أنهم يعبدون ما لا يسمع ولا يبصر، فقال على لسان خليله

---

[1] فتح الجواد، محمد باي، ص، محمد باي، ص 121

[2] ملتقى الأدلة، محمد باي،ج01، ص 172

[3] شرح الجوهرة 111

[4] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج01، ص 172

[5] شرح الجوهرة، ص 115.

[6] المجادلة 01

[7] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج01،ص 173. المواقف في علم الكلام، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، (عالم الكتب، بيروت، د ط، د ت)، ص 292

سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا وجميع الأنبياء أفضل الصلاة وأزكى التسليم ناصحاً أباه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢﴾[1]، يقول: كيف لا تعبد من إذا دعوته سمع، وإذا عبدته أبصر، ونصرك إذا احتجت إليه وسألته[2].

وحتى لا يظن ظانٌ أن سمعه وبصره سبحانه وتعالى كأسماعنا وأبصارنا، نبه الشيخ باي على أنه سبحانه مخالف لخلقه، فهو لا يشغله ما يبصره عما يسمعه؛ ولا ما يسمعه عما يبصره، بل يحيط علماً بالمسموعات والمبصرات، من غير أسبقية إدراك بإحدى الصفتين على الأخرى، فلا يشغله شأن عن شأن[3]

7/3– الكلام:

تعتبر صفة الكلام من بين أكثر الصفات التي شهدت خلافاً واسعاً بين الفرق الإسلامية، من حيث معنى كلامه سبحانه وتعالى، وكيفيته، وهل يستحيل قيام حقيقة هاته الصفة بذاته سبحانه وتعالى أو لا يستحيل قيامها به.

تعريف صفة الكلام:

أما من حيث معنى كلامه سبحانه وتعالى فيعّرف الشيخ باي صفة الكلام على أنها صفة أزلية قائمة بذاته تعالى منافية للسكوت والآفة، وهو بها آمر ناهٍ مخبر، إلى غير ذلك[4]، منزهة عن الحروف والأصوات والتقديم والتأخير واللحن والإعراب[5]، وزاد بعضهم أنها منزهة عن السكوت النفسي بألا يدبر في نفسه الكلام مع القدرة عليه، ومنزهة عن الآفة الباطنية بألا يقدر على ذلك كما يكون للآدمي في حال الخرس والطفولية[6]، يدل عليها بالعبارة والكتابة والإشارة فإذا عبر عنها بالعربية فالقرآن، أو بالسريانية فالإنجيل، أو بالعبرانية فالتوراة، فالمسمى واحد وإن اختلفت العبارات[7].

بما تتعلق صفة الكلام: وأما من حيث متعلقاتها، فإنها تتعلق بكل ما يتعلق به العلم من الواجب والجائز والمستحيل، إلا أن البعض يرى بأن لها تعلقاً واحداً، ومنهم من يرى بأن لها ثلاث تعلقات[8]، ويذكر الشيخ باي هاته التعلقات الثلاث فيقول وهي[9]:

الأول : تعلقاً تنجيزي قديم: وهو تعلقه بغير الأمر والنهي، فيتعلق أولاً بالواجب كذات الله تعالى وصفاته، ويشرح الشيخ باي هذا المعنى وهو الغرض من إثبات هذا التعلق، فيقول:"أي يدل أزلاً على أن ذاته تعالى وصفاته واجبة"، فهو

---

[1] مريم 42

[2] تفسير الماتريدي، الماتريدي، ج 7، ص 238.

[3] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج01، ص 173

[4] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج01، ص172

[5] زاد السالك، محمد باي، ص 16

[6] شرح الجوهرة، اللقاني، ص 102

[7] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج01، ص 172

[8] شرح الجوهرة، اللقاني ،ص 106

[9] فتح الجواد، محمد باي، ص 120

سبحانه وتعالى متكلماً أزلاً، وثانياً بالمستحيل كالشريك، والغرض من هذا التعلق أنه يدل أزلاً على أن الشريك مستحيل، وثالثاً بالجائز كللوللزيد، والغرض من إثباته أنه يدل أزلاً على أن ولد زيداً جائزاً، ورابعاً بالوعد والوعيد وغيرهما، والغرض من إثباته أنه يدل أزلاً أن من أطاع الله فله الجنة، ومن عصاه فله النار.

الثاني: تعلق صلوحي قديم: وهو تعلقه بالأمر والنهي إن اشترط فيهما وجود المأمور والمنهي، فيتعلق بهما قبل وجودهما تعلقاً صلوحياً قديماً، فإن لم يشترط فيهما ذلك فيتعلق بهما تعلقاً تنجيزياً قديماً، فيرجع بالثاني إلى الأول، وبهذا يكون للكلام تعلقان لا ثالث لهما، وهما الأول والثالث الذي سنذكره.

الثالث: تعلق تنجيزي حادث: وهو تعلقه بهما بعد وجودهما، أي بعد وجود المأمور والمنهي فيأمر ربنا من شاء وينهى من شاء.

الدليل النقلي والعقلي على اتصافه سبحانه وتعالى بصفة الكلام:

ولم أقف فيما وقفت عليه من المادة العقدية للشيخ باي على دليل عقلياً يسوقه لإثبات صفة الكلام لله، ولعل الشيخ باي رأى أن ذلك – أي الدليل العقلي لهاته الصفة- لا يرقى بأن يعتمد عليه في إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى، ولذلك اكتفى بالدليل النقلي وأشياء أخرى كإجماع الأمة وتواتر نقل الدليل عن الأنبياء والمرسلين، فقال: ومن المعتمد في الاستدلال على ثبوت صفة الكلام الدليل السمعي وإجماع الأمة وتواتر النقل عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أنه تعالى متكلم، ودليله من القرآن: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [1]"[2].

وقد ذهب البعض في الدليل العقلي على ثبوت صفة الكلام له سبحانه وتعالى باعتبار الوصف بالتكلم من أوصاف الكمال، وضده من أوصاف النقص. قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ١٤٨﴾ [3] وقال تعالى عن العجل أيضا: ﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ٨٩﴾ [4] ، فعلم أن نفي رجوع القول ونفي التكلم نقص يستدل به على عدم إلوهية العجل[5]، فكان الكلام صفة كمال، ولا شك أن كل صفة كمال اتصف بها المخلوق فالخالق أولى بان يتصف بها، فلا يمكن أن يهب شيئاً هو له فاقد تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا.

---

[1] النساء 163

[2] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 172

[3] الأعراف: 148

[4] طه 89

[5] شرح الطحاوية، أبي العز الحنفي، ج1، ص175

وبهذا ينهي الشيخ باي حديثه عن صفات المعاني لينتقل للحديث عن صفات المعنوية وعن أدلتها من النقل والعقل فقال: فقلت:

ومتكلم سميع مبصر حي وعالم مريد قادر[1].

[1] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 172

المبحث الرابع: الصفات المعنوية والمستحيلة وصفات الفعل وباقي الصفات:

المطلب الأول: الصفات المعنوية[1]

يرجع الشيخ باي تسمية هاته الصفات بالمعنوية نسبة للسبع المعاني والتي يعتبرها فرع منها[2]، فما من صفة معنوية إلا ولها صفة معاني هي أصل لها، حيث تعلقت المعاني بالذات، وتعلقت المعنوية بالأفعال، ولذالك جاء في معنى المعنوية؛ بأنها صفة ثابتة للذات لا تتصف بوجود ولا بعدم"[3]، أي أنها على غير مثيلاتها من صفات المعاني في التعلق بالواجب أو الممكن أو الجائز أو المستحيل، فهي تتعلق بالأفعال، ولذا سميت عند البعض بصفات الأفعال[4]؛ وذهب الشيخ باي إلى أن تعلق صفات المعنوية بصفات المعاني كتعلق الملزومات باللوازم[5]، فما يضاد الملزومات وهي صفات المعنوية، يضاد اللوازم وهي صفات المعاني، أو بعبارة أخرى، أن ما ينفى الملزومات وهي صفات المعنوية، ينفي اللوازم وهي صفات المعاني[6]، وهي بذلك – أي صفات المعنوية- تنطلق في إثباتها من إثباتنا لصفات المعاني، فلما وجبت له سبحانه وتعالى الصفة لزم ضرورة لزوم الفعل، يقول الشيخ" وحيث وجبت له هاته الصفات التي هي صفات المعاني، فكذلك وجبيت له الصفات المعنويات[7]"، فعلاقة الصفات المعنوية بصفات المعاني كعلاقة النتائج بالمقدمات، إذا صحت المقدمات ووجبت، لزم من ذلك صحة النتائج ووجوبها، يقول الشيخ باي :"ثم شرعنا نتكلم على ما هو كالنتيجة لما قبله وهو الصفات المعنوية وهي سبع"[8]؛ كما ينطلق الشيخ باي في إثباته لصفات المعنوية من كون أن الكمال في الصفة – وهو ما اختصت به صفات المعاني- يجب أن يثبت بالفعل، وإلا كان ذلك نقص وذلك محال على الله تعالى.

يقول الشيخ باي" وكل ما يصح للواجب من الكمالات يجب أن يثبت له بالفعل لبراءته من أن يكون له ذلك بالقوة والإمكان والجميع صفات كمال قطعاً؛ والخلو عن صفات الكمال في حق من يصح الاتصاف به نقص، وهو محال على الله تعالى"[9]

---

[1] زاد السالك ، محمد باي، ص 14

[2] نفس المصدر والصفحة

[3] زاد السالك، محمد باي، ص 17

[4] شرح الجوهرة، اللقاني، ص 125

[5] ملتقى الأدلة، محمد باي،ج01، ص 175

[6] نفس المصدر والصفحة

[7] نفس المصدر ، ص197

[8] نفسه، ص 172

[9] نفس المصدر السابق ، ص173

وسنقف مع كل صفة من الصفات المعنوية السبع، وسنجد أن الشيخ باي وفي كل بداية إثبات أحدها يكرر عبارة" لما وجب له....فهو ...."، ويقصد الشيخ بذلك، أننا لما أثبتنا له تلك الصفة وكانت في حقه واجبة، لزم من ذلك أن يتصف بالفعل الذي يصدر عن تلك الصفة؛ وأول صفة من صفات المعنوية التي تكلم عنها الشيخ باي وأثبتها من النقل والعقل هي كونه سبحانه وتعالى متكلماً فقال:

1/4– متكلم: يقول الشيخ " لما وجب له الكلام فهو متكلم[1]... ، أي لما أثبتنا له صفة الكلام وكانت في حقه واجبة فهو سبحانه متكلم، كلاماً قائماً بذاته أبدي منزه عن صفات الحدوث[2]، فقول الشيخ "قائماً بذاته" للرد على الذين يقولون أنه سبحانه يخلق كلامه في الأشياء فتتكلم، وقوله" أبدي" للرد على من يقولون بخلق القرآن، "منزه عن صفات الحدوث" للرد على من يشبهون كلامه بكلام خلقه.

ثم ساق الشيخ باي الدليل من القرآن وهو نفسه الدليل الذي ساقه الشيخ في الاستدلال على صفة الكلام؛ فقال: ودليله من القرآن: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [3].

ثم ساق الشيخ باي الدليل من السنة فقال: ودليله من السنة قوله صلى الله عليه وسلم﴿ **أربعوا على أنفسكم فإنما تدعون سمعياً بصيراً متكلماً**﴾[4]، وأثناء رجوعي إلى كتب الحديث لتخريج الحديث وجدت أن الحديث المستشهد به لا يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيه صفة الكلام، وإنما يقتصر على صفتي السمع والبصر، فقال صلى الله عليه وسلم ﴿**يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إنه معكم إنه سميع قريب، تبارك اسمه وتعالى جده**﴾[5]، وهذا لا يعني أن الصفة غير ثابتة فقد ثبتت بالقرآن الكريم، ولكن تلازم السمع والبصر والكلام، جعل الشيخ يثبت الكلام في الحديث معتمداً على حفظه، دون الرجوع إلى كتب الحديث، وجّل من لا يخطأ سبحانه، وسبحان من لا يسهو.

2،3/4– سميع، بصير: فقال عن "سميعاً" أنه"اللازم للسمع، بسمع أبدي أزلي متعلق بكل موجود مخالف لسمعنا"؛ كما قال عن "بصير" أنه" اللازم للبصر ببصر أزلي أبدي متعلق بكل موجود تعلق انكشاف مخالف لبصرنا[6]" أي

---

[1] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 173

[2] زاد السالك، محمد باي، ص 18

[3] النساء 164

[4] ملتقى الأدلة، محمد باي،ج1، ص 173

[5] صحيح البخاري، باب" ما يكره من رفع الصوت في التكبير"، رقم الحديث 2992، ج 04، 57. وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، من حديث أبي موسى الأشعري، رقم 19745، أنظر: مسند الإمام أحمد، ج 32، ص 522. وأخرجه الإمام مسلم في صحيحة وفيه زيادة" والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم"، باب "استحباب خفض الصوت بالذكر، رقم 2704، ج 04، ص 2077.

[6] زاد السالك، محمد باي، ص 18

الفعل الذي لا يتخلف عن صفته بأي حالمن الأحوال، سواء ً بسبق عدم أو نقص أو مرض أو موت أو لحوق فناء إلى غير ذالك مما يعتري الخلق.

وقد أثبت الشيخ باي هاتان الصفتان انطلاقاً من ثبوت صفتيهما في المعاني، كما أثبتهما بثبوت صفة الحياة التي يصح لكل من ثبتت له أن يكون سميعاً بصيراً، فقال" لما وجب له السمع والبصر فهو سميع بصير، لأن كل حي يصح أن يكون سميعاً بصيراً [1]"، وزاد الشيخ باي على هذا الإثبات أن إثبات الصفة وحدها لا يكفى لأن ذلك يعدّ نقصاً، بل يجب إثبات فعلها، لأن ذلك من صفات الكمال التي تجب في حقه سبحانه وتعالى وقد ذكرنا ذلك في تعريف صفات المعنوية.

4/4– حي: يقول الشيخ: "حياً، اللازم للحياة، وحياته بلا روح، فالموت في حقه محال[2]" أي الفعل الذي لا يفارق صفته؛ كما أن هاته الحياة مخالفة لحياة الخلق من حيث توقفها على الروح، ومن حيث فنائها بالموت.

ويثبت الشيخ هاته الصفة فيقول:"لما وجبت له الحياة فهو حي"، أي لما أثبتنا له الحياة ووجبت له فهو سبحانه وتعالى حي، ثم يضيف الشيخ قائلاً "ولقد علم من الدين ضرورة بأنه حي، بحيث لا يمكن إنكاره ولا تأويله، لأنه حي سميع بصير، وما ثبت من كونه عالماً قادراً إذ العالم القادر لا يكون إلا حياً ضرورةً، وحقيقة الحي هو الذي تكون حياته لذاته، وليس ذلك لأحد من الخلق[3]"وقول الشيخ "علم من الدين ضرورة" أي لا يصح خلافها عقلاً، ولو صّح لتعطلت ُشْبَتَاقُّوهي كونه عالماً وقادراً، فإذا ثبتت هذا علم تحصيل حاصلاً أنه حي، كما أن الحي الكامل هو الذي تكون حياته واجبة لذاتها؛ فحياته سبحانه وتعالى ليست بفعل فاعل وإيجاد موجد كحياة الخلق.

5/4– عالم: ويبّين الشيخ باي هذا الفعل فيقول" وكونه عالماً: اللازم للعلم، بعلم أزلي أبدي محيط بجميع الأشياء، من سائر المخلوقات بلا سبق خفاء[4]"، أي أنه عليم سبحانه وتعالى على أكمل صفة فلا بداية ولا نهاية ولا حد لعلمه.

كما يثبت الشيخ هاته الصفة ويبين حدودها فيقول" وحيث وجب له العلم فهو عالم وعلمه شامل لكل ما من شأنه أن يعلم[5]"، أي أنه سبحانه لما اتصف بصفة العلم فهو عالم، وليس لعلمه حدود كعلم الخلق، بل هو يشمل كل ما

---

[1] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 173

[2] زاد السالك، محمد باي، ص 17

[3] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 173

[4] زاد السالك، محمد باي، ص 18

[5] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 173

من شأنه أن يعلم، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾[1] " يقول " وعلم بكل ما عندهم ...علم عدد الأشياء كلها، فلم يخف عليه منها شيء[2]"

6/4– مريد: يقول الشيخ" مريداً: اللازم للإرادة، إرادة أزلية بدون إكراه، لأنه الفاعل المختار[3]"، أي أنه سبحانه وتعالى مريداً بأتم إرادة من حيث الأزلية فلا بداية لها، ومن حيث الحرية فلا إجبار عليه فيما يريد، و لا حتى السؤال عما يفعله، فهو من يختار الشيء ، وهو من يفعله، فلا يسأل عما يفعل سبحانه وهم يسألون.

ثم يثبت الشيخ هاته الصفة كالعادة، ويبيّن أنها ليست كإرادة الخلق، حيث أنها تتوجه إرادته إلى ما لا يقدر عليه إلا هو سبحانه فتوجده وهو المعدوم، فيقول: "وحيث وجبت له الإرادة فهو مريد وهو الذي تتوجه إرادته على المعدوم فتوجده[4]".

7/4– قادر: ومعنى "قادراً" يقول الشيخ باي: أي " اللازم للقدرة، قدرة أزلية"، فهو سبحانه وتعالى قادر حتى قبل إيجاد الأشياء، ولذلك نجد أن الشيخ باي وفي إثبات هاته الصفة يقول:"وحيث وجبت له القدرة فهو قادر"، أي وحيث اتصف سبحانه ومنذ الأزل بصفة القدرة، فهو سبحانه وتعالى قادر، ثم يبيّن معنى "القادر" وأنه ليس من يملك الإيجاد فقط، بل يعنى معنى أشمل من ذلك؛ وهو أنه الذي يملك حرية اختيار الزمان والمكان والأشياء في الإيجاد حسب إرادته وحكمته؛ فقال:" والقادر هو الذي إن شاء فعل وإن شاء ترك فهو المتمكن من الفعل والترك يصدر عنه كل منهما بحسب الدواعي المختلفة[5]".

وبهذا ينهي الشيخ باي حديثه عن القسم الأول من أقسام صفات الذات وهي الصفات الواجبة له سبحانه وتعالى وقد ضمت النفسية وهي واحدة، والسلبية وهي خمسة، وصفات المعاني وهي سبعة، وأخيراً الصفات المعنوية وهي سبعة كذلك؛ فهي في مجموعها عشرون صفة؛ لينتقل للحديث عن القسم الثاني من صفات الذات وهي الصفات المستحيلة وهي كذلك عشرون صفة على نقيض الصفات الواجبة.

---

[1] الجن 28

[2] تفسير الطبري، ج23، ص 674

[3] زاد السالك، محمد باي، ص 18

[4] ملتقى الأدلة، محمد باي،ج1، ص 173

[5] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 174

المطلب الثاني: الصفات المستحيلة وصفات الفعل وباقي الصفات

الفرع الأول: الصفات المستحيلة

ويستحيل عليه سبحانه وتعالى عشرون صفة هي" على حسب ترتيب العشرين الواجبة .."[1]، فهي محال على الله[2] سبحانه وتعالى، ويعددها الشيخ باي فيقول: فالعدم نقيض الوجود، والحدوث نقيض القدم، والفناء نقيض البقاء، والمماثلة نقيض المخالفة، والافتقار نقيض القيام بالنفس وهو الغنى، والتعدد نقيض الوحدانية في الذات والصفات والأفعال، والعجز نقيض القدرة، والكراهة نقيض الإرادة، والممات نقيض الحياة، والجهل نقيض العلم، والصمم نقيض السمع، والعمى نقيض البصر، والبكم نقيض الكلام، ..."؛ وإلى هنا تنتهي نواقض الصفات الواجبة ما عدا الصفات المعنوية، والتي أشار الشيخ باي إلى أن نواقضها مستفادة من نواقض صفات المعاني، فهي كما ذكرنا ترتبط بها ارتباط اللوازم بالملزومات والنتائج بالمقدمات، فيقول الشيخ:" وكون ربي عاجزاً...إلخ، أضداد الصفات المعنويات واضحة من هذه، لأنك إذا عرفت كون ضد القدرة العامة العجز عن ممكن ما، لزم أن يكون ضد الصفة المعنوية للقدرة وهي كونه تعالى قادراً على جميع الممكنات، كونه عاجزاً عن ممكن ما، وهكذا كل صفة فإن ضدها ضد الصفة المعنوية[3]".

وبعد انتهاء الشيخ من صفات الذات انتقل للحديث عن صفات سماها بصفات الفعل، وليس المراد بها ما سبق من صفات المعنوية كما سبق تسميتها بها عند البعض؛ ولكن الشيخ أراد بها شيء آخر هو ما سنتطرق إليه فيما يلي:

الفرع الثاني: صفات الفعل يتطرق الشيخ باي إلى هذا النوع من الصفات ويبيّنه كما يبيّن علاقته بما سبق من الصفات فيقول: " هذا القسم خارج عن ذاته وصفاته تعالى وهو قسم الجائز"[4]، وأراد الشيخ بقوله ..وصفاته؛ الصفات الواجبة والمستحيلة، وإلا فقسم الجائز كذلك يسمى صفات، وهي تختص بالأفعال، وسماها كذلك الشيخ باي بالصفات الجائزة، والتي عرفها بقوله:" فعل كل ممكن، أو تركه[5] في العدم؛ فكل ممكن يصح وجوده وعدمه، لا يجب عليه تعالى فعله ولا يستحيل عليه تركه، بأن يفعل ما أراد تعالى ويترك ما أراد سبحانه "[6]، وقال في بيان تفاصيل هاته الصفات،" وذلك كالثواب والعقاب، والخلق والرزق، والإماتة والإحياء، وبعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وفعل الصلاح والأصلح،[7]، ثم يبيّن الشيخ باي علاقة صفات الفعل بالصفات السابقة، وأن إثباتها كما ذكر هو، يعتبر إثبات لكماله في بعض الصفات،

---

[1] نفس المصدر والصفحة

[2] نفس المصدر ، ص 197

[3] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 175.

[4] نفس المصدر والصفحة

[5] زاد السالك، محمد باي، ص 18

[6] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص175

[7] نفس المصدر والصفحة

وأن أي خلل في ذلك الإثبات يعتبر فاسد[1] تدل الدلائل العقلية ومنها المشاهدة على بطلانه وصحة نقيضه فيقول: " وهذا القسم هو المسمى بصفات الأفعال التي هي أثر القدرة والإرادة، إذ لو وجب عليه تعالى فعل الصلاح والأصلح للخلق كما تقول المعتزلة، لما وقعت محنة دنيا وأخرى ولا وقع تكليف بأمر ولا نهي، وذلك باطل بالمشاهدة[2]، فلا يجب عليه تعالى شيء من ثواب المحسنين وعقاب المسيء، وذلك من محض فضله أو عدله، كما لا يجب عليه الصلاح ولا الأصلح[3].

فصفات الفعل لا يختلف فقط في إثباتها أو نفيها، ولكن يختلف في كيفية إثبات بعضها لله سبحانه وتعالى، هل من جهة الوجوب كما قالت المعتزلة وقد تبيّن فساد رأيهم[4]، أو من جهة الجواز بفعل ذلك أو تركه عليه سبحانه وتعالى، أو بعبارة أخرى أن يفعل ذلك سبحانه بمحض فضله لا وجوب عليه سبحانه وتعالى.

الفرع الثالث: الصفات الباقية[5]: ثم انتقل الشيخ باي للحديث عن صفات أخرى لم يتحدث عنها، وهي على غير ما سبق من الصفات، بل ذكر أن هاته الصفات قد ينقض عدم فهمها على مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ما بني من بعض الصفات، إذْ يتوهم منها السامع المماثلة للحوادث، وقد اشتد الخلاف بين الفرق الإسلامية في هاته الصفات أكثر من غيرها، بين حاملٍ لها على ظاهرها مبتغياً بذلك إثبات ما أثبته الله لنفسه، وبين مؤولٍ لها تأويلاً يبتغي به تنزيه الله عن مشابهة خلقه ووصفه بما يليق بجلاله.

ثم ذكر الشيخ باي بعض هاته الصفات وساق أمثلة من القرآن الكريم على ذلك، فقال: كصفة اليد والمجيء والنزول وغيرهم قال تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾[6] وكقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾[7] وكقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ

---

[1] والفساد هنا نقصد به مجانبة الصواب، وهو أنه سبحانه وتعالى يجوز عليه إيجاد كل ممكن أوإعدامه، وهذا الكلام يرد به على الطائفتين، الأولى الذين يقولون بأن بعض الأمور الممكنة واجبة عليه سبحانه وتعالى كالمعتزلة الذين ذهبوا إلى أنه يجب عليه تعالى أن يفعل ما هو الصالح لعباده، والطائفة الثانية الذين ذهبوا إلى أن بعض الأمور الممكنة مستحيلة عليه تعالى، كالبراهمة الذين ذهبوا إلى أن بعثة الرسل مستحيلة. أنظر شرح جوهرة التوحيد، اللقاني، ص 142.

[2] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 175

[3] زاد السالك، محمد باي، ص 18

[4] وفساد رأي المعتزلة في هذه القضية وهو أنه لا يجب على الله فعل الصلاح والأصلح لأحد من عباده أثبت من عدة وجوه وأهم هاته الوجوه هو لب ما دار بين أبي هاشم الجبائي وأبي الحسن الأشعري، وكان الأشعري أحد تلامذة الجبائي، وكان الشيخ يقرر في درسه يوما هذه المسألة، فقال أبو الحسن : ما تقول في ثلاثة إخوة مات أحدهم كبيراً طائعاً، ومات الثاني كبيراً عاصياً، ومات الثالث صغيراً؟ فقال الجبائي: الأول يثاب بالجنة، والثاني يثاب بالنار، والثالث لا يثاب ولا يعاقب، (وذلك على قولهم بالمنزلة بين المنزلتين)، فقال الأشعري: فإن قال الثالث: يارب لأي شيء أمتني صغيراً، ولم تبقني حتى أبلغ فأطيعك فأدخل الجنة؟ فقال الجبائي: يقول له ربه: علمت أنك لو كبرت عصيت فتدخل النار، فكان الأفضل لك أن تموت صغيراً، فقال الأشعري : فإن قال الثاني يارب لما علمت أني إن كبرت عصيتفدخلت النار، فلم لم تمتني صغيراً حتى أكون كأخي؟ ماذا يقول الرب؟ فبهت الجبائي. أنظر شرح جوهرة التوحيد، اللقاني، ص 160.

[5] زاد السالك، محمد باي، ص 19

[6] الفتح 10

[7] النحل 50

﴿ ۝ ﴾[1]، ثم بيّن الشيخ باي فساد صرف معنى الآيات السابقات الذكر لتشبيه الخالق سبحانه بالمخلوق فقال" والله منزه عن الجارحة" وهذا في كلامه عن قوله سبحانه وتعالى﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ فلا تصرف اليد المذكورة في الآية إلى مشابهة يد الخلق تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا؛ ثم قال" وعن الجهة" وهذا في كلامه عن قول الله تعالى﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ ، فلا يظن ظان أن الله سبحانه وتعالى يختص بجهة دون سواها، كما قال" وعن الاتصال بالجسم" وهذا في توضيحه لقوله تعالى ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ فلا يتوهم أن الله سبحانه وتعالى كغيره من الملوك في صفة جلوسهم على عروشهم وكراسيهم تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا.

ثم بيّن الشيخ باي المخرج في هاته الآيات ورأي العلماء سلفهم وخلفهم فيها وفي مثيلاتها، فقال شارحاً لأبيات أسهل المسالك وهو يتكلم عن اعتقاد الناظم رحمه الله تعالى فيها فقال" ذكر طريقين في تأويل ذلك؛ إحداهما للسلف والأخرى للخلف، وقدم طريقة الخلف وهي قوله أوّله"، ثم يعرف الشيخ باي رحمه الله التأويل بقوله" والتأويل هو حمل الكلام على معنى غير المعنى الذي اقتضاه ظاهر اللفظ ويخرج عن ظاهره".

وينزل الشيخ هذا التعريف على الآيات السابقات ويوضح تأويلها صارفاً معناها إلى غير المعنى الذي اقتضاه ظاهر اللفظ فيخرجه عن ظاهره كما جاء في تعريف التأويل، وهذا كله بيانٌ منه لرأي الخلف الذي يقول بالتأويل فقال: " فتؤّول اليد بالقدرة أي: قدرة الله فوق قدرتهم؛ وتؤّول الفوقية بالتعالي في العظمة دون المكان...والاستواء؛ فالخلف يقولون المراد به الاستيلاء والملك كما قيل:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق[2]

وهكذا يؤّول قول النبي صلى الله عليه وسلم:﴿ **ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني، فأستجيب له من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له..**﴾[3]، فالخلف يقولون: المراد وجاء أمر ربك أو جاء عذاب ربك أو المراد ينزل ملك من ربنا فيقول عن الله عز وجل: ﴿ **من يدعوني إلى آخره...**﴾[4]؛ ثم قال بعد ذلك ناسباً الرأي لأصحابه " هذه طريقة الخلف"، ليبيّن بعد ذلك مخالفتها للطريقة الثانية وهي طريقة السلف، التي وضح رأيها في هاته المسائل وهاته الصفات، وأنها على غير ما ذهب إليه الخلف فقال" وأما السلف فيقولون فوقية لا نعلمها، ... ويقولون استواء لا نعلمه .....ويقولون : مجيء ونزول لا نعلمهما"، كما ذكر الشيخ باي أن

---

[1] طه 05

[2] هذا البيت منسوب إلى الأخطل ، انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ت علي شيري، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 01، 1408 هـ، 1988م)، ج 9، ص 10.

[3] أخرجه البخاري، باب" الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم 1145، ج 2، 53. وأخرجه مسلم، باب " الترغيب في الدعاء والذكر آخر الليل، رقم 758، ج 01، ص 521.

[4] زاد السالك، محمد باي، ص 19

السنة النبوية قد احتوت هي كذلك على أحاديث الصفات من هذا القبيل فقال" وأحاديث الصفات كثيرة في الصحيحين وغيرهما "، في إشارة منه للحديث السابق وغيره من الأحاديث .

وحقيقة هذا القول عن السلف لا تصح، فإن السلف لا يقولون فوقية لا نعلمها واستواء لا نعلمه، ومجيء ونزول لا نعلمهما، بل يفوضون هاته الصفات ويمرونها كما جاءت من عند الله ومن عند نبيه صلى الله عليه وسلم، يقول شيخ الإسلام: " فقول ربيعة ومالك: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب موافق لقول الباقين: أمروها كما جاءت بلا كيف فإنما نفوا علم الكيفية ولم ينفوا حقيقة الصفة. ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه – على ما يليق بالله – لما قالوا: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ولما قالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف فإن الاستواء حينئذ لا يكون معلوما بل مجهولا بمنزلة حروف المعجم. وأيضا: فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ معنى؛ وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أثبتت الصفات. وأيضا: فإن من ينفي الصفات الخبرية – أو الصفات مطلقا – لا يحتاج إلى أن يقول بلا كيف فمن قال: إن الله ليس على العرش لا يحتاج أن يقول بلا كيف فلو كان مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر لما قالوا بلا كيف. وأيضا: فقولهم: أمروها كما جاءت يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه فإنها جاءت ألفاظ دالة على معان؛ فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال: أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد؛ أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة وحينئذ فلا تكون قد أمرت كما جاءت ولا يقال حينئذ بلا كيف؛ إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول[1].

ولذلك يظهر أن حكاية قول السلف ورأيهم بعبارة أخرى غير عبارة "لا نعلمه" هو أقرب للصواب؛ وقد ذكر هاته العبارة الشيخ باي ناقلاً إياها عن صاحب أسهل المسالك وهي قوله :(أوله)، فبيّن الشيخ باي أصحاب هاته الطريقة فقال " طريقة الخلف"؛ (أو قل : فيه ربي أعلم)، فقال "طريقة السلف"، وعبارة " ربي أعلم" أقرب في المعنى لرأي السلف من عبارة" لا نعلمه"، إذ يفهم من العبارة الأولى أنه سبحانه وتعالى هو المدرك الحقيقي لكنهه وذاته يصف نفسه بما شاء، وليس للعبد إلا أنثبيت ما أثبته لنفسه سبحانه معتقداً اعتقاداً جازماً مخالفته سبحانه وتعالى لخلقه، أما العبارة الثانية وهي " لا نعلمه" فقد يفهم منها أن الخبر لم يأتي من الله سبحانه وتعالى فيها ولم يثبت فيها دليل وهو تنقضه الآيات والأحاديث الكثيرة والتي جاءت في هذا الشأن.

ثم يستدل الشيخ باي على نسبة كل رأي لفريقه بقول صاحب الجوهرة فقال: قال اللقاني في جوهرته:

[1] مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ت عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، د ط، 1416 هـ، 1995م)، ج 5، ص 42

وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوض ورم تنزيها[1]

فجمع الرأيين في هذا البيت، وموقف كل أصحاب رأي من نصٍ قرآني كان أو حديث يرى صاحب الجوهرة أنه يوهم التشبيه، فقدم رأي الخلف ونسب إليهم التأويل والذي عبّر عنه بقولهم عن اليد أنها القدرة، وعن الفوقية أنها التعالي في العظمة دون المكان إلى غير ذلك من الصفات التي أولت لأنها وحسب قول الناظم أنها توهم التشبيه، ثم ذكر رأي السلف ونسب إليهم التفويض، والذي عبر عنه بقولهم " لا نعلمه" أو بأدق عبارة "ربي أعلم".

والذين عابوا على أهل التأويل تأويلهم لصفات الله سبحانه وتعالى، ذكروا أنه منطلق ومبدأ خطأهم هو اعتبارهم تلك الصفات توهم التشبيه– كما ذكرنا عن صاحب الجوهرة– وهي على غير ذلك الاعتبار، لأن نصوص الوحي الواردة في صفات الله لا تدل ظواهرها البتة إلا على تنزيه الله، ومخالفته لخلقه في الذات والصفات والأفعال، فكل المسلمين الذين يراجعون عقولهم، لا يشك أحد منهم في أن الظاهر المتبادر السابق إلى ذهن المسلم هو مخالفة الله لخلقه[2]، فلا يحتاجون بذلك تأويلها بشيء آخر تنزيه له عن خلقه، إذ لا تشابه بينه وبين خلقه قد توحي به هاته الآيات والأحاديث ، إنما يكون التشبيه إذا قال: يد كيد، أو مثل يد، أو سمع كسمع، أو مثل سمع، فإذا قال: سمع كسمع، أو مثل سمع، فهذا التشبيه، وأما إذا قال كما قال الله تعالى يد، وسمع، وبصر، ولا يقول كيف، ولا يقول مثل سمع، ولا كسمع، فهذا لا يكون تشبيها، وهو كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[3][4].

فهذا بصفة عامة الخلاف الدائر بين من يؤولون الصفات ومن يمررونها كما جاءت؛ أما عن موقف الشيخ باي ورأيه في الصفات، فإنه يرى ويقول برأي السلف رضي الله عنهم وأرضاهم في هذه المسألة المختلف فيها، فلا يرى بالتأويل رغم نقله له في كتبه كأمانة علمية في شرح المتون لا غير، وقد أعرب عن رأيه في ملخص ونتيجة باب التوحيد في كتابه ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية، فإنه وبعد عرضه لمسائل التوحيد وشرحه لها على نظم أسهل المسالك، أبدى رأيه ومعتقده في جميع ما يتعلق بباب التوحيد، ومن ذلك رأيه في صفة من الصفات التي اختلف فيها وهي صفة الاستواء، فقال:" والنتيجة من باب التوحيد التي يجب علينا اعتقادها جزماً ويقيناً..." إلى أن يقول رحمه الله:"وأنه مقدس عن الزمان والمكان ومشابهة

[1] شرح الجوهرة، اللقاني، 131

[2] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د ط، 1415هـ، 1995م)، ج7، ص 277.

[3] الشورى 11

[4] سنن الترمذي، الترمذي، ت بشار عواد معروف، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، د ط، 1998م)، ج 02، ص44.

الأكوان فلا تعتريه الحركات ولا تحيط به الجهات، مستو على عرشه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[1] استواءً يليق بعز جلاله وعلو مجده وكبريائه[2]".

والملاحظ على قول الشيخ باي في هذه المسألة وهاته الصفة، أنه وفي بادئ الأمر نفى مشابهة الخالق للخلق، وأثبت تنزهه سبحانه عمايعتري الخلق؛ وكأن ذلك من الشيخ باي تمهيداً على أن مدلول الآية الدالة على استواءه سبحانه وتعالى على عرشه والتي ساقها بعد ذلك، لا يقتضي المشابهة، فلا داعي ولا سبب لتأويلها، ولذلك أجراها على طريقة السلف، فأثبت استواءً له سبحانه وتعالى يليق بجلاله وعلو مجده وكبرياءه كما قال، فهو سبحانه وتعالى كما يقول الشيخ باي بعد ذلك في إثبات تنزهه سبحانه " لا يحتاج إلى محل يحل فيه"[3]، فهو ليس كخلقه من الملوك في صورة جلوسهم على عروشهم وكراسيهم، وبذلك يطابق قول الشيخ باي قول السلف في هاته الصفات، فهو يثبتها لله سبحانه وتعالى كما أثبتها لنفسه، من غير تأويل يعطل، ومن غير تكييف يشبه، وهذا الاعتقاد من الشيخ باي قد جاء لفظه صريحاً في قوله: " واعتقادنا في الاستواء على العرش: آمنا بالله وبما جاء من عند الله على مراد الله، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل"[4]، فلم يبقى بعد هذا القول شك ولا ريب في مذهب الشيخ باي في مثل هاته الصفات.

[1] طه 05

[2] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج 1، ص 216

[3] نفس المصدر، ص79

[4] نفسه، ص 204

الباب الثالث

الإيمان ومسائله عند الشيخ باي بلعالم

الفصل الأول: تعريف الإيمان ومسألة القضاء والقدر

الفصل الثاني: الإيمان بالنبوات.

الفصل الثالث:الإيمان بالسمعيات

الفصل الأول

تعريف الإيمان ومسألة القضاء والقدر

المبحث الأول: تعريف الإيمان والاختلاف الذي وقع فيه

المبحث الثاني: الإيمان بالقضاء والقدر؛ وجوب التسليم بهما مع الأخذ بالأسباب فيهما

المبحث الأول: تعريف الإيمان والاختلاف الذي وقع فيه.

تعتبر مسألة الإيمان في حدّ ذاتها سواءً في تعريف مسمى الأيمان والاعتبارات التي تحيط به، أو مكوناته وحكم من أخل بجزءٍ من أجزائه-مسألة لم يتم الاتفاق على كل جزئياتها، إذْ عرفت اختلافاً وردوداً كثيرةً حتى داخل المدرسة الواحدة من المدارس العقدية الإسلامية، وسنبحث في هذا الفصل عن تعريف الإيمان والاختلاف الذي وقع في ذلك التعريف، وما يدخل وما لا يدخل في مسمى الإيمان، وما يترتب على ذلك من أحكام، وحكم من أخل بجزء من جزئيات ذلك الإيمان سواءً في حياته الدنيوية أو حياته الأخروية.

وقد قسم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:الإيمان لغة واصطلاحاً.

الفرع الأول: الإيمان لغة:

يعتبر الإيمان من مصدر آمن يؤمن إيمانا، فهو مؤمن، وذهب أهل اللغة إلى تعريفهم الإيمان على أنه التصديق[1]، واتفقوا على ذلك مع غيرهم من العلماء، وآمن به إيمانا: صدقه[2]، و قد يكون الإيمان بمعنى: الثقة[3]، ويتحدث الشيخ باي عن الإيمان في اللغة ويعّرفه كما عرفه أهل الاختصاص واتفقوا عليه فيقول " أن الإيمان هو التصديق"[4].

ولم يسلم هذا التعريف اللغوي للإيمان على أنه مرادف للتصديق من الاعتراض، فقد رأى شيخ الإسلام ابن تيمية أن لفظ الإيمان ليس مرادفا للفظ التصديق كما يظنه طائفة من الناس[5]، بل التصديق جزء من الإيمان، وهو يخص ما كان خارجاً عن المغيبات، أما إذا شمل الكلام المغيبات وغيرها فإن لفظ الإيمان لا يصرف إلا للإقرار، وحجته في ذلك هو مصدر الإيمان الذي يعود به إلى أنه مأخوذ من الأمن الذي هو الطمأنينة، والتي تلتقي في مقتضياتها مع مقتضيات لفظ الإقرار الذي هو مأخوذ من قريقر وهو قريب من آمن يأمن[6]، ومن هذا كله فقياس ذلك أن يستعمل لفظ الإيمان كما استعمل لفظ الإقرار[7].

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، ج 13، ص23. التعريفات، الجرجاني، ص 40.

[2] تاج العروس، الزبيدي، ص 34، 186

[3] لسان العرب، لابن منظور، 13، 23

[4] السبائك الإبريزية، محمد باي، ص 18

[5] مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج 07، 529

[6] المرجع نفسه، ص530

[7] نفسه، ص531

وحاصل الخلاف ومداره في صرف معنى الإيمان إلى التصديق أو الإقرار، هو ما يترتب على ذلك التعريف اللغوي من تعريف اصطلاحي وما يتبعه من أحكام، فلذلك بني أساس الحكم على الإيمان من تعريفه اللغوي، فلم يكتفى فيه بالتصديق، ولكن أضيف إليه الاعتراف والذي يشمل الأعضاء كلها ومنها القلب بالأساس فهو محل الطمأنينة.

الفرع الثاني : الإيمان في الاصطلاح :

فإن تعريف الإيمان شهد اختلافاً أوسع وأعمق من التعريف اللغوي، إذْ هو أقرب تعريفاً تنبني على الأحكام، وبذلك جاءت خمسة تعاريف اصطلاحية لمسمى الإيمان، كل تعريف منها ينبني على اعتقاد صحة وصواب الأحكام الصادرة عنه، وسنعرض هاته الأقوال والتعاريف الخمسة وإلى أي تعريف وقول ذهب الشيخ باي في اعتقاده وبناء أحكامه.

القول الأول: ذهب جمهور المحققين من الأشاعرة والماتريدية على إنزال التعريف اللغوي للإيمان على التعريف الاصطلاحي وجعله مطابقاً له، فهم يرون أنه لا يجوز لقائل أن يقول أن المراد في هذه النصوص بالإيمان هو الإيمان اللغوي، كما لا يجوز القول بأن الإيمان اللغوي جزء من الإيمان الاصطلاحي، بل الإيمان الاصطلاحي هو نفسه الإيمان اللغوي وهو التصديق بما عُلِمَ مجيء النبي صلى الله عليه وسلم به ضرورة تفصيلاً فيما علم تفصيلاً، وإجمالاً فيما علم إجمالاً[1]، ومن حججهم في ذلك أن الإيمان من الألفاظ التي نقلت في عرف الشرع إلى معنى مخصوص؛ فيجب أن يحمل على هذا المعنى في خطاب الشرع، كما يرون أن الله سبحانه وتعالى في قرآنه جعل الإيمان شرطاً لصحة الأعمال، فقال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾[2]، كما عطف سبحانه الأعمال على الإيمان فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾[3]، وحتى وإن تعطلت هذه الأعمال فإن الله سبحانه وتعالى قد أثبت الإيمان لصاحبها فقال: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾[4]" فدلّ ذلك على أن الإيمان لا يدخل فيه سوى التصديق، أما الأعمال والإقرار فلا تكون سوى شروط كمال تطلب عند الضرورة لا غير[5].

---

[1] شرح الجوهرة، اللقاني، ص 48

[2] طه 112

[3] الكهف 107

[4] الحجرات 09

[5] شرح الجوهرة، اللقاني، ص 49

القول الثاني: وذهب أصحابه إلى إضافة الإقرار باللسان مع التصديق بالقلب لتعريف الإيمان، مع إبقاء الأعمال خارج دائرة الإيمان فهي لا تدخل في الإيمان إلا من جهة تصديق فرضيتها وقبولها وعدم نكران فرضيتها، وإلى هذا القول ذهب أبي حنيفة ومن تبعه من الفقهاء[1].

القول الثالث: وهو أن الإيمان لا يعدو أن يكون معرفة بالقلب لا يتعدى لغيرها، وإلى هذا القول ذهبت الجهمية فقالت "أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط والكفر هو الجهل به فقط[2].

القول الرابع: وهو أن الإيمان قول باللسان لا غير، فهو يقتصر على الإقرار، وإلى هذا القول ذهبت الكرامية فقالت أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب؛ وأنكروا أن تكون معرفة القلب أو شيء غير التصديق باللسان إيماناً وزعموا أن المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين على الحقيقة وزعموا أن الكفر بالله هو الجحود والإنكار له باللسان[3].

القول الخامس: وأصحاب هذا القول جمعوا ما تفرق في كل الأقوال السابقة من التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح، فكلها داخلة عندهم في مسمى الإيمان لا يستغنى عن واحدة منها في إطلاق لفظ الإيمان الكامل على صاحبه[4]، لكن أصحاب هذا القول قد تباينت نظرة كل واحد منهم إلى اعتبار العمل هل شرط صحة، أو شرط كمال، فذهبت المعتزلة إلى أن العمل كغيره من أركان الإيمان الباقية، فهو عندهم شرط صحة في الإيمان لا يصح إيمان العبد إلا بتحقيقه كامل دون نقصان، وأما جماعة من أهل السنة، أو إن شئت قلت أهل الحديث، فهم يرون أن العمل وإن كان داخلاً في تعريف الإيمان إلا أنه ليس كبقية الأركان في المرتبة والأهمية، فهو عندهم شرط كمال، لا في حصول الإيمان كواجب شرعياً، لكن في بلوغ الإيمان الحقيقي المطلوب من العبد تحصيله، وقد عبروا عن ذلك بقولهم بعد تعريفهم للإيمان أنه "يزيد وينقص"، فإذا تخلف العمل وجد الإيمان ولكنه غير كامل[5].

وإلى هذا الرأي الأخير ذهب الشيخ باي في تعريفه للإيمان، كما وضح في هذا التعريف مكانة العمل وبيّن أنه شرط كمال وإتمام لا شرط صحة، وهذا بعد أن ذكر أن الخلاف واقع في اعتبار العمل وأن الصحيح هو أن شرط كمال، فقال

---

[1] شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة، أبو منصور محمد بن محمد الحنفي السمرقندي، (طبع على نفقة الشؤون الدينية بدولة قطر، د ط، د ت)، ص 148

[2] مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبي الحسن الأشعري، ت : نعيم زرزور، (المكتبة العصرية، بيروت، ط 01، 1426هـ، 2005م) ، ج 01، ص 219

[3] نفس المرجع، ص120. والكرامية هم أتباع أبي عبد الله محمد بن كرام السجستاني، توفي سنة 255هـ ، دعا أتباعه إلى التجسيم، كما قال بالإرجاء في مسألة الإيمان، أنظر الملل والنحل، الشهرستاني، ج 01، ص 108.

[4] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبي القاسم هبة الله ابن الحسن الطبري اللالكائي، (دار البصيرة، الأسكندرية، د ط، د ت)، ج 01، ص 730. مقالات الإسلاميين، أبي الحسن الأشعري، ج 01، ص 227. شرح جوهرة التوحيد، اللقاني، ص 49

[5] جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، ت شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 07، 1422هـ، 2001م)، ج 01، ص 107.

في "فتح الجواد شرح على نظم العزية لابن باد" في شرحه لأبيات النظم: (وأن الإيمان اعتقاد بالجنان) أي بالقلب، (وعمل الاعضا) أي وعمل الجوارح، (ونطق باللسان)؛ واختلف في العمل بالجوارح؛ هل شرط كمال وهو الصحيح، أو شرط صحة"[1].

كما يقول الشيخ في السبائك الإبريزية : " وأن الإيمان اعتقاد فاعلم وعمل الأعضاء وقول بالفم"

ثم يقول شارحاً لهذا البيت الذي هو من نظمه لمتن العزية:

أي: ومما يجب الإيمان به (أن الإيمان)... هو ، (اعتقاد) بالقلب، (فاعلم وعمل الأعضاء) أي الجوارح، (وقول بالفم) أي ونطق باللسان، وكما قلنا فإن الشيخ يبيّن أن العمل ليس كغيره من الأركان في المرتبة فهو مكمل للإيمان، لا شرط صحة فيه، فلذالك عبّر عن اجتماع الأركان الثلاث بالاكتمال، ولم يعبر عن ذلك بالصحة فقال: يعني أن الإيمان لا يكتمل ولا يتم إلا إذا اجتمعت فيه هذه الثلاثة التي جاءت في الحديث الذي رواه ابن ماجه بإسناده إلى علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿ **الإيمان معرفة القلب وعمل باللسان وعمل بالأركان** ﴾[2]؛ قال أبو الصلت لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لبرء لأن رواته من أهل البيت[3]"[4]، وهذا الحديث الذي ساقه الشيخ لو صحّ لما وقع خلاف بين المسلمين في تعريف الإيمان، ولذلك قيل أن الحديث موضوع كما ذكرنا في تخريجنا للحديث، ولا يكفي أن يكون الرواة من أهل البيت لصحة الحديث ونسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن صحة السند أولى، ولذلك قيل ما قيل عن راوي الحديث وهو أبي الصلت الهروي، وكان يكفي لصحة القول والرأي في تعريف الإيمان أن ينسب الشيخ باي ذلك للسلف وأهل الحديث من أهل السنة وهو الرأي المشهور عندهم.

المطلب الثاني:دخول الأعمال في مسمى الإيمان، وزيادته بزيادتها ونقصه بنقصانها.

يعتبر هذا المطلب جزء من المطلب السابق، إذْ أن الخلاف الذي ذكرناه في تعريف الإيمان يدور الجزء الأكبر منه على الأعمال وهل هي داخلة في مسمى الإيمان أو لا تدخل؟ وهل يزيد هذا الإيمان وبما تكون تلك الزيادة؟ وهل ينقص وبما يكون ذلك النقصان؟

---

[1] فتح الجواد، محمد باي، ص 130

[2] الحديث أخرجه ابن ماجة في سننه، باب" الإيمان" رقم 65.

[3] سنن ابن ماجة، ابن ماجة، ت محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء الكتب العربية، بيروت، د ط، د ت)، ج 01، ص 25. قال الألباني عن الحديث أنه موضوع، وأن رواته كلهم من طريق أبي الصلت الهروي: حدثنا علي بن موسى الرضا: حدثنا أبي موسى بن جعفر: حدثنا أبي جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فذكره. وقال العقيلي:" موسى بن جعفر حديثه غير محفوظ، ولا يتابع عليه إلا من جهة تقاربه، والحمل فيه على أبي الصلت الهروي ". قلت: اسمه عبد السلام بن صالح، قال الذهبي في " الضعفاء ": اتهمه بالكذب غير واحد، قال أبو زرعة: لم يكن بثقة. وقال ابن عدي: متهم وقال غيره: رافضي ". أنظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ناصر الدين الألباني، (دار المعارف، الرياض، ط 01، 1412 هـ ، 1992م)، رقم الحديث: 2271، ج 05، ص 295.

[4] السبائك الإبريزية ، محمد باي، ص 14،.

عرض الأقوال في المسألة:

فأما أصحاب القول الأول وهم الذين قالوا أن الإيمان هو التصديق فقط، فإنهم يرون أنه يزيد بزيادة التصديق وينقص بنقصانه، والتصديق بدوره يزيد وينقص بكثرة النظر وتظاهر الأدلة وانشراح الصدر واستنارة القلب، حتى لا تعتري المصدق القوي التصديق شبهة؛ ولا يتزلزل إيمانه بعارض[1]، كما أنهم لما جعلوا للأعمال الصالحة مدخلية في الإيمان بالكمالية؛ استلزم أن يتفرع على تلك المدخلية القول بزيادة الإيمان ونقصانه وجعلوا هذا الرأي هو الراجح عندهم[2] فهم بذلك يرون زيادة الإيمان ونقصانه بالأعمال ولكن القلبية منها والتي عبروا عنها بالتدبر والنظر في الأدلة المؤيدة إلى زيادة التصديق وبالتالي زيادة الإيمان.

وأما أصحاب القول الثاني وهو الذين قالوا بأن الإيمان تصديق وإقرار، قالوا بأن إيمان أهل السماء والأرض لا يزيد ولا ينقص من جهة المؤمن به؛ ويزيد وينقص من جهة اليقين والتصديق، يعني إيمان الملائكة وإيمان الإنس والجن لا يزيد ولا ينقص في الدنيا والآخرة من جهة المؤمن به؛ لأن من قال آمنت بالله وبما جاء من عند الله وآمنت برسول الله وبما جاء من عند رسول الله فقد آمن بجميع ما يجب الإيمان به فهو مؤمن[3]"[4].

وأما أصحاب القول الثالث وهو الجهمية الذين رأوا بأن الإيمان لا يعدو أن معرفة بالقلب، فقد ذهبوا إلى القول بأن لا زيادة ولا نقصان ولا تفاضل فيه، فإيمان الأنبياء وإيمان الأمة على نمط واحد، إذ المعارف لا تتفاضل[5].

ولا شك أن أصحاب القول الرابع وهم الكرامية والذين يرون أن الإيمان هو إقرار باللسان دون غيره من الأركان يستلزم من قولهم هذا أن الإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص، إذ لا زيادة في إقرار اللسان ولا نقصان.

وبقي القول الخامس وهو رأي السلف وأهل الحديث القائلين أن الإيمان هو قول واعتقاد وعمل، فقد قرر هؤلاء أن الإيمان يزيد وينقص، فروي عن بعض الصحابة والتابعين قولهم بزيادة الإيمان ونقصانه، و"أن الزيادة هـــو ذكر الله تعالى،

---

[1] شرح الجوهرة، اللقاني، ص 50

[2] نفس المصدر، ص 61

[3] شرح الفقه الأكبر، لأبي حنيفة ، ص 149

[4] ذهب البعض إلى إثبات أن أبا حنيفة رضي الله عنه يرى أن الإيمان يزيد و ينقص، وأنه يتفاضل، وذلك بإثباته أن العبارة المنقولة عنه قد وقع فيها خلط من جانب النّساخ وأن أصلها أن يقال " وإيمان أهل السماء والأرض يزيد وينقص من جهة المؤمن به، ولا يزيد ولا ينقص من جهة اليقين والتصديق ... "، أنظر: زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، (مكتبة دار القلم، الرياض، ط 01، 1416هـ، 1996م)، ص 319.

[5] مقالات الإسلاميين، أبي الحسن الأشعري، ج 01، ص 114، الملل والنحل، الشهرستاني، ج 01، ص 88.

والنقصان ضده"[1]، وقد روي عن الإمام مالك في إحدى الروايتين أنه يزيد ونقص[2]، كما بوب الإمام البخاري رضي الله عنه وأرضاه في صحيحه باباً وسماه "باب زيادة الإيمان ونقصانه" وذكر من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ما يدل على ذلك[3]، وذكر الإمام مسلم كذلك باباً في ذلك وسماه "باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات..."[4]، وإن لم يذكر زيادة الإيمان فإن ذلك أثبت في كتاب الله سبحانه وتعالى، قال تعالى:﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنَا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾[5].

وإلى هذا الرأي الأخير ذهب الشيخ باي في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه، فكما وافق أهل الحديث في تعريفهم للإيمان، فقد وافقهم في اعتبار أن الإيمان يزيد وينقص، ففي معرض شرح الشيخ لمعنى كلمة " الرحيم" ذكر أن الله سبحانه وتعالى ينعم على عباده بنعم كثيرة منها أنه سبحانه وتعالى وفقهم للزيادة من الأعمال الصالحة، والتي اعتبرها فرع من الإيمان يزيد بزيادتها وينقص بنقصانها؛ كما أن الأرزاق والأولاد كذلك فرع عن العافية التي ينعم بها سبحانه على عباده، فقال: " الرحيم: المنعم على العباد بفروع النعم كزيادة الأعمال الصالحات وذلك فروع على الإيمان، وزيادة الأرزاق والأولاد وذلك فرع على العافية"[6]، وهاته الزيادة منه سبحانه وتعالى لعباده في أعمالهم، هي ما أشار إليها القرآن الكريم والسنة النبوية في الكثير من النصوص وهي ما سنشير إليه فيما يلي.

الاستدلال على الزيادة والنقصان في الإيمان من الكتاب والسنة

استدل أصحاب هذا القول على رأيهم في زيادة الإيمان ونقصانه بما جاء في الكتاب والسنة[7]، وسنعرض بعض هذه الآيات والأحاديث التي ساقوها للاستدلال على ذلك.

أولاً: من الكتاب:

لقد جاء في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تتحدث عن الإيمان وزيادته بشكل صريح وذلك بذكر لفظ الإيمان، أو بشكل غير صريح وذلك بذكر ما يدل على الإيمان وما يكون منه كالهدى والخشوع، قال تعالى:﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ

---

[1] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، هبة الله اللالكائي، ج 01، ص 808.

[2] لأنه روي توقف مالك رحمه الله في بعض الروايات عن القول بالنقصان إذ لا يجوز نقصان التصديق لأنه إذا نقص صار شكا وخرج عن اسم الإيمان وقال بعضهم إنما توقف مالك عن القول بنقصان الإيمان خشية أن يتأول عليه موافقة الخوارج الذين يكفرون أهل المعاصي من المؤمنين بالذنوب وقد قال مالك بنقصان الإيمان مثل قول جماعة أهل السنة. أنظر المنهاج شرح صحيح مسلم، محيي الدين بن شرف النووي، ج 01، ص 146.

[3] صحيح البخاري، كتاب "الإيمان" باب" زيادة الإيمان ونقصانه" رقم 44-45، ج01، ص 17.

[4] صحيح مسلم، كتاب "الإيمان"، باب" بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات..."، رقم 132، ج 01، ص87.

[5] الفتح ، الآية 04

[6] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1،ص145

[7] بُسط القول في هذه المسألة واستدل عليها من الكتاب والسنة وبشكل تفصيلي في: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، ج 01، ص 808.

سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾[1]، قال ابن كثير: وهذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص، كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء، بل قد حكي الإجماع على ذلك غير واحد[2]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾[3]، قال ابن كثير: أي: خضوعا لله عز وجل وإيمانا وتصديقا بكتابه ورسوله، ويزيدهم الله خشوعا، أي: إيمانا وتسليما، كما قال:﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾[4]، فكل هذه الآيات وغيرها استدل بها أصحاب هذا الرأي ومنهم الشيخ باي على زيادة الإيمان ونقصانه.

ثانياً: السنة النبوية:

كما أن القرآن الكريم قد حفل بالآيات التي دلت على زيادة الإيمان ونقصانه، فإن السنة النبوية قد احتوت على أحديث له صلى الله عليه وسلم تدل على ذلك إما تصريحاً أو تلميحاً، ولأن الزيادة تستلزم النقصان والعكس صحيح، فقد جاءت أحاديث في الزيادة كما جاءت أخرى في النقصان، وسنكتفي بذكر حديثين له صلى الله عليه وسلم يدلان ومن خلال تبويب أصحاب الحديث لهما على المعنى الذي سقناهما له.

فحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن**﴾[5]، يدل هذا الحديث ومن خلال تبويب الإمام مسلم له على أن الإيمان يزيد وينقص، حيث قال في تبويب هذا الحديث" بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله"، فإن الإمام مسلم اعتبر الحديث دال على أن المعصية تنقص الإيمان ولكن لا تذهبه بالكلية فهو ثابت لصاحبه، كما يفهم من هذا أن الطاعة تزيد في الإيمان فهو يزيد بزيادتها.

كما روي كذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿**الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**﴾[6]، وهذا الحديث بدوره قد استدل به الترمذي على زيادة الإيمان ونقصانه، فخرجه في باب"ما جاء في استكمال الإيمان

---

[1] التوبة 124

[2] تفسير ابن كثير، ج 04، ص 239.

[3] الإسراء 109

[4] سورة محمد صلى الله عليه وسلم 17

[5] أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب" لا يشرب الخمر" رقم 6772، وأخرجه مسلم، كتاب" الإيمان"، باب" بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله"، رقم 100.

[6] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب "الإيمان" باب" أمور الإيمان" رقم 09.كما أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب"الإيمان" باب" شعب الإيمان" رقم58 .

وزيادته ونقصانه"[1]، وهذا التبويب دليل من الإمام الترمذي على معنى الحديث، كما بوب له ابن حبان في صحيحه بقوله:"ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن الإيمان شيء واحد لا يزيد ولا ينقص"[2]، وهو بذلك يرد على الذين أنكروا زيادة الإيمان ونقصانه ويستدل على خلاف رأيهم.

المطلب الثالث: حكم مرتكب الكبيرة.

تعتبر مسألة الحكم على مرتكب الكبيرة مسألة هامة، فهي بالنسبة لمسألة الإيمان ككل ،كالنتيجة للمقدمة، فمدار الخلاف واشتداده في تعريف الإيمان وهل الأعمال داخلة فيه أو لا، كله يصب تقريباً في الحكم على مرتكب الكبيرة، لأن هذا الحكم مستلزم لتعريف الإيمان واعتبار الأعمال فيه، ولذلك جاءت أربعة أقوال وأحكام على مرتكب الكبيرة هي كما يلي:

القول الأول: يرى أصحابه وهم الخوارج بتكفير مرتكب الكبيرة وأنه مخلد في النار[3] وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر إلا "النجدات[4] فإنها لا تقول ذلك، كما أجمعوا على أن الله – سبحانه – يعذب أصحاب الكبائر عذاباً دائماً إلا النجدات أصحاب نجدة[5].

القول الثاني: وأصحاب هذا القول بنوا رأيهم على تعريفهم للإيمان وجعلهم العمل شرط صحة فيه وهم المعتزلة؛ فاستلزم من ذلك أنهم جعلوا مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين في الدنيا، وفي الآخرة يكون عندهم مخلد في النار، فقد سأل الجبائي عن أصحاب الكبائر: أفتقولون: أنهم مخلدون في النار ويبقون فيها دائماً أم يخرجون منها؟ فأجاب: بل يخلدون فيها [6]، وهم قد وافقوا أهل السنة في تعريف الإيمان على أنه قول واعتقاد وعمل؛ إلا أن السنة جعلوا العمل شرط كمال، لا ينتفي الإيمان بنقصه أو انتفاءه.

القول الثالث: وأصحاب هذا القول هم الذين قالوا "أن الإيمان بالله هو المعرفة بالله وبرسله وبجميع ما جاء من عند الله فقط وأن ما سوى المعرفة من الإقرار باللسان والخضوع بالقلب والمحبة لله ولرسوله والتعظيم لهما والخوف منهما والعمل

---

[1] سنن الترمذي، ج 04، ص 306.، أخرجه في "أبواب الإيمان" باب" ما جاء في إستكمال الإيمان وزيادته ونقصانه"، رقم 2614.

[2] صحيح ابن حبان، ابن حبان، ت: شعيب الأرنؤوط، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 01، 1408هـ، 1988م)، ج 01، ص 407، كتاب" الإيمان" باب" فرض الإيمان" رقم 181

[3] الملل والنحل، الشهرستاني، ج 01، ص 114

[4] النجدية هم أتباع نجدة بن عامر الحنفي، قتله أبي فديك على يد من أصحابه، أنظر المرجع السابق، ج1، ص 122. الفرق بين الفرق، البغدادي، ص69

[5] مقالات الإسلاميين، أبي الحسن الأشعري، ج 01، ص 84.

[6] شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار، ت فيصل بدير عون، (مطبوعات جامعة الكويت لجنة التأليف والتعريب والنشر، الشويخ، ط 01، 1998م) ص 90.

بالجوارح فليس بإيمان"[1]، كما رأوا أنه لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، فكان صاحب الكبيرة عندهم بذلك مؤمن كامل الإيمان، وقيل يؤخر حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة، فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا؛ من كون من أهل الجنة، أو من أهل النار[2]، وقيل بذلك سموا بالمرجئة وقيل لغير ذلك.

القول الرابع: وذهب أصحابه إلى أن مرتكب الكبيرة لا يسلب منه اسم الإيمان مطلقاً، فهو غير كافر عندهم، كما لا يستحق اسم الإيمان كاملاً لأنه قد أتى من الأعمال ما ينقصه ويخدشه، وينسب هذا القول إلى أهل السنة والجماعة وهم الذين يرون أن الإيمان قول واعتقاد وعمل، وحتى الذين يرون أنه تصديق فقط كجمهور الأشاعرة، وأبي حنيفة الذي يرى أنه الإقرار مع التصديق يقولون بقولهم ويرون رأيهم في مرتكب الكبيرة، فهو عند جمهور الأشاعرة بين أن تكفر تلك الكبائر بالتوبة أو فضل من الله[3] سبحانه وتعالى، وهو عند أبي حنيفة لا يكون كافراً لأن الإيمان إقرار وتصديق، والإقرار والتصديق باق فيكون الإيمان باقياً؛ إلا أن تكون المعصية موجبة للكفر فيكون الإيمان زائلاً، لأن الكفر يزيل الإيمان[4].

وجريان على مذهب السلف في تعريفهم للإيمان، فقد ذهب الشيخ باي إلى قولهم ورأيهم في مسألة مرتكب الكبيرة، حيث يتكلم الشيخ عن الصغائر ثم يعّرف الكبيرة ويبيّن معنى اجتنابها الذي به تغفر الصغائر، فيقول في شرح أسهل المسالك" يجب علينا أن نعتقد أن اجتناب الكبائر يغفر الله به الصغائر، كما قال تعالى:﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾[5]، ...باجتناب الكبائر وهي جمع كبيرة وهي الذنب العظيم من حيث المؤاخذة به كالقتل والزنا والمراد باجتنابها ما يعم التوبة منها بعد فعلها لا ما يخص عدم ارتكابها بالمرة...وأما البكر فيكفرها عفو الله أو التوبة، وورد أن الغزو في البر ّ يكفرها إلا التبعات، وفي البحر حتى التبعات، وفي الحديث:﴿ **الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**﴾[6] ، وفي حديث آخر : ﴿**من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**﴾[7]"[8]، فهنا قد بيّن الشيخ باي ثلاثة مسائل هي:

---

[1] مقالات الإسلاميين، أبي الحسن، ج1، ص 114

[2] الملل والنحل، الشهرستاني، ج1، ص 139

[3] شرح الجوهرة ، اللقاني، ص 230

[4] شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة، أبو منصور محمد بن محمد الحنفي السمرقندي، ص 57

[5] النساء 31

[6] أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب "الحج"، باب" فضل الحج والعمرة"، رقم 3695، بلفظ "الحجة المبرورة ليس لها ثواب إلا الجنة، والعمرة إلى العمرة تكفر ما بينهما" ، ج 0، ص 08.

[7] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب "الحج"، باب" فضل الحج المبرور" رقم 1521، ج 02، ص 133.

[8] زاد السالك، محمد باي ، ص23

أولاً: ما يخص الذنوب الصغيرة، فإن العبد باجتنابه للكبائر يغفر الله له تلك الصغائر وإن لم يتب منها أي الصغائر[1].

ثانياً: أن الاجتناب المقصود في الآية الكريمة هو التوبة من هذه الكبائر لا عدم ارتكابها بالمرة كما قال الشيخ باي، ويؤيد هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم "التائب من الذنب، كمن لا ذنب له"[2] ، فما دام العبد قد تاب من الذنوب الكبيرة ورجع إلى الله منها فإنه يصير عند ذلك كمن لم يرتكبها واستحق بذلك محو صغائره التي لم يتب منها.

ثالثا: أن الشيخ باي تحدث عن أن الكبائر تكّفر في الدنيا بشيئين، وفي الآخرة بشيء واحد، فأما ما يخص حال مرتكب الكبيرة في الدنيا فإما أن تكّفر عنه بالتوبة، أو بالأعمال التي ذكرها.

وأما يخص حال صاحب الكبيرة في الآخرة –وهو محور بحثنا– فإن الشيخ باي قد ذكر أن تكفيرها يكون بعفو الله، فهو إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه، وهذا بعد أن مات مصراً ولم يتب منها " فشأنه موكول إلى الله سبحانه وتعالى، فلا نقطع له بالعفو عنه لئلا تكون الذنوب في حكم المباح؛ ولا نحكم عليه بالعذاب؛ لأن الله تعالى يجوز أن يغفر للمذنبين ما عدا الكفر"[3]، ثم إن هذا العذاب لصاحب الكبيرة غير دائم، فهو غير مخلد في النار كما يقول الشيخ باي، "كما لا نحكم عليه بالكفر ولا بالخلود في النار"[4]،ويقول في موضع آخر وفي حديثه عن النار:"فهي للكافرين ولمن شاء الله من العصاة لمدة أرادها ويخرجون منها إن كان في قلوبهم مثقال ذرة من الإيمان وذلك بمحض عدله إن عذّب، وبمحض فضله إن رحم"[5]، ومرد ذلك وسببه كما يقول الشيخ هو الإيمان الذي معه في قلبه وشهادة التوحيد التي أقر بها، لقوله صلى الله عليه وسلم:﴿ **من قال لا إله إلا الله دخل الجنة**﴾[6].

لكن الشيخ باي وبعد أن يستشهد بالحديث السابق على دخول أهل الكبائر لجنة، يقول كلاماً قد يفهم منه أن من شهد أن لا إله إلا الله فإنه لا يدخل النار وإن أتى بالكبائر، لأنه بشهادته استحق الجنة، والتي لا يخرج منها، لأن من دخل الجنة فهو خالداً فيها لا يخرج منها أبداً؛ فيقول" ولا يصّح أن يدخل الجنة ثم يدخل النار؛ لأن من دخل الجنة لا

---

[1] وهذه المسألة فيها خلاف بين المتكلمين والأصوليين، وبين الفقهاء والمحدثين والمعتزلة ، فالمتكلمون يقولون بعدم القطع بتكفير الصغائر إذا اجتنبت الكبائر، وغيرهم يقول بتكفيرها قطعاً، أنظر تفسير القرطبي، ج 05، ص 158. وشرح الجوهرة، اللقاني، ص 233.

[2] سسن ابن ماجة، كتاب "الزهد" ، باب" ذكر التوبة"، رقم: 4250.، ج 02، ص 1419.

[3] زاد السالك، محمد باي، ص 23

[4] نفس المصدر والصفحة

[5] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج 01، ص 190.

[6] أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب" الإيمان"، باب" فضل الإيمان"، رقم 151، ج 01، ص363. قال عنه الألباني: حديث صحيح، أنظر التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ناصر الدين الألباني، (دار باوزير للنشر والتوزيع، جدة ، السعودية، ط 01، 1424هـ، 2003م)، ج 01، ص 243. أنظر زاد السالك، محمد باي، ص 23

يخرج منها"[1]، وهذا الفهم من الحديث إنما أراد به الشيخ باي من أدركتهم شفاعة الشافعين في أن يدخلوا الجنة وينجوا من النار كما سيتبين في مبحث الشفاعة وهذا رأي، ورأي آخر للترمذي قال: روي عن الزهري، أنه سئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، فقال: إنما كان هذا في أول الإسلام قبل نزول الفرائض والأمر والنهي، ووجه هذا الحديث عند بعض أهل العلم أن أهل التوحيد سيدخلون الجنة، وإن عذبوا بالنار بذنوبهم فإنهم لا يخلدون في النار[2].

ولذلك يتحدث الشيخ باي في موضع آخر عن هذه المسألة وهذا في أثناء كلامه عن الشفاعة التي تكون للخواص من عباد الله فيقول:" ويشفع الأخيار وهم خيرة الخلق من الناس، مثل الأنبياء والعلماء والشهداء في مؤمن موحد معذب"، فأثبت الشيخ أن المؤمنين الموحدين ومع شهادتهم بالتوحيد له سبحانه وتعالى قد يعذبوا في النار قدر جرمهم، ثم يخرجهم الله من النار إما بشفاعة شافع، أو برحمته سبحانه وتعالى كما جاءت بذلك الآثار، وبذلك يتبيّن أن القول الأول للشيخ باي عن عدم دخول أهل الكبائر للنار إنما يعني به عدم الخلود، ولا يعنى به عدم الدخول مطلقاً والله أعلم.

المبحث الثاني: الإيمان بالقضاء والقدر؛ وجوب التسليم بهما مع الأخذ بالأسباب فيهما

تعتبر هاته المسألة وهي مسألة القضاء والقدر، من أصول الإيمان التي لا يكمل إيمان العبد حتى يؤمن بهما، ولم يعرف في التاريخ الإسلامي إنكاراً لهاته المسألة إلا ما كان من القدرية ومن تبعهم كالمعتزلة[3]، وقد حرص الصحابة ومن جاء بعدهم من العلماء على تبيّن هاته المسألة للناس وتوضيحها لهم والتشديد على الإيمان بها والتسليم لله فيها، ولكن مع الأخذ بالأسباب.

ومن خلال وقوفي على مسألة الإيمان في كتاب ملتقى الأدلة وقد ذكرها الشيخ، لم أجد ذكراً لمسألة الإيمان بالقضاء والقدر، فقال في النظم:

وخمسة بها الإيمان واجب الله والأملاك ثم الكتب
كذا بيوم العرض والرسل الكرام عليهم أزكى الصلاة والسلام

واستـــــدل الشيـــــخ على الإيمان بتلك المسائل بقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ

[1] زاد السالك، محمد باي، ص 23

[2] سنن الترمذي، رقم الحديث: 2638، ج 04، ص 321. وعلق الألباني على كلام الترمذي فقال: حسن، أنظر :صحيح وضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، ج6، ص138.

[3] الفرق بين الفرق، البغدادي، ص 94

وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[1]، وحديث جبريل عليه السلام[2]؛ ولعل عدم ذكر الشيخ باي لمسألة الإيمان بالقضاء والقدر ضمن مسائل الإيمان المذكورة، رغم ذكر الحديث الذي ساقه للاستشهاد لهما؛ هو اعتماده الآية القرآنية والتي لم يرد فيها ذكر الإيمان بالقضاء والقدر.

ولكن لا يعني هذا أن الشيخ باي لم يتعرض في درسه العقدي لهاته المسألة الحساسة، بل إنه تعرض لها في غير هذا الكتاب، ففي شرحه لأسهل المسالك وفي كتابه الذي خصصه لذلك وهو "زاد السالك شرح أسهل المسالك"، يقول الشيخ باي عن الناظم: "ثم أشار إلى الأمور التي يجب علينا أن نؤمن بها وأن نعتقدها فقال[3]:

والقدر أعلم خيره وشره بأمره وحلوه ومره

ما شاءه كان وإلا لم يكن إذا قضى أمراً يقول كن يكن

كما تعرض الشيخ باي لمسألة الإيمان بالقضاء والقدر في نظمه لمتن العزية، وقد سمى هذا النظم"الجواهر الكنزية لنظم ما جمع في العزية"[4]، ثم قام الشيخ بشرحه في كتاب سماه "السبائك الإبريزية شرح على الجواهر الكنزية"[5].

المطلب الأول: القضاء والقدر لغة واصطلاحاً.

الفرع الأول: القضاء والقدر لغة:

01 – القضاء لغة: القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته[6]، وذهب أهل اللغة إلى أن القضاء: هو الحكم، وأصله قضاي لأنه من قضيت، إلا أن الياء لما جاءت بعد الألف همزت[7]، ومنهم من عّرف القضاء على أنه الحكم والأداء[8]، أو هو انقطاع الشيء والنهاية[9]، وهو يأتي على عدة معاني منها الأجل، قال تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾[10]، والفصل، قال تعالى: ﴿لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾[11]، والمضي، قال تعالى ﴿

---

[1] البقرة 285

[2] وهو حديث الإسلام والإيمان والإحسان، وأوله" بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم...."، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب "الإيمان"، باب" معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامات الساعة"، رقم 01، ج 01، ص 36.

[3] زاد السالك، محمد باي، ص 19

[4] الجواهر الكنزية لنظم ما جمع في العزية، محمد باي بالعالم، ص 05.

[5] السبائك الإبريزية، محمد باي، ص 17

[6] مقاييس اللغة، لابن فارس، ج5، ص99

[7] لسان العرب، لابن منظور، ج15، ص 186

[8] المعجم الوسيط، ج 2، ص 743

[9] الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، ت عدنان درويش، محمد المصري، (مؤسسة الرسالة، بيروت، د ط، د ت)، ص 705

[10] الأحزاب، 23

[11] الأنعام 58

وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا﴾[1]، والوجوب، قال تعالى: ﴿لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾[2]، والإعلام، قال تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[3]، والوصية، قال تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[4]، والخلق، قال تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ﴾[5]، والفعل، قال تعالى: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ٢٣﴾[6]، والإبرام، قال تعالى: ﴿فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَا﴾[7]، والعهد، قال تعالى: ﴿إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ﴾[8]، والأداء، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾[9]، وغيرها من المعاني[10]، ومنه القضاء المقرون بالقدر، وهما أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر[11].

02 – القدر لغة: جاء في اللغة القدر بفتح القاف والدال وضم الراء الاسم، والقدر بفتح القاف وتسكين الدال وضم الراء المصدر، وقيل الاسم بفتح الدال وسكونها[12]، والقاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته. فالقدر: مبلغ كل شيء. يقال: قدره كذا، أي مبلغه[13]، والقدر، .. القضاء الموفق[14]، يقال: قَدره الله تقديراً. وإذا وافق الشيء شيئاً قيل: جاء على قَدَرِه[15]، ويأتي القدر بعدة معاني منها التضييق قال تعالى ﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾[16]، والوصف، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾[17]، أي ومـــــا وصفوه حق صفته، والطاقة، قال تعالى: ﴿عَلَى

---

[1] الأنفال 42

[2] الرعد 22

[3] الإسراء 04

[4] الإسراء 23.

[5] فصلت 12

[6] عبس 23

[7] يوسف 68

[8] القصص 44

[9] الجمعة 10

[10] القاموس المحيط، ص 1325. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، ص 705

[11] تاج العروس، الزبيدي، ج39، ص 311.

[12] تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة، لأبي عبد الله محمد بن ابراهيم بن خليل التتائي المالكي، ت: محمد عايش عبد العال شبير، (مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط 01، 1409هـ، 1988م)، ج 01، ص 218.

[13] مقاييس اللغة، لابن فارس، ج 5، ص 62.

[14] تاج العروس، الزبيدي، ج13، ص 370

[15] كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج5، ص 112

[16] الطلاق 07

[17] الأنعام 91

ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ [1]، والحكم، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾[2]، أي ليلة الحكم، لأنه سبحانه وتعالى قال فيها،﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [3]، والتعظيم، والتدبير، وقياس الشيء بالشيء وغيرها من المعاني[4].

الفرع الثاني: القضاء والقدر اصطلاحاً:

يعتبر تعريف القضاء والقدر اصطلاحاً أو شرعاً، من المسائل التي وقع فيها الالتباس والتشابه عند الكثير من الناس وحتى من تكلم في هاته المسألة من بعض العلماء، حتى قال الشيخ باي عن ذلك"وقد اختلف المتكلمون في معناهما، أي: القضاء والقدر"[5]، وكل له حجج ودلائل من النصوص على رأيه، ولعل ذلك راجع إلى التكامل والتلازم بين المصطلحين، كما هو التكامل والتلازم بين الإسلام والإيمان، وغيرهما من المصطلحات التي تصدق فيها قاعدة: إذا اجتمعت اختلفت وإذا افترقت اتفقت؛ فيراد بالقضاء القدر كما يراد بالقدر القضاء[6]، وهذا ما نلاحظه على عرض الشيخ باي لهاته المسألة والكلام عنها، فهو يتكلم عن أحدهما ويقصدهما معاً إذا غاب الآخر، كما أنه يفرق بينهما إذا اجتمعا ويبيّن حدود كل واحد منهما، وسنبرز ذلك في ما يلي من تعريفنا لكل من القضاء والقدر اصطلاحاً :

01 – القضاء اصطلاحاً:

جاء في الاصطلاح أن القضاء عبارة عن الحكم الكلي الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية في الأزل إلى الأبد[7]، فما قدره الله سبحانه وتعالى بعلمه في الأزل من أحكام هي جارية إلى يوم القيامة سميت قضاء؛ و ينقل الشيخ باي في تعريف القضاء شرعاً قول ما يلي : إرادة الله مع التعلق في أزل قضاءه فحقق[8]

فالشيخ باي هنا يعتبر القضاء هو تعلق إرادة الله سبحانه وتعالى بالأشياء في الأزل، فما أراده الله سبحانه وتعالى الأشياء سواء ً بالإيجاد أو الإعدام سميت قضاء ً ، وهو يتقارب مع التعريف الأول الذي سقناه وهو أنه سبحانه وتعالى قد حكم على الأشياء حكم كلي على ما هي عليه من الأحكام الجارية، وهو بذلك أي الشيخ باي يميز بين القضاء والقدر.

---

[1] البقرة 236

[2] القدر 01

[3] الدخان 04

[4] تاج العروس، الزبيدي، ج13، ص 374

[5] زاد السالك، محمد باي، ص 20

[6] تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة، محمد بن إبراهيم التتائي المالكي، ج 01، ص 218.

[7] التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ص 177

[8] زاد السالك، محمد باي، ص، 20

ولكننا نجد أن الشيخ وفي موضع آخر وأثناء كلامه عن القضاء يستخدم لفظ القدر وهو يقصد القضاء الذي تعلق بإرادة الله سبحانه وتعالى، فيعبر عنه بالقدر، فيقول في شرحه للجواهر الكنزية على نظم العزية: وكل ما قد شاءه:أي قدره[1]؛ فجعل القدر متعلق بالمشيئة والتي هي الإرادة، ولعل الشيخ يقصد هنا المعنى اللغوي للقدر، وهو نفس المعنى المقصود من قول النبي صلى الله عليه وسلم ﴿...**فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل**...﴾[2]، فنهى صلى الله عليه وسلم عن ذلك القول لأن فيه اعتراض على الغيب والقدر السابق[3]

كما أن الشيخ باي ذهب إلى تعريفاً آخر للقضاء وجعله متعلقاً بالعلم لا الإرادة فنقل قول الآتي:

وبعضهم قد قال معنى الأول العلم مع تعلق في الأزل[4]

فجعل القضاء- وهو يقصده بقوله"معنى الأول"- متعلقاً بعلم الله سبحانه وتعالى في الأزل، وقوله في الأزل حتى يميزه عن القدر والذي يجيء على وفق علمه المذكور، فما علمه الله سبحانه وتعالى من الأشياء في الأزل سمي قضاءً ، ولذلك قيل أن القضاء له وجهان: أحدهما: تعلقه بالرب تعالى[5]، والمقصود هنا علمه سبحانه وتعالى والذي تعلق بالأشياء التي ستقع.

02-القدر اصطلاحاً:

جاء في كتاب "التعريفات" أن القدر: تعلق الإرادة الذاتية بالأشياء في أوقاتها الخاصة، فتعليق كل حال من أحوال الأعيان بزمان وعين وسبب معين عبارة عن القدر[6].

ولكن الشيخ باي في تعريفه للقدر شرعاً ذهب إلى تعريفه بالقضاء فقال:" القدر: هو تقدير الله الأمور وإحاطته بها[7]، فجعل تعلق إرادة الله بالأمور وتقديره سبحانه وتعالى لذلك وإحاطة علمه سبحانه وتعالى بتلك الأشياء تعريفاً لقدر لا القضاء، وهو بذلك يوافق من رأى أن القدر مجموع ثلاثة أشياء العلم والقدرة والإرادة[8]، وهؤلاء لهم حجج على ذلك، منها ما ذكره الشيخ باي في خلاصة الدرس العقيدة وهو يتكلم عن اللوح المحفوظ ووجوب الإيمان به والدليل من القرآن والسنة على ذلك فقال: وأما اللوح... عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ﴿ **إن أول شيء خلقه الله القلم، فقال له:**

---

[1] السبائك الإبريزية، محمد باي، ص 17

[2] صحيح مسلم، كتاب" القدر"، باب" في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله"، رقم 2664، ج 4، ص 2052

[3] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين بن شرف النووي، ج 11، ص 122.

[4] زاد السالك، محمد باي، ص 20

[5] شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين، ت احمد شاكر، (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ط 01، 141هـ)، ص 236.

[6] التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ص 174

[7] زاد السالك، محمد باي،ص 20

[8] تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة، محمد بن إبراهيم التتائي المالكي، ج 01، ص 218.

اكتب، فقال: وما أكتب؟ فقال: القدر، فجرى من ذلك اليوم بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة...﴾[1]، فدل هذا على أن ما علمه الله وكتبه في الأزل سمي قدراً.

وفي موضع آخر[2] يعود الشيخ باي ويذكر أن هناك من ذهب إلى تعريف القدر على أنه تنفيذ للقضاء، فهو يتعلق بإيجاد الأشياء التي تعلقت بها إرادة الله على وفق تلك الإرادة فيقول:

والقدر الإيجاد للأشياء على وجه معين إرادة علي

كما يذكر أن هناك من ذهب إلى أن القدر يتعلق بإيجاد الأشياء على وفق علمه سبحانه وتعالى فيقول:

والقدر الإيجاد للأمور على وفاق علمه المذكور

ولعل الأصح من الرأيين اللذين ذهبا إليهما الشيخ باي هو الرأي الثاني، إذ القدر هو خروج الممكنات من العدم إلى الوجود، واحدًا بعد واحد، مطابقًا للقضاء؛ والقضاء في الأزل، والقدر فيما لا يزال، والفرق بين القدر والقضاء، هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها[3]، ولذلك جاء عنه صلى الله عليه وسلم في زواج ابنته فاطمة رضي الله عنها لعلي رضي الله عنه أنه قال﴿... **فأمر الله يجري إلى قضائه، وقضاؤه يجري إلى قدره، ولكّل قضاء قدر، ولكّل قدر أجل..**﴾[4]، فقضاؤه سبحانه وتعالى يصير إلى قدره الذي كتب الله له أجل لحدوثه ووقوعه، يقول صاحب الرسالة:"والإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره، وكل ذلك قد قدره الله ربنا، ومقادير الأمور بيده ومصدرها عن قضاءه"، أي إيجادها وإخراجها من العدم إلى الوجود من إرادته والقضاء والإرادة بمعنى واحد [5]

---

[1] المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، ت مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط 02، 1422هـ، 2002م)، كتاب" التفسير"، باب"تفسير ن والقلم "، رقم 3840، ج2، ص 540. قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال عنه الذهبي: على شرط البخاري ومسلم

[2] زاد السالك، محمد باي، ص 20

[3] التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ص 174

[4] تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، ت عمرو بن غرامة العمروي، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1415 هـ - 1995 م)، ج 52، ص 444. أنظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري ، (دار الفكر، بيروت - لبنان

الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2002م)، ج9، ص 3945. أنظر الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآُجِّيُّ البغدادي، ت عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، (دار الوطن - الرياض ، السعودية، الطبعة: الثانية، 1420 هـ - 1999 م)، ج05، ص 2129.

[5] تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة، محمد بن ابراهيم التتائي المالكي، ج 01، ص 218.

وبالمحصلة فإن القدر عبارة عن تعلق القدرة والإرادة بإيجاد جميع الأشياء التعلق التنجيزي الواقع فيما لا يزال، والقضاء عبارة عن تعلقها بها التعلق المعنوي الحاصل في الأزل؛ فالقضاء سابق على القدر[1]

المطلب الثاني: وجوب الإيمان والتسليم بهما مع الأخذ بالأسباب.

رغم الخلاف الذي وقع في تعريف أهل السنة لمعنى القضاء والقدر اصطلاحاً، إلا أن مسألة وجوب الإيمان والتسليم بهما مع الأخذ بالأسباب، تعتبر من المسائل التي أجمعوا عليها، ووضحوا الالتباس الذي وقع فيها، لأن القرآن والسنة النبوية ما فتئا يبينان المسألة ويوجبان الإيمان بها والتسليم لها وبكل من طرفيها، فالله سبحانه وتعالى قد تعلق علمه بما هو كائن وصائر إلى يوم القيامة من أفعال العباد وحركاتهم وسكناتهم، بل وبما سيكونون عليهم في الآخرة من شقاوة وسعادة، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾[2]، وفي هذه الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله سبحانه وتعالى حيث قال: وما تعملون على أنها مكتسبة للعباد حيث أثبت لهم عملا[3]، وهذا مذهب أهل السنة، أن الأفعال خلق لله عز وجل واكتساب للعباد[4]؛كما بيّن سبحانه وتعالى أن العباد مؤاخذين يوم القيامة ومحاسبون على أعمالهم التي كسبتها أيديهم ما هو لهم وما عليهم، من خيرٍ كسبوه، أو شرٍ اكتسبوه، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ﴾[5]، أي لكل نفس جزاء ما قدمت من خير، وجزاء ما اقترفت من شّر[6].

كما جاء في السنة ما يبيّن الأمر بوضوح ويشرحه للسائل ويزيل اللبس عنه، فقد سأل أحد الصحابة رضي الله عنهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال:﴿ **يا رسول اللهبيّن لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيما العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير، أم فيما نستقبل؟ قال: "لا، بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير"، قال: ففيم العمل؟ قال زهير: ثم تكلم أبو الزبير بشيء لم أفهمه، فسألت: ما قال؟ فقال: "اعملوا فكل ميسر**﴾[7]، فهذا الصحابي قد سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن دينه وعن ما هو عامل به في يومه ، أهو ما قدره الله سبحانه وتعالى وجرت به المقادير وجفت به الأقلام، أو ما يستقبله ويستجده هو بنفسه، فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم أنه عامل بما

---

[1] الكليات، أيوب بن موسى الحسني، ص 706

[2] الصافات 96

[3] الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، ت أبي محمد بن عاشور، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 01، 1422هـ، 2002م)، ج 8، ص 149.

[4] تفسير القرطبي، ج15، ص 96

[5] البقرة، 276

[6] صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ص163.

[7] صحيح مسلم، كتاب" القدر"، باب" كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته"، رقم 2648، ج4، ص 2040.

قدره الله وسبق في علمه، وأن كل ميسر لما خلقه له، فأثبت بذلك النبي صلى الله عليه وسلم مسألة الإيمان بالقدر، كما أثبت أن على العبد أن يسعى إلى العمل وأن لا يتكل على القدر.

ولقد وُفّق الإمام البيهقي في كتابه"القضاء والقدر" في أنه عنون لباب من أبواب هذا الكتاب بقوله " باب ذكر البيان أن ليس أحد من بني آدم إلا وقد كتب سعادته وشقاوته، وكتب مكانه من الجنة أو النار، وأن أهل كل واحد منهما ميسرون لأعمالها قال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾[2]"[3]، فجع الإمام البيهقي بين طرفي المسألة حيث تكلم عن أن الله قد كتب كل شيء من شقاوة وسعادة وأهل كل واحدة منها، وأنه على العبد أن يسعى فيما هو ميسر له، كما استدل على كل طرف من المسألة بآية من كتاب الله وهذا لبيّن أن الله سبحانه وتعالى لا يظلم أحد.

وقد تطرق الشيخ باي إلى مسألة وجوب الإيمان بالقضاء والقدر وأن كل شيء واقع إنما يقع بمشيئة الله وإرادته، كما أنه لا يقع ما لم يشأه الإله سبحانه، ومن ذلك وجب على العبد أن يؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره، لأن ذلك كما يقول الشيخ باي، قد قدره الله على العباد فهو الذي بيده مقادير الأمور كلها سبحانه؛ فقال في " السبائك الإبريزية شرح على الجواهر الكنزية" وفي شرحه للبيت:

وكل ما قد شاءه الإله كان والعكس يستحيل في كل زمان

وكل ما قد شاءه، أي: قدره الإله أي الله تبارك وتعالى كان وما لم يشأ لم يكن قال الله تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾[4] وقال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[5] وقال: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[6]، " والعكس يستحيل في مكان وزمان" أي يستحيل أن يقع شيء لم يرده الله تبارك وتعالى، ومن هنا يجب علينا أن نؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره وكل ذلك قد قدره ربنا ومقادير الأمور بيده"[7] .

كما يجيب الشيخ باي على الإشكالية التي تقع في فهم القضاء والقدر، وأنه إذا آمن العبد ورضي بالقضاء والقدر فإنه هذا يعني رضاه بالكفر الذي هو من القضاء والقدر، وبذلك يكون هذا العبد كافراً فيقول: " ولا يقال : لو كان

---

[1] الحج 70

[2] الليل 6

[3] القضاء والقدر، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت: محمد بن عبد آل عامر، (مكتبة العبيكان، الرياض ، السعودية، ط 01، 1421هـ، 2000م)، ص 127.

[4] الرعد 39

[5] الإنسان 30، التكوير 29

[6] الكهف 23

[7] السبائك الإبريزية ، محمد باي بلعالم، (مطبعة عمار قرفي- باتنة، د ط، 1993)، ص 13

الرضا بالقضاء واجب لوجب الرضا بالكفر لأن الرضا بالكفر كفر؛ لأننا نقول الكفر مقضي لا قضاء، والرضا إنما يجب بالقضاء دون المقضي، ...الكفر والمعاصي لهما جهتان، جهة كونهما مقضيين ومقدرين لله تعالى وجهة كونهما مكتسبتين للعبد، فيجب الرضا بهما من الجهة الأولى لا من الثانية "[1]

فالشيخ باي أراد بقوله "الكفر مقضي لا قضاء"، إي أن كفر العبد مكتسب من العبد نفسه لا مجبور عليه من الله سبحانه وتعالى، رغم تعلق علم الله به فهو لا يعني إجباره عليه، بل نثبت للإنسان الكسب والتهيؤ الذي أثبته الشرع ونطق به القرآن في آي كثيرة،..ولأن كل واحد يفرق بين حركة المرتعش وغيره، وأن المرتعش لا اختيار له بخلاف غيره[2]، وبهذا يكون الرضا بالقضاء لا يلزم الرضا بالمقضي، فالقضاء حكم الله وهو الذي أمرنا به، والمقضي هو المحكوم به، فلا يلزمنا الرضا به[3].

كما فصّل ابن القيم رحمه الله المسألة في كتابه" شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل"، فقال :"وهو كما أخبر عن نفسه سبحانه له الخلق والأمر فالخلق قضاؤه وقدره وفعله، والأمر شرعه ودينه، فهو الذي خلق وشرع وأمر؛ وأحكامه جارية على خلقه قدراً وشرعاً، ولا خروج لأحد عن حكمه الكوني القدري، وأما حكمه الديني الشرعي فيعصيه الفجار والفساق، والأمران غير متلازمين، فقد يقضي ويقدر ما لا يأمر به ولا شرعه، وقد يشرع ويأمر بما لا يقضيه ولا يقدره، ويجتمع الأمران فيما وقع من طاعات عبادة وإيمانهم، وينتفي الأمران عما لم يقع من المعاصي والفسق والكفر، وينفرد القضاء الديني والحكم الشرعي في ما أمر به وشرعه ولم يفعله المأمور، وينفرد الحكم الكوني فيما وقع من المعاصي،

...وبهذا التفصيل يزول الاشتباه في مسألة الأمر والإرادة هل هما متلازمان أم لا... والصواب أن الأمر يستلزم الإرادة الدينية ولا يستلزم الإرادة الكونية فإنه لا يأمر إلا بما يريده شرعا ودينا وقد يأمر بما لا يريده كوناً وقدراً ..."[4]

وبالرجوع إلى كلام الشيخ باي وتنزيل هذا الكلام الأخير عليه، فإن الله سبحانه وتعالى قد قضى بالكفر وقدره فهو حكم كوني قدري ، وإرادة كونية، ولكنه سبحانه وتعالى لم يأمر به ولا شرعه لأحد من عباده، فهو ليس حكم ديني شرعي، ولا إرادة شرعية، وإنما اكتسبه العباد بأنفسهم وبمحض إرادتهم غير مجبرين على ذلك، قال سبحانه وتعالى مجملاً ذلك كله في كتابه العزيز:﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ﴾[5]، جاء في تفسير هذه الآية قولان: أحدهما: لا

---

[1] زاد السالك، محمد باي، ص 20

[2] تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة، محمد بن ابراهيم التتائي المالكي، ج 01، ص 225.

[3] الفتوحات المكية، محيي الدين بن عربي، ت عثمان يحي، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 02، 1405هـ، 1985م)، ج 03، ص 201

[4] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ص 281.

[5] الزمر 07

يرضى لعباده المؤمنين الكفر، والآخر: أنه لا يرضى لجميع عباده الكفر، وعلى هذا القول فرق بين الإرادة وبين الرضا، فقال: إن المعاصي بإرادة الله تعالى وليست برضاه ومحبته، .. والثاني هو الأولى والأقرب بمذهب السلف[1]، وهاته الإرادة المقصود بها هنا الإرادة الكونية، لذلك قيل "إن الله تعالى لا يرضى الكفر لأحد، وكفر الكافر غير مرضي لله، وإن كان بإرادته، والله تعالى مريد لكفر الكافر غير راض به[2]، ولا يقصد بها الإرادة الشرعية " إذ ليس يرضى الله الكفر لأحد من خلقه، فإن جعلت " يرضى " بمعنى: يريد حسن القول الأول[3].

[1] تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني، ت ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، (دار الوطن، الرياض، ط 01، 1418هـ، 1997م)، ج4، ص 459.

[2] الوسيط في تفسير القرآن المجيد، علي بن أحمد الواحدي، ج3، ص 572.

[3] الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيرواني، (مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط 01، 142هـ، 200م)، ج10، ص 6302.

الفصل الثاني: الإيمان بالنبوات

المبحث الأول: الفرق بين النبي والرسول وما يجب لهم.

المبحث الثاني: ما يستحيل وما يجوز وما لا يجوز على الأنبياء والرسل عليهم السلام.

المبحث الثالث: بيان بعض معجزاته صلى الله عليه وسلم.

يأتي الإيمان بالنبوات في المراتب بعد الإيمان بالله سبحانه وتعالى وبما يتعلق به، فهو سبحانه لا يكاد يذكر في قرآنه الإيمان به إلا ويذكر الإيمان برسله وأنبيائه وما يتعلق بهم من تنزيه وإتباع، حتى أنه جعل من تمام الإيمان وحقيقته أن يؤمن العبد بالله ورسله، كما جعل التفريق بينه وبين رسله أو بين رسله فيما بينهم من حقيقة الكفر وصميمه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٥٢﴾[1]، يريدون أن يفرقوا بين الله ورسله "بأن يكذبوا رسل الله الذين أرسلهم إلى خلقه بوحيه , ويزعمون أنهم افتروا على ربهم , وذلك هو معنى إرادتهم التفريق بين الله ورسله , بنحلتهم إياهم الكذب والفرية على الله , وادعائهم عليهم الأباطيل"[2].

ولذلك وجب على المؤمن أن يثبت للأنبياء والرسل ما يليق بهم وما أثبته الله سبحانه وتعالى لهم، وينزههم عما نزههم الله عنه، مع اتباعهم والإيمان بما جاؤوا به من عند الله، لا يفرق بين الله ورسله ولا بين رسل الله؛ وسنبحث في هذا الفصل ما يتعلق برسل الله وأنبياءه من تعريف للنبي والرسول والفرق بينهما، وما يجب لهما وما يجوز وما لا يجوز عليهما، ووجوب الإيمان بهما وبما أيدوا به من المعجزات.

[1] النساء 150-152.

[2] تفسير الطبري، ج07، ص634.

المبحث الأول: الفرق بين النبي والرسول وما يجب لهم.

المطلب الأول: تعريف النبي والرسول والفرق بينهما.

وقع خلاف بين العلماء المسلمين في تعريف النبي والرسول والفرق بينهما، كما اختلفوا فيما كلف به كل منهما، وسنعرض في هذا المطلب تعريف كل من النبي والرسول والفرق بينهما.

الفرع الأول: تعريف النبي في اللغة والاصطلاح: ذهب أهل اللغة إلى أن النبي من نبا: أَي: ٱرتفع، والنبي: المكان المرتفع، فهو مأخوذ من (النبوة) و (النباوة) ، وهي الارتفاع من الأرض؛ لارتفاع قدره، ولأنه شرف على سائر الخلق، فأصله غير الهمز[1].

ومنهم من همز النبيء فقالَ َبَ َأونَ بَّأ، أي: أخبر، ومنه أخذ النبيء لأنه أنبأ عن الله تعالى[2] وقيل النبيء: الطريق الواضح[3] فالأنبياء طرق الهدى[4]، وهم الذين يوصلون الناس إلى ربهم سبحانه وتعالى .

فحصل من الأقوال كلها أن النبي في اللغة تشير إلى معانٍ كلها سامية، فهو المرتفع على الناس بما أكرمه الله به، وهو المخبر عن الله بما أُمِر به، وهو الموصل إلى الله بما هداه به.

وفي الاصطلاح: يعّرف الشيخ باي النبي على أنه إنسان أوحي إليه بشرع لم يأمره الله بتبليغه[5].

الفرع الثاني : تعريف الرسول في اللغة والاصطلاح: سمي الرسول رسولا، لأنه ذو رسالة[6]، وهو الذي أمره الُمرِسلُ بأداء الرسالة بالتسليم أو بالقبض[7] وهو: جمع رسل ورسلاء[8]، وقيل الرسول: معناه في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعثه[9]

وفي الاصطلاح: يعّرف الشيخ باي الرسول عل أنه هو إنسان ذكر بالغ أوحي إليه بشرع وأمره بتبليغه"[10]

وسنتعرض لتعريف النبي والرسول أكثر في حديثنا عن الفرق بينهما.

---

[1] تهذيب اللغة، الهروي، ج15، ص 348

[2] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الفارابي، ج 1، ص74.

[3] لسان العرب، لابن منظور، ج1، ص 164

[4] لسان العرب، لابن منظور، ج15، ص 303

[5] زاد السالك، محمد باي، ص 08

[6] تاج العروس، الزبيدي، ج29، ص 74

[7] التعريفات، الجرجاني، ص 110.

[8] معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي، وحامد صادق قنيبي، (دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن ، ط 02، 140 هـ، 1988م)، ص 222

[9] لسان العرب، لابن منظور، ج11، ص 284

[10] السبائك الإبريزية، محمد باي، ص 15. فتح الجواد، محمد باي، ص 140

الفرع الثاني: الفرق بين النبي والرسول

من خلال التعريف لكل من النبي والرسول تتضح معالم الفرق بينهما إذ اشتهر بين الناس أن النبي لا يؤمر بالتبليغ بخلاف الرسول الذي يؤمر به، وهذا القول قد تبناه الشيخ باي كما بينا ذلك من خلال التعريف، وبهذا يكون النبي أعم من الرسول، إذ كل رسول نبي وليس كل نبي رسول، يقول الشيخ باي:" والتبليغ خاص بالرسل وأما غيره من الصفات لهم وللأنبياء "[1]، يعني أن الرسل والأنبياء يشتركون في كل الصفات من وحي وإرسال وغير ذلك، ما عدا صفة التبليغ فإنها خاصة بالرسل غير الأنبياء، ويشرح الشيخ باي هذا الرأي ويستشهد عليه من القرآن بما يراه دليل على ذلك فيقول في شرحه لأسهل المسالك(على نبي جاءنا بالبشرى محمد خير نبي أرسلا للعالمين رحمة تفضلا) " ولما كان النبي أعم من الرسول- لأن النبي على الحق إنسان أوحي إليه بشرع فإن أمر بتبليغه فرسول وإلا فنبي- فقد احتاج إلى تكريره مرتين فوصفه بأنه جاء بالبشرى لأن الله خاطبه بالنبوة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥﴾[2] ثم وصفه ثانياً بأنه آخر نبي أرسلا لأن الله وصفه بذلك في قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ۝٤٠﴾[3] أرسله الله رحمة للعالمين كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾[4]"[5]، ولكن إذا تمعنا في قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[6]، فإننا نجد أن الآية صريحة في دعوة الله سبحانه وتعالى لأنبيائه بالتبشير والإنذار للناس بما أنزل عليهم من الكتب والحكم بها بينهم فيما اختلفوا فيه، وهذا خلافاً لما ذهب له الشيخ من أن النبي غير معني بالتبليغ الذي يتمثل في التبشير والإنذار للناس، كما أن وظيفة الإرسال بشرع والذي جعله الشيخ باي للنبي والرسول تقتضي تبليغه للناس، ولذلك خالف الكثير من العلماء ومنهم ابن تيمية هذا الرأي في الفرق بين النبي والرسول، ورأوا أن الفرق بين النبي والرسول يكمن في أن النبي لا يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه، بخلاف الرسول الذي يرسل إبتداءاً إلى قوم لم يعرفوا شرعاً قبله، يقول ابن تيمية" فالنبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به؛ فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه؛ فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة؛ فهو نبي، وليس برسول"، إلى أن يقول ابن تيمية رحمه الله: فقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ

---

[1] زاد السالك، محمد باي، ص 29

[2] الأحزاب 45

[3] الأحزاب 40

[4] الأنبياء 107

[5] زاد السالك، محمد باي، ص، ص 9/8

[6] البقرة 213

أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ [1]، دليل على أن النبي مرسل، ولا يسمى رسولا عند الإطلاق؛ لأنه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حق"[2]، ولذلك يرى البعض الأقرب أن الرسول من بعث بشرع جديد والنبي من بعث لتقرير شرع من قبله وهو بالطبع مأمور بتبليغه إذ من المعلوم أن العلماء مأمورون بذلك فهم بذلك أولى كما لا يخفى[3]

ولعل هذا الرأي الأخير هو الرأي الأقرب للصواب فيما يخص الفرق بين النبي والرسول؛ لأن ربط النبي بالتبليغ ليكون بذلك رسول فيه نقص من مهمة الأنبياء، إذ أنهم ومنذ أن نبأهم الله وهم يدعون الناس إلى الله سبحانه وتعالى ويلقون على ذلك أذاً كثيرا ومنهم من قتل على ذلك، وهذه المهمة قد شرف الله بها العلماء وكل عباده الصالحين بأن يبلغوا عنه وعن رسوله صلى الله عليه وسلم ولو آية، فكيف بالأنبياء يستثنون من ذلك والله أعلم.

المطلب الثاني: ما يجب لهم عليهم الصلاة والسلام.

الفرع الأول: الإيمان بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام: يعتبر الإيمان بالأنبياء جميعاً أصل من أصول الإيمان، وكغيرها من الأصول التي نبه الله عليها في كتابه ونبيه صلى الله عليه وسلم في سنته، يقول الله سبحانه وتعالى مثنياً على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين الذين اقتدوا به في الإيمان، ممن معه في وقته، ومن جاء بعدهم إلى يوم القيامة: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ﴾ [4] يقول: وصدق المؤمنون أيضا مع نبيهم بالله وملائكته وكتبه ورسله[5].

ولقد ساق الشيخ رحمه الله مجموعة من الأدلة على وجوب الإيمان بالأنبياء والرسل من القرآن والسنة النبوية، فقال " والآيات القرآنية كثيرة التي نوهت بشأن الأنبياء والرسل، والتي تحض على الإيمان بهم مثل: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [6]، وفي صحيح البخاري:﴿ **إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاويـــــة، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال:**

---

[1] الحج 52

[2] النبوات، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، ابن تيمية، ت: عبد العزيز بن صالح الطويان، (أضواء السلف، الرياض، ط 01، 1420 هـ، 2000م)، ج 02، ص 714.

[3] تخريج العقيدة الطحاوية، ناصر الدين الألباني، (المكتب الإسلامي، بيروت، ط 02، 1414هـ)، ص 36.

[4] البقرة، الآية 285

[5] تفسير الطبري، ج5، ص 149

[6] البقرة 136

فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين﴾ [1][2].

واستشهاد الشيخ باي بالآية السابقة على وجوب الإيمان بالأنبياء والرسل فيها الكثير من الدلالة؛ من ذلك محاججة المؤمنين لليهود والنصارى والرد عليهم في قولهم لهم ﴿كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ﴾[3] ، فبيّن الله سبحانه وتعالى أن الاهتداء إنما هو بالإيمان بالله وجميع أنبيائه ورسله وعدم التفريق بين أحد منهم، وأنهم كانوا رسل الله وأنبياءه، بعثوا بالحق والهدى، وزيادة على ذلك فهم له سبحانه وتعالى خاضعون بالطاعة، مذعنون له بالعبودية، وليس هم –أي المؤمنون– كاليهود والنصارى الذين يؤمنون ببعض الأنبياء ويكفرون بالبعض الآخر، فهم بذلك غير خاضعين لله بالطاعة ولا مذعنين له بالعبودية والتي من مقتضياتها الإيمان بجميع أنبيائه ورسله[4]، فقال سبحانه: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾[5]

كما أن استشهاد الشيخ بالحديث السابق على الإيمان بالأنبياء والرسل فيه دلالات أيضاً على أن بعث كل الأنبياء والرسل إنما يصبوا لشيء واحد وهم متكاملون في رسالتهم ودعوتهم؛ كما يقول شراح الحديث فإنه صلى الله عليه وسلم شبه حال الأنبياء وتتابعهم لِإصلاح البشر واحداً بعد واحد، حتى تكوَّنَ مما جاءوا به مجموعة إرشادات وتعاليم نافعة، وما شعر به الناس قبل مبعثه من الحاجة إلى مكمل لهذه المجموعة، متمم لمقاصدها بحال بيت وضعت فيه لبنة على لبنة حتى أوشك على التمام[6].

ويقول الشيخ باي في نظمه "الجواهر الكنزية" والذي نظمه من مقدمة العزية على وجوب الإيمان بالأنبياء والرسل:

وأن كل الرسل صادقونا وأننا لهم مصدقونا

وأن ما جاء به خير الأنام سيدنا محمد بدر التمام

حق لا شك ولا ارتياب .....

ثم يقول في شرح ذلك: ومما يجب اعتقاده أن الرسل...صادقون فيما أخبرونا به عن الله؛ لأن الله اصطفاهم واختارهم لتبليغ الرسالة، وجعلهم أمناء على شريعته ليبلغوها إلى الناس، وعليه فإننا معشر المسلمين مصدقون لهم أي :

---

[1] صحيح البخاري، كتاب" المناقب"، باب" خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم"، رقم 3535، ج4، ص 186.

[2] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 176

[3] البقرة 135

[4] تفسير الطبري، ج 02، ص595. (بتصرف)

[5] البقرة 136

[6] منارة القارئ، شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، ت: عبد القادر الأرناؤوط، (مكتبة دار البيان، دمشق، د ط، 1410هـ، 1990م)، ج 04، ص 237.

مؤمنون بما بلغوا لنا عن الله، كما أننا معشر الأمة المحمدية مؤمنون ومصدقون بما جاء به خاتمهم وإمامهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأنه حق بدون شك ولا ريب[1].

فالشيخ باي جعل تصديق الأنبياء والرسل فيما جاؤا به راجع إلى اختيار الله لهم لأداء أمانته وأتمناهم على شرعه، فلو لم يكونوا صادقين لما اختارهم الله لذلك؛ فإننا ورغم عدم معاصرتنا لهم مصدقون بما جاؤوا به من عند الله سبحانه وتعالى، وحتى وإن بعثوا إلى قوم قبلنا إلا أن ذلك لا ينفي إيماننا بصدقهم وتصديقهم، كما أن الأمة المحمدية تتميز عن بقية الأمم السابقة بزيادة إيمانها بخاتم المرسلين وهو نبيها صلى الله عليه وسلم والذي تنكره الأمم الذي سبقت هاته الأمة من اليهود والنصارى، كما تؤمن بكل ما جاء من عند الله من أمور الغيب .

كما ذهب الشيخ باي في الإيمان بالأنبياء والرسل إلى عدم حصرهم أو قصر الإيمان بمن ذكروا فقط في القرآن الكريم؛ وإنما يكون الإيمان بكل الأنبياء والرسل حتى الذين لم يقص الله سبحانه وتعالى علينا ذكرهم في كتابه، وإنما جاءت الإشارة إليهم في القرآن والسنة فقط فقال:"ولا يتعرض لحصرهم، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[2]، ولأنه لا يؤمن من أن يدخل فيهم من ليس فيهم ويخرج بعضهم، وحديث الأنبياء مائة ألف[3]، وفي رواية، مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، الرسل مثلهم ثلاثمائة وثلاثة عشر[4]، وفي رواية: وأربعة عشر[5] ...والكل من الأنبياء والرسل"[6]، أي يجب الإيمان بهم وبأنهم من عند الله سبحانه وتعالى.

---

[1] السبائك الإبريزية، محمد باي، ص 15

[2] غافر 78

[3] الحديث طويل وفيه: ﴿ ...**قال قلت يا رسول الله كم الأنبياء قال مائة ألف وعشرون ألفا قلت يا رسول الله كم الرسل من ذلك قال ثلاث مائة وثلاثة عشر جما غفيرا...**﴾ ، قال محقق الصحيح ومخرج أحاديثه شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف جداً ، إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني الدمشقي، قال أبو حاتم: كذاب، وقال الذهبي: متروك، وكذبه أبو زرعة. صحيح ابن حبان، كتاب" البر والإحسان"، باب" الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، حديث"ذكر الاستحباب للمرء أن يكون له من خير حظ، رجاء التخلص في العقبى بشيء منها"، رقم : 361، ج 2، ص 79

[4] الحديث ذكره ابن كثير في تفسيره وفيه: ﴿...**عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله، كم الأنبياء؟ قال: "مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا". قلت: يا رسول الله، كم الرسل منهم؟ قال: "ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير...**﴾، قال ابن كثير عن الحديث: قد روى هذا الحديث بطوله الحافظ أبو حاتم ابن حبان البستي في كتابه: "الأنواع والتقاسيم" وقد وسمه بالصحة، وخالفه أبو الفرج بن الجوزي، فذكر هذا الحديث في كتابه "الموضوعات"، واتهم به إبراهيم بن هشام هذا، ولا شك أنه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث. تفسير ابن كثير، ج 2، ص 470

[5] لم أجد الحديث في كتب الحديث وأشار إليه أحمد بن عجيبة في تفسيره المسمى" البحر المديد في تفسير القرآن المجيد" بقوله:" ....ورسلا لم نقصصهم عليك، وفي الحديث:

"**عددهم ثلاثمائة وأربعة عشر**"... . أنظر : البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني الصوفي، ت: أحمد عبد الله القرشي رسلان، (الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، د ط، 1419 هـ)، ج1، ص 591

[6] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 176

الفرع الثاني: ما يجب لهم عليهم الصلاة والسلام من الصفات:

لما كان الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بشراً ولكن ليسوا كالبشر في أخلاقهم وعبادتهم وتعاملهم مع الله ومع عباده، أضف إلى ذلك تشويه بعض الأمم لصورتهم والإدعاء عليهم بأمور لا تليق بهم ولا بجنابهم، زيادة على تكذيبهم ومحاربتهم في دعوتهم، لما كان ذاك وغيره، أدرج بعض علماء العقيدة في الدرس العقدي ذكر الصفات التي تليق بالأنبياء والرسل وذلك بإثبات صدقهم وأملتهم وتبليغهم عن الله سبحانه وتعالى وإثبات الفطانة لهم، وذلك قياساً على إثباتهم لله سبحانه وتعالى ما يليق به من صفات الكمال الإلهي، أثبتوا للأنبياء ما يليق بهم من صفات الكمال البشري، ويعتبرون ذلك كله يندرج في شرحهم لشهادة التوحيد بقول "أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله"، يقول الشيخ باي:"ولما فرغ من الكلام على ما يجب في حق الله وما يستحيل وما يجوز، وهو ما يندرج تحت قولنا لا إله إلا الله؛ شرع يتكلم على القسم الثاني من كلمتي الشهادتين، وهو قولنا وأشهد أن محمداً رسول الله، شرع يبيّن ما يجب في حق الرسل وهو أربع صفات"[1]

وهذا درج من الشيخ باي رحمه الله في درسه العقدي على ما كان عليه أسلافه من آباءه ومشايخه في إثبات الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة لكل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والاستدلال على ذلك من العقل والنقل ما أمكن ذلك، ثم بسط القول في بيانها وهي:

1-**"الصدق**: وهو أول ما يثبت للأنبياء والرسل وما تدور حوله كل الصفات الباقية وتقوم عليه، وقد عُرِّف الصدق على أنه مطابقة الكلام للواقع بحسب اعتقاد المتكلم[2]؛ وعّرفه الشيخ باي على أنه:" مطابقة الخبر لما في الواقع [3]، أو في نفس الواقع[4]"، فالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام كل ما أخبروا به قومهم سواء بما تعلق بخبر السماء أو الأرض فهم صادقون فيه وهو على ما أخبروا به، وحتى التي لم تأتي وقد أخبروا بها، أتت على وفق ما أخبروا به فصدقهم الله سبحانه وتعالى في قومهم بأن أظهر ما أخبروا به على وفق خبرهم.

وقد استدل الشيخ باي وكالعادة في الاستدلال على صفات الله سبحانه وتعالى من العقل والنقل، على صفة الصدق وإثباتها للأنبـــياء الله ورسله فقال" ودليله من القرآن قوله تعالى:﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾[5]، وكذلك المعجزة تدل على

---

[1] زاد السالك، محمد باي، ص 28

[2] معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي، وحامد صادق قنيبي (ص: 272)

[3] زاد السالك، محمد باي، ص 29

[4] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج01، ص 177

[5] الأحزاب، 22

صدق الأنبياء والرسل"[1] ، فالشيخ باي أثبت صدق الأنبياء والرسل من طريقين:

أولهما: القرآن: فقد أخبرنا الله سبحانه بصدقهم فقال سبحانه وتعالى:﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾[2]،

كما جاءت الكثير من الآيات في القرآن تدل على صدق كل منهم وكلهم، حتى قال سبحانه وتعالى فيهم :﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾[3]، قال ابن القيم في تفسيره لهاته الآية:" وقد ذكر تنزيهه لنفسه عما لا يليق بجلاله، ثم سلام على رسله، وفي اقتران السلام عليهم بتسبيحه لنفسه سر عظيم من أسرار القرآن يتضمن الرد على كل مبطل ومبتدع، فإنه نزه نفسه تنزيها مطلقا، كما نزه نفسه عما يقول ضلال خلقه فيه، ثم سلم على المرسلين، وهذا يقتضى سلامتهم من كل ما يقول المكذبون لهم، المخالفون لهم، وإذا سلموا من كل ما رماهم أعداؤهم، لزم سلامة كل ما جاءوا به من الكذب والفساد"[4].

ثانيهما: المعجزة: والمعجزة كما قال الشيخ باي من أبيّن الطرق في تصديق الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وهي التي تبين صدقهم وأنهم من عند الله سبحانه وتعالى، وأنهم مؤيدون بالآيات الدالة على ذلك، فيؤمنوا الناس لذلك ويصدقوا، قال صلى الله عليه وسلم: ﴿**ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر...**﴾[5]، يقول ابن حجر في شرح هذا الحديث" قوله ما من الأنبياء نبي إلا أعطي هذا دال على أن النبي لا بد له من معجزة تقتضي إيمان من شاهدها بصدقه"[6].

ويقسم الشيخ باي صدق الأنبياء والرسل إلى ثلاثة أقسام، كل قسم يختص بجانب من الجوانب ، فمنها ما يختص بإخبارهم أنهم من عند الله سبحانه وتعالى وأن إدعائهم للرسالة والنبوة صادق، ومنها ما يختص بما يبلغونه عن الله سبحانه وتعالى وأنهم لا يزيدون فيه ولا ينقصون، والقسم الأخير هو ما يتعلق بكلامهم البشري، من تحديث عن أمور ليست من الغيب، فقال "وينقسم إلى ثلاثة أقسام: صدق في دعوى الرسالة، وصدق في الأحكام التي يبلغونها عن الله تعالى، وصدق في الكلام العرفي كقام زيد مثلاً والمراد هنا القسمان الأولان وأما القسم الثالث فهو داخل في الأمانة ودليله هو دليلها"[7]،

---

[1] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج01، ص 176

[2] يس 52

[3] الصافات 181

[4] تفسير القرآن الكريم، محمد بن أبي بكر، ابن القيم الجوزية، ت: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف إبراهيم رمضان، (دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط 01، 1410 هـ)، ص 420

[5] متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب"فضائل القرآن"، باب" كيف نزل الوحي وأول ما نزل"، رقم 4981، ج 06، ص 182. وأخرجه مسلم، كتاب" الإيمان"، باب" وجوب الإيمان برسالة نبينا صلى الله عليه وسلم"، رقم 239، ج 01، ص 134.

[6] فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، (دار المعرفة ، بيروت، د ط، 1379هـ)، ج 0، ص 06

[7] زاد السالك، محمد باي، ص 29

والقسم الثالث دليل على القسمين الأولين، فلو لم يكونوا صادقين في كلامهم البشري وخاصة قبل النبوة لما صدقوا في كلامهم عن الله سبحانه وتعالى، فلا يتركوا الكذب على الخلق ويكذبوا على الخالق سبحانه وتعالى حاشاهم أن يتصفوا بذلك.

2- التبليغ: وبعد صفة الصدق تأتي صفة التبليغ، وهي من أعظم الصفات التي ينبغي للمؤمن أن يثبتها للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فهم قد بلغوا جميع ما أمرهم الله بتبليغه لقومهم؛ والتبليغ: مصدر بلّغ الشيء إليه: أوصله إليه[1]والتبليغ في اللغة هو الإيصال[2].

قال الشيخ:" كما يجب لهم التبليغ لجميع ما جاؤوا به من عند الله أو أرسلوا به كما أمرهم الله بقوله:﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾[3]، وقال تعالى:﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمَا١٦٥﴾[4]"[5]

وبهذا التبليغ كلميرى الشيخ باي، لم يترك الأنبياء والمرسلون شيئاً لا سهواً ولا نسياناً إلا وقد بلغوه لقومهم، وهذا على المعتمد من أقوال العلماء، فضلاً أن يتعمدوا ذلك ويكتموا ما أمرهم الله بتبليغه، قال"لم يكتموا منه شيئاً لا سهواً ولا نسياناً على المعتمد"[6].

ثم إن هذا التبليغ وكما مّر معنا في الفرق بين النبي والرسول يجعله الشيخ باي فقط خاص بالرسل، وأما الأنبياء فإنهم غير مطالبين به، بل إذا طالبهم الله به فإنه عند ذلك يعتبرون رسلا وليسوا أنبياء فقط، فقال" والتبليغ خاص بالرسل وأما غيره من الصفات لهم وللأنبياء"[7]وقد بيّنا أن التبليغ يشمل الأنبياء والرسل، وذلك أكمل لهم في فضائل الصفات التي تليق بالأنبياء والمرسلين.

3- الأمانة: في اللغة من أمن وهي ضد الخيانة[8]، فهي مما يجب إثباته للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فهم يحفظون ما استودعهم الله في أنفسهم من الجوارح الظاهرة والباطنة، من فعل ما لا يرضاه سبحانه وتعالى، كما يحفظ الأمين الأمانة لصاحبها كما هي حتى يستردها، يقول الشيخ باي:"وكذلك تجب لهم الأمانة"، ثم يعّرفها الشيخ بقوله"

---

[1] معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي، وحامد صادق قنيبي، ص: 120.

[2] مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي، ت يوسف الشيخ محمد، (المكتبة العصرية، بيروت، ط 05، 1420هـ، 1999م)، ص 39

[3] المائدة 67

[4] النساء 165

[5] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 176

[6] زاد السالك، محمد باي، ص 29

[7] نفس المصدر والصفحة

[8] مقاييس اللغة، لابن فارس ج 1، ص 133.

وهي حفظ الجوارح الظاهرة و الباطنة من فعل المحرم والمكروه [1]، أو خلاف الأولى، فهم محفوظون ظاهراً من الزنا وشرب الخمر والكذب وغير ذلك من المنهيات الظاهرة ومحفوظون باطناً من الحسد والكبر والرياء وغيرها من المنهيات الباطنة[2]" وزاد بعضهم" ولو في حال الصغر من التلبس بمنهي عنه"[3]، فالأنبياء والمرسلون قد حفظهم الله سبحانه وتعالى في صغرهم كما حفظهم في كبرهم.

ثم يستدل الشيخ باي على وجوب الأمانة للأنبياء والمرسلين من العقل، ويرى أنهم لو لم يتصفوا بها لا تصفوا بضدها من فعل محرم أو مكروه أو خلاف الأولى، وكنا مطالبين بفعل ذاك الحرام أو المكروه أو ما هو خلاف الأولى، لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالاقتداء بهم، والله سبحانه وتعالى لا يأمر بالفحشاء والمنكر، فدل ذلك على أنهم متصفون بالأمانة وخاصةً بعد النبوة وحصول الاقتداء بهم؛ قال الشيخ باي"ودليل وجوب الأمانة لهم أنهم لو خانوا بفعل المحرم أو المكروه أو خلاف الأولى، لكنا مأمورين به، لأن الله أمرنا باتباعهم[4] في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم من غير تفصيل وهو لا يأمر بمحرم ولا مكروه، فلا تكون أفعالهم محرمة ولا مكروهة ولا خلاف الأولى"[5].

4- الفطانة: الفطانة: بفتح الفاء مصدر فَطِن للأمر أو إليه أو به: علمه وفهمه[6]، و الفطنة، بالكسر: الحذق، وضده الغباوة، وقيل: الفطنة: الفهم والذكاء سرعته. وقيل: الفهم بطريق الفيض وبدون اكتساب، وقيل: الفطانة جودة استعداد الذهن لإدراك ما يرد عليه من الغير"[7].

و يتحدث الشيخ باي عن هاته الصفة ويعّرفها ويبيّن وجوب إثباتها للرسل، والأدلة من القرآن والعقل على اتصافهم بها فيقول" كذلك الفطانة بمعنى التفطن والتيقظ لإلزام الخصوم وإحجاجهم وطرق إبطال دعواتهم الباطلة، والظاهر اختصاص هذا الواجب بالرسل لقوله تعالى:﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾[8] ولقوله تعالى:﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾[9]، والمغفل: الأبله لا يمكنه إقامة الحجة، ولأنهم شهود الله على العباد، ولا

---

[1] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 177

[2] زاد السالك، محمد باي، ص 28

[3] شرح الجوهرة، اللقاني، 183

[4] زاد السالك، محمد باي، ص 28

[5] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 177

[6] معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي، وحامد صادق قنيبي، ص 347.

[7] تاج العروس، الزبيدي، ج 35، ص 510.

[8] الأنعام 83

[9] هود 31

يكون الشاهد مغفلاً[1]،فالرسول يكون في قومه أفرهم عقلاً وأفصحهم لساناً وأوضحهم حجة؛ وما ثبت لبعضهم من الكمال يثبت لجميعهم"[2].

وجعل الشيخ باي الفطانة تختص بالرسل دون الأنبياء، هو من اعتباره التبليغ خاص بالرسل دون الأنبياء، فالتبليغ هو الذي يحتاج فيه المبلغ عن الله سبحانه وتعالى أن يكون أفصح اللسان وأن ينافح ويجادل ويبيّن بطلان حجج الخصوم ودعوتهم، كما يبيّن في الوقت نفسه صدق دعوته وصحة إدعائه.

ولعل جعل هاته الصفة عامة بالأنبياء والرسل لا خاصة بالرسل فقط هو الأصح والأليق بمرتبة الأنبياء، وهذا من جهة كونهم مطالبين بالتبليغ كما الرسل، ومن جهة أخرى تعاملهم مع الناس في أمورهم الدنيوية وما ينبغي للمرء أن يتحلى بهمن الفطنة، فضلاً عن كونهم أنبياء يقتدى بهم في كل صغيرة وكبيرة وهم المثال الأعلى في ما بين بني جنسهم من البشر، فالأولى أن يتحلوا بها وإن لم يطالبوا بالتبليغ، يقول الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾[3] "ومعلوم أن تلك المجادلة ما كانت في تفاصيل الأحكام الشرعية، بل كانت في التوحيد والنبوة، فالمجادلة في نصرة الحق في هذا العلم هي حرفة الأنبياء"[4].

[1] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 177

[2] زاد السالك، محمد باي، ص 29

[3] هود 32

[4] مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 03، 1420 ه)، ج2، ص325.

المبحث الثاني: ما يستحيل وما يجوز وما لا يجوز عليهم؛ عليهم الصلاة والسلام:

وجريان على القاعدة في إثبات ما يليق بالله لله سبحانه من صفات الكمال ونفي عنه أضدادها، فقد نفى الشيخ باي ما لا يليق بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام من الصفات، وهي أضداد التي أثبتها في ما يجب لهم عليهم الصلاة والسلام، فقال: " وقولنا: والكذب ...الخ، والمعنى أنه يستحيل عليهم صلى الله عليهم وسلم أضداد ما تقدم، وهي : الكذب والكتمان والخيانة والبلاهة والغفلة"[1]، وسنتناول كل صفة بالشرح والاستدلال في ما يلي:

المطلب الأول: ما يستحيل عليهم؛ عليهم الصلاة والسلام.

1- الكذب: وهو ضد الصدق، وهو عدم مطابقة الخبر للواقع، وهو مستحيل في حقهم عليهم الصلاة والسلام[2]، لأن الله سبحانه وتعالى لا يصطفى من عباده إلا من علمه صدقه، كما أنه سبحانه وتعالى لو علم منهم الكذب، وحاشهم أن يكذبوا عليهم الصلاة والسلام، لكذبهم بالذي أنزل عليهم من الوحي، فإنه سبحانه وتعالى قد قال في قرآنه أمراً نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يقول للمشركين: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾[3] أي: هو أعلم بما تفيضون فيه من التكذيب، ويعلم ما أقول لكم من إخباري عنه، بأنه أرسلني، فلو كنت كاذبا عليه لانتقم مني[4]، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦﴾[5]، أي: محمد صلى الله عليه وسلم لو كان كما يزعمون مفتريا علينا، فزاد في الرسالة أو نقص منها، أو قال شيئا من عنده فنسبه إلينا، وليس كذلك، لعاجلناه بالعقوبة[6]، وإنما أنا صادق عليه فيما أخبرتكم به، ولهذا أيدني بالمعجزات الواضحات، والدلائل القاطعات[7]، وما يصدق على النبي صلى الله عليه وسلم يصدق على جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

2- الكتمان: وهو ضد التبليغ، وهو يستحيل عليهم؛ عليهم الصلاة والسلام[8]، لأن الله سبحانه وتعالى أمرهم بالتبليغ، فكيف يعصونه بعدما أمرهم بذلك، وكتمان البعض مفوِّت لإقامة الحجة[9]على عباد الله سبحانه وتعالى، وهي التي عليها الحساب والجزاء يوم القيامة.

---

[1] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 178

[2] زاد السالك، محمد باي، ص 29

[3] العنكبوت 52

[4] تفسير ابن كثير ، ج 6، 288.

[5] الحاقة 46

[6] تفسير ابن كثير، ج 08، ص 218.

[7] المصدر نفسه، ج6، ص 288

[8] زاد السالك، محمد باي، ص 29

[9] شرح الجوهرة، اللقاني، ص 180

وقد برأ الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم كما برأ أمين الوحي جبريل عليه السلام من الضّن أي البخل بالوحي أو كتمه أو تخرصه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤﴾[1]، الغيب: القرآن، لم يضن به على أحد من الناس أداه وبلغه، بعث الله به الروح الأمين جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأدى جبريل ما استودعه الله إلى محمد، وأدى محمد ما استودعه الله وجبريل إلى العباد، ليس أحد منهم ضنّ، ولا كتم، ولا تخرص[2]، وما يصدق على النبي صلى الله عليه وسلم يصدق على جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

3- الخيانة: وهي ضد الأمانة، وهي تستحيل عليهم؛ عليهم الصلاة والسلام، لأنهم لو خانوا بفعل المحرم أو المكروه أو خلاف الأولى، لكنا مأمورين به، لأن الله أمرنا باتباعهم، وهو تعالى لا يأمر بالفحشاء، فلا تكون أفعالهم محرمة ولا مكروهة ولا خلاف الأولى[3]، ولو جاز عليهم الخيانة لانتفت عنهم العصمة، حيث أجمعت الأمة على عصمة الأنبياء في معنى التبليغ ومن الكبائر ومن الصغائر التي فيها رذيلة[4]، فتبيّن بذلك أن الخيانة تستحيل عليهم صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين.

4- البلاهة والغفلة: وهما ضد الفطانة، وهما يستحيلان على الأنبياء والمرسلين، لأن المغفل الأبله لا تمكنه إقامة الحجة، ولأنهم شهود الله على العباد، ولا يكون الشاهد مغفلاً[5]، بل لا تليق البلاهة و والغفلة بالإنسان السوي فكيف تليق بالأنبياء والرسل، فإنها أبعد ما تكون عنهم، ولو جاز أن يتصفوا بها وحاشاهم أن يتصفوا بها، لما كانت لهم الغلبة في إظهار الحق ودحض الباطل وشبهه، فإذا علم ذلك ثبت أنهم لم يتصفوا بها عليهم الصلاة والسلام.

المطلب الثاني: ما يجوز وما لا يجوز عليهم؛ عليهم الصلاة والسلام:

الفرع الأول: ما يجوز عليهم؛ عليهم الصلاة والسلام.

وعلى المثال المذكور في ما يجوز على الله سبحانه وتعالى، فقد ذكر الشيخ باي ما يجوز على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كونهم بشراً يجري عليهم ما يجري على البشر مما لا ينقص من قدرهم ومكانتهم كأنبياء ورسل يمثلون القيم العليا للبشرية في عبادتها ومعاملاتها.

ومما يجوز عليهم، عليهم الصلاة والسلام هو ما يحصل به بقاء النوع البشري وهو النكاح، فذكر الشيخ باي أن ذلك جائز عليهم، مما أحله الله سبحانه وتعالى لهم ولأممهم ومما ليس فيه شبهة نقص في القوامة والرجولة فقال: " وجاز

---

[1] التكوير 24

[2] تفسير الطبري، ج24، ص 169

[3] زاد السالك، محمد باي، ص 28

[4] تفسير ابن عطية، ج1، ص 211

[5] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 178

طرأ الأعراض التي لا نقص فيها كالنكاح للنساء، لأنه من باب التفكه فيجوز عليهم وطء النساء بالملك مطلقاً مسلمات أو كتابيات لا كمجوسيات وبالنكاح ما عدا الكتابية والمجوسية وما عدا الأمة ولو مسلمة لأنها إنما تنكح لخوف العنت أو عدم الطول، والثاني منتفٍ بالبديهة والأول للعصمة، والوطء الحلال لا في حال حرمة ولا كراهة ويتبعه أنهن لا يطؤهن صائمات صوماً مشروعاً ولا معتكفات ولا حائضات ولا في حال نفاس ولا إحرام.

كما يجوز عليهم، عليهم الصلاة والسلام ما يحفظ به البدن من الهلاك والضياع وهذا لطبيعتهم البشرية التي تحفظ بالأكل والشرب مما أحله الله سبحانه وتعالى وليس فيه حرمة ولا كراهة ولا معافة، قال الشيخ باي: "ويجوز عليهم ما يجوز على مثلهم من كل عرض بشري ليس محرماً، ولا مكروهاً ولا مباحاً مزرياً ولا مزمناً ولا مما تعافه النفوس، ومما يؤدي إلى النفر كالأكل والشرب من المباح.

كما يجري عليهم؛ عليهم الصلاة والسلام من الأمراض ما ليس معدياً ولا منفراً ولا مما يحول بينهم وبين أداء رسالة ربهم وتبليغ شرعه لعباده، فيجوز عليهم الأمراض الخفيفة، قال الشيخ باي: "كما يجوز في حقهم المرض الخفيف لا مثل الجذام والبرص والأمراض المعدية وكالجنون والعمى، ولم يعمى نبي قط، ولم يثبت أن شعيباً عليه السلام كان ضريراً، ويعقوب عليه السلام إنما حصلت له غشاوة وزالت[1]، وأما ما وقع لأيوب عله السلام إنما كان في ظاهر جسده"[2]، وسنبسط القول في هذا الموضوع في ما لا يجوز على الأنبياء والرسل.

كما أنه لما كان الله وحده سبحانه وتعالى الذي لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، فهو قيوم السماوات والأرض، وكان لأنبياء والرسل بشراً، فإنه يجري عليهم النوم كما يجري على غيرهم من البشر، إلا أنه لا يجري على قلوبهم، بل على أعينهم فقط، قال الشيخ: "ويجوز في حقهم النوم ولا يستولي على قلوبهم، وما ورد أنه صلى الله عليه وسلم نام مع أصحابه في الوادي حتى خرج وقت الصبح[3] لا ينافي هذا، لأن طلوع الشمس من مدركات العين لا القلب والعين نائمة هكذا قالوا[4].

ويقصد الشيخ باي بقوله "هكذا قالوا"، حكاية قول العلماء الذين ذهبوا إلى أن قلبه صلى الله عليه وسلم وقتها كان مشغولاً بالوحي ولم يكن نائماً، وهو ما ذهب إليه بعض شراح الحديث السابق؛ والذين فسروا قول الراوي:" أن النبي

، محمد باي، ج1، ص 178

[2] زاد السالك، محمد باي، ص53

[3] الحديث متفق عليه، من حديث عمران، قال: ﴿**كنا في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم، وإنا أسرينا حتى كنا في آخر الليل، وقعنا وقعة، ولا وقعة أحلى عند المسافر منها، فما أيقظنا إلا حر الشمس**،...﴾، والحديث طويل، أخرجه البخاري، كتاب"التيمم"، باب" الصعيد الطيب وضوء المسلم، يكفيه من الماء"، رقم:344، ج01، ص 76. وأخرجه مسلم، كتاب "المساجد ومواضع الصلاة"، باب"قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها"، رقم 682، ج 01، ص 476

[4] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 178

– صلى الله عليه وسلم – إذا نام لم يوقظه أحد حتى يكون هو يستيقظ، لأنا لا ندري ما يحدث له في نومه..."، بأن المراد منه أنه – صلى الله عليه وسلم – كان يوحى إليه في نومه كما يوحى إليه في يقظته، ورؤيا الأنبياء وحي، ولهذا كانت تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فكانوا يخشون أن يقطعوا عليه الوحي إليه بإيقاظه، ولا تنافي بين نومه حتى طلعت الشمس وبين يقظة قلبه؛ فإن عينيه تنامان، والشمس إنما تدرك بحاسة البصر لا بالقلب[1].

ثم أن الشيخ باي ذكر أن الله سبحانه وتعالى قد يأخذ بقلب النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك لحكمة التشريع، لبّين الله سبحانه وتعالى للأمة حكماً شرعياً قد يتعرض لهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيكون الإقتداء به صلى الله عليه وسلم في قضاءه، يقول الشيخ باي: " ولا مانع من أن الله قد يأخذ بقلوبهم لحكمة كالتشريع ويؤيده ظاهر قول بلال– وقد أقامه لإيقاظهم فغلبه النوم– يا رسول الله، أخذ بقلبي الذي بقلبك وأقره صلى الله عليه على الاعتذار[2].

ولكن بالرجوع إلى الحديث الوارد في هذه القصة، نجد أن لفظ القلب الذي ساقه الشيخ باي لم يرد في الحديث، وإنما ورد لفظ النفس، فقال راوي الحديث:﴿ **أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قفل من غزوة خيبر، سار ليله حتى إذا أدركه الكرى عرس، وقال لبلال: اكلأ لنا الليل، فصلى بلال ما قدر له، ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فلما تقارب الفجر استند بلال إلى راحلته مواجه الفجر، فغلبت بلالا عيناه وهو مستند إلى راحلته، فلم يستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا بلال، ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولهم استيقاظا، ففزع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «أي بلال» فقال بلال: أخذ بنفسي الذي أخذ – بأبي أنت وأمي يا رسول الله – بنفسك...**﴾[3].

---

[1] فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين عبد الرحمان بن أحمد بن رجب البغدادي، ت: مجموعة من العلماء، (مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، السعودية، ط 01، 1417هـ، 1996م)، ج2، ص 271. أنظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف، ت أبو تميم ياسر إبراهيم، (مكتبة الرشد، السعودية، ط 02، 1423هـ، 2003م)، ج 01، ص 485 .وانظر: منارة القارئ شرح صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، ت عبد القادر الأرناؤوط، (مكتبة دار البيان، دمشق، د ط، 1410هـ، 1980م)، ج 01، ص 385

[2] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 178

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب" المساجد ومواضع الصلاة"، باب" قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها"، رقم: 680، ج 01، ص 471. وأخرجه الإمام مالك في موطئه"روقت الصلاة"،" النوم عن الصلاة"، قم 35.، أنظر: الموطأ، مالك بن أنس ، ت محمد مصطفى الأعظمي، (مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبوظبي، الإمارات، ط 01، 1425هـ، 2004م)، ج 02، ص 19. وأخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب"الصلاة"، باب"فرض الجماعة والأعذار التي تبيح تركها"، حديث: " ذكر العذر الثالث وهو النسيان الذي يعرض في بعض الأحوال"، رقم: 2069، ج 05، ص 422

ووجه رواية الشيخ باي لفظ القلب في الحديث، هو اختلاف العلماء في الجمع بين حديث النوم هذا، وبين قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿**إن عيني تنامان ولا ينام قلبي...**﴾[1]، وقد ذكر ابن حجر اختلاف العلماء في الجمع بين الحديثين في شرحه "فتح الباري شرح صحيح البخاري" فقال: وقد تكلم العلماء في الجمع بين حديث النوم هذا وبين قوله صلى الله عليه وسلم إن عيني تنامان ولا ينام قلبي، قال النووي له جوابان: أحدهما أن القلب إنما يدرك الحسيات المتعلقة به كالحدث والألم ونحوهما، ولا يدرك ما يتعلق بالعين، لأنها نائمة والقلب يقظان؛ والثاني: أنه كان له حالان، حال كان قلبه فيه لا ينام وهو الأغلب، وحال ينام فيه قلبه وهو نادر، فصادف هذا أي قصة النوم عن الصلاة؛ قال: والصحيح المعتمد هو الأول والثاني ضعيف؛ ثم قال الحافظ بن حجر: وهو كما قال.."[2]

فمما سقناه يتبيّن أن رواية الشيخ باي للحديث بلفظ القلب، هو حكاية منه لرأي الفريق الثاني في المسألة، والذي ذهب الشيخ باي إليه وتبناه، وهم القائلون بأن قلبه صلى الله عليه وسلم كان له حالان: حال كان قلبه فيه لا ينام وهو الأغلب، وحال ينام فيه قلبه وهو نادر، فصادف حال نوم قلبه صلى الله عليه وسلم وهو النادر قصة النوم عن الصلاة، وأصحاب هذا الرأي يرون أن ذلك من حكمة الله في التشريع بالفعل لمن نام من أمته صلى الله عليه وسلم بعده أن لا حرج عليه.

ولكن رُدّ على أصحاب هذا القول بقول بن حجر: بأنه يحتمل أن يقال كان قلبه صلى الله عليه وسلم إذ ذاك مستغرقا بالوحي ولا يلزم مع ذلك وصفه بالنوم، كما كان يستغرق صلى الله عليه وسلم حالة إلقاء الوحي في اليقظة، وتكون الحكمة في ذلك بيان التشريع بالفعل، لأنه أوقع في النفس كما في قضية سهوه في الصلاة[3]؛ وتثبت بذلك الحكمة من التشريع، كما لا ينتفي بذلك يقظة قلبه صلى الله عليه وسلم.

ولعل هذا الرأي الأخير هو الصواب، لأن القول الأول وإن كان فيه إثبات لحكمة التشريع، إلا أن فيه ردٌّ ولو جزئي لحديث نفي نوم قلبه صلى الله عليه وسلم، بخلاف القول الثاني والذي جُمِع فيه بين الحديثين، في إثبات أن قلبه صلى الله عليه وسلم لا ينام، وصرف حديث فوات وقت الصبح عنه صلى الله عليه وسلم باشتغال قبله صلى الله عليه وسلم

---

[1] الحديث متفق عليه من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن، أنه سأل عائشة، كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان؟ قالت: ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان، ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعا، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعا، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثا، فقالت عائشة: فقلت: يا رسول الله أتنام قبل أن توتر، فقال: «يا عائشة إن عيني تنامان، ولا ينام قلبي"، أخرجه البخاري، كتاب " التهجد"، باب" قيام النبي صلى الله عليه وسلم بالليل"، رقم: 1147، ج 02، ص 53. وأخرجه مسلم، كتاب" صلاة المسافرين وقصرها"، باب" صلاة الليل وعدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم في الليل، وأن الوتر ركعة، وأن الركعة صلاة صحيحة"، رقم 738، ج 1، ص 509.

[2] فتح الباري لابن حجر ، ج1، ص 450.

[3] نفس المصدر والصفحة.

بالوحي؛ ويؤيد هذا الرأي قول الصحابي الذي روى الحديث السابق، أن النبي – صلى الله عليه وسلم – إذا نام لم يوقظه أحد حتى يكون هو يستيقظ، لأنا لا ندري ما يحدث له في نومه، والله أعلم بالصواب.

الفرع الثاني: ما لا يجوز على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

ذهب الشيخ باي في تعريفه للنبي والرسول إلى بيان أن ذاك المقام مقام شرف وعلو، ولما كانت الأنوثة في العرف الإنساني تمثل نقص في البنية الجسدية، وجانب من جوانب الضعف النفسي والجسدي، لتغلب جانب العاطفة عندها على جانب العقل، جعل الله مقام الرسالة والنبوة خاص بالرجال، فلم يرسل ولم يبعث سبحانه إلى خلقه أنثى، وإنما كان المرسلون كلهم رجالاً ، قال الشيخ باي: "مقام النبوة والرسالة مقام شرف وعلو وعليه فإن جميع الرسل والأنبياء كانوا رجالاً كما قال تعالى:﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾[1]، فالأنوثة نقص لا تليق بمراتب الكمال من الأنبياء والمرسلين"[2]، كما اعتبر الشيخ باي العبودية نقص في جانب الحرية وحق التملك والتصرف في النفس فضلاً على الغير، ولذلك لم يكن من النبيين و المرسلين عبد؛ إذْ لا تكون الدعوة الحقيقية والجهر بما يعتقده المرء وممارسة ذلك إلا من الحر، قال الشيخ في ذلك"وكذلك العبودية .لأن من لا ولاية له على نفسه لا يصح أن يكون وليّاً على غيره"[3].

وهاذين الشرطين السابقين للنبي والرسول فيما يخص المكانة الاجتماعية، كما ينزه الشيخ باي النبي والرسول أن يكون ذو مرض يمنعه من تبليغ شرع ربه سبحانه وتعالى وقيامه بالدور الذي أرسل لأجله، وإلا اعتبر ذلك نقص في كمالهم ومراتبهم التي اصطفاهم الله لها على الناس، يقول الشيخ باي" وأنه يجوز عليهم من الأعراض البشرية كل ما لا يؤدي إلى نقص من مراتبهم العلية كالبيع والشراء والنكاح والمرض الخفيف"[4]، يعني ذلك أن الأمراض غير الخفيفة كالعاهة، فإن الشيخ باي يجعل ذلك جائز في حقهم ، لكن بعد النبوة لا قبلها، فيقول" أو ذو عاهة قبل النبا"، "أي قبل النبوة والرسالة"[5]، كما يجيب على ما وقع لسيدنا أيوب عليه السلام من المرض والعاهة، وما وقع لسيدنا يعقوب من ذهاب البصر، وما حكي عن سيدنا شعيب من العمى ، فيرد ذلك كله بأنه المرض لسيدنا أيوب كان في ظاهر جسده[6]، والعمى لسيدنا يعقوب أنها كانت غشاوة وزالت، ولم يثبت أن سيدنا شعيباً عليه السلام كان ضريراً[7].

---

[1] يوسف 109

[2] زاد السالك، محمد باي، ص 53

[3] نفس المصدر والصفحة

[4] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 199

[5] زاد السالك، محمد باي، ص 53

[6] نفس الصدر والصفحة

[7] ملتقى الأدلة، محمد باي،ج1، ص 178

ونفي الشيخ باي للعاهة دون المرض الخفيف على الأنبياء والمرسلين هو كون العاهة غير المرض الخفيف، فالعاهة هي الآفة[1]، وهي عرض يفسد ما يصيب من شيء؛ و العاهة: خلقية كانت أم طارئة، ومنه قولهم ليس في يده آفة، أي عرض يفسد ما أصابه[2]، والعاهة: بفتح الهاء، جمع عاهات، وهي المرض، والمرض الدائم ، والعجز الدائم في بعض الأعضاء[3]، ولذلك قال في شأنها النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿**لا يوردن ذو عاهة على مصح**﴾[4]

ثم قال الشيخ باي ملخصاً كل ما يتعلق بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام من تنزيههم ورفعٍ لمكانتهم وقدرهم: "وبالجملة، فهم منزهون عن كل ما من شانه يؤدي إلى النقائص أو ما يخل بدرجاتهم العالية، لأنهم أشرف الناس وأفضلهم في كل من الخَلق- بفتح الخاء-أي الذات وفي الصفة لأنهم موصفون بالصفات الحميدة كالعلم والحلم والجود والشجاعة والرحمة والرأفة وهذا هو الخُلق- بضم الخاء- فلا احد من الناس يبلغ درجتهم ومستواهم في الشرف والفضل والخُلُقِ والصفة[5].

---

[1] المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده المرسي، ت عبد الحميد هنداوي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، 1421 هـ، 2000م)، ج 02، ص 268

[2] معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي، وحامد صادق قنيبي، ص 36

[3] نفس المرجع ، ص 233

[4] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي، (دار الفكر، بيروت، ط 01، 1422 هـ، 2002 م)، ج 07، ص 2893.وأخرجه البخاري ومسلم بلفظ" لا يوردن ممرض على مصح" البخاري، كتاب"الطب"، باب " لا هامة "، رقم 5771، ج 07، ص 138. ومسلم في كتاب" السلام" ، باب" لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر، ولا نوء، ولا غول، ولا يورد ممرض على مصح" رقم 2221، ج 4، ص 1742.

[5] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 178

المبحث الثالث: بيان بعض معجزاته[1] عليه الصلاة والسلام.

المطلب الأول: تعريف المعجزة:

المعجزة: لغة: ذهب أهل اللغة إلى أن المعجزة:اسم فاعل من الإعجاز[2]، و الإِعجاز إِفعال منالعَجْز الذي هو زوال القدرة عن الإِتيان بالشيء من عمل أَو رأْي أَو تدبير[3] وقال الشيخ باي: المعجزة في اللغة: العجز[4].

اصطلاحاً:عُرفت المعجزة في الاصطلاح على أنها أمر خارق للعادة، داعٍ إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة، قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله[5]، و ذهب الشيخ باي إلى تعريفها في الاصطلاح على أنها الأمر الخارق للعادة المقرون بدعوى الرسالة أو النبوءة مع عجز المنكرين عن الإتيان بمثله[6].

فقول الشيخ باي في تعريف المعجزة أنها الأمر الخارق للعادة، أراد أن يخرج بالأمر الغير الخارق للعادة، وهو ما اعتاده الناس في حياتهم اليومية من أشياء ولو أنها من آيات الله في الكون، ولكنها تحدث للأنبياء وغيرهم، فلا تكون من المعجزة التي يطلب بها التصديق، وإنما تكون من الآيات التي تدل على أن الله خالق الكون ومسيره، كما تساعد على دحض قول الكفر وذلك بطلب الإتيان بعكسها أو خلافها، كطلوع الشمس وغروبها ومجيء الليل والنهار وغير ذلك، وهذا ما كان مع سيدنا إبراهيم عليه السلام والنمرود، حين قال له سيدنا إبراهيم: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾، قال له النمرود ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ﴾، أي أنا أفعل ذلك، فأحيي وأميت، استحيي من أردت قتله، فلا أقتله، فيكون ذلك مني إحياء له. وذلك عند العرب يسمى إحياء، ...وأقتل آخر فيكون ذلك مني إماتة له[7]، فحاجّه سيدنا إبراهيم بحجة وإن كانت ظاهرةً معتادةً

---

1 إن إطلاق لفظ المعجزة على ما يتحدى به الرسول أو النبي قومه ليصدقوه ويصدقوا ما جاء به من عند الله قد تحفظ عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسيره للقرآن الكريم، المسمى "بالتفسير الكبير" ورأى أن لفظ "دلائل " و" أعلام" أدل على المقصود من لفظ " المعجزة" فقال:" والآيات والبراهين الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء ويسميها من يسميها من النظار معجزات وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة ونحو ذلك؛ وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات، ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجوداً في الكتاب والسنة وإنما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان"، ثم ساق ابن تيمية الآيات الدالة على ذلك ثم قال"وأما لفظ المعجزة فإنما يدل على أنه أعجز غيره، وهذا اللفظ لا يدل على كونه ذلك آية ودليلاً إذا فسّر المراد به، وفكر شرائطه؛ ولذا كان كثير من أهل الكلام لا يسمي معجزاً إلا ما كان للأنبياء فقط، وما كان للأولياء إن أثبت لهم خرق عادة سماها كرامة؛ والسلف كأحمد وغيره، كانوا يسمون هذا وهذا معجزاً، ويقولون لخوارق الأولياء أنها معجزات، إذ لم يكن في اللفظ ما يقتضي اختصاص الأنبياء بذلك. أنظر : التفسير الكبير، ابن تيمية، ت عبد الرحمن عميرة، (دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، د ت)، ج 02، ص 144.

2 موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي التهانوي، ت علي دحروج، (مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط 01)، ج2، ص 1575.

3 بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ت: محمد علي نجار، (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د ط، 1416هـ، 1996م)، ج 1، ص 65.

4 زاد السالك، محمد باي، ص 30

5 التعريفات، الجرجاني، ص 219.

6 زاد السالك، محمد باي، ص 30

7 تفسير الطبري، ج4، ص 570

ولكن التعجيز فيها كان من باب عدم الإتيان بخلافها، فقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ ٢٥٨﴾، ثم قال الله عن حال الكافر: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ ٢٥٨﴾ [1] أي النمرود؛ فكان إيراد سيدنا إبراهيم لتلك الحجة من باب جواز التسليم بإظهار الموافقة، وإن كان المسلم بحقيقة ذلك منكرا ولدافعا له، إذا كان في المساعدة بذلك في الظاهر نيل الفرصة والظفر بالبغية[2]، والانتقال من دليل إلى دليل آخر أوضح منه جائز للمستدل[3].

وقول الشيخ باي عن المعجزة أيضاً أنها تكون مقرونة بدعوى الرسالة والنبوة، أراد أن يخرج بغيرها من الكرامة والتي يكون فيها الأمر الخارق غير مقرون بدعوى النبوة والرسالة، وإنما يجريها الله على يد عباده الصالحين، لإثبات ولايتهم، كما أن الكرامة على عكس الهوان الذي يجريه الله على يد من ادعى النبوة أو الرسالة كذباً، لإثبات كذبه وافترائه، فهو سبحانه وتعالى حكيم، يضع كل شيء في موضعه المناسب له، ...يفرق بين هذه الأنواع بما يناسب الصادق العادل العالم المصلح من الكرامة، وما يناسب الكاذب الظالم الجاهل المفسد من الهوان"[4]، وكذلك السحر والشعوذة، والتي تدعوا إلى الشر والشقاوة، فإن الله سبحانه وتعالى يجري على يد السحرة من الخوارق ما يتصرفون به فيما يتصرفون من الأفاعيل المذمومة[5]، وكل ذلك استدراج منه سبحانه وتعالى لهم؛ فإنهم لا يقدرون على شيء من ذلك إلا بإذن الله.

كما قصد الشيخ باي بقوله"مع عجز المنكرين على الإتيان بمثله"؛ أن التحدي من النبي أو الرسول بالمعجزة لا يمكن الإتيان به من جانب المتحدى عليه، فجعل عجزهم علماً للرسالة، فلو قدروا ما أقصروا[6]، فتبيّن أن دعواه صادقة وأنه من عند الله سبحانه وتعالى؛ ولو كان الخارق للعادة مما يقدر المنكرين على الإتيان بمثله، لم يسمى ذلك معجزة، ولا يثبت بذلك نبوة ولا رسالة ولا حجة على الناس.

المطلب الثاني: بعض معجزاته صلى الله عليه وسلم:

بعد أن عرّف الشيخ باي المعجزة لغة واصطلاحاً، ذكر أن المعجزات تتنوع، فمنها ما يخص القول ومنها ما يخص الفعل، ومنها ما يخص الترك؛ فقال"تكون قولاً كالقرآن، وفعلاً كنبع الماء بين أصابع نبينا صلى الله عليه وسلم، وتركاً كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام"[7]، ثم إن الله سبحانه وتعالى قد خص نبيه صلى الله عليه وسلم

---

[1] البقرة 258

[2] تفسير الماتريدي، ج4، ص 142

[3] تفسير الرازي، ج7، ص 23

[4] النبوات، ابن تيمية، ج2، ص 917.

[5] مختصر تفسير ابن كثير ، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، (دار القرآن الكريم، بيروت، ط 07، 1402هـ، 1981م)، ج 1، ص 98.

[6] تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، ت محمد عبد العزيز بسيوني، (كلية الأداب، جامعة طانطا، مصر، ط 01، 1420هـ، 1999م)، ج01، ص 43.

[7] زاد السالك، محمد باي، ص 30

بالعديد من المعجزات في حياته فهي أكثر من تحصر، لأنها كانت تجيء له صلى الله عليه وسلم على حسب الفعل الذي يصادفه، وقد أحصى منها ابن حزم سبعة وثلاثين آية وبينة وقال: "إنما أتينا بالمشهور المنقول نقل التواتر"[1]، ومنها ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بوقوعها في ما يأتي من بعده من الزمان فمنها التي وقع، ومنها التي لم يحن وقت وقوعه، قال الشيخ باي:"وقد قع الكثير من المعجزات على يد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهي أكثر وأشهر من أن تحصر، فمنها ا نشقاق القمر ومنها أنه ردّ عين قتادة يوم أحد لما وقعت على وجنته، ومنها أنه مسح على عيني علّي بن أبي طالب يوم خيبر فبرئتا، ومنها أنه مسح على ساقٍ كسرت فبرئت من حينها، ومنها كلام الشجر وحنين الجذع، ودعاؤه على كسرى بتمزيق ملكه، ودعاؤه لابن عباس بالتفقه في الدين فكان حبر هذه الأمة، ومنها تكثير الطعام، وتكثير الماء بدعائه صلى الله عليه وسلم "[2]، وسنتعرض بشكل مختصر لكل معجزة من المعجزات التي ذكرها الشيخ باي.

01– انشقاق القمر له صلى الله عليه وسلم: وهو ما كان بمكة من انشقاق القمر؛ فإن رسول الله صلّى الله عليه وسلم مّر بمكة في ليلة قمراء ومعه نفر من أصحابه، فاجتاز بنفر من المشركين، فقالوا له: يا محمد، إن كنت رسول الله كما تزعم فاسأل ربك أن يشقّ هذا القمر؛ فسأل الله ذلك فشقّه، فقال المشركون: ساحروا بصاحبكم من شئتم، فقد سرى سحره من الأرض إلى السماء. فنزلت القصة في ذلك حيث انزل الله في انشقاق القمر سورة القمر وأولها: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢﴾[3]"[4]، يقول: كما رأيتم القمر منشقا فإن الذي أخبرتكم عن اقتراب الساعة حق "[5]

02 – ردُّه عين قتادة يوم أحد لما وقعت على وجنته: وذلك أن قتادة رضي الله عنه وأرضاه لما أصيب يوم غزوة أُحد في إحدى عينيه وقد وقعت على وجنته، قال قتادة بن النعمان: فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إي رسول الله، إن تحتي امرأة شابة جميلة أحبها وتحبني، وأنا أخشى أن تقذر مكان عيني، فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فردها ،فأبصرت وعادت كما كانت، فلم تضرب[6] عليه ساعة من ليل ولا نهار، وكان يقول بعد أن أسّن[7]: هي والله أقوى عيني! وكانت أحسنهما[8].

---

[1] جوامع السيرة، أبو محمد علي بن حزم الظاهري، ت إحسان عباس، (دار المعارف، بيروت، ط 01، 1990م)، ص 14

[2] زاد السالك، محمد باي، ص30

[3] القمر 01-02.

[4] دلائل تثبيت النبوة، القاضي عبد الجبار، (دار المصطفى ، القاهرة، د ط، د ت)، ص55 .

[5] تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ت محمود محمد عبده، (دار الكتب العملية، بيروت، ط 01، 1419هـ)، ج03، ص 259.

[6] ضَرِبَ العِرْقُ ضَرَباناً إِذَا آلَمه. تاج العروس، الزبيدي، ج3، ص 241

[7] كَبِرَ الرجلُ والدابةُ يَكْبَرُ كِبَراً ومَكْبِراً، بكَسْرِ الْبَاءِ فَهُوَ كَبِيرٌ: طَعَنَ فِي السِّنِّ؛ ...وعَلَاهُ الكِبَرُ إِذا أَسَنَّ . لسان العرب، لابن منظور، ج5، ص127

[8] المغازي، أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي، ت: مارسدن جونس، (دار الأعلمي، بيروت، ط 03، 1409هـ، 1989 م)، ج1، ص 242.

03- مسحه على عيني علّي بن أبي طالب يوم خيبر فبرئتا: والصحيح أنه صلى الله عليه وسلم تفل في عيني علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه ولم يمسح عليهما؛ وفي هاته القصة أنه لما استبطأ الفتح على المسلمين في غزوة خيبر لشدة حصونها، وقد طال الحصار، سأل صلى الله عليه وسلم عن علي رضي الله عنه وأرضاه فقيل له أنه به رمد[1] في عينيه، فطلبه صلى الله عليه وسلم وتفل في عينيه رضوان الله عليه، فصحّ من حينه، ولم يرمد بعدها، وبعثه بالراية وقد قال: لا ينصرف حتى يفتح الله عليه، فكان كما قال، لم ينصرف كرم الله وجهه، إلا بالفتح[2]

04- مسحه على ساقٍ كسرت فبرئت من حينها: وهاته لها قصة طويلة أوردها أصحاب السير؛ وملخصها أنه صلى الله عليه وسلم بعث رهطا من الخزرج على رأسهم عبد الله بن عتيك إلى سلام بن أبي الحقيق اليهودي وكنيته أبي رافع[3]، فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلا وهو نائم فقتله، وقد أصيبت رجله وقيل كسرت، فقدم على النبي صلى الله عليه وسلم وبسط رجله فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها فذهب ما كان بها من بأس [4]

05- كلام الشجر: وكان ذلك له صلى الله عليه وسلم وهو في سفر مع أصحابه، فدنا منه أعرابي فقال: يا أعرابي، أين تريد؟ قال: إلى أهلي، قال: هل لك إلى خير؟ قال: وما هو؟ قال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، قال: من يشهد لك على ما تقول؟ قال: هذه الشجرة السمرة [5]وهي بشاطئ الوادي، فأقبلت تخد[6] الأرض حتى قامت بين يديه صلى الله عليه وسلم فاستشهدها ثلاثا فشهدت أنه كما قال، ثم رجعت إلى مكانها، وقيل أن الأعرابي سأل النبي صلى الله عليه وسلم آية فقال له: قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك، قال: فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها، فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الأرض تجر عروقها مغبرة، حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: السلام عليك يا رسول الله، قال الأعرابي: مرها فلترجع إلى

---

[1] الرمد: وجع العين، كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال، د ط، د ت)، ج8، ص 38

[2] جوامع السيرة، أبو محمد علي بن حزم الظاهري، ت: إحسان عباس، (دار المعارف، بيروت، ط 01، 1990م)، ص 13.

[3] كان سلام بن أبي الحقيق- وكنيته أبو رافع- من أكابر مجرمي اليهود، الذي جيّر الأحزاب ضد المسلمين وأعانهم بالمؤن والأموال الكثيرة، وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما فرغ المسلمون من أمر قريظة استأذنت الخزرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله، وكان قتل كعب بن الأشرف على أيدي رجال من الأوس، فرغبت الخزرج في إحراز فضيلة مثل فضيلتهم؛ فلذلك أسرعوا إلى هذا الاستئذان. أنظر: الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، (دار الهلال، بيروت، ط 01، د ت)، ص: 293.

[4] المرجع نفسه، ص 294

[5] السَّمُرة: واحدة السمر وهي شجر من العضاه والعضاه كل شجر له شوك، ومنها الشجرة التي كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية. لسان العرب، لابن منظور، ج4، ص 379 . أنظر: غريب الحديث ، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، ت: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، (دار الفكر، بيروت، ط 02، 1402هـ، 1982م)، ج2، 140.

[6] خد السيل في الأرض، إذا شقها بجريه. تاج العروس، الزبيدي، ج8، ص 55

منبتها، فرجعت فدلت عروقها فاستوت، فقال الأعرابي ائذن لي أن أسجد لك، قال: لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، قال فأذن لي أن أقبل يديك ورجليك، فأذن له[1].

06- حنين الجذع: وهو أنه كان صلى الله عليه وسلم يصلي إلى جذع وكان المسجد عريشا[2]، فكان يخطب إلى ذلك الجذع، فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله، نجعل لك شيئاً تقوم عليه يوم الجمعة حتى يراك الناس ويسمع الناس خطبتك، قال: نعم؛ فصُنع له ثلاث درجات، فصعد النبي صلى الله عليه وسلم فقام عليه كما كان يقوم ، فحن جذع النخلة التي كان يقوم عليها حنين الناقة، فسمع أهل المسجد صوتها شوقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل فالتزمها وقال: والذي نفسي بيده لو تركتها حنت إلى يوم القيامة.[3]

07- دعاؤه على كسرى بتمزيق ملكه:

وهو أنه عليه الصلاة والسلام، بعث بكتاب إلى كسرى ملك الفرس وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محّمد رسول الله، إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتّبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا اله إلّا الله وحده لا شريك له وأن محّمدا عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كانحيّ ا ويحّق القول على الكافرين، أسلم تسلم، فإن أبيت، فإنما عليك إثم المجوس؛ فلّما وصله الكتاب مّزقه استكباراً ، ولما بلغه عليه الصلاة والسلام ذلك قال: مّزق الله ملكه كل ممّزق، وقد كان ذلك، فكانت مملكته أقرب الممالك سقوطاً ، .. فعاجله الله بقيام ابنه شيرويه عليه وقتله[4] .

08-دعاؤه لابن عباس بالتفقه في الدين فكان حبر هذه الأمة:

و القصة يرويها سيدنا عبد الله بن عباس عن نفسه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم الخلاء فوضعت له وضوءاً ؛ فلما خرج قال: من وضع هذا؟ قالوا: ابن عباس، قال: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وأعطه الحكمة[5]، فخرج أفقه الناس في الدين وأعلمهم بالتأويل حتى سمي البحر لسعة علمه[6].

---

[1] الشفا بتعريف حقوق المصطفى، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض، (دار الفيحاء، عمان، ط 02، 1407هـ)، ج1، ص 573.

[2] أي مظللا بجريد ونحوه مما يستظل به، يريد أنه لم يكن له سقف. أنظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، (المكتبة العتيقة، تونس، ودار التراث، القاهرة، د ط، 1978م)، ج 2، ص 77.

[3] دلائل النبوة، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ت: محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، (دار النفائس، بيروت، ط 02، 140هـ، 19م)، ص 401.

[4] نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد بن عفيفي الباجوري، (دار الفيحاء، دمشق، ط 02، 1425هـ)، ص 177.

[5] شرف المصطفى، أبو سعد عبد المالك بن محمد النيسابوري، (دار البشائر، مكة، ط 01، 1424هـ)، ج3، ص498.

[6] أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، (دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط01، 1409هـ)، ص132.

09- تكثير الطعام بدعائه صلى الله عليه وسلم: وقد وقع منه ذلك في مواطن كثيرة ومن أشهرها ما وقع منه صلى الله عليه وسلم يوم غزوة الخندق؛ عن جابر رضي الله عنه قال:"... فانكفيت[1] إلى امرأتي، فقلت: هل عندك شيء، فإني رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم خمصًا[2] شديدًا، فأخرجتجرابً ا[3] فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة داجن[4] فذبحتها وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة[5]؛ ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم فساررته فقلت: يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعًا من شعير. فتعال أنت ونفر معك. فصاح النبي صلى الله عليه وسلم: "يا أهل الخندق، إن جابًرا صنع سؤًرا[6]، فحي هلا بكم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء، ثم قال: فأخرجت لهعجينً ا فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك، ثم قال: ادع خابزة فلتخبز معك واقدحي[7] من برمتكم ولا تنزلوها، وهم ألف، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط[8] كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو[9]

10- تكثير الماء بدعائه صلى الله عليه وسلم:وكما أن معجزة تكثير الطعام قد وقعت منه كثيراً صلى الله عليه وسلم، فإن تكثير الماء قد عرف منه صلى الله عليه وسلم في الكثير من المرات، حتى قال الإمام النوويّ: إنّ تكثير الماء ببركته صلى الله عليه وسلم أحاديثه بلغت مبلغ التواتر[10]، ومنها ما رواه معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام غزوة تبوك ...ثمّ قال:إنّكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك،وإنّكم لن تأتوها حتّى يضحيالنّهار ... والعين مثل الشّراك[11] تبضّ بشيء من ماء ... ثمّ غرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً حتّى اجتمع الماء

---

[1] إنكفأ ... أي مال ورجع. لسان العرب، لابن منظور ج 01، ص 141.

[2] الخمص: الجوع ، يقال خَمَصَ يَخْمُصُ خَمْصاً ، جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، ت رمزي منير بعلبكي، (دار العلم للملايين، بيروت، ط 01، 1987م)، ج 1، ص 605.

[3] الجراب: ... المزود، أو الوعاء، جمع: جُرُبٌ. القاموس المحيط، أبو الطاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ص 66.

[4] دجن في بيته إذا لزمه، وبه سميت دواجن البيت، وهي ما ألف البيت من الشاء وغيرها؛ والواحدة منها داجنة. لسان العرب، لابن منظور، ج 13، ص 148.

[5] البرمة هي القدر. و جمعها البرام. مختار الصحاح، أبو عبد الله زيد الدين محمد بن أبي بكر الرازي، ت: يوسف محمد الشيخ، (المكتبة العصرية، الدار النموذجية، صيدا بيروت، صيدا، ط 05، 1420هـ، 1999م)، ص 33.

[6] يقال أسأر فلان من طعامه وشرابه سؤرا وذلك إذا أبقى بقية؛ .. وبقية كل شيء سؤره. لسان العرب، لابن منظور، ج4، ص 340

[7] يُقَالُ: قَدَحَ القِدْر إِذا غَرَفَ ما فِيهَا. لسان العرب، لابن منظور،ج2، ص 555

[8] يغط بكسر الغين ومعنى: يتابع الدفق. تهذيب اللغة، الهروي، ج 8، ص 12

[9] شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ابو عبد الله محمد بن عبد الباقي الزرقاني، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1417هـ، 1996م)، ج 7، ص 39.

[10] إنارة الدجى في مغازي خير الورى صلى اله عليه وآله وسلم، حسن بن محمد المشاط المالكي، (دار المنهاج، جدة، السعودية، ط 02، 142هـ)، ص 494.

[11] الشراك: سير النعل. لسان العرب، لابن منظور، ج 10، ص 451

في شيء، قال: وغسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه يديه ووجهه ثم أعاده فيها، فجرت العين بماء منهمر أو قال غزير، قال حتّى استقى الناس، ثم قال: يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جناناً[1].

المطلب الثالث: أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم وهي القرآن الكريم: وهي معجزة الله الخالدة، وقد جاءت على يدي النبي – صلى الله عليه وسلم – خوارق للعادة حسية كثيرة، ولكنه لم يتحد المشركين وغيرهم أن يأتوا بمثله إلا بالقرآن[2]، كما أن الآيات والبينات التي أوتيها صلى الله عليه وسلم وما أوتي من كان قبله من الأنبياء والمرسلين من الآيات والبينات ذهبت كلها وبقي القرآن معجزة شاهدة على نبوة متحداً بها الإنس والجن إلى يوم القيامة؛ ولذلك يقول الشيخ باي عنها" وقد قع الكثير من المعجزات على يد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم... وأعظمها القرآن الكريم الذي أعجز البشر على أن يأتوا بآية مثله، فالقرآن العظيم من أعظم ما أوتي نبينا من المعجزات ومن أكبر ما أوتي من البينات"[3].

وما يزيد من عظمة القرآن وسموه فوق كل الآيات والبينات، سواءً التي أوتيها النبي صلى الله عليه وسلم، أو التي أوتيها النبيون والمرسلون ممن كان قبله، هو حصول أكثر الإتباع والإيمان بالله بسببه، إذْ صدّق بتلك الآيات لإعجازها لمن شهدها[4]، والقرآن لا يزال شاهدوه ومتبعوه والذين يؤمنون بالله من جهة الإعجاز به يزيدون إلى يوم القيامة، يقول الشيخ باي في ذلك: "ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿ **ما من الأنبياء نبي إلا أعطى من الآيات ما مثله أومن أو آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلى فأرجو أنى أكثرهم تابعا يوم القيامة**﴾[5] "[6] .

---

[1] إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي تقي الدين المقريزي، ت محمد عبد الحميد النميسي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، 1420هـ، 1999م)، ج 04، ص 390.

[2] زهرة التفاسير، أبي زهرة، ج1، ص 332.

[3] زاد السالك، محمد باي، ص30

[4] شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ج10، ص 330.

[5] أخرجه البخاري، كتاب" الاعتصام بالكتاب والسنة"، باب"قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت بجوامع الكلم"، رقم7274، ج 09 ، ص 92.

[6] زاد السالك، محمد باي، ص30

الفصل الثالث

الإيمان بالسمعيات

المبحث الأول: مفهوم السمعيات ومسألة القبر والملائكة واليوم الآخر

المبحث الثاني:مسألة الشفاعة وقراءة الكتب

المبحث الثالث: مسألة الجنة والنار والميزان والصراط والحوض والرؤية

المبحث الأول: مفهوم السمعيات ومسألة القبر والملائكة واليوم الآخر

المطلب الأول: مفهوم السمعيات:

لغة: جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة والمعجم الوسيط أن سمعيات جمع ما يستند إلى الوحي، كالجنة والنار وأحوال يوم القيامة[1]، فلفظ السمعيات في اللغة مأخوذ من الفعل: سمع يسمع وسماعاً، ومفردها سمعية، وتدل على أنها منسوبة إلى السمع، وتشير في نفس الوقت إلى أنها مسموعة وبها تكون معروفة ومنقولة من واحد إلى آخر[2].

اصطلاحاً: يعتبر مصطلح " السمعيات" في العقيدة من المصطلحات التي لم ترد في الكتاب ولا في السنة، وإنما هي عبارة عن مجموعة من المسائل التي وحدها وجمعها قاسم مشترك واحد وهو أن أساس إثباتها يكون بالسمع أي بالكتاب والسنة لا بغيرهما.

فهي عند البعض لا دخل للعقل فيها وفي إثبات مسائلها، إذ أنها "كل ما ثبت بالسمع أي: بطريق الشرع ولم يكن للعقل فيها مدخل، وكل ما ثبت عن النبي –صلى الله عليه وسلم– من أخبار فهي حق يجب تصديقه سواء شاهدناه بحواسنا أو غاب عنا، وسواء أدركناه بعقولنا أم لم ندركه لقوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩﴾[3][4].

وقد يفهم من التعريف السابق أن مسائل السمعيات لا مجال لإثباتها عقلاً، وفي هذا إخلال بقاعدة أن النقل الصحيح لا يعارض العقل الصحيح، ولذلك ذهب البعض إلى تعريف أكثر دقة، حيث لا يعدم دور العقل في إثبات السمعيات، ولكنه يجعله غير مستقل بذلك، فهو عنده أن " السمعيات :ما يتوقف على السمع من الاعتقادات التي لا يستقل العقل بإثباتها"[5]، كما لا يعدم دور العقل من عرّف السمعيات على أنها "أمور غائبة عنا ولا أثر لها في حياتنا يدلنا عليها دلالة قطعية"[6] ، ونجد من ذهب في ذكره للمسائل السمعية إلى إثباتها من العقل وجعل ذلك ممكناً[7]، وهذا الإمكان

---

[1] المعجم الوسيط، ج 1، ص 450

[2] دراسة في السمعيات، محمد عقيل بن علي المهدلي، (دار الحديث، القاهرة، ط 01، 141هـ، 1996م)، ص9

[3] البقرة 119

[4] تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ت: أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط 03، 1415هـ- 1995م)، ص 101

[5] إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الحسيني الزبيدي، (مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، د ط، 1414هـ، 1994م)، ج 02، ص 213

[6] تبسيط العقائد الإسلامية، حسن محمد أيوب، (دار الندوة الجديدة، بيروت، ط 05، 1403 هـ - 1983 م)، ص 178

[7] إحياء علوم الدين، الغزالي،" كتاب قواعد العقائد"، ص 134

إنما يكون من جهة إثبات وقوعها ضرورة، لا من جهة تفصيلها،" لأنها أمور لا يعرف الناس دقائقها، فلا بد من الإيمان بها كما جاءت، والتسليم بأنها حق على حقيقتها"[1]،

ويتعرض الشيخ باي لهذا القسم من أقسام العقيدة وهو السمعيات فيقول عنه:

والسمعيات يجب الإيمان وهي كمثل القبر يا إنسان

وكون من فيها منعماً وقد يكون بالعذاب حق إن جحد

ثم يعرفها بقوله "نعني أن السمعيات هي التي ثبت خبراها لدينا بطريق الكتاب والسنة، أو إخبار الثقات من العلماء الصادقين"[2].

وعنى الشيخ باي بقوله: "أخبار الثقات من العلماء الصادقين" ، هو تأويل بعض العلماء لبعض الأخبار من السمعيات، وجعل الشيخ ذلك مما اجمع عليه المسلمون، ولذلك يعّرفها في موضع آخر بقوله:"كل ما أخبرنا به الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ووصل إلينا من كتاب أو سنة بطريق صحيح، وأجمع المسلمون عليه وجب علينا الإيمان به ...من غير إطلاع منا عليه"[3].

وهذه الاجتهادات من العلماء في مسائل السمعيات، لا يعتبرها البعض من العقائد ولا تدخل فيها، فعنده أن السمعيات في إثباتها خارجة عن الرأي والاجتهاد، فمسائلها لا تثبت إلا عن طريق الكتاب والسنة، فيقول:" فسميت بهذا لأنها من مسائل الغيب التي لا يصح فيها الكلام بالاجتهاد؛ وإنما الكلام فيها متوقف على ثبوت السمع، ومعنى السمع: النقل كتاباً وسنة"[4].

كما ذهب الشيخ باي في حديثه عن بعض مسائل السمعيات إلى إيراد أدلة عقلية على ثبوت ذلك، ومنها قوله عن إثبات عذاب القبر ونعيمه أن "كل ميت أراد الله نعيمه أو عذابه، نعمه أو عذبه، سواء قبر أو لم يقبر، ولم غرق في البحر أو أكلته الدواب، أو حرق حتى صار رماد أو ذرى في الريح لأن قدرة الله صالحة لذلك"[5]

ولعل هذا هو الرأي الأصح في إمكان إثبات السمعيات بالعقل، إذ"لا يوجد دليل عقلي يمنع من وقوعها، بل هي داخلة في الأمور الجائزةعقلاً ، لأنها أثر لقدرة الله تعالى وإرادته وعلمه[6].

---

[1] شرح الطحاوية، لناصر العقل، ص 87

[2] ملتقى الأدلة، محمد باي، ص 180

[3] زاد السالك، محمد باي، ص 31

[4] شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، ص 02.

[5] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج01، ص 180

[6] تبسيط العقائد الإسلامية، حسن محمد أيوب، ص 180

ومن قال أن العقل لا يدخل في إثبات السمعيات، بل يعتمد فيها على السمع من الكتاب والسنة، إنما عنى بذلك الرّد على من قال أنه " كيف نثبت عذاب القبر ونحن نرى أناساً يغرقون في البحر، وأناساً تأكلهم الدواب، وأناساً كذا وكذا؟ فينكرون ما صح في ذلك من الأحاديث.ويقولون: لا نثبت الميزان. كيف توزن الحسنات، وكيف توزن الصلاة وقراءة القرآن، وهي ليست أشياء مادية محسوسة؟إذاً الميزان لا حقيقة له"[1]

وقد ذهب أصحاب هذا الرأي إلى مسلك موازي لمسلك القائلين بإمكان إثباتها عقلاً بالجملة، فقالوا:"نحن فيما سبق اقتنعنا وآمنا بوجود الله تعالى بأدلة قطعية يقينية، وآمنا بوجود صفات الله تعالى بأدلة قطعية يقينية، وآمنا برسل الله تعالى وصفاتهم بأدلة قطعية يقينية، وآمنا بكتب الله تعالى التي أنزلها على رسله بأدلة قطعية يقينية، نحن ملزمون نتيجة هذا الإيمان بالله وصفاته ورسله وكتبه أن نؤمن بما جاء في الكتاب الذي أنزله الله تعالى على رسولنا من أجلنا، وأن نعمل بما جاء فيه[2]

فمن كلا الرأيين، نستنتج أنه لا يمكن القول بتغييب العقل بشكل كلي عن إثبات السمعيات وأنه لا دخل له فيها، كما لا يكمن استقلال العقل بإثبات السمعيات دون الكتاب والسنة.

المطلب الثاني: المسائل السمعية:

اختلفت اعتبارات العلماء لمسائل السمعيات، وما يدخل فيها ويعدّ من مسائلها، فاشتركوا في البعض منها، كما زاد البعض فيها مسائل عدّها آخرون ليست منها، فمنهم من جعلها تشمل الحشر والنشر، وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير، والجنة والنار، والصراط والميزان والشفاعة، والآجال والأرزاق[3]، ومنهم من جعل مدارها على عشرة أصول وهي: إثبات الحشر والنشر، وسؤال منكر ونكير، وعذاب القبر والميزان والصراط، وخلق الجنة والنار، وأحكام الإمامة وأن أفضل الصحابة على حسب ترتيبهم، وشروط الإمامة[4].

وقد توسع البعض في مسائل السمعيات وجعلها تشمل النبوات وحقيقة المعجزة، وإمكان البعثة وإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وعصمة الأنبياء وحقيقة العصمة، وعصمة الملائكة، وتفضيل الأنبياء على الملائكة، وكرامات الأولياء، كما جعلها تشمل المعاد وما يشمله من الحشر والجنة والنار والثواب والعقاب والشفاعة والتوبة وإحياء الموتى في قبورهم، ومسائلة منكر ونكير لهم، وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب، وقراءة الكتب والحوض المورود، وشهادة الأعضاء، والأسماء والأحكام وما تضمه هاته المسألة من حقيقة الإيمان وزيادته ونقصانه، والكفر ومرتكب الكبيرة،

[1] شرح الطحاوية لسفر الحوالي، ص1803

[2] تبسيط العقائد الإسلامية، حسن محمد أيوب، ص 178

[3] العقيدة النظامية، أبو المعالي عبد المالك الجويني، ص 76-83

[4] إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ص 134-136

والمخالف للحق، والإمامة والأمور المتعلقة بها من شروط الإمامة وما تثبت به، والإمام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن هو أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقضية إمامة المفضول مع وجود الأفضل، ووجوب تعظيم الصحابة[1].

والمسائل السمعية التي أوردها الشيخ باي هي:

المطلب الأول: عذاب القبر ونعيمه:

يرى الشيخ باي بوجوب الإيمان والتصديق بما جاء بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر ونعيمه، فقال عن السمعيات عموماً ومنها عذاب القبر:"يجب علينا أن نؤمن بما جاء في ذلك مثل عذاب القبر ونعيمه"[2]، ثم يبيّن الشيخ أن المراد من عذاب القبر ونعيمه ليس هو حفرة القبر، ولكن المراد به هو الحياة البرزخية التي تحياها الأرواح، فقال:"والمراد بعذابه ونعيمه عذاب ونعيم البرزخ، وإنما أضيف النعيم والعذاب إلى القبر لأنه الغالب؛ وإلا فكل ميت أراد الله نعيمه أو عذابه نعمه أو عذبه، سواء قبر أو لم يقبر، وإن غرق في البحر أو أكلته الدواب، أو حرق حتى صار رماد أو ذرى في الريح"[3]، ويستدل الشيخ باي على ذلك من العقل بما ثبت من أنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، كما أن المعذب ليست الأجساد كما قلنا، وإنما هي الأرواح التي كما قال يخلق الله فيها إدراكاً به تسمع وتتلذذ وتتألم، يقول:" لأن قدرة الله صالحة لذلك والمنعم أو المعذب الروح، ويخلق الله فيها إدراكاً بحيث يسمع ويعلم ويتلذذ ويتألم"[4].

الأدلة على عذاب القبر:

يسوق الشيخ باي مجموعة من الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة ومنها:

من الكتاب:

قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾[6] وقوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾[7] وقوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾[8]

---

[1] المواقف في علم الكلام، عبد الرحمان بن أحمد الإيجي، ص 337 - 413

[2] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج01، ص 180

[3] نفس المصدر والصفحة

[4] نفسه

[5] إبراهيم 27

[6] الأنعام 93

[7] التوبة 101

[8] غافر 45-46

من السنة:

في صحيح البخاري: عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:﴿ **إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد صلى الله عليه وسلم؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال له: أنظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً في الجنة فيراهما جميعاً، قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح له في قبره، ثم رجع إلى حديث أنس فقال: وأما المنافق أو الكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل، فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال له لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه من غير الثقلين**﴾[1]

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: **إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه** ﴿**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول: أللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر...**﴾[2]، وفي حديث رواه البخاري قال :﴿ **خرج النبي الله صلى الله عليه وسلم وقد وجبت الشمس فسمع صوتاً فقال يهود تعذب في قبورها...**﴾[3].

وهذا الذي ذهب إليه الشيخ باي سواء من الاعتقاد بوجوب الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، أو الأدلة التي ساقها على ذلك، هو ما ذهب إليه العلماء من أهل السنة والجماعة وأكدوا عليه، وانعقد إجماعهم على ذلك كما يقول أبو الحسن الأشعري:"واجمعوا على أن عذاب القبر حق وأن الناس يفتنون في قبورهم بعد أن يحيون ويسألون، فيثبت الله من أحب تثبيته"[4]، وقد عقد الإمام البيهقي لذلك باباً وسماه"باب الإيمان بعذاب القبر نعوذ بالله من عذاب القبر ومن عذاب النار"، وساق فيه مجموعة من الأدلة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية على ذلك[5]، كما اعتبر أهل السنة أنه لم ينكر هذا الإثبات لعذاب القبر ونعيمه إلا أهل البدع[6].

---

[1] الحديث رواه البخاري عن عياش بن الوليد عن عبد الأعلى، عن سعيد عن قتادة عن انس بن مالك رضي الله عنه، ولم يروه عن ابن عباس رضي الله عنه كما ذكر الشيخ باي، ولعله سهو وقع من الشيخ، أو خطأ في الطباعة، أنظر صحيح البخاري، كتاب"الجنائز"، باب" ما جاء في عذاب القبر"، رقم 1374، ج 2، ص 98

[2] صحيح البخاري، كتاب"الجنائز"، باب" التعوذ من عذاب القبر"، رقم 1377، ج 2، ص 99.

[3] صحيح البخاري، كتاب"الجنائز"، باب" التعوذ من عذاب القبر"، رقم 1375، ج 2، ص 99.

[4] رسالة إلى أهل الثغر، أبي الحسن الأشعري، ت عبد الله شاكر محمد الجنيدي، (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط 02، 1422هـ، 2002م)، ص 279.

[5] الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم أبو العينين، (دار الفضيلة، ط 01، 1420هـ، 1999م)، ص 278.

[6] التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي، ت سعيد أحمد أعراب، (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، د ط، 1410هـ، 1990م)، ج 22، ص 247.

المطلب الثاني: الإيمان بالملائكة

يعّرف الشيخ باي الملائكة فيقول:" الملائكة : أجسام نورانية لا يتصفون بشيء مما يتصف به البشر، من ذلك أنهم خلقوا من غير واسطة أب ولا أم، وأنهم لا يأكلون ولا يشربون، ولا ينامون"[1] يتشكلون بالأشكال المحمودة ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة ولا خنوثة، ويفسق من قال أنهم ذكور ويكفر من قال أنهم إناث أو خناثى[2].

وقول الشيخ باي أن الملائكة خلقت من نور يدل عليه حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي ورد في صحيح مسلم، والذي يقول فيه صلى الله عليه وسلم﴿ **خُلقت الملائكة من نور , وخُلق الجان من مارج من نار ,وخُلق آدم مما وصف لكم**﴾[3]

كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم ما يبيّن أن الملائكة في خلقتهم لا يشبهون البشر، فهم لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون ولا يركبون، قال صلى الله عليه وسلم: ﴿ **لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة: يا رب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون ويركبون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة. قال الله تعالى: لا أجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له: كن فكان**﴾ رواه البيهقي في شعب الإيمان "[4]

والملائكة كما يرى أهل السنة وقد ذكر ذلك الشيخ باي لا يوصفون بالذكورة ولا بالأنوثة " فهم جند من جنود الله، قادرون على التمثلِ بأَمثال الأَشياء، والتشكُل بأَشكال جسمانية؛ حسبما تقتضيها الحالات التي يأذن بها الله– سبحانه وتعالى– وهم مقربون من الله ومكرَّمون، لا يوصفون بالذكورة والأنوثة، ولا يتناكحون، ولا يتناسلون"[5]، ولقد ضّل في هذا المجال مشركو العرب الذين كانوا يزعمون أن الملائكة إناثا[6].

أما ما يخص تكفير الشيخ باي لمن قال أن الملائكة إناثاً، فإن ذلك مما أجمع عليه أهل السنة[7]، وسندهم في ذلك ما ورد في القرآن من عتاب الله على المشركين وتشنيعه عليهم في وصفهم الملائكة الذين هم عند الرحمن أنهم إناثاً، فقال

---

[1] ملتقى الأدلة، محمد باي،، ج1، ص181

[2] نفس المصدر، ص 206

[3] صحيح مسلم، كتاب"الزهد والرقائق"، باب"في أحديث متفرقة"، رقم 2996، ج 4، ص 2294.

[4] مشكاة المصابيح، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، ت محمد ناصر الدين الألباني، (المكتب الإسلامي، بيروت، ط 03، 1405هـ، 1985م)، ج 3، ص1597.

[5] الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، (الغرباء الدار الأثرية للترجمة والطباعة والنشر، إسطنبول ، تركيا، ط 10، 1435هـ)، ج 1، ص 66..

[6] عالم الملائكة الأبرار ، عمر سليمان الأشقر، (مكتبة الفلاح، الكويت، ط 03، 1403هـ، 1983م)، ص 14..

[7] انظر اعتقاد أهل السنة أصحاب الحديث، محمد بن عبد الرحمان الخميس، (دار الصميعي للنشر والتوزيع، السعودية، د ط، د ت)، ص 16

الله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾[1]، يقول الإمام الرازي في تفسير هاته الآية: "قال أهل التحقيق: هؤلاء الكفار كفروا في هذا القول من ثلاثة أوجه أولها: إثبات الولد لله تعالى وثانيها: أن ذلك الولد بنت وثالثها: الحكم على الملائكة بالأنوثة"[2]

وأما تفسيق الشيخ باي لمن وصف الملائكة على أنهم ذكوراً، فلأن المسألة فيها خلاف بين أهل السنة، فطرف منهم يرى أن الملائكة ذكوراً، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾[3]، ويستنبطون القول الذي ذهبوا إليه بقاعدة "مفهوم المخالفة"، فالله سبحانه وتعالى قد أنكر على المشركين وصفهم الملائكة بالأنوثة.

وقد أفرد السيوطي في كتابه "الحبائك في أخبار الملائك" مسألة وقال فيها :أخرج سعيد بن منصور في سننه وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عن أبي مجلز في قوله تعالى :﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾[4]، قال: من الملائكة؛ قيل: يا أبا مجلز، الله تعالى يقول: رجال وأنت تقول: الملائكة؟ قال: إنهم ذكورا ليسوا بإناث، وقال الحليمي في المنهاج ثم القونوي في مختصره :وقد قيل إن أصحاب الأعراف ملائكة يحبون أهل الجنة ويبكتون أهل النار"[5]، ثم يرّد الإمام السيوطي على أصحاب هذا الرأي ويبيّن الشبهة في الدليل الذي ساقوه فيقول عن هذا الرأي" وهو بعيد لوجهين : أحدهما قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾[6]، والرجال: الذكور العقلاء، والملائكة لا ينقسمون إلى ذكور وإناث؛ والثاني إخباره تعالى عنهم وأنهم يطمعون أن يدخلوا الجنة، والملائكة غير محجوبين عنها، كيف والحيلولة بين الطامع وطمعه تعذيب له، ولا عذاب يومئذ على ملك"[7]

كما يرّد الإمام الطبري على أصحاب ذلك الرأي، ويقول في هاته المسألة وفي شرحه لقوله تعالى :﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾[8]، يقول : "والصواب من القول في أصحاب الأعراف أن يقال كما قال الله جل ثناؤه فيهم: هم رجال يعرفون كُلا من

---

[1] الزخرف 19

[2] تفسير الرازي ، ج27، ص 625

[3] الزخرف 19

[4] الأعراف: 46

[5] الحبائك في أخبار الملائك، جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، ت: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط 02، 140هـ، 1988م)، ص 265.

[6] الأعراف: 46

[7] المرجع السابق، ص 265.

[8] الأعراف: 46

أهل الجنة وأهل النار بسيماهم، ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصح سنده،ولا أنه متفق على تأويلها، ولا إجماع من الأمة على أنهم ملائكة"[1].

وأما الطرف الثاني من أهل السنة وهم الجمهور فقد توقفوا في وصفهم للملائكة، فلم يصفوهم لا بالأنوثة ولا بالذكورة، ولا شك أن هؤلاء العلماء الذين عابوا على الطرف الأول وصفهم الملائكة بالذكورة يرون هذا الرأي فهو تحصيل ّرهم القول بأن الملائكة ذكور، وقد أورد سليمان الأشقر عنوان في كتابه "عالم الملائكة الأبرار" وقال فيه عن الملائكة:" لا يوصفون لا بالذكورة ولا بالأنوثة"[2].

أما ما يتعلق بوجوب الإيمان بالملائكة، فإن الشيخ باي استدل من القرآن والسنة بما استدل به أهل السنة[3]، فيقول الشيخ :" ونؤمن بالملائكة لقوله تعالى: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[4]، وقد ذكر الله الملائكة في القرآن في عدد ثمانية وستين مرة بالجمع، وذكره بلفظ : ملك وملائكته في مواضع[5].

ثم يبيّن الشيخ الذكر الإجمالي للملائكة في القرآن، سواء ً بصيغة الجمع أو الإفراد أو التثنية، أو ذكر صفاتهم وما يتعلق بهم بصفة عامة فيقول:" فالملائكة قد ذكروا في القرآن بالإفراد والجمع والتثنية في أكثر من ثمانين موضعاً، فالقرآن مملوء بذكرهم وأصنافهم ومراتبهم فتارة يقرن الله اسمه باسمهم وصلاته بصلاتهم وشهادته بشهادتهم، ويضيفهم إليه في مواضع التشريف وتارة يذكر حفهم بالعرش، وحملهم له ومراتبهم من الدنو وتارة يصفهم بالإكرام والكرم والتقريب والعلو والطهارة والقوة والإخلاص"[6].

أما ما يخص السنة وما ورد فيها من ذكر للملائكة، من جهة بيان صفاتهم ومهامهم، أو ذكر وجوب الإيمان بهم فيقول الشيخ باي:"والسنة طافحة بذكرهم، ولهذا كان الإيمان بالملائكة أحد الأصول الخمسة التي هي أركان الإيمان، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿ **يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم:**

---

[1] تفسير الطبري، ج12، ص 460

[2] عالم الملائكة الأبرار ، عمر سليمان الأشقر، ص 14..

[3] شرح الطحاوية، أبي العز الحنفي، ص 279.. الحبائك في أخبار الملائك، جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، ص 09. اعتقاد أهل السنة أصحاب الحديث، محمد بن عبد الرحمان الخميس، ص 222

[4] البقرة 285

[5] ملتقى الأدلة، محمد باي،، ج1، ص 199

[6] نفس المصدر، ص 181

كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون ﴾[1]، رواه البخاري ومسلم، ولقد أورد البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق عدة أحاديث[2] تتعلق بالملائكة"[3]

المطلب الثالث: الإيمان باليوم الآخر وما فيه:

كثرة أسماء يوم القيامة وتعددت بتعدد ما يكون في ذلك اليوم، كما أن العرب إذا عظمت شيئاً سمته بعدة أسماء، ولذلك كان ليوم القيامة أسماء عديدة منها يوم القيامة ويوم الحساب واليوم الآخر ويوم العرض ويوم المحشر، والحاقة والطامة والواقعة إلى غير ذلك من الأسماء التي جاءت في القرآن أو في السنة أو في غيرهما.

واليوم الآخر مركب من كلمتين: اليوم والآخر، وقد جاء في تعريف اليوم في اللغة ما يلي: يقول ابن فارس: الياء والواو والميم: كلمة واحدة، هي اليوم: الواحد من الأيام، ثم يستعيرونه في الأمر العظيم ويقولون نعم فلان في اليوم إذا نزل[4].

كما جاء في تعريف الآخر ما يلي: الهمزة والخاء والراء أصل واحد إليه ترجع فروعه، وهو خلاف التقدم[5]، وأما اليوم الآخر فقيل له ذلك لأنه آخر أيام الدنيا أو آخر الأزمنة المحدودة[6]

ويعّرف الشيخ باي اليوم الآخر فيقول:" وسمي باليوم الآخر، لأنه آخر الأوقات المحمودة، وقيل لأنه لا ليل بعده، وقيل أنه زمن انقراض الدنيا، وله أسماء عديدة في القرآن مختلفة المعاني بحسب اختلاف أهوالها"[7]

ويوم القيامة يعتبر اسم من بين هاته الأسماء العديدة التي أشار الشيخ باي أنها وردت في تسمية اليوم الآخر وقد جاءت في القرآن الكريم وهي مختلفة المعاني باختلاف أهوالها، والذي يعّرفه الشيخ باي بقوله" وسمي بيوم القيامة، لقيام الناس فيه من قبورهم، وقيامهم بين يدي خالقهم"[8].

---

[1] صحيح البخاري، كتاب"مواقيت الصلاة"، باب" فضل صلاة العصر"، رقم:555، ج 1، ص 115. صحيح مسلم، كتاب" الصلاة"، باب" فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، رقم: 632، ج 01، ص 439.

[2] صحيح البخاري، كتاب"بدء الخلق"، باب" ذكر الملائكة"، رج 04، ص 109.

[3] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج 01، ص 182.

[4] مقاييس اللغة، لابن فارس، ج6، ص 159

[5] نفس المرجع، ج1، ص70.

[6] فتح الباري لابن حجر، ج1، ص 118

[7] زاد السالك، محمد باي، ص 32-33

[8] زاد السالك، محمد باي، ص 32.

وقد جُعل الإيمان باليوم الآخر يكمن في الإيمان والتصديق بما يقع فيه من الحساب والميزان والجنة والنار[1]، ولذلك يقول الشيخ باي:"يجب الإيمان بيوم المآب وما فيه من حساب وعقاب وصراط وميزان وحوض وجنة ونار[2]، كما يقول الشيخ في موضع آخر:"ويجب علينا الإيمان كذلك بالبعث بعد الموت، وتحشر الأجساد والأرواح إلى الله"[3].

و يسوق الشيخ على ذلك أدلة من القرآن والسنة فيقول:

والأدلة على البعث قوله تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾[4]، يقول: فإذا هم مجتمعون لدينا قد أحضروا، فأشهدوا موقف العرض والحساب، لم يتخلف عنه منهم أحد[5].

وقال تعالى:﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾[6]، يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذبين بالبعث يوم يبعثون: هذا يوم الفصل الذي يفصل الله فيه بالحق بين عباده، جمعناكم فيه لموعدكم الذي كنا نعدكم في الدنيا الجمع فيه بينكم وبين سائر من كان قبلكم من الأمم الهالكة، فقد وفينا لكم بذلك[7] وقال تعالى:﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾[8]، يريد يوم القيامة، وقال تعالى:﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾[9]، يقول تعالى ذكره: زعم الذين كفروا بالله أن لن يبعثهم الله إليه من قبورهم بعد مماتهم...قل لهم يا محمد: بلى وربي لتبعثن من قبوركم[10].

---

[1] فتح الباري لابن حجر، ج1، ص118

[2] ملتقى الأدلة، محمد باي،، ج1، ص 190

[3] نفس المصدر، ص 200.

[4] يس51-54

[5] تفسير الطبري، ج19، ص 459

[6] المرسلات 38

[7] تفسير الطبري، ج23، ص 611

[8] الواقعة 49-50

[9] التغابن 07

[10] تفسير الطبري، ج23، ص 9

كما يستشهد الشيخ بقوله تعالى: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾[1]، والتي جاء في تفسيرها أي ليجمعنكم في يوم القيامة[2]، ولا تكاد تخلوا سورة من سور القرآن من التذكير بيوم القيامة أو التلويح له، ذلك لأنه من أركان الإيمان التي لا يصح إيمان عبد إلا إذا أقر به وبما يجيء قيه من أهوال وأعمال.

أما من السنة فيسوق الشيخ عدة أحاديث واردة في صفة يوم القيامة وبعض ما يكون فيها من أحوال الناس وشدة هولها وفزع الناس منها، يقول الشيخ وعن معاذ بن جبل قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم﴿ **يبعث المؤمنون يوم القيامة جرداً مرداً مكحلين بني ثلاثين سنة....**﴾ [3]، رواه احمد بإسناد حسن[4]

وعن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿**يحشر الناس يوم القيامة عراة حفاة" فقالت أم سلمة فقلت: يا رسول الله واسوأتاه، ينظر بعضنا إلى بعض؟ فقال: شغل الناس..فقلت: وما شغلهم؟ قال: نشر الصحائف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل**﴾[5]"[6]، وقال صلى الله عليه وسلم:﴿ **يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً كما خلقوا**﴾[7] .

وكل هاته الآيات والأحاديث التي ساقها الشيخ وغيرها التي لم يسقها دليل من الكتاب السنة على شدة ذلك اليوم وعظم خطره على الناس، ومن ذلك وجب الإيمان به والاستعداد له بالعمل الصالح وعدم إشراك أحد بعبادته سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[8].

وقد ذهب الشيخ باي وكغيره من أهل السنة إلى كفر من نفى لقاء الله واليوم الآخر، وهذا في حديثه عن الفرق التي يكفر أصاحبها بمقولاتهم وغيرها التي لا يكفر أصاحبها وإن خالفوا أهل السنة فيقول:"ومن وحيث قلنا أنه لا يحكم عليهم بالكفر استثنى الناظم من ذلك قوله (سوى نافي اللقا) أي: النظر إليه تعالى أي: إلا من نفى لقاء الله عز وجل وعرض العباد عليه يوم القيامة فاعتقاد هذا عند أهل السنة كفر، وإليه أشار بقوله: سوى نافي اللقا"[9]؛ ويذكر الشيخ باي في

---

[1] الأنعام 12

[2] تفسير القرطبي، ج6، ص 395

[3] مسند الإمام أحمد، كتاب"تتمة مسند الأنصار، حديث"معاذ بن جبل رضى الله عنه"، رقم:22024، ج 36، ص 353. وأورده البيهقي في كتابه"البعث والنشور" في باب" أول من يدخل، وما جاء في صفة أهل الجنة"، رقم: 423، ج 01، ص 246.

[4] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 183

[5] المعجم الأوسط ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسني، (دار الحرمين، القاهرة، ط 01، 1415هـ، 1995م) ج 1، ص 254.

[6] ملتقى الأدلة، محمد باي،، ج1، ص 183

[7] سنن الترمذي ، أبواب"صفة القيامة والرقائق والزهد، باب" ما جاء في شأن الحشر"، رقم 2423، ج 4، ص 193.

[8] الكهف 110

[9] زاد السالك، محمد باي، ص 24

موضع آخر أنه قد انعقد إجماع أهل السنة على ذلك فيقول في حديثه عن وجوب الإيمان بيوم القيامة:" وقد انعقد الإجماع على كفر من كذب بها"[1]، وسنعرض قول الشيخ بالتحليل ومع عرض كلام غيره من العلماء من أهل السنة في المسألة في مبحث التكفير.

[1] زاد السالك، محمد باي، ص 33.

المبحث الثاني: مسألة الشفاعة وقراءة الكتب

المطلب الأول: مسألة الشفاعة:

الشفاعة لغة: جاء في بعض كتب اللغة أن الشفاعة هي : كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره[1]، وقيل هي الانضمام إلى آخر ناصرًا له وسائلاً عنه؛ وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى[2].

الشفاعة اصطلاحاً: هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم[3]، ويعّرفها الشيخ باي فيقول: وهي سؤال الخير للغير[4]، ومن الخير التجاوز عن الذنوب والجرائم كما جاء في التعريف الأول.

ويقسم الشيخ باي الشفاعة إلى أنواع وعلى اعتبارين اثنين، باعتبار ما اتفقت الأمة عليه والإيمان به، والاعتبار الثاني وهو ما خالف فيه بعض الفرق أهل السنة في الإيمان والاعتداد به وأنه حاصل يوم القيامة، يقول الشيخ:"الشفاعة أنواع منها[5]:

- ما هو متفق عليه بين الأئمة
- ما خالف فيه بعض المبتدعين من أهل التطرف.

أولاً: باعتبار ما أُجمع عليه ولم يخالف فيه أحد:

1/ الشفاعة العظمى له صلى الله عليه وسلم:

يبيّن الشيخ النوع الأول من الشفاعة وهو المتفق عليه بين الأئمة ويرى بوجوب الإيمان بها، كما يبيّن الغرض من هاته الشفاعة والمقصود منها يوم القيامة فيقول:" ويجب الإيمان بالشفاعة العظمى وهي شفاعته صلى الله عليه وسلم في فصل القضاء لإراحة الخلق من هول الموقف ومشقته وهي مختصة به صلى الله عليه وسلم وهي المقام المحمود؛ وقد ورد ذكرها في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [6]"[7] .

---

[1] تهذيب اللغة، الهروي، ج1، ص 278.لسان العرب، لابن منظور، ج8، ص184

[2] المفردات في غريب القرآن، أبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، ت مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، (مكتبة نزار مصطفى الباز، د ط، د ت)، ص 346.

[3] النهاية في غريب الحديث والأثر، أبي السعادات مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، (دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط 01، 1421هـ)، ج 2، ص 484.

[4] زاد السالك، محمد باي، ص 31

[5] ملتقى الأدلة، محمد باي،، ج1، ص 184

[6] الأسراء 79.

[7] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص183/ 200.

وذهب أهل السنة إلى أن شفاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – نوع من السمعيات وردت بها الآثار حتى بلغت مبلغ التواتر المعنوي، وانعقدت عليها إجماع أهل الحق من السلف الصالح قبل ظهور المبتدعة، لكن هذه الشفاعة العظمى مجمع عليها لم ينكرها أحد ممن يقول بالحشر، إذ هي للإراحة من طول الوقوف حين يتمنون الانصراف من موقفهم ذلك، ولو إلى النار[1].

يقول الزمخشري[2] في تفسيره "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل" وعند تفسيره لقوله سبحانه وتعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [3]، "وقيل: المراد الشفاعة، ... وعن ابن عباس رضي الله عنهما: مقام يحمدك فيه الأولون والآخرون، وتشرف فيه على جميع الخلائق، تسأل فتعطى، وتشفع فتشفع، ليس أحد إلا تحت لوائك[4].

2/ شفاعته صلى الله عليه وسلم في رفع الدرجات:

ذهب أهل السنة إلى أن من أنواع الشفاعات يوم القيامة شفاعته صلى الله عليه وسلم "في رفع درجات ناس في الجنة، وهذه لا تنكرها المعتزلة "[5]، وقد قال الشيخ باي عن هذا النوع من الشفاعة، أن" شفاعته صلى الله عليه وسلم في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم وقد وافق المعتزلة في هذه دون غيرها"[6]، ونجد أن بعض العلماء ذهبوا إلى ما ذهب إليه الشيخ باي في أن المعتزلة قد وافقت في هذه دون غيرها[7]، ولعلهم يقصدون بذلك مما يكون لأمته صلى الله عليه وسلم من أنواع الشفاعات، لا ما يخص الشفاعة العظمى والذي أثبتنا سابقاً أن المعتزلة تثبتها ولا تنكرها، كما تثبت هاته الشفاعة في رفع الدرجات للمؤمنين في الجنة، وقد جاء في فتح الباري:" أثبتت المعتزلة الشفاعة العامة في الإراحة من كرب الموقف وهي الخاصة بنبينا والشفاعة في رفع الدرجات وأنكرت ما عداهما" [8]

---

[1] لوامع الأنوار البهية، شمس الدين محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي، ج2، ص 208

[2] الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد، العلامةكبير المعتزلة،كان مولده بزمخشر – قرية من عمل خوارزم – في رجب، سنة سبع وستين وأربع مائة. وكان رأسا في البلاغة والعربية والمعاني والبيان، صاحب الكشاف والمفضل، مات ليلة عرفة، سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة. سير أعلام النبلاء، الذهبي ، ج20، ص 151.

[3] الأسراء 79.

[4] تفسير الكشاف، أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، اعتنى به خليل مأمون شيحا، (دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 03، 1430هـ، 2009م) ،ج 2، ص 606.

[5] لوامع الأنوار البهية، شمس الدين محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي، ج2، ص 211

[6] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 184

[7] إثبات الشفاعة ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، ت : إبراهيم باجس عبد المجيد، (أضواء السلف، الرياض ، السعودية، ط 01، 1420 هـ – 2000 م)، ص 22. لوامع الأنوار البهية، شمس الدين محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي، ج2، ص 211.

[8] فتح الباري لابن حجر، ج11، ص 428

يقول القاضي عبد الجبار عن هاته الشفاعة:"وأنه صلى الله عليه وسلم يشفع للمؤمنين والتائبين، فإن قيل: فما الفائدة في شفاعته للمؤمنين وهم من أهل الجنة؟ قيل له: يزيدهم الله بشفاعته رفعة ومنزلة في الجنة، ويكون ذلك كرامة لرسول الله صلى الله عليه وآله، فتلك الفائدة العظيمة"[1]، فالمعتزلة تثبت هذا النوع من الشفاعات لأنها عندهم لا تعارض نصاً من القرآن، فهي ليس كمثيلاتها مما يكون لأمته صلى الله عليه وسلم والتي تنكرها المعتزلة، وسنعرض هاته الشفاعات في الاعتبار الثاني.

ثانياً: باعتبار ما أجمع عليه أهل السنة وخالفهم في ذلك المبتدعة:

ذهب أهل السنة إلى إثبات أنواعاً من الشفاعات تخص أمته صلى الله عليه وسلم سواء ً من الطائعين الذين وجبت لهم الجنة، أو من العاصين الذين وجبت لهم النار، فيشفع لهم ألا يدخلوها، كما يشفع لقوم دخولها بأن يخرجوا منها، وهذه يشاركه فيها صلى الله عليه وسلم غيره من المؤمنين، إضافة إلى شفاعته صلى الله عليه وسلم فيمن استوت سيئاتهم وحسناتهم بأن يدخلوا الجنة، وقوم لا يحاسبون بل يدخلون الجنة بلا حساب، كما تشمل شفاعته صلى الله عليه وسلم غير المؤمن في أن يخفف عنه العذاب، وأخيراً شفاعته صلى الله عليه وسلم للمؤمنين بأن يدخلوا الجنة، وما أجملناه سنفصله في ما يلي:

1 / شفاعته صلى الله عليه وسلم في قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم:

جاء أنه صلى الله عليه وسلم يشفع في أمته لقوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، وقد عرفوا عند" جمهور المفسرين بأصحاب الأعراف"[2]، فعندهم من " استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف[3]، الذين أخبر الله عنهم أنهم يطمعون في دخول الجنة كما قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾[4]، وقد جاء في بعض التفاسير" وهم داخلوها إن شاء الله"[5]، كما جاء في فتح الباري أن"أصحاب الأعراف يدخلونها بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم...وهي الشفاعة فيمن استوت حسناته وسيئاته أن يدخل الجنة"[6].

---

[1] الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، ص 93

[2] الشفاعة في الحديث النبوي، عبد القادر مصطفى عبد الرزاق المحمدي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، 1426هـ، 2005م)، ص 88.

[3] تفسير الطبري، ج12، ص 454

[4] الأعراف 46

[5] تفسير الطبري، ج12، ص 462

[6] فتح الباري لابن حجر، ج11، ص 428

وقد ذهب الشيخ باي إلى ما ذهب إليه أهل السنة في هاته الشفاعة فقال:" من الشفاعة شفاعته صلى الله عليه وسلم في قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة"[1].

2/ شفاعته صلى الله عليه وسلم في قوم أُمر بهم إلى النار:

وهاته الشفاعة تكون من صلى الله عليه وسلم لمن غلبت سيئاتهم حسناتهم، فيُأمر بهم إلى النار، وبشفاعته صلى الله عليه وسلم ينجون منها ويدخلون الجنة؛ وقد أثبت هاته الشفاعة أهل السنة وأنكرتها المعتزلة، يقول في ذلك الإمام الذهبي:" شفاعته في قوم استوجبوا دخول النار بذنوبهم، فيشفع فيهم، فلا يدخلون النار ويدخلون الجنة"[2]، وتقول المعتزلة في ذلك "أن الفاسق لا شفاعة له"[3]، ويستدلون على ذلك من القرآن بقوله سبحانه وتعالى:﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾[4]، وقوله تعالى:﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾[5]، وبذلك يردون الأحاديث الصحيحة الواردة في هاته الشفاعة والتي يرون أنه غير مقطوع بصحتها، "فلا يجوز أن نترك ظاهر كتاب الله عز وجل بخبر لا نقطع بصحته"[6]

وقد وافق الشيخ باي أهل السنة في إثبات هاته الشفاعة منه صلى الله عليه وسلم لمن استحق النار من أمته أن يدخل الجنة فقال:" شفاعته صلى الله عليه وسلم في... آخرين قد أمر بهم إلى النار لا يدخلونها[7]".

3/ شفاعته صلى الله عليه وسلم في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب:

جاء في فتح الباري أن "الشفاعة خمس: ... وفي إدخال قوم الجنة بغير حساب[8]، كما أورد الذهبي أن ذلك يكون منه صلى الله عليه وسلم بشفاعته إذ يسجد ويحمد ربه، ثم يقول: ﴿**أمتي. فيقول الله له: أدخل من أمتك من لا حساب عليه الجنة من الباب الأيمن**﴾[9]"[10].

ويسمي الشيخ هاته الشفاعة با"الشفاعة العظمى" من باب الخطأ الذي سنبينه فيقول:" فالشفاعة العظمى خاصة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليست لغيو من النبيين والمرسلين فضلاً عن غيرهم؛ وهي المذكورة في الأحاديث الصحيحة

---

[1] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج 01، ص 184

[2] إثبات الشفاعة للذهبي، ص 21

[3] الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، ص 93

[4] البقرة 27

[5] غافر 18

[6] الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، ص94

[7] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج 01، ص 184

[8] فتح الباري لابن حجر، ج11، ص 428

[9] صحيح البخاري، كتاب"تفسير القرآن "، باب"ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً"، رقم 4712، ج 06، ص 84.

[10] إثبات الشفاعة للذهبي، ص 21

مثل البخاري ومسلم وغيرهما، منها: قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الطويل:﴿ ...**فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي عز وجل، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا، لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه، واشفع تشفع فأرفع رأسي، فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب، أمتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة، كما بين مكة وحمير – أو كما بين مكة وبصرى**﴾[1]"[2]، فالشيخ باي في إيراده لهاته الشفاعة يقصد بكلامه ما يكون منه صلى الله عليه وسلم من فضل على جميع الخلق في مجيئه سبحانه وتعالى لفصل القضاء، بدليل جعلها أول أنواع الشفاعة وهي مستقلة عن ما نحن بصدده من الشفاعة في الدخول إلى الجنة بغير حساب لبعض أمته صلى الله عليه وسلم، وإنما أوردناها من جهة الاستشهاد بالدليل فقط.

كما أن الشيخ أعاد ذكر هاته الشفاعة ليتبين أن مقصوده من الشفاعة العظمى ما قلناه وذهبنا إليه، كما أنه لم يذكر في موضع آخر شفاعته صلى الله عليه وسلم في جميع الخلق، فتبيّن من ذلك أن مقصوده شفاعة المقام المحمود، وإن كان الحديث الذي ساقه للاستشهاد به عليها يصلح لما نحن فيه من أنواع الشفاعات، والتي قال عنها أنها تكون" في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب مثل عكاشة بن محصن[3] والسبعين الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وذلك الحديث[4]دليل على هذه الشفاعة"[5]، وهاته العبارة الأخيرة تصحح ما كان من الشيخ من خطأ في الاستشهاد بالحديث على الشفاعة العظمى، وتبيّن أنه يصلح للاستشهاد على هاته الشفاعة.

---

[1] صحيح البخاري، كتاب" تفسير القرآن "، باب"ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً"، رقم 4712، ج 6، ص 85. وأخرجه الأمام أحمد في مسنده" "مسند المكثرين من الصحابة"، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، رقم 9623، ج 15، ص 387. كما أخرجه أبو نعيم في المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، ت محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، (دار الكتب العلمية ، بيروت، ط 01، 1417هـ - 1996م)، ج 01، ص 269.

[2] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 184.

[3] السعيد الشهيد، أبو محصن الأسدي، حليف قريش، من السابقين الأولين، البدريين، أهل الجنة، توفي رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وعكاشة ابن أربع وأربعين سنة، وكان من أجمل الرجال –رضي الله عنه– والصحيح أن مقتله كان في سنة إحدى عشرة، قتله طليحة الأسدي الذي ارتد ثم أسلم بعد، وحسن إسلامه. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 1، ص 307.

[4] ويقصد الشيخ الحديث السابق والذي أخرجه البخاري في صحيحه

[5] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 184

4/ شفاعته صلى الله عليه وسلم في تخفيف العذاب:

وهي شفاعته في بعض أهل النار حتى يخفف من عذابه كما في الصحيح من حديث أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر عمه أبا طالب، فقال: ﴿**لعله تنفعه شفاعتي، فيجعل في ضحضاح[1] من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه**"[2]، **وفي حديث العباس، قال: يا رسول الله، إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك، فهل نفعه ذلك؟ قال: "نعم. وجدته في غمرات النار، فأخرجته إلى ضحضاح**﴾"[3][4].

ويرى الشيخ باي بثبوت هاته الشفاعة من صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب وينقل للقرطبي من كتابه "التذكرة"كلاماً في ذالك وفيه إجابة على إشكالية تعارض هاته الشفاعة مع قوله تعالى عن غير الموحدين: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾[5] فيقول:"الشفاعة في تخفيف العذاب على من يستحقه مثل عمه أبي طالب، قال القرطبي في التذكرة[6] بعد ذكر هذا النوع : فما تنفعهم شفاعة الشافعين؟ قيل لا تنفعهم في الخروج من النار كما تنفع عصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة[7].

5/ شفاعته صلى الله عليه وسلم في الإذن للمؤمنين بالدخول إلى الجنة:

وهي شفاعته في دخول سائر أهل الجنة الجنة، كما أخرجه مسلم من طريق أنس"[8]، وقد اعتمد الشيخ باي هذا الدليل في إثبات هاته الشفاعة له صلى الله عليه وسلم لمن وجبت له الجنة من أمته أن يفتح الله لهم أبوابها بعد أن يستفتح

---

[1] قوله في ضحضاح من نار بفتح الضاد أي شيء قليل كضحضاح الماء وهو ما يبقى منه على وجه الأرض . مشارق الأنوار على صحاح الآثار، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، (المكتبة العتيقة، تونس، ودار التراث ، القاهرة،د ط، 1978م)، ج 2، ص 55. غريب الحديث، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت عبد المعطي أمين القعلجي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، 1402هـ، 1985م)، ج 2، ص 6.

[2] صحيح البخاري، كتاب"مناقب الأنصار"، باب" قصة أبي طالب"، رقم 3885، ج 05، ص52. وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب"الإيمان"، باب" شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه"، رقم210، ج1، ص195.

[3] ويقصد الشيخ الحديث السابق والذي أخرجه البخاري في صحيحه

[4] إثبات الشفاعة للذهبي، ص 21

[5] المدثر 48.

[6] التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، ت الصادق بن محمد بن إبراهيم، (مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط 01، 1425 هـ)، ص 608.

[7] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج 01، ص 185.

[8] إثبات الشفاعة للذهبي، ص 21

صلى الله عليه وسلم فيفتح له، يقول الشيخ:" شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة، كما قال صلى الله عليه وسلم﴿ **أنا أول شافع...**﴾[1] كما في صحيح مسلم"[2]

6/ شفاعته صلى الله عليه وسلم وغيره في أهل الكبائر:

وقد ذهب أهل السنة في الاستشهاد على هاته الشفاعة إلى بعض أدلة المعتزلة، والتي رأت فيها المعتزلة دليلاً على منع هاته الشفاعة، فقد جاء في الأصول الخمسة من هاته الأدلة قوله تعالى:﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [3] كدليل على المنع[4] ، ويرى أهل السنة في هاته الآية وغيرها من الآيات المشابهة لها وعند مقارنتها بآيات القرآن الدالة على عدم انتفاع الكفار بشفاعة الشافعين دليل على انتفاع غيرهم من المؤمنين بالشفاعة، يقول الإمام الذهبي: "قال الله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[5] ، وقال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [6] وقال:﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾[7] ، وقال في حق الكفار:﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [8] ، فمفهوم أن غير الكفار تنفعهم شفاعة الشافعين"[9].

وقد أثبت ذلك الشيخ باي وذهب إلى ذهب إليه أهل السنة وأجمعوا عليه في شفاعته صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر أمته بعد أن يُعذبوا في النار بقدر جرمهم، ثم يخرجهم الله سبحانه وتعالى سواءً بشفاعته صلى الله أو بشفاعته غيره من المؤمنين والملائكة والنبيون، يخرجهم إلى رحمته سبحانه وتعالى وذلك بفضله عليهم، يقول الشيخ باي عن النبي صلى الله عليه وسلم:" شفاعته في أهل الكبائر من أمته في من دخل النار فيخرجون منها.....فهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون كما في حديث :﴿ **أن الرجل من أمتي ليشفع في مثل ربيعة ومضر**﴾[10]،وقد جاء في

---

[1] الحديث أخرجه مسلم في صحيحه قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، وإسحاق بن إبراهيم، قال قتيبة: حدثنا جرير، عن المختار بن فلفل، عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿**أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا**﴾، كتاب"الإيمان "، باب" في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا"، رقم 196، ج 1، ص 188.

[2] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج01، ص 185.

[3] الأنبياء 28.

[4] الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار، ص 93.

[5] البقرة 255.

[6] الأنبياء 28.

[7] سبأ 23.

[8] المدثر 48.

[9] إثبات الشفاعة للذهبي، ص 20

[10] لم أقف على الحديث بهذا اللفظ، وإنما الذي وقفت عليه قوله صلى الله عليه وسلم :﴿ **إن الرجل من أمتي ليدخل الجنة، فيشفع لأكثر من مضر...**﴾ باب "الحاء"، حديث"الحارث بن أقيس العكلي"، رقم 3361، المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت : حمدي بن عبد المجيد السلفي، (مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط 02، د ت)، ج 03، ص 265. وجاء في المستدرك قوله صلى الله عليه وسلم:﴿ **إن الرجل من أمتي ليدخل الجنة، فيشفع لأكثر من مضر**﴾، كتاب "الإيمان"، حديث "الأشعث بن جابر"، رقم 239. المستدرك على الصحيحين للحاكم ، ج1، ص 143.

الحديث: ﴿ **شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي** ﴾[1] رواه الإمام أحمد"[2]، ويرجع الشيخ باي نكران المعتزلة لهاته الشفاعة إلى جهلهم بصحة الحديث وعناداً منهم فقال:"وقد أنكر هذه الشفاعة المعتزلة جهلاً منهم بصحةالأحاديث وعناداً "[3].

و يعتقد أهل السنة كما أسلفنا أن الله سبحانه وتعالى يُشَفِّع يوم القيامة العباد والأعمال في خلقه، فأما العباد فبأعمالهم الحسنة عند الله سبحانه وتعالى، وأما الأعمال فلمكانتها عند الله سبحانه وتعالى،وبما نال العباد من تلك الأعمال تكون شافعة لأصحابها يوم القيامة وسبباً لشفاعتهم لغيرهم، "والحاصل أن للناس شفاعات بقدر أعمالهم، وعلو مراتبهم وقربهم من الله تعالى، والقرآن يشفع لأهله، والحجر الأسود يشفع لمستلمه، ولكن لا يشفعون ﴿إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾[4]"[5] .

ويبيّن الشيخ باي أن كل تلك الشفاعات لا تكون إلا كما قال القرآن وجاء به، أنها بعد إذنه سبحانه وتعالى ورضاه على المُشَفّعِ والمـ ُشفعِ فيه، يقول:" وكل شفاعة لا تكون إلا بإذن الله قال تعالى:﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾[6] ،وقال سبحانه ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴿١٠٩﴾﴾[7]، وقال أيضاً:﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾[8]"[9].

المطلب الثاني: قراءة الكتب[10]:

يتكلم الشيخ باي عن ما يكون يوم القيامة من قراءة العباد لصحائفهم وأعمالهم التي نُسخت فيها، فلم تغادر الملائكة منها صغيراً ولا كبيراً كما قال تعالى حاكياً عن الكفار يومئذ:﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾﴾[11]، يقول عز ذكره: ووضع الله يومئذ كتاب أعمال عباده في أيديهم، فأخذ واحد بيمينه وأخذ واحد بشماله"[12]

---

[1] مسند الإمام أحمد، "مسند المكثرين من الصحابة"، "مسند أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه"، رقم 13222، ج 20، ص 439. وصححه الحاكم في مستدركه، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ. المستدرك على الصحيحين للحاكم، ج 1، ص 139.

[2] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج 01، ص 185

[3] نفس المصدر والصفحة

[4] الأنبياء 28

[5] لوامع الأنوار البهية، شمس الدين محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي، ج2، ص 211

[6] البقرة 255.

[7] طه 109.

[8] النجم 26

[9] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج 01، ص 185

[10] نفس المصدر، ص70

[11] الكهف 49

[12] تفسير الطبري، ج15، ص 283

كما يبيّن الشيخ تفاصيل ما يكون في قراءة الناس لكتبهم، فيذكر من استثناهم الله من ذلك فيقول:"إن العباد كلهم يأخذون صحائف أعمالهم إلا الملائكة والأنبياء والسبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب"[1] ، وقد جاء في كتاب" الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني " ما يؤيد هذا الكلام من الشيخ؛ في أن الملائكة والأنبياء والسبعين ألف لا يأخذون صحائفهم، فيقول في التنبيه على قوله"مما يجب الإيمان به أن المكلفين الذين أراد الله حسابهم"، قال: "إنما قلنا: الذين أراد الله حسابهم لإخراج الذين يدخلون الجنة بغير حساب، فإنهم لا يأخذون صحفا وكذا الملائكة والأنبياء"[2]

ثم يبيّن الشيخ معنى الكتب وأول من أخذ كتابه بيمينه، وأول من يأخذه بشماله فيقول:"المراد بالكتاب الصحف التي تكتب فيها الملائكة أعمال بني آدم التي عملوها في الدنيا، وأول من يأخذ كتابه بيمينه عمر بن الخطاب وبعده أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد، وأول من يأخذ كتابه بشماله الأسود بن عبد الأسد"[3] .

وقد جاء في تفسير القرطبي لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾[4]، "أول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الأمة عمر بن الخطاب"[5]، كما جاءت الإشارة في التفسير نفسه وعند قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧﴾[6] إلى ثاني من يأخذ كتابه بيمينه، ولذلك يقال عن هاته الآية الأخيرة "إنها نزلت في أبي سلمة ابن عبد الأسد"[7]

كما جاء في كتاب "الأوائل" لابن أبي عاصم[8] أن " أول من يعطى كتابه بيمينه أبو سلمة بن عبد الأسد قال: وهو الذي يقول:"هاؤم اقرءوا كتابيه"، قال: وكان ابن عباس يقرؤها: "كل واشرب يا أبا سلمة بما أسلفت في الأيام الخالية"، وأما الذي يعطى كتابه بشماله فأول من يعطاه فأخوه سفيان بن عبد الأسد"[9]

وقد جُمع القولين السابقين في كتاب" الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني" فقال:" أول من يعطى كتابه بيمينه مطلقا وله شعاع كشعاع الشمس عمر بن الخطاب، وقيل عند ذلك يا رسول الله فأبو بكر؟ قال: هيهات زفت به

---

[1] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 188

[2] الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1418هـ، 1998م)، ج 1، ص 141.

[3] ملتقى الأدلة، محمد باي،، ج1، ص 188

[4] الحاقة 19

[5] تفسير القرطبي، ج18، ص 269

[6] الانشقاق 07

[7] تفسير القرطبي، ج19، ص 272

[8] أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني من أهل البصرة ولد في شوال سنة ست ومائتين، ومات سنة سبع وثمانين ليلة الثلاثاء لخمس خلون من ربيع الآخر. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج10، ص 460

[9] الأوائل ، أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، ت محمد بن ناصر العجمي، (دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، د ط، د ت، د بلد)، ص 82.

الملائكة إلى الجنة كما في الحديث، وبعده أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد وهو أول من هاجر من مكة إلى المدينة، وأول من يأخذ كتابه بشماله أخوه الأسود بن عبد الأسد"[1]

ويتعرض الشيخ للاختلاف الواقع في كيفية القراءة، وحال المؤمن والكافر عند ذلك فيقول:"وقيل أن القراءة حقيقة،وقيل مجازية عبر بها عن علم كل أحد بما له وما عليه، ويقرأ كل احد كتابه، ولو كان أمياً، وقيل يقرأ المؤمن سيئات نفسه ويقرأ الناس حسناته حتى يقولوا: ما لهذا العبد سيئة ! ويقول ما لي حسنة ! وأول سطر من صحيفة المؤمن أبيض فإذا قرأه أبيض وجهه، والكافر ضد ذلك، وورد أن الريح تطير بالصحف من خزانة تحت العرش فلا تخطئ صحيفة عنق صاحبها"[2].

يقول صاحب كتاب"الفواكه الدواني" في ذلك:" ظواهر النصوص أن القراءة حقيقية وقيل مجازية عبر بها عن علم كل أحد بما له وما عليه، ولفظ الحسن البصري يقرأ كل إنسان كتابه أميا كان أو غيره"[3]، كما جاء في تفسير الطبري:" سيقرأ يومئذ من لم يكن قارئا في الدنيا"[4]

ويستدل الشيخ على الإيمان بالكتب ومناولتها للخلق يوم القيامة من الكتاب والسنة فيقول:" والدليل على قراءة الكتب من القرآن، قوله تعالى:﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾﴾[5]، وقوله تعالى:﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ [6]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾﴾ [7]، وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ **ليس أحد يحاسب يوم القيامة** ....﴾[8] يعني أنه لو ناقش حساب عبيده لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولكنه تعالى يعفو ويصفح"[9]

---

[1] الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ج01، ص 141.

[2] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص188

[3] الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ج1، ص 90

[4] تفسير الطبري، ج14، ص 525

[5] الإسراء 71

[6] الحاقة 19.

[7] الانشقاق 07.

[8] الحديث أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿**ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك، فقلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى: "فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا"، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب**﴾ صحيح البخاري، كتاب"الرقائق"، باب"من نوقش الحساب عذب"، رقم 6537، ج 8، ص 112.

[9] ملتقى الأدلة، محمد باي،، ج1، ص 189

المبحث الثالث: مسألة الجنة والنار والميزان والصراط والحوض والرؤية

المطلب الأول: مسألة الجنة والنار:

إن مما أجمع عليه المسلمون ومنهم أهل السنة، والجماعة الإيمان بالجنة والنار، فهو عندهم أحد أركان الإيمان الذي لا يصح إيمان العبد إلا بالإيمان بهما، فقد جاء في شرح العقيدة الطحاوية" فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن"[1]، وهذا ردٌ من أهل السنة على من أنكر وجودهما الآن وهم بعض المعتزلة الذين احتجوا بحجج واهية[2]

وإلى وجوب الإيمان بالجنة والنار يذهب الشيخ باي فيقول:" ومما يجب الإيمان به قوله والنار: وهي موجودة الآن، واختلف في مكان وجودها، فقيل تحت الأرض السفلى، وقيل لا يعلم مكانها إلا الله....والجنة .."[3]، كما يوجب الشيخ الإيمان بصفتهما وبما أعده الله فيهما من النعيم والعذاب فيقول: " والنار والجنة، أي : وجودهما وصفتهما وما أعده الله تعالى فيهما من النعيم والعذاب"[4]

أما الدليل على وجودهما، فيسوق الشيخ الدليل من الكتاب والسنة فيقول عن النار "والدليل على وجودها من القرآن والحديث كثيرة، منها قوله تعالى:﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾[5]، وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المروي في الصحيحين وغيرهما:﴿**واطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء**﴾[6]"[7]

ويقول في موضع آخر:" والنار أعدها الله للكافرين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾[8]، فهي للكافرين ولمن شاء من العصاة لمدة أرادها ويخرجون منها إن كان في قلوبهم مثقال ذرة من الإيمان وذلك بمحض عدله إن عذب وبمحض فضله إن رحم[9].

---

[1] شرح الطحاوية، أبي العز الحنفي، ص 420

[2] شرح المقاصد، مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين التفتازاني، ت: عبد الرحمن عميرة، (عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت، ط 02، 1419هـ، 1998م)، ج 05، ص 108.

[3] زاد السالك، محمد باي، ص 42

[4] السبائك الإبريزية، محمد باي، ص، 16

[5] غافر 46

[6] جاء في صحيحي البخاري ومسلم قوله صلى الله عليه وسلم:" اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء" صحيح البخاري، كتاب"بدء الخلق"، باب" ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة"، رقم: 3241، ج 4، ص117. صحيح مسلم، كتاب"الرقائق"، باب" أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، وبيان فتنة بالنساء"، رقم:2737، ج 04، ص 2096.

[7] السبائك الإبريزية، محمد باي، ص، 17

[8] التحريم 06

[9] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص189

ويتعرض لتفاصيل النار وما ورد في طبقاتها ووقودها وشدة حرها وما جعل فيها فيقول:"ولها سبع طبقات: أعلاها جهنم، وتحتها لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية، وحرها هواء محرق، ولا جمر لها سوى بني آدم والحجارة المتخذة آلهة من دون الله...أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم ألف سنة حتى أحمرت، ثم ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة[1]، لها تغيظ وزفير، وفيها عقارب وحيات أعاذنا الله بمنه منها"[2]

وقول الشيخ لها تغيظ وزفير، فهو من قوله تعالى عن النار تفسير ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾[3]، وقوله تعالى ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾[4]

ويعرف الجنة بأنها" دار الثواب أعدها الله للمؤمنين من عباده خالدين فيها أبدا بمحض فضله فيها ما تشتهيه الأنفس وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر...والموكل بالجنة رضوان[5]

كما يذكر الدليل على وجود الجنة من الكتاب والسنة فيقول:" والدليل على وجود الجنة الآن قوله صلى الله عليه وسلم:﴿ **عرضت علي الجنة فتناولت منها عنقوداً ، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا**﴾[6]، وقوله تعالى ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[7]

ويتحدث عن الجنة وتفاصيل ما ورد فيها ودرجاتها ولاختلاف الذي وقع في عددها فيقول:"وهي سبع جنات متجاورات، أفضلها وأوسطها الفردوس وهي أعلاها؛ وفوقها عرش الرحمان ومنها تتفجر أنهار الجنة، وجنة عدن، وجنة الخلد، وجنة النعيم، وجنة المأوى، ودار السلام، ودار الجلال، وذهب الجمهور إلى أنها أربعة آخذاً بظاهر قوله تعالى:﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾[8] ثم قال:﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾[9]، أي : جنة عدن وجنة الفردوس أي من دون جنة النعيم وجنة

---

[1] الحديث أخرجه الترمذي في سننه عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ﴿**أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة**﴾. سنن الترمذي، "أبواب صفة جهنم"، باب"ما جاء أن ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم"، رقم: 2591، ج 4، ص 291.

[2] زاد السالك، محمد باي، ص 42

[3] الفرقان 12

[4] الملك 7- 8

[5] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 189

[6] لم أجد الحديث بهذا اللفظ، وإنما للبخاري ومسلم نحو، قال صلى عليه وسلم: "إني أريت الجنة، فتناولت منها عنقودا، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا" صحيح البخاري، كتاب"الآذان"، باب" رفع البصر غلى الإمام في الصلاة"، رقم 748، ج 1، ص 150. صحيح مسلم: كتاب"الكسوف"، باب" ما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار"، رقم:907، ج 02، ص 626.

[7] آل عمران 133

[8] الرحمن 46

[9] الرحمن 62

المأوى، وقيل واحدة والأسماء والصفات جارية عليها لتحقق معانيها فيها كلها"[1]، وفي موضع آخر يقول"وإنما التعدد في الاسم لشرفها[2].

المطلب الثاني: الميزان:

جاء في اللغة أن الميزان: الآلة التي توزن بها الأشياء والسنجة من الحجارة والحديد ونحوها والمقدار يقال: اعرف لكل امرئ ميزانه والعدل[3].

كما جاء في الشرع تعريف الميزان على أنه : ميزان حقيقي له لسان وكفتان توزن به السيئات والحسنات[4]

ويقول الشيخ باي عنه:"ونمسك عن تعيين حقيقته"[5]، ويريد بذلك الإمساك عن وصفه بما لم ترد به النصوص وتصح، لأنه وفي موضع آخر يصفه بما جاء به القرآن والسنة فيقول:"والميزان له قصبة وعمود وكفتان، كل واحدة منهما أوسع من طباق السماوات والارض، وجبريل آخذ بعموده ناظراً إلى لسانه، ميكائيل أمين عليه[6]"، ومحله بعد الحساب، وخفة الوزن وثقله على صورته في الدنيا، وقيل العكس، الثقيل يصعد والخفيف ينزل إلى أسفل لقوله تعالى:﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾[7]"[8]، والوزن يكون تابعاً للحساب، فمن حوسب وزنت أعماله، ومن لا فلا"[9]

وقول الشيخ أن محل الميزان بعد الحساب، فإن ذلك مما اعتقده أئمة المسلمين وترجموا ذلك في ترتيبهم وذكرهم للميزان بعد الحساب، وهذا في عرضهم للسمعيات، حتى علق العلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي على ترتيب الإمام الغزالي للسمعيات ووضعه الحديث عن الميزان بعد حديثه عن الحساب فقال عن ذلك الترتيب" ولما فرغ المصنف عن ذكر الموقف والحساب ذكر الميزان، لأن وزن الأعمال يكون بعد انقضاء الحساب، إذ الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بجنسها"[10]

---

[1] زاد السالك، محمد باي، ص 42

[2] ملتقى الأدلة، محمد باي،، ج1، ص 189

[3] المعجم الوسيط، ج2، ص1030

[4] لوامع الأنوار البهية، السفاريني، ج 02، ص 185.

[5] فتح الجواد، محمد باي، ص 144.

[6] السبائك الإبريزية، محمد باي، ص 16.

[7] فاطر 10

[8] زاد السالك، محمد باي، ص 38

[9] نفس الصدر، ص 42

[10] دراسة في السمعيات، محمد عقيل بن علي المهدلي، ص 83.

وأما اعتباره لثقل الوزن وخفته أنه على صورته في الدنيا فهو الصحيح، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم:﴿ **ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة**﴾[2]

وقال عن ما يوزن يوم القيامة في الميزان، أهي الكتب والصحائف، أم هي صورة الأعمال، أو هي أجساماً على حسب الأعمال؛ فذكر أن العلماء قد اختلفوا في ذلك، وقد "ذهب الجمهور بأن الموزون الكتب التي اشتملت على أعلى العباد بناء ً على أن الحسنات مميزة بكتاب، والسيئات بكتاب آخر، وذهب بعضهم إلى أن الموزون أعيان الأعمال، فتصور الأعمال الصالحة بصورة حسنة نورانية، ثم تطرح في كفة النور، وهي اليمنى المعدة للحسنات فتثقل بفضل الله سبحانه، وتصور الأعمال السيئة بصورة قبيحة ظلمانية، ثم تطرح في كفة الظلمة، وهي اليسرى المعدة للسيئات، فتخف هذه بالنسبة للمؤمن، وأما الكافر فهو على العكس"[3]

وزاد الشيخ في موضع آخر بيان كيفية الوزن للأعمال في الميزان يوم القيامة والأقوال الواردة في ذلك فقال:"أن الأعمال توزن فتصور الأعمال الصالحة بصورة حسنة نورانية ثم تطرح في كفة النور وهي اليمنى المعدة للحسنات فتثقل بفضل الله وتعالى، وتصور الأعمال السيئة بصورة قبيحة ظلمانية ثم تطرح في كفة الظلمة وهي الشمال المعدة للسيئات فتخف بعدل الله سبحانه وتعالى، ولا يمتنع قلب الحقائق خقاً للعادة، وقيل يخلق الله أجساماً على عدد تلك الأعمال من غير قلب لها[4]

وقد رجح الإمام القرطبي في هذه المسألة الرأي الأول والذي ذهب إليه الشيخ وقال بأنه رأي الجمهور، وهذا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾[5]، يقول:" والمراد بالوزن وزن أعمال العباد بالميزان، قال ابن عمر: توزن صحائف أعمال العباد. وهذا هو الصحيح، وهو الذي ورد به الخبر"[6]، إلى أن يقول:" ومن المتكلمين من يقول: إن الله تعالى يقلب الأعراض أجساما فيزنها يوم القيامة. وهذا ليس بصحيح عندنا، والصحيح أن الموازين تثقل بالكتب التي فيها الأعمال مكتوبة، وبها تخف"[7].

---

[1] الأعراف 8-9

[2] رواه الترمذي في سننه في كتاب"البر والصلة"، باب "ما جاء في حسن الخلق"، رقم 2003، ج 03، ص 431.

[3] فتح الجواد، محمد باي، ص 144.

[4] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج01، ص 191.

[5] الأعراف 8-9

[6] تفسير القرطبي، ج7، ص 164

[7] نفس المرجع، ج07، ص 165

ثم يتعرض الشيخ باي لمسألة وزن أعمال الكفار من عدمها، ويرجح القول بثبوتها، كما يبيّن الالتباس الحاصل من عدم فهم بعض آيات القرآن التي توحي بعدم وزن أعمال الكفار فيقول:"والحق أن الكفار توزن أعمالهم السيئة غير الكفر، وأما قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾[1] فمعناه نافعاً بحيث ينجيهم من الخلود في النار"[2].

ويؤيد الإمام الطبري هذا القول، وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾[3]، فيقول في ذلك:" يقول تعالى ذكره: فلا نجعل لهم ثقلا، وإنما عنى بذلك: أنهم لا تثقل بهم موازينهم، لأن الموازين إنما تثقل بالأعمال الصالحة، وليس لهؤلاء شيء من الأعمال الصالحة، فتثقل به موازينهم[4].

ولتلك النصوص والأقوال التي سقناه يرى الشيخ باي بوجوب الإيمان بالميزان للأدلة الواردة فيه من الكتاب بصريح القرآن، كما أن أحاديثه من السنة قد بلغت مبلغ التواتر، يقول في ذلك بعد أن يسوق مجموعة من الآيات الدالة على ذلك:"وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر؛ فيجب الإيمان به"[5]

ويسوق الشيخ باي أدلة من القرآن والسنة على نصب الله سبحانه وتعالى للميزان يوم القيامة لوزن أعمال العباد وإقامة الحجة عليهم، وبيان تمام عدله سبحانه وتعالى مع الكفار، وتمام فضله مع المؤمنين فيقول:"وأدلة الميزان قوله تعالى:﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[6]، وعن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿**يوضع الميزان يوم القيامة فتوزن الحسنات....**﴾"[7][8]

ويذكر الشيخ أن الميزان يوم القيامة واحد، وإن جاءت الآيات بذكره بصيغة الجمع، وإنما ذلك كما يقول الشيخ للتعظيم، فيقول:"الجمع في الآيات للتعظيم بناءً على الراجح من أن ميزان واحد"[9]

---

[1] الكهف 105

[2] زاد السالك، محمد باي، ص 42

[3] الكهف 105

[4] تفسير الطبري، ج18، ص 129

[5] فتح الجواد، محمد باي، ص 144.

[6] الأنبياء 47

[7] الحديث" يوضع الميزان يوم القيامة، فتوزن الحسنات والسيئات، فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال حبة دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال حبة دخل النار ". منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، ت: بشير محمد عيون، (مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف – المملكة العربية السعودية، د ط، 1410 هـ – 1990 م)، ج 5، ص382.

[8] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج01، ص 191

[9] فتح الجواد، محمد باي، ص 144.

ويختم الشيخ باي حديثه عن الميزان بذكره فوائد الإيمان بالوزن، وما يعود به على صاحبه بالنفع في الدنيا والآخرة فيقول:"ومن فوائد الوزن : امتحان العباد بالإيمان بالغيب في الدنيا، وذلك علامة لأهل السعادة والشقاوة، وتعريف للعباد ما لهم من الجزاء على الخير والشر وإقامة الحجة عليهم[1].

المطلب الثالث: الصراط

جاء في اللغة أن الصِّراط: الطريق[2]، وجاء بالسين فقيل:" والسراط الطريق ويبدل من السين صاد فيقال صراط[3]، ويعرفه الشيخ لغة فيقول:"الصراط وهو لغة الطريق الواضح"[4]

ويراد بالصراط في السمعيات الجسر الممدود على متن جهنم، أرق من الشعرة وأحد من السيف"[5]، يقول الشيخ باي عنه: وشرعا[6]:"هو جسر ممدود على متن جهنم، يمر عليه الأولون والآخرون ذاهبين إلى الجنة، لأن جهنم بين الموقف والجنة، والجسر بكسر الجيم وفتحها، ما يعبر عليه كالقنطرة، ويمر عليه النبيون والصديقون ومن يدخل الجنة بغير حساب، ولا يتكلم أحد إلا النبيون فيقولون: اللهم سلم سلم كما في الحديث الصحيح[7] "[8].

ويقول في مواضع أخرى"وهو طريق يوضع على ظهر جهنم يمر عليه الأولون والآخرون بعد انصرافهم من الموقف وتثبت عليهم أقدام الطائعين المؤمنين، ويمر عليه أهل الجنة فمنهم من يمر عليه كلمحة البصر، ومنهم من يمر عليه كالبرق، ومنهم من يمر عليه كالجواد، ومنهم من يمر عليه بطيء السير، وذلك كله على حسب أعمالهم، وتزل أقدام الكافرين والعصاة من المؤمنين فيقعون في النار"[9]، طوله ثلاثة آلاف سنة، ألف صعود وألف هبوط وألف استواء"[10]

---

[1] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج01، ص 191.

[2] شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، ج6، ص 3719. تاج العروس، الزبيدي، ج19، ص 437. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج 1، ص 274

[3] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير،أبو العباس أحمد بن محمد الفيومي، ت عبد العظيم الشناوي،(دار المعارف، القاهرة، ط 02، د ت)، ج 1، ص 274.

[4] زاد السالك، محمد باي، ص 39

[5] قواعد العقائد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ت : موسى محمد علي، (عالم الكتب – لبنان، ط 02، 1405هـ - 1985م)، ص 223.

[6] زاد السالك، محمد باي، ص 39

[7] والحديث نصه طويل أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:".... ويضرب جسر جهنم " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ **فأكون أول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم** ...﴾. صحيح البخاري، كتاب"الرقائق"، باب" الصراط جسر جهنم"، رقم 6573، ج 8، ص 118. صحيح مسلم، كتاب"الإيمان"، باب" معرفة طريق الرؤية"، رقم: 182، ج 01، ص 163.

[8] فتح الجواد، محمد باي، ص 143.

[9] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج 01، ص 191.

[10] زاد السالك، محمد باي، ص 39.

ويستدل الشيخ على الصراط من الكتاب والسنة فيقول:" وأدلة الجسر الذي هو فوق جهنم، قوله تعالى﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [1] وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [2]، وفي الحديث: ﴿ **يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجوز**..... ﴾ [3] رواه مسلم"[4].

ويضيف الشيخ عن الصراط فيقول:"وفي الصراط طاقات، كل طاقة تنفذ إلى طبقة من طبقات جهنم، وفي حافتيه كلاليب معلقة مأمورة بأن تأخذ من أمرت به، وجبريل في أوله، وميكائيل في وسطه يسألان الناس عن عمرهم فيما أفنوه، وعن شبابهم فيما أبلوه، وعن عملهم ماذا علموا به"[5].

وقد جاء في كتاب "لوامع الأنوار البهية": " أن الصراط مسيرة خمسة عشر ألف سنة، خمسة آلاف صعود، وخمسة آلاف هبوط، وخمسة آلاف مستو، أدق من الشعرة، وأحد من السيف على متن جهنم لا يجوز عليه إلا ضامر مهزول من خشية الله، وفي بعض الآثار أن طول الصراط مسيرة ثلاث آلاف سنة، ألف منها صعود، وألف منها هبوط، وألف منها استواء. وفي بعض الروايات أن جبريل في أوله، وميكائيل في وسطه يسألون الناس عن عمرهم فيما أفنوه، وعن شبابهم فيما أبلوه، وعن علمهم ماذا عملوا به، وفي بعض الآثار أن فيه سبع قناطر يسأل كل عبد عند كل قنطرة منها عن أنواع من التكليف"[6].

ويرى الشيخ باي بكفر من أنكر الصراط فيقول:"وأجمع العلماء على وجوده، فمن أنكر وجوده فهو كافر"[7]، ويقصد الشيخ باي بوجوده أي يوم القيامة لا وجوده الآن، والذي حكى الشيخ عنه الخلاف ناقلاً كلام النفراوي في الرسالة فقال:"وقد جرى الخلاف هل موجود الآن أو يوجد يوم القيامة، وفي النفراوي على الرسالة[8] عند قولها: وإن الصراط يوم القيامة، ثم قال بعد ذلك في تنبيهات: الثاني: إنما قيدنا وجود الصراط بيوم القيامة، لأنه جرى خلاف في وجوده الآن وعدم وجوده"[9].

---

[1] مريم 71.

[2] يس 66.

[3] سبق تخريج الحديث.

[4] فتح الجواد، محمد باي، ص 144.

[5] لوامع الأنوار البهية، شمس الدين محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي، ج2، ص191.

[6] فتح الجواد، محمد باي، ص 144.

[7] نفس المصدر والصفحة. زاد السالك، محمد باي، ص 40. السبائك الإبريزية، محمد باي، ص 16

[8] الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، للنفراوي، ج 1، ص 90.

[9] زاد السالك، محمد باي، ص 40.

وما ذهب إليه الشيخ باي في تضليل من أنكر الصراط وتكفيرهم، هو مذهب أهل السنة ورأيهم، والذين رأوا "أنه ما أنكر الصراط والمرور عليه إلا أهل البدعة والهوى من الخوارج ومن المعتزلة...فخالفوا الكتاب والسنة والجماعة، وردوا الآيات والأحاديث الواردة في الورود والمقام المحمود والشفاعة"[1].

وقد ذكر ذلك الإمام أبو حامد الغزالي في جوابه عن سؤال افترضه وبيّن جواب كلاً من المنكرين للصراط من جهة إنكار قدرة الله بالأصل، ومن أنكر الصراط من جهة استحالة المشي عليه وهو بتلك الصفات المذكورة فقال:" فإن قيل: كيف يمكن ذلك وفيما روى أدق من الشعر وأحد من السيف، فكيف يمكن المرور عليه؟ قلنا هذا إن صدر ممن ينكر قدرة الله تعالى، فالكلام معه في إثبات عموم قدرته وقد فرغنا عنها. وإن صدر من معترف بالقدرة فليس المشي على هذا بأعجب من المشي في الهواء، والرب تعالى قادر على خلق قدرة عليه، ومعناه أن يخلق له قدرة المشي على الهواء ولا يخلق في ذاته هوياً إلى أسفل، ولا في الهواء انحراف، فإذا أمكن هذا في الهواء فالصراط أثبت من الهواء بكل حال[2].

وقد تأول المنكرين للصراط النصوص من الآيات والأحاديث الواردة في هذا الشأن:" وقالوا: ليس هناك صراط حسي؛ وقالوا: إن الصراط إنما هو المراد الصراط المعنوي... طريق الجنة، المشار إليه بقوله تعالى: ﴿سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ۝٥﴾[3]، وطريق النار المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٢٣﴾[4]...وتأويلهم هذا باطل بوجوب حمل النصوص على حقائقها، وليس العبور على الصراط بأعجب من المشي على الماء، والطيران في الهواء والوقوف فيه، وقد أجاب صلى الله عليه وسلم عن سؤال حشر الكافر على وجهه، بأن القدرة صالحة لذلك"[5]

ولذلك كله وغيره مما لم نسقه، رأى بعض علماء أهل السنة أنه بهذه البيانات الواضحة تبيّن أن الصراط حق والإيمان به واجب، وإنكاره كفر[6].

المطلب الرابع: الحوض:

جاء في اللغة أن الحوض: مجتمع الماء معروف، والجمع أحواض وحياض. وحوض الرسول، صلى الله عليه وسلم: الذي يسقي منه أمته يوم القيامة...ولما ظهر لأم سيدنا إسماعيل ماء زمزم جعلت تحوضه أي تجعله حوضا يجتمع فيه الماء، والمحوض ما يصنع حوالي الشجرة على شكل الشربة[7].

---

[1] مختصر معارج القبول، أبو عاصم هشام بن عبد القادر آل عقده ، (مكتبة الكوثر للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط 05، 1418هـ)، ص 256.

[2] الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي، ت: مصطفى القباني الدمشقي، (المطبعة الأدبية بسوق الخضار القديم، مصر ، ط 01، د ت)، ص 98.

[3] سورة محمد صلى الله عليه وسلم، الآية 05 .

[4] الصافات 23.

[5] الهداية الربانية في شرح العقيدة الطحاوية، عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، ص 89.

[6] دراسات في السمعيات، محمد عقيل ، ص 89.

[7] لسان العرب، لابن منظور، ج7، ص 141

وشرعاً يعّرف بما جاء في الكتاب والسنة وإجماع السلف من وجود حوض يجمع الماء النازل من نهر الكوثر في عرصات القيامة للنبي صلى الله عليه وسلم[1]

وقد عّرفه الشيخ باي على غير ما سقناه في التعريف الأول، فقد رأى الشيخ أن الحوض هو الكوثر نفسه فقال" وخص بالحوض وهو الكوثر، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾[2]، وفي الصحيحين الحديث رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:﴿**حوضي مسيرة شهر**... ﴾[3]"[4].

كما ذهب إلى أن الحوض هو الكوثر صاحب "الفواكه الدواني على رسالة أبي زيد القيرواني"، فقال:"ولما كان الإنسان يغلب عطشه عند خروجه من قبره ذكر الحوض فقال: والإيمان أي التصديق بحوض رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب، ويبدع منكره، دلّ على حقيقته:﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ ، بناء على أنه الحوض"[5].

ويرى أهل السنة كما سبق ذكره في النص السابق بوجوب الإيمان بحوض النبي صلى الله عليه وسلم على الأوصاف التي جاءت بها السنة النبوية الشريفة، ويقول الشيخ باي في وجوب الإيمان بالحوض" ومما يجب الإيمان به الحوض وهو الكوثر[6].

ويسوق الشيخ باي الاختلاف الحاصل بين أهل السنة في الحوض هل هو قبل الصراط أو بعده أو قبل الميزان أو بعده، ولكنه لا يرجح شيئاً من الأقوال في ذلك فيقول:"واختلف هل هو قبل الصراط أو بعده، أو قبل الميزان أو بعده[7].

وقد ذكر صاحب "الفواكه الدواني" هاته المسألة ورجح أنه قبل الوزن وقبل الصراط وحتى قبل الحساب، ورأى أن هذا القول هو ظاهر كلام بعض الشيوخ وهو المختار، وأن الاختلاف الحاصل في ذلك وفي غيره كوقت الوزن لا يضر العبد في عقيدته ولا يقدح فيها، وإنما الذي يجب اعتقاده ولا يصح خلافه هو إثبات تلك الأمور على ما جاءت به النصوص فقال:" وظاهر كلام بعض الشيوخ أن وروده قبل الوزن وقبل الحساب وقبل الصراط وهو المختار، قال بعض العلماء: جهل التقدم والتأخر في الميزان والحوض والصراط غير قادح في العقيدة، وإنما الواجب اعتقاد إثباتها"[8]

---

[1] الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الإعتقادية والصوفية، سعيد بن مسفر بن مفرح القحطاني، (مكتبة فهد الوطنية، السعودية، ط 01، 1418هـ، 1997م) ، ص 363

[2] الكوثر 01

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب"الرقائق"، باب" في الحوض"، رقم 6579، ج 08، ص 119. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب"الفضائل"، باب"إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته"، رقم: 2292، ج 04، ص 1793.

[4] زاد السالك، محمد باي، ص 31. فتح الجواد، محمد باي، ص 142

[5] الفواكه الدواني، أحمد بن غنيم النفراوي، ص 143.

[6] فتح الجواد، محمد باي، ص 142

[7] زاد السالك، محمد باي، ص 31. فتح الجواد، محمد باي، ص 142

[8] الفواكه الدواني، أحمد بن غنيم النفراوي، ص 143.

المطلب الخامس: رؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة:

تعتبر مسألة رؤية الله عز وجل من المسائل المهمة في العقيدة الإسلامية، والتي شهدت خلافاً واسعاً بين الفرق الإسلامية، ما بين نافياً ومثبتاً لها، وقد نقل إلى حد التواتر إثبات أهل السنة لهاته المسألة، فقد جاء في متن العقيدة الطحاوية:" والرؤية حق لأهل الجنة، بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[1]، وتفسيره على ما أراده الله تعالى وعلمه"[2].

وقد اثبت الشيخ باي بالأدلة سواء الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية هاته المسألة في الكثير من المواضع في كتبه التي ناقش فيها القضايا العقيدة[3]، فقال في نظمه المسمى" فتح الرحيم المالك في مذهب الإمام مالك":

ورؤية الله هي الزيادة للمؤمنين خصصت سعادة

بلا إحاطة ولا تكييف وغير زحمة ولا تكليف

وبعد أن ساق الشيخ مجموعة من الأدلة القرآنية والحديثية[4] شرع يشرح هاذين البيتين ويبينهما مع عرض الأدلة عليهما من الكتاب والسنة وأقوال العلماء السابقين من أهل السنة فقال:" إن الزيادة المذكورة في قوله تعالى:﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[5] ، فالزيادة النظر إلى وجه الله الكريم من دون تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه، وأما غير المؤمنين من الكفار فهم محجوبون عن رؤيته لقوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ﴾[6]، وأما المؤمنون فإنهم يرونه بأبصارهم كما يليق بجلاله[7]،قال تعالى:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [8]، وهي حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا؛ فالحسنى الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجهه الكريم، فسرها بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما روى مسلم في صحيحه ، عن صهيب قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة" ثم قال:﴿ **إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، نادى منادٍ: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه. فيقولون: ما**

---

[1] القيامة 22-23.

[2] متن العقيدة الطحاوية، أبي جعفر الطحاوي الحنفي، (دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 01، 1416هـ، 1995م)، ص 13.

[3] فتح الجواد، محمد باي، ص 130. ملتقى الأدلة، محمد باي، ج1، ص 192. زاد السالك، محمد باي، ص 40.

[4] ملتقى الأدلة، محمد باي، ص 192.

[5] يونس 26.

[6] المطففين 15.

[7] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج01، ص 192.

[8] القيامة 22-23.

هو؟..ألم يثقل...وهي الزيادة﴾[1] ورواه غيره بأسانيد متعددة وألفاظ أخرى[2] وكذلك فسرها الصحابة رضي الله عنهم، وروى ابن جرير الطبري ذلك عن جماعة منهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وحذيفة وأبو موسى الأشعري وابن عباس رضي الله عنهم، وقد احتج الشافعي رحمه الله وغيره من الأئمة بهذه الآية ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ على الرؤية لأهل الجنة ، ذكر ذلك الطبري وغيره عن المزني عن الشافعي، وأحاديث متواترة دالة على الرؤية منها: حديث أبي هريرة : أن ناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿ **هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ فقالوا لا يا رسول الله . قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا. قال فإنكم ترونه كذلك**﴾ أخرجاه في الصحيحين وكذلك حديث أبي سعيد الخدري وحديث جرير[3].

"وفي الصحيحين عن جرير بن عبد الله البجلي قال : ﴿**كنا جلوساً مع النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال: إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته**﴾[4] والأدلة على الرؤية في الجنة والحشر كثيرة"[5].

كما تطرق الشيخ باي إلى مسألة رؤيته سبحانه وتعالى في الدنيا وما كان من خلاف بين أهل السنة في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء والمعراج من عدمها فقال:" وأما في الدنيا ففيها خلاف على غرار هل النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه ليلة الإسراء والمعراج، فأثبت الرؤية الحبر ابن عباس ونفتها عائشة أم المؤمنين، ولكن رؤية الله في الجنة والحشر بدون تمثيل ولا إحاطة ولا تشبيه"[6].

وقد رجح الإمام النووي رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الإسراء والمعراج، ورأى أن ذلك ما عليه أكثر العلماء فقال:"والذي عليه أكثر العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء"[7].

---

[1] بالرجوع إلى صحيح مسلم وجدت أن لفظ الحديث هكذا﴿ **إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل**﴾، صحيح مسلم، كتاب"الإيمان"، باب" إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى"، رقم 181، ج 1، ص 163.

[2] رواه الإمام أحمد في مسنده، مسند" الكوفيين"، حديث" صهيب بن سنان من النمر بن قاسط" رقم: 18935، ج 31، ص 265. وأخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب"الإيمان وفضائل الصحابة والعلم"، باب"فيما أنكرت الجهمية"، رقم 187، ج 01، ص 67. ورواه الترمذي في سننه، أبواب"صفة الجنة"، باب" ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى"، رقم 2552، ج 04، ص 268

[3] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج01، ص 192.

[4] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب" التوحيد"، باب" قول الله تعالى" وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة"، رقم 7434، ج 09، ص 127. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب" المساجد ومواضع الصلاة"، باب" فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما"، رقم: 633، ج 01، ص 439.

[5] ملتقى الأدلة، محمد باي، ج01، ص 203

[6] نفس المصدر والصفحة

[7] الفواكه الدواني، النفراوي، ص 133

خاتمة

من خلال هذا البحث الموسوم بـ" **الشيخ محمد باي بلعالم ومنهجه في تناول مسائل العقيدة**"، حاولت أن أقف على مجموعة من النقاط وتحقيقها، ومنها التعريف بهذا العالم الجزائري، الذي لم يوفى حقه في حياته بإنزاله منزلته، كما لم يوف وإلى كتابة هذه الأسطر حقه من التعريف به وبعلمه، وذلك بنشره بشتى الوسائل الممكنة بعد موته.

كما سعيت من خلال هذا البحث إلى إبراز كيفية ومنهج الشيخ في تناول مسائل العقيدة، والذي تبيّن ومن خلال العرض أنه على منهج أهل السنة والجماعة، وبالخصوص مدرسة الأشاعرة.

وبعد عرضنا لدرس العقيدة عند الشيخ باي من جهة مصادر المعرفة العقدية وكيفية استدلاله على مسائل التوحيد وغيرها من المسائل التي تمت مناقشتها في هذا البحث نصل إلى تقرير النتائج التالية:

01 – أن الشيخ في اعتبار المصادر العقدية وترتيبها نجده قد ترسم خطى المدرسة الأشعرية إذ اعتمد مصادرهم في أغلب الأحيان ، وبالتالي عرضه كان موافقا للمدرسة الأشعرية ، كما أنه أبرز التوافق بينهم وبين مدرسة الحديث وإن كانت هناك بعض الخلافات الجزئية على النحو الذي يبرز في مسألة الاستدلال بخبر الآحاد، وعليه يمكن القول أن الشيخ باي تجاوز ما يطرح من جهة الصراع بين المدرستين الأشعرية ومدرسة الحديث كما هو الأمر في الراهن الإسلامي.

02 – أنه على منهج أهل السنة في رؤية أن أول واجب على المكلف هو الشهادتين وقد صرح بذلك مراراً كما سقنا في ثنايا البحث، وإن كان يرى بتحصيل المعرفة لتقوية الأيمان والخروج من التقليد كما ذهبت الأشاعرة ، إلا أنه يرى وجوب تحصيل الدليل الإجمالي لا التفصيلي وقد عاب على من طالب به، لأن ذلك حسب رأيه تشديد على الناس والدين يسر.

03– أنه في عرضه للتوحيد يقسمه على حسب الوظيفة التي يؤديها ذلك القسم كعادة بعض علماء أهل السنة، ويستدل على البعض منه بالبعض الآخر وبغيرها من الاستدلالات التي سبقه لها بعض علماء أهل السنة ومنهم الأشاعرة، كما أنه تميز في تفصيل توحيد الأسماء والصفات والاستدلال على فروعه بمنهج الأشاعرة وتقسيمهم لذلك، إلا أنه خالفهم في مسألة الصفات الخبرية السبعة وقال برأي السلف رضي الله عنهم؛ فلا يرى بالتأويل رغم نقله له في كتبه كأمانة علمية في شرح المتون لا غير.

04 – يرى أن الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح، وهو يزيد بالطاعات وينقص بنقصانها، وهو ما يراه أهل السنة في هذه المسألة، كما أن مرتكب الكبيرة عنده غير مسلوب الإيمان مطلقاً فهو غير كافر، وفي نفس الوقت لا يستحق اسم الإيمان كاملاً ، وهو بذلك يوافق أهل السنة في هذه المسألة.

05 – في اعتباره لمسألة النبوة والرسالة لم يخرج عن ما جاء عند أهل السنة في تعريفهما؛ وفي الفرق بينهما رأى مذهب الجمهور من علماء أهل السنة، وإن كان الأقرب للصواب والله أعلم رأي من خالفهم كابن تيمية رحمه الله، كما

انتهج الشيخ في الحديث عن رسل الله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام ما انتهجه في الكلام عن الله، فذكر ما يجب وما يجوز وما يستحيل عليهم، وهذا ما عرف وتميز به الدرس العقدي عند الأشاعرة، وأثبت لرسل الله وأنبيائه ما أثبته أهل سلة مما جاء به الكتاب والسنة من المعجزات، وفصّل تفصليهم في تميّزها عن غيرها من الكرامة، وتميّزهما عن الهوان والشعوذة والسحر وغير ذلك، واعتقد اعتقادهم في سبب تأيد الله لرسله وأنبيائه بها.

06 – يرى الشيخ ما يراه أهل السنة من وجوب الإيمان بالسمعيات مما جاء به القرآن والسنة من المسائل، وقد فصّل تلك المسائل واستدل عليها من الشرع و العقل، كما ردّ في بعضها على من خالف أهل السنة وبيّن خطأهم.

07 –ذهب في مسألة القضاء والقدر مذهب أهل السنة تعريفاً وتبياناً بوجوب الإيمان والتسليم بهما مع الأخذ بالأسباب فيهما ومعهما، كما أزال اللبس والاشتباه في مسألة الأمر والإرادة وهل هما متلازمان أم لا، وبيّن أن الأمر يستلزم الإرادة الدينية ولا يستلزم الإرادة الكونية.

08 – أنه على مذهب أهل السنة في اتخاذ الأعذار للمخالف وعدم التكفير للقائل بمجرد أن قوله كفر، فهو يرى بعدم كفر الفرق التي خالفت في بعض قضايا العقيدة أهل السنة، وإن كان يرى تفسيقها، إلا ما ذكره من المسائل والتي رأى بكفر قائلها ومعتقدها، وفي كل ذلك كان يوافق أهل السنة ويذهب مذهبهم.

09 – يرى أن البدعة تعتريها الأحكام الخمسة من وجوب وندب وإباحة، ومكروه وحرام، وقد خالف بذلك بعض علماءأهل السنة ووافق بعضهم الآخر، وهو ليس ببدعاً في ذلك، بل قد سبقه كبار علماء أهل السنة وعلى رأسهم الإمام النووي.

10 – أنصف كغيره من أهل السنة التصوف وأهله، وبرئه مما تبرأ منه أهله، وحذر من المتطفلين ومما جنوه على ذلك العلم، كما أنصف الولاية والأولياء، ونزههما مما لا يليق بهما مما نسبه إليهما المغالون والمجحفون، وأجاز التوسل وبيّن الحد الفاصل بينه وبين الإشراك بالله عز وجل.

هذا وإن أصبت فمن الله وحده سبحانه فهو الذي بنعمته تتم الصالحات، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

التوصيات

بعد التوصل للنتائج السابقة توصي الدراسة بما يلي:

01/ضرورة الاهتمام بالميراث العلمي للشيخ من ناحية تحقيقه وجمعه ودراسته وتدريسه لتستفيد منه الأجيال في دينها ودنياها.

02/إعطاء أهمية أكبر وخاصةً من ناحية الدراسات العلمية لشيوخ منطقة توات ومورثهم العلمي وإخراجه للناس ليستفيد منه الحاضر والمستقبل.

03/تنظيم ملتقيات وندوات وحصص إعلامية للتعريف بشيوخ منطقة توات

04/العمل على تدوين سيرة الأحياء والأموات من شيوخ منطقة توات ومنهجهم في الدعوة إلى الله على اختلافها.

05/تشجيع الزوايا والمدارس القرآنية في الجزائر عامة ومنطقة توات خاصة على الاستفادة من الوسائل الإعلامية الحديثة واستغلالها في البحث والدراسة.

فهرس الآيات

السورة	الآيـــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
البقرة	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾	21	06
	﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾	255	133
	﴿أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧﴾	267	143
	﴿كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ﴾	135	197
	﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾	136	196
	﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾	115	135
	﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾	129	148
	﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾	213	195
	﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾	285	183
	﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ ٢٥٨﴾ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ ٢٥٨﴾ ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ ٢٥٨﴾	258	212
	﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩﴾	119	219
	﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾	236	185
	﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٢٧٠﴾	27	234
آل عمران	﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾	133	242
النساء	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾	01	6

158	164	﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾	
180	31	إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ٣١﴾	
193	150–152	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٥٢﴾	
201	165	﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٦٥﴾	
129	36	﴿* وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾	
201	67	﴿* يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾	المائدة
108	72	﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾	
117	101	﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾	الأنعام
202	83	﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣﴾	
222	93	﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ﴾	
229	12	﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢﴾	

183	58	﴿لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ﴾	
184	91	﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾	
70	191	﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١﴾	
127	180	﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾	
158	148	﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ١٤٨﴾	
101	9–8	﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ٩﴾	
225	46	﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ٤٦﴾	
184	42	﴿وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا﴾	الأنفال
152	75	﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥﴾	
178	124	﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤﴾	التوبة
222	101	﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾	
148	53	﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٥٣﴾	يونس
80	26	﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾	
73	101	﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾	

هود	﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا﴾	31	202
يوسف	﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾	109	210
	﴿فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَا﴾	68	184
الرعد	﴿لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾	22	184
	﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩﴾	39	189
إبراهيم	﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾	27	222
	﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾	51	120
	﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ١٠﴾	10	69
النحل	﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾	50	165
	﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٨ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ٣٩﴾	38–39	79
	﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾	78	119
	﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾	36	108
	﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧﴾	17	126
الإسراء	﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾	79	231
	﴿يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلٗا ٧١﴾	71	240

184	04	﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾	
184	23	﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾	
172	109	﴿وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعًا ١٠٩﴾	
129	56	﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ٥٦﴾	
173	107	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧﴾	الكهف
229	110	﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾	
238	49	﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩﴾	
245	105	﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥﴾	
108	44	﴿هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّ﴾	
189	23	﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاۡيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾	
247	71	﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١﴾	مريم
127	65	﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾	
157	42	﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢﴾	
158	89	﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ٨٩﴾	طه
166	05	﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾	
173	112	﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ١١٢﴾	
238	109	﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾	

الأنبياء	﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾	107	195
	﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾	28	237
	﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾	47	245
	﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾	25	120
	﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢﴾	22	71
الحج	﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤﴾	14	150
	﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيّٖ﴾	52	196
	﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠﴾	70	187
المؤمنون	﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١﴾	91	145
	﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٢٣﴾	23	124
النور	﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤٥﴾	45	148
	﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١﴾	21	101
الفرقان	﴿إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ١٢﴾	12	242
النمل	﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ٥٩ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ﴾	59–60	118

القصص	﴿إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ﴾	44	184
العنكبوت	﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدًا﴾	52	204
الروم	﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا﴾	30	118
الاحزاب	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾		06
	﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾	22	199
	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥﴾	45	195
	﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٤٠﴾	40	195
	﴿فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ﴾	23	183
سبأ	﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣﴾	03	152
	﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾	23	237
فاطر	﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾	10	243
يس	﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٥٢﴾	52	200
	﴿فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ٦٦﴾	66	247
الصافات	﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١﴾	181	200
	﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ٢٣﴾	23	248

	﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾	96	188
الزمر	﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ﴾	07	190
غافر	﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾	65	154
	﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَ﴾	78	198
	﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾	45	241
	﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ١٨﴾	18	234
	﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾	46	222
فصلت	﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ﴾	12	184
الشورى	﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾	11	71
الزخرف	﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ١٩﴾	19	225
	﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٨٧﴾	87	117
الدخان	﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤﴾	04	185
الأحقاف	﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾	09	86
محمد	﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧﴾	17	178

	﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾	19	73
الفتح	﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾	04	177
الحجرات	﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا﴾	09	173
الذاريات	﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾	56	122
	﴿أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ٣٦﴾	36	117
النجم	﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾	26	238
القمر	﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ٢﴾	01	213
الرحمن	﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ٦٢﴾	62	242
	﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ٤٦﴾	46	242
	﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾	27	70
الواقعة	﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ٤٩ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ٥٠﴾	49	228
الحديد	﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ﴾	03	70
المجادلة	﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾	11	06

التغابن	﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧﴾	07	228
التحريم	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾	06	241
الملك	﴿إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ﴾	07	242
	﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٢٣﴾	23	68
الحاقة	﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ٤٦﴾	46	204
	﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩﴾	19	239
الجن	﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ٢٨﴾	28	163
المدثر	﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨﴾	48	236
القيامة	﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾	22	250
الإنسان	﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾	30	189
المرسلات	﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨﴾	38	228
عبس	﴿فَأَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧﴾	23	184
التكوير	﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ٢٤﴾	24	189
المطففين	﴿كَلَآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾	15	250
الانشقاق	﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧﴾	07	239
الكوثر	﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾	01	246
الإخلاص	﴿خم لم لى لي مج﴾	01	71

فهرس الأحاديث

الرقم	طرف الحديث	الصفحة
01	إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار	251
02	إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى	250
03	أمتي. فيقول الله له: أدخل من أمتك من لا حساب عليه الجنة من الباب الأيمن	234
04	أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله	73
05	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله	124
06	إن الرجل من أمتي ليدخل الجنة، فيشفع لأكثر من مضر...	237
07	إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه....	223
08	إن أول شيء خلقه الله القلم	186
09	أن رجلاً قال يا رسول الله أين أبي...	67
10	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قفل من غزوة خيبر...	207
11	إن عيني تنامان ولا ينام قلبي...	208
12	إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي...	196
13	أنا أول شافع...	237
14	إني خلقت عبادي حنفاء...	119
15	الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة..	178
16	الإيمان معرفة القلب وعمل باللسان وعمل بالأركان	175
17	تفرقت اليهود على إحدى، أو اثنتين وسبعين فرقة	170
18	الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة	180
19	حوضي مسيرة شهر...	249

20	خرج النبي الله صلى الله عليه وسلم وقد وجبت الشمس....	223
21	خُلقت الملائكة من نور	224
22	شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي	238
23	عددهم ثلاثمائة وأربعة عشر.....	199
24	عرضت علي الجنة فتناولت منها عنقوداً	242
25	فإذا عرفوا الله	73
26	فأمر الله يجري إلى قضائه...	187
27	فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله	108
28	فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي عز وجل	235
29	فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا	186
30	فليكن أول ما تدعوهم إليه هو عبادة الله وحده لا شريك له..	108
31	قال قلت يا رسول الله كم الأنبياء قال مائة ألف وعشرون ألفا...	198
32	قال: قلت: يا رسول الله، كم الأنبياء؟ قال: "مائة ألف وأربعة وعشرون....	198
33	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول: أللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر	223
34	كنا جلوساً مع النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر	251
35	كنا في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم..	206
36	لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن..	178
37	لا يوردن ذو عاهة على مصح	210
38	لعله تنفعه شفاعتي، فيجعل في ضحضاح	236
39	لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة	224

40	اللهم أنت الأول فليس قبلك شي	137
41	ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل	170
42	ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك	240
43	ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر	120
44	ما من الأنبياء نبي إلا أعطى	217
45	ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر...	200
46	ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق...	244
47	ما من مولود إلا ويولد على الفطرة	119
48	من أشراط الساعة، أن يتباهى الناس في المساجد	92
49	من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه	180
50	من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب..	102
51	من قال لا إله إلا الله دخل الجنة	181
52	من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة	125
53	هل تدري ما حق الله على العباد» قلت: لا، قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا	127
54	هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر	251
55	واطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء	241
56	وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار	89
57	وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله	91
58	يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم..	161

59	يا رسول الله بيّن لنا ديننا كأنا خلقنا الآن	188
60	يبعث المؤمنون يوم القيامة جرداً مرداً مكحلين بني ثلاثين سنة	229
61	يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار	226
62	يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً كما خلقوا	229
63	يحشر الناس يوم القيامة عراة حفاة	229
64	يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجوز.....	247
65	ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا...	166
66	يوضع الميزان يوم القيامة فتوزن الحسنات....	245

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب والمجلدات

الإبراهيمي (أحمد الطالب):

مذكرات جزائري، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر،2008.

إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار:

المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، .دار الدعوة، د ط، د ت.

الإيجي (عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد):

المواقف في علم الكلام، عالم الكتب، بيروت، د ط، د ت.

الأثري (عبد الله بن عبد الحميد):

الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، الغرباء الدار الأثرية للترجمة والطباعة والنشر، إسطنبول ، تركيا، ط 10، 1435هـ.

ابن الأثير(أبي السعادات مجد الدين المبارك بن محمد):

النهاية في غريب الحديث والأثر، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط 01، 1421هـ

الأحمدي(عبد الله بن سلمان بن سالم):

المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، دار طيبة، الرياض، ط0، 1995

الأشعري أبي الحسن :

01-الإبانة عن أصول الدين،. مكتبة دار البيان، دمشق، ط 03، .1996

02-رسالة إلى أهل الثغر، ت عبد الله شاكر محمد الجنيدي، . مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط 02، 1422هـ، 2002م.

03-مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ت: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، بيروت، ط 01، 1426هـ، 2005م

الأصبهاني (أبي نعيم أحمد بن عبد الله) : دلائل النبوة، ت: محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، . دار النفائس، بيروت، ط 02، 140هـ،

الأصفهاني(أبو القاسم الحسين بن محمد):

01-تفسير الراغب الأصفهاني، ت محمد عبد العزيز بسيوني، . كلية الأداب، جامعة طانطا، مصر، ط 01، 1420هـ، 1999م.

02- المفردات في غريب القرآن: ت مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، . مكتبة نزار مصطفى الباز، د ط، د ت / دار المعرفة، بيروت، د ط، د ت.

الأزدي (أبو بكر محمد بن الحسن):

جمهرة اللغة، ت رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 01، 1987م

الأشقر عمر سليمان:

عالم الملائكة الأبرار ، ، .مكتبة الفلاح، الكويت، ط 03، 1403هـ، 1983م.

الألباني (ناصر الدين):

01-سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة،.دار المعارف، الرياض، ط 01، 1412 هـ ، 1992م.

02-تخريج العقيدة الطحاوية ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 02، 1414هـ.

03- وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين"، مكتبة خالد بن عبد الرحمان بن علي الجريسي، رسائل الدعوة السلفية

الآُجِّيُّ (أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي):

الشريعة، ، ت عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، . دار الوطن – الرياض ، السعودية، الطبعة: الثانية، 1420 هـ - 1999 م.

آل عقده (أبو عاصم هشام بن عبد القادر):

مختصر معارج القبول، مكتبة الكوثر للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط 05، 1418هـ

الآلوسي(أبو البركات خير الدين نعمان بن محمود):

جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، ، ت الداني بن منير آل زهوي، المطبعة العصرية، صيدا ، بيروت، ط 01، 1426هـ، 2006م.

ب

الباجوري (محمد بن عفيفي):

نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، دار الفيحاء، دمشق، ط 02، 1425هـ.

البخاري (محمد بن اسماعيل) :

صحيح البخاري، الطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ط01، 1440هـ، 1980م.

ابن بطال (أبو الحسن علي بن خلف):

شرح صحيح البخاري، ت أبو تميم ياسر إبراهيم، .مكتبة الرشد، السعودية، ط 02، 1423هـ، 2003م

البغدادي (زين الدين عبد الرحمان بن أحمد بن رجب) :

فتح الباري شرح صحيح البخاري، ت: مجموعة من العلماء، . مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، السعودية، ط 01، 1417هـ، 1996م.

الباقلاني(أبو بكر محمد بن الطيب):

01- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ت: عزت العطار الحسني، . دار الكتب الملكية المصرية، القاهرة، د ط، 1369هـ، 1950م.

02-تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ، ، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، . مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط 03، 1993.

الباكستاني(إحسان إلهي ظهير):

دراسات في التصوف، دار الإمام المجدد لنشر والتوزيع، القاهرة، ط 01، 1426هـ، 2005م

البجاوي محمد :

الثورة الجزائرية والقانون، دار اليقظة العربية، دمشق، 1965.

البدر (عبد الرزاق بن عبد المحسن):

زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، مكتبة دار القلم، الرياض، ط 01، 1416هـ، 1996م

بديدة لزهر:

رجال من ذاكرة الجزائر، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر.

البريكان(ابراهيم بن محمد):

المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، دار السنة، السعودية، د ط، د ت

البغدادي (عبد القاهر):

الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الأفاق الجديدة ، بيروت، ط 02، 1977م

البكري الصديقي(محمد علي بن محمد الشافعي):

دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ت خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 04، 1425هـ، 2004م.

بلعالم (محمد باي):

1. إرشاد الحائر لمعرفة قبيلة فلان في جنوب الجزائر وغيرها من البلدان،. د،ط، د ت.

2. الجواهر الكنزية لنظم ما جمع في العزية .دار هومه، الجزائر، د ط، 2002

3. الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2005م

4. زاد السالك شرح أسهل المسالك، .الشركة الجزائرية اللبنانية 4 شارع الهواء الجميل ، باش جراح ، الجزائر العاصمة، دار ابن حزم ، بيروت ، ط 1، 1429هـ- 2008

5. السبائك الإبريزية ، محمد باي بلعالم، .مطبعة عمار قرفي- باتنة، د ط، 1993

6. السبائك الأبريزية شرح على الجواهر الكنزية، .دار ابن حزم، بيروت ، لبنان ، ط 01، 2012

7. فتح الجواد شرح على نظم العزية لابن باد" حققه عمر بن عراج كدراسة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم قسم التاريخ تخصص " تحقيق المخطوطات " ، من جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان ، الجزائر السنة الجامعية 2018/2017

8. كشف الدثار شرح على تحفة الآثار، مطبعة عمار قرفي، باتنة ، الجزائر، د ط، د ت.

9. ملتقى الأدلة الأصلية والفرعية الموضحة للسالك، دار ابن حزم بيروت لبنان، ط01، 1430هـ/2009م.

بومالي أحسن:

أول نوفمبر1954 بداية النهاية لـ"خرافة"الجزائر فرنسية، ، .دار المعرفة، الجزائر، د ط،دت.

البيهقي(أبي بكر أحمد بن الحسين):

01-الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، ت أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم أبو العينين، .دار الفضيلة، ط 01، 1420هـ، 1999م.

02- الدعوات الكبير، ت بدر بن عبد الله البدر، . غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط 01، 2009م

03- القضاء والقدر، ت: محمد بن عبد آل عامر، مكتبة العبيكان، الرياض ، السعودية، ط 01، 1421هـ، 2000م

ت

التبريزي(أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب):

مشكاة المصابيح، ت محمد ناصر الدين الألباني، .المكتب الإسلامي، بيروت، ط 03، 1405هـ، 1985م.

التتائي (أبي عبد الله محمد بن ابراهيم بن خليل المالكي):

تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة، ت: محمد عايش عبد العال شبير، . مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط 01، 1409هـ، 1988م

الترمذي:

سنن الترمذي، ت بشار عواد معروف، .دار الغرب الإسلامي، بيروت، د ط، 1998م.

التفتازاني (مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين):

شرح المقاصد، ت: عبد الرحمن عميرة، .عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت، ط 02، 1419هـ، 1998م

التهانوي (محمد بن علي):

موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ت علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط 01

تواتي دحمان ، مقلاتي عبد الله، رموم محفوظ:

دور إقليم توات خلال الثورة التحريرية الجزائرية1956-1962، الكتاب صدر بدعم من وزارة الثقافة ، 2008، دط

ابن تيمية:

01- التفسير الكبير، ت عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، د ت.

02- الاستقامة، ت محمد رشاد سليم، . مكتبة السنة، القاهرة، ط 02، 1409هـ.

03-درء تعارض العقل والنقل، أو موافقة صحيح المقول لصريح المعقول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، 1997م.

04-العبودية، ت محمد زهير الشاويش، . المكتب الإسلامي، بيروت، ط 7، 1426هـ.2005م.

05-العقيدة الواسطية، اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة، ت أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، . أضواء السلف، الرياض، ط 02، 1420هـ، 1999م.

06- فتاوى ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، .طبعة الرئاسة العامة للحرمين الشريفين، السعودية، د ط، د ت.

07-مجموع الفتاوى، ت عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، د ط، 1416 هـ، 1995م.

08-مجموعة الرسائل والمسائل"، علق على الكتاب السيد محمد رشيد رضا، .لجنة التراث العربي، د ط، د ت.

09- النبوات، ت: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، ط 01، 1420 هـ، 2000م

ث

الثعلبي (أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم):

الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ، ت أبي محمد بن عاشور، .دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 01، 1422هـ، 2002م.

ج

الجاسم فيصل بن قزار :

الأشاعرة في ميزان أهل السنة، المبرمة الخيرية لعلوم القرآن والسنة، الكويت، ط 01، 2007.

الجرجاني (علي بن محمد):

التعريفات، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 01، 1991.

جرار كفاح :

زوايا ثائرة من اللوحة إلى البندقية ، .منشورات الأنيس، الجزائر، ط01، 2012

جعفري (أحمد أبا الصافي):

الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن7هـ حتى نهاية 13 هـ، منشورات الحضارات، الجزائر، ط 01، 2009.

جامي (أبو أحمد محمد أمان بن علي):

الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية السعودية، ط 01، 1408 هـ

الجوزي (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي) :

01-تلبيس إبليس، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1403هـ، 1983م

02-زاد المسير في علم التفسير، ت: عبد الرزاق المهدي، . دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، 1422هـ

03-غريب الحديث، ت عبد المعطي أمين القعلجي، .دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، 1402هـ، 1985م.

الجويني (إمام الحرمين أبي المعالي عبد المالك بن عبد الله بن يوسف):

01- البرهان في أصول الفقه، تحقيق: عبد العظيم الديب، .مطابع الدوحة الحديثة، قطر، الطبعة الأولى 1399هـ.

02- لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، ت: فوقية حسين محمود، . عالم الكتب، لبنان، ط 02، 1407هـ، 1987م.

ح

الحاج السعيد يوسف بن بكير:

تاريخ بني ميزاب، .وزارة الثقافة، الجزائر،د ط، 2007م

ابن حبان:

صحيح ابن حبان، ت: شعيب الأرنؤوط ، . مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 01، 1408هـ، 1988م.

أبي الحسن (مسلم بن الحجاج بن مسلم):

صحيح مسلم، دار الأفكار الدولية، الرياض، د ط، 1998.

بن حنبل أحمد :

مسند الإمام أحمد، ت شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد، وآخرون، . مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 01، 1421هـ، 2001م.

حسن محمد أيوب:

تبسيط العقائد الإسلامية، ، . دار الندوة الجديدة، بيروت، ط 05، 1403 هـ - 1983 م.

الحسيني (أبو البقاء أيوب بن موسى):

الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ت: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د ط، د ت

الحميري اليمني (نشوان بن سعيد):

شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ت حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني، يوسف محمد عبد الله، .دار الفكر المعاصر، بيروت، ط 1، 1420هـ، 1999م

خ

بن خزيمة (أبو بكر محمد):

كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، ت: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد، الرياض، ط 05، 1414هـ، 1994م.

الخطابي(أبو سليمان حمد بن محمد):

غريب الحديث ، ت: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، .دار الفكر، بيروت، ط 02، 1402هـ، 1982م.

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن محمد):

تاريخ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، أبو زيد ، ، ت: خليل شحادة، .بيت الأفكار الدولية، لبنان د ط، د ت

الخميس (محمد بن عبد الرحمان):

اعتقاد أهل السنة أصحاب الحديث ،.دار الصميعي للنشر والتوزيع، السعودية، د ط، د ت.

الخوارزمي(أبو الفتح ناصر بن عبد السيد برهان الدين):

المغرب في ترتيب المعرب، دار الكتاب العربي، بيروت، د ط، د ت

د

أبو داود:

سنن أبي داود، ت محمد محي الدين عبد الحميد، .المكتبة العصرية، بيروت، د ط، د ت.

دغيم سميح:

موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط01، 1998

درواز الهادي :

الولاية السادسة التاريخية، تنظيم ووقائع، دار هومه، الجزائر، د ط، 2009

ذ

الذهبي (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد):

01-إثبات الشفاعة ، ت : إبراهيم باجس عبد المجيد، أضواء السلف، الرياض، السعودية، ط 1، 1420 هـ - 2000 م.

02-معجم محدثي الذهبي، ت السويفي روحية عبد الرحمن ، .دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، 1993م

03-سير أعلام النبلاء، ت : محمد نعيم العرسوقي، . مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 03، 1982

ر

الرازي (أبو عبد الله محمد بن عمر) :

01- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير،.دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 03، 1420 هـ.

02-أساس التقديس في علم الكلام، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط01، .1993

03- معالم أصول الدين، ت طه عبد الرؤوف سعد، . دار الكتاب العربي، بيروت، د ط، د ت.

الرازي(أبو عبد الله زيد الدين محمد بن أبي بكر):

مختار الصحاح، ت: يوسف محمد الشيخ، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، صيدا بيروت، صيدا، ط 05، 1420هـ، 1999م

الراسي جورج:

الدين والدولة في الجزائر من الأمير عبد القادر ...إلى عبد القادر، ، .دار القصبة للنشر، الجزائر، 2008.

ابن رجب (زين الدين عبد الرحمن بن أحمد):

جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ، ت شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس، . مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 07، 1422هـ، 2001م.

الرقادي مصطفى الكنتي ، مبارك بن بشير لحسن:

العلم الهادي للتعريف بالشيخ مَحمد ، مطبعة مختاري، لخضر ، الجزائر، ط 01، 2015

رينهارت بيتر آن دوزي:

تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية محمد سليم النعيمي، . وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط 01، 1979هـ -2000م.

ز

الزبيدي (محمد بن محمد الحسيني):

01- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين،.مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، د ط، 1414هـ، 1994م.

02-تاج العروس من جواهر القاموس، ، .دار الهداية، د ط، د ت.

الزرقاني (ابو عبد الله محمد بن عبد الباقي):

شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1417هـ، 1996م

الزركلي (خير الدين بن محمود):

الأعلام، دار العلم للملايين، ط 15، 2002م

الزمخشري (أبي القاسم محمود بن عمر) :

تفسير الكشاف، اعتنى به خليل مأمون شيحا، .دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 03، 1430هـ، 2009م

أبي زهرة (محمد بن أحمد):

زهرة التفاسير،.دار الفكر العربي، القاهرة، د ت، د ط.

زيتون وضاح:

معجم المصطلحات السياسية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، د ط،2104

س

بن ساسي إبراهيم :

01- من أعلام الجنوب الجزائري، دار صبحي للطباعة والنشر، غرداية، الجزائر، ط 02، 2014

02- من أعلام الجنوب الجزائري، موفم للنشر الجزائر،د ط، 2011م

السامري (زين الدين عمر بن سهلان):

البصائر النصيرية في علم المنطق، ، .المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط 01، 1316هـ- 1898م

السعدي (عبد الرحمان بن ناصر):

تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكريم المنان، ت: عبد الرحمان بن معلا اللويحق، .مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ، 2000م.

السرجاني راغب:

الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة.

سعيد ابراهيم مرعي خليفة:

جلال الدين السيوطي وآراؤه الإعتقادية، عرض ونقد على ضوء عقيد أهل السنة والجماعة، جامعة أم القرى، السعودية، د ط، 2000.

السفاريني الحنبلي(شمس الدين محمد بن أحمد):

لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضيئة في عقد الفرقة المرضية، مؤسسة الخافقين، دمشق، ط 2، 1402هـ، 1982م.

السقار (منقذ بن محمود):

تنزيه القرءان عن دعاوى المبطلين، دار تيدكلت، ط 2، د ط، د ت.

السمعاني (أبو المظفر منصور بن محمد):

تفسير القرآن، ت ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، . دار الوطن، الرياض، ط 01، 1418هـ، 1997م.

السمرقندي(أبو منصور محمد بن محمد الحنفي):

شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة ، طبع على نفقة الشؤون الدينية بدولة قطر، د ط، د ت.

السنوسي (محمد بن يوسف):

العقيدة الصغرى وشرحها، منشورات المجلس الأعلى الإسلامي، الجزائر، د ط، 2011.

بن سيده المرسي (أبو الحسن علي بن اسماعيل):

المحكم والمحيط الأعظم، ت عبد الحميد هنداوي، . دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، 1421 هـ، 2000م

السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر):

01-الحاوي للفتاوي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1424هـ، 2004م.

02-الحبائك في أخبار الملائك، ت: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، .دار الكتب العلمية، بيروت، ط 02، 140هـ، 1988م.

03- مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، المطبعة المنبرية لصاحبها ومديرها محمد عبده آغا الدمشقي، نمرة، د ط، د ت.

ش

الشاطبي (إبراهيم بن موسى):

الاعتصام، ت محمد بن عبد الرحمن الشقير، .دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، ط 01، 1429هـ، 2008م

شاكر أحمد:

الباعث الحثيث، شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير"، ، .مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط 01، 1996م.

الشعراني عبد الوهاب:

الطبقات الكبرى، ت أحمد عبد الرحيم السايح، توفيق علي وهبة، . مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط 01، 142هـ، 2005م

الشنقيطي (محمد الأمين) :

01-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د ط، 1415هـ، 1995م.

02الأسماء والصفات نقلاً وعقلاً، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية، ط 05، 1973م.

شهبي عبد العزيز :

الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2007

الشوكاني (محمد بن علي بن محمد):

إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول،.دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، د ت.

الشيباني محمد إبراهيم:

حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه، مكتبة السداوي للنشر والتوزيع ، القاهرة، ط 01، 1408هـ- 1987م.

ص

الصابوني (محمد بن علي):

01- صفوة التفاسير، . دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 01، 1417هـ، 1997م

02-مختصر تفسير ابن كثير ، دار القرآن الكريم، بيروت، ط 07، 1402هـ، 1981م.

صدر الدين محمد بن علاء الدين:

شرح العقيدة الطحاوية، ت احمد شاكر، .وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ط 01، 141هـ

الصنعاني (أبو بكر عبد الرزاق بن همام) :

تفسير عبد الرزاق، ت محمود محمد عبده، .دار الكتب العملية، بيروت، ط 01، 1419هـ.

الصنعاني (محمد بن اسماعيل) :

الإنصاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات والألطاف، ت: عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد، . دار ابن عفان للنشر والتوزيع، السعودية، ط 01، 141هـ، 1997م

ط

الطاهري مولاي احمد:

الدر المنظوم شرح مقدمة ابن جروم ، .مطبعة الواحات، غرداية، ط 01، د ت.

الطبراني(أبو القاسم سليمان بن أحمد) :

01- المعجم الأوسط، ت طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسني، .دار الحرمين، القاهرة، ط 01، 1415هـ، 1995م

02-المعجم الكبير، ت : حمدي بن عبد المجيد السلفي، .مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط 02، د ت.

الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) :

جامع البيان في تأويل القرآن، ت أحمد محمد شاكر، . مؤسسة الرسالة، ط 1420هـ 2000م.

الطحاوي (أبي جعفر الحنفي):

متن العقيدة الطحاوية، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 01، 1416هـ، 1995م

الطوفي(أبو الربيع نجم الدين سليمان بن عبد القوي):

الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، ، ت سالم بن محمد القرني، . مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط 01، 1419هـ

ظ

الظاهري (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم):

01-الإحكام في أصول الأحكام، ت أحمد محمد شاكر، . دار الآفاق الجديدة، بيروت، د ط، د ت.

02-جوامع السيرة، ت إحسان عباس، .دار المعارف، بيروت، ط 01، 1990م.

03-الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ط، د ت.، ج3، ص 2.

ع

ابن عاشور (محمد الطاهر):

التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس، د ط، 1984 هـ.

بن عبد الرحمان الحبيب:

شرح الفوز المبين بالمرشد المعين، ، .مطبعة الواحات، غرداية،د ط، دت.

عبد اللطيف أحمد:

منهج إمام الحرمين في دراسة العقيدة، عرض ونقد، مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، السعودية، ط 01، 1414هـ، 1993م

عبد الكافي(اسماعيل عبد الفتاح):

معجم مصطلحات عصر العولمة، مصطلحات سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية وإعلامية.، د ت، د ط،

بن عبد الكريم (محمد سالم بن الحاج عبد القادر):

أبسط العبارات وأطيب النفحات بذكر بعض علماء وصالحي منطقة توات، بن.مطبعة شمس الزيبان للنشر والتوزيع، تلمسان، 2011.،

عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري:

معجم أعلام توات، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، د ط، 2012.

العثيمين (محمد بن صالح بن محمد):

تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، ، ت: أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط 03، 1415هـ- 1995م

بن عجيبة (أبو العباس أحمد بن محمد الحسني الصوفي):

البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ت: أحمد عبد الله القرشي رسلان، . الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، د ط، 1419 هـ.

بن عربي(محيي الدين):

الفتوحات المكية، ت عثمان يحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 02، 1405هـ، 1985م

العروسي مصطفى:

نتائج الأفكار القدسية، ت: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، 1420هـ

ابن عساكر(أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله):

تاريخ دمشق، ت عمرو بن غرامة العمروي، . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1415 هـ - 1995 م

بن عمر(الحاج موسى):

السياسة النفطية الفرنسية في الجزائر (1952م-1962م)، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، 2004

عميراوي أحميده، زاوية سليم، قاصري محمد السعيد:

السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د ط، 2009

ابن عياض (الإمام الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي):

01- شرح صحيح مسلم، المسمى إكمال المعلم بفوائد مسلم،، ت، يحي اسماعيل،. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر المنصورة، ط 01، 1419هـ، 1998م.

02- مشارق الأنوار على صحاح الآثار،. المكتبة العتيقة، تونس، ودار التراث ، القاهرة،د ط، 1978م.

03- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفيحاء، عمان، ط 02، 1407هـ

غ

الغزالي أبو حامد :

01-إحياء علوم الدين ، المكتبة العصرية، بيروت، ط 03، .1998

02-الاقتصاد في الاعتقاد، ت: مصطفى القباني الدمشقي، المطبعة الأدبية بسوق الخضار القديم، مصر، ط 1، د ت.

03- قواعد العقائد، ت : موسى محمد علي، . عالم الكتب – لبنان، ط 02، 1405هـ - 1985م

04- المستصفى من علم الأصول، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 01، 1998م.

05- معيار العلم في فن المنطق، المطبعة الغربية، مصر، ط 02، 1346هـ، 1937م.

06- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، ت: بسام عبد الوهاب الجابي، . الجفان والجابي، قبرص، ط 01، 1407هـ، 1987م.

07- المنقذ من الضلال، تحقيق وتعليق محمد محمد جابر، . المكتبة الثقافية، بيروت، د ط، د ت

غيتاوي التهامي:

سلسلة النوات في معرفة صالح وعلماء توات ، المطبعة الحديثة، الجزائر، د ط، د ت.

ف

الفارابي(أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري):

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفور عطار، .دار العالم للملايين، بيروت، ط 2، 1402هـ.

ابن فارس(أبو الحسين أحمد):

01-معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، .دار الجيل، بيروت، ط 1420هـ

02-مجمل اللغة ، ت زهير عبد المحسن سلطان، . مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 02، 1406هـ، 1986م

الفراهيدي (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد):

العين، ت: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، .دار ومكتبة الهلال، د ط، د ت.

الفيروز آبادي(مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب):

01-بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيزت: محمد علي نجار، . المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د ط، 1416هـ، 1996م.

02-القاموس المحيط، ت محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 08، 1426هـ

الفيومي(أبو العباس أحمد بن محمد) ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ت عبد العظيم الشناوي،. دار المعارف، القاهرة، ط 02، د ت

ق

أبو القاسم سعد الله:

01-الحركة الوطنية الجزائرية، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة بدعم وزارة الثقافة، 2011م.

02-تاريخ الجزائر الثقافي، عالم المعرفة، الجزائر،.طبعة خاصة بوزارة الثقافة، 2011.

03-مجادلة الآخر، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة بدعم وزارة الثقافة، 2011م.

قاصري محمد السعيد:

دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر.1830-1962، دار الإرشاد للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2013م.

القاضي عبد الجبار:

01-الأصول الخمسة،.مطبوعات جامعة الكويت، ط01، .1998

02-دلائل تثبيت النبوة، دار المصطفى ، القاهرة، د ط، د ت.

القحطاني (سعيد بن مسفر بن مفرح):

الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الإعتقادية والصوفية، مكتبة فهد الوطنية، السعودية، ط 01، 1418هـ، 1997م.

قداش محفوظ:

وتحررت الجزائر، ترجمة العربي بوينون، .شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت،

القرطبي(أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين):

01- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ، ت الصادق بن محمد بن إبراهيم، .مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط 01، 1425 هـ

02-الجامع لأحكام القرآن، .دار الكتاب العربي، القاهرة، د ط، 1387هـ.

القرطبي (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر):

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ت سعيد أحمد أعراب، . وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، د ط، 1410هـ، 1990م

القسطلاني (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد) :

إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري،. المطبعة الكبرى الأميرية ، مصر، ط 07، 1323هـ.

القشيري (أبي القاسم عبد الكريم):

الرسالة القشيرية، ت: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، . دار المعارف، القاهرة، د ط د ت

القيرواني (ابن أبي زيد):

متن الرسالة، المكتبة الثقافية، بيروت، د ط، د ت.

القيرواني(أبو محمد مكي بن أبي طالب):

الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه، وجمل من فنون علومه، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط 01، 142هـ، 200م

ابن القيم الجوزية (محمد بن أبي بكر):

01- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ، ت: محمد حامد الفقي، .مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، د ط، د ت.

02-تفسير القرآن الكريم، ت: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف إبراهيم رمضان، . دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط 01، 1410 هـ.

03- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ، .دار المعرفة، بيروت، د ط، 1398، 1978

04-الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، ت: علي بن محمد دخيل الله، .دار العاصمة، الرياض، ط 01، 1408هـ

ك

الكاشاني (عبد الرزاق):

معجم اصطلاحات الصوفية، ت عبد العال شاهين، . دار المنار للطباعة والنشر، القاهرة، ط 01، 1413هـ، 1992م

ابن كثير (أبو الفدا اسماعيل):

01-البداية والنهاية، ت علي شيري، .دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 01، 1408 هـ، 1988م

02-تفسير القرآن العظيم، ت سامي بن محمد سلامة، . دار طيبة للنشر والتوزيع، ط02، 1420هـ، 1999م.

كحالة عمر رضا:

معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، د ت .

كديده محمد مبارك :

الصحراء الجزائرية بين مخططات الفصل الجدية وطاولة المفاوضات النهائية، دار المعرفة، الجزائر، د ط ، 2013.

الكشاني (محمد بن الفيض):

الصافي، منشورات مكتبة الصدر، طهران، د ط، د ت

الكلاباذي (أبو بكر محمد بن إسحاق):

التعرف لمذهب أهل التصوف، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 02، 1415هـ، 1994م.

الكليني:

الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط 05، 1986

الكنتي (عقباوي عزيز بن بوبكر):

النفحات البهية في أفنان الشجرة الكنتية، مطبعة عزي، غرداية، الجزائر، د ط، دت

ل

اللالكائي (أبي القاسم هبة الله ابن الحسن الطبري):

شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، دار البصيرة، الأسكندرية، د ط، د ت

لجنة التأليف والتعريب والنشر :

شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار، ت فيصل بدير عون، . مطبوعات جامعة الكويت لجنة التأليف والتعريب والنشر، الشويخ، ط 01، 1998م.

اللقاني (عبد السلام بن ابراهيم):

شرح جوهرة التوحيد، مطبعة السعادة، مصر، ط 02، 1375هـ، 1955م.

لكصاسي محمد:

الفتوحات الربانية على العقائد الإسلامية لطلبة المدارس القرآنية، دار صبحي للطباعة والنشر،متليلي، غرداية، الجزائر، ط 01، 2017م

م

الماتريدي (محمد بن محمد أبو منصور):

تفسير الماتريدي، تأويلات أهل السنة.، ت: مجدي باسلوم، .دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، 142هـ، 2005م.

ابن ماجة:

سنن ابن ماجة، ت محمد فؤاد عبد الباقي، . دار إحياء الكتب العربية، بيروت، د ط، د ت.

المباركفوري (صفي الرحمن):

الرحيق المختوم، دار الهلال، بيروت، ط 01، د ت.

مالك بن أنس:

الموطأ، ت محمد مصطفى الأعظمي، . مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبوظبي، الإمارات، ط 01، 1425هـ، 2004م.

الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد):

أعلام النبوة، . دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط01، 1409ه

محمد قاسم حمزة منار القاري:

01- شرح مختصر صحيح البخاري، ، ت: بشير محمد عيون، .مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف – المملكة العربية السعودية، د ط، 1410 ه – 1990 م.

02- منارة القارئ شرح صحيح البخاري، ت عبد القادر الأرناؤوط، . مكتبة دار البيان، دمشق، د ط، 1410ه، 1980م.

المحمدي(عبد القادر مصطفى عبد الرزاق):

الشفاعة في الحديث النبوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، 1426ه، 2005م

المدني أحمد توفيق:

آثار الأستاذ أحمد توفيق المدني،هذه هي الجزائر ويليه كتاب الجزائر،.دار البصائر، الجزائر، د ط، 2008

المشاط المالكي (حسن بن محمد):

إنارة الدجى في مغازي خير الورى صلى اله عليه وآله وسلم،.دار المنهاج، جدة، السعودية، ط 02، 1442ه

المصلح (خالد بن عبد الله بن محمد):

شرح العقيدة الواسطية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، ، .دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، ط 01، 1421ه.

المقريزي(أحمد بن علي تقي الدين):

إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، ت محمد عبد الحميد النميسي، .دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، 1420ه، 1999م.

منشورات وزارة الثقافة :

أبطال من ذاكرة الثورة، .منشورات وزارة الثقافة، الجزائر

ابن منظور (محمد بن مكرم أبو الفضل جمال الدين):

لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 03، 1414ه.

المهدلي (محمد عقيل بن علي):

دراسة في السمعيات، دار الحديث، القاهرة، ط 01، 141هـ، 1996م

ن

النسائي (أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب):

01- السنن الكبرى، ت حسن عبد المنعم شلبي، . مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 01، 1421هـ، 2001م.

02- المجتبى من السنن، السنن الصغرى، ت عبد الفتاح أبو غدة، . مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط 02، 140هـ، 1986م

النسفي (أبي البركات عبد الله بن احمد بن محمود):

تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ت يوسف علي بديوي، .دار الكلم الطيب، بيروت، ط 01، 1419هـ، 1998م.

أبو نعيم (أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران):

المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، ت محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، .دار الكتب العلمية ، بيروت، ط 01، 1417هـ - 1996م.

النفراوي (أحمد بن غنيم):

الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1418هـ، 1998م

النووي (أبو زكريا محي الدين يحي بن شرف) :

01-تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، د ت

02- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 2، 1392هـ

النيسابوري(أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله):

المستدرك على الصحيحين، ت مصطفى عبد القادر عطا، . دار الكتب العلمية، بيروت، ط 02، 1422هـ، 2002م.

النيسابوري(أبو سعد عبد المالك بن محمد):

شرف المصطفى، دار البشائر، مكة، ط 01، 1424هـ.

هـ

هراس (محمد بن خليل حسن):

شرح العقيدة الواسطية، ت: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الخبر، السعودية، ط 03، 1415هـ

الهروي (علي بن محمد، أبو الحسن نور الدين) ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح،.دار الفكر، بيروت، ط 01، 1422 هـ، 2002 م

الهروي (محمد بن أحمد): تهذيب اللغة، ت محمد عوض مرعب، . دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 01، 2001م

و

الواحدي (أبو الحسن علي بن أحمد):

الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ت : مجموعة من العلماء وهم : عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن عويس، . دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، 1415هـ، 194م.

الواقدي (أبو عبد الله محمد بن عمر):

المغازي، ت: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، ط 03، 1409هـ، 1989 م.

ثانياً: الدوريات:

1. مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد الرابع، 1393هـ، 1973م.

2. مجلة المصادر، يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، العدد3، 2000.

3. مجلة روافد للبحوث والدراسات، تصدرها جامعة غرداية، العدد 02، 2017م.

ثالثاً: الرسائل الجامعية:

4. الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتوات إبان الاحتلال الفرنسي 1900- 1962م من خلال سجلات المحكمة الشرعية، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتواره علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، من إعداد الطالب: عبد الله بابا، (جامعة أحمد دراية، أدرار ، السنة الجامعية 2018، 2019

5. السياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن 19 م، عبد القادر مرجاني، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي ليابس – سيدي بلعباس، السنة الجامعية: 1440-1441هـ/ 2019-2020م.

6. التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الجزائري، (1844م-1912)، داود شريفي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ حديث جامعة الحاج لخضر باتنة، السنة الجامعية: 2015-2016

7. السياسة الفرنسية لفصل الصحراء الجزائرية وردود الفعل الشعبية منها (1957م-1962م)، سارة بن علو، زهيرة كبيري، (مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في التاريخ، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، السنة الجامعية، 1437-1438هـ /2016/1-2017م)

8. من أعلام الجزائر، العلامة الشيخ محمد باي بالعالم وأدواره العلمية والاجتماعية، بوسماحة بن محمد بن عبد الكريم، .مذكرة لنيل شهادة كفاءة برتبة إمام مدرس، من المعهد الوطني لتكوين الإطارات الخاصة بإدارة الشؤون الدينية والأوقاف، بتمنغست، الموسم الدراسي:1437-1438/201-2017.

رابعاً: المحاضرات

1. محاضرة ألقيت بمناسبة الملتقى التكويني السابع، والذي كان تحت عنوان" الخطاب المسجدي والتحديات المعاصرة"، أحمد بن مالك،

خامساً: المواقع الإلكترونية

1. موقع البصائر، يوم 2021/03/24، على الساعة 15:01 من مقال بعنوان"في ذكرى الشيخ عبد الرحمان شيبان محطات مضيئة في حياة مجيدة" بقلم عبد الحميد عبدوس.

2. موقع طريق الإسلام، يوم 2021/03/24، على الساعة 15:00، من مقال بعنوان"الشيخ عبد الرحمان شيبان رحمه الله رجل العلم والجهاد"

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
شكر وعرفان	03
الإهداء	04
المقدمة	05
الباب الأول: ترجمة الشيخ باي بلعالم والمعرفة العقدية والقضايا التطبيقية عنده	12
الفصل الأول: الظروف التي صاحبت نشأة الشيخ باي	13
تمهيد	14
المبحث الأول: الظروف الظروف السياسية	15
المبحث الثاني: الظروف الاقتصادية والاجتماعية	26
المبحث الثالث: الظروف العلمية	33
الفصل الثاني: حياته العلمية والتعليمية ووفاته ومؤلفاته وثناء العلماء وغيرهم عليه	38
المبحث الأول: حياته التعلمية والتعليمية	39
المبحث الثاني: وفاته ومؤلفاته وثناء العلماء وغيرهم عليه	53
الفصل الثالث: المعرفة العقدية والقضايا التطبيقية عند الشيخ	60
المبحث الأول: المعرفة العقدية عند الشيخ	61
المبحث الثاني: مسألة التكفير	76
المبحث الثالث: مسألة التبديع	86
المبحث الرابع: التصوف والولاية عند الشيخ	94
الباب الثاني: التوحيد وأنواعه عند الشيخ	106
الفصل الأول: مدخل إلى التوحيد وقسميه: الربوبية والألوهية	107
المبحث الأول: مدخل إلى التوحيد وتوحيد الربوبية	108
المبحث الثاني: توحيد الألوهية	122
الفصل الثاني: توحيد الأسماء والصفات	130
المبحث الأول: مدخل إلى توحيد الأسماء والصفات	131

المبحث الثاني: الصفات النفسية والصفات السلبية	135
المبحث الثالث: صفات المعاني	147
المبحث الرابع: الصفات المعنوية والمستحيلة وصفات الفعل وباقي الصفات	160
الباب الثالث: الإيمان ومسائله عند الشيخ باي	170
الفصل الأول: تعريف الإيمان ومسألة القضاء والقدر	171
المبحث الأول: تعريف الإيمان والاختلاف الذي وقع فيه	172
المبحث الثاني: الإيمان بالقضاء والقدر وجوب التسليم بهما مع الأخذ بالأسباب فيهما	182
الفصل الثاني: الإيمان بالنبوات	192
المبحث الأول: الفرق بين النبي والرسول وما يجب لهما	194
المبحث الثاني: ما يستحيل وما يجوز وما لا يجوز عليهم	204
المبحث الثالث: بيان بعض معجزاته صلى الله عليه وسلم	211
الفصل الثالث: الإيمان بالسمعيات	218
المبحث الأول: مفهوم السمعيات ومسألة القبر والملائكة واليوم الآخر	219
المبحث الثاني: مسألة الشفاعة وقراءة الكتب	231
المبحث الثالث: مسألة الجنة والنار والميزان والصراط والحوض والرؤية	241
الخاتمة	252
التوصيات	256
فهرس الآيات	258
فهرس الأحاديث	272
فهرس المصادر والمراجع	277
فهرس المحتويات	301

ملخص

يعتبر الشيخ محمد باي بلعالم أحد العلماء المصلحين المعاصرين، والذين جادت بهم الصحراء الجزائرية، ورغم عدم اشتهار منطقته توات بالتأليف والتصنيف، إلا أنه قد تميز بكثرة مؤلفاته التي تركها وفي شتى أصناف العلوم الشرعية وحتى التراجم والتاريخ، وهذا يعكس سعة علمه واطلاعه بما ألف من علوم، ومنها علم أصول الدين، ولذي خدمه تأليفاً وتصنيفاًبما نظم فيه من متون وشرحٍ لبعضها الآخر، كما خدمه تعليماً وتجسيداً بما نشره من العقيدة الصحيحة بين الناس، وبما صححه من مخالفات واعتقادات خاطئة فيها.

ولأهمية ذلك الجهد الذي قام به الشيخ باي في سبيل علوم الشريعة بصفة عامة، والعقيدة بصفة خاصة، ومساهمةً منا في ردّ بعض الجميل ونشر ذلك الخير والعلم حتى يعم الناس، سعيت ومن خلال هذا البحث الموسوم بـ" **الشيخ محمد باي بلعالم ومنهجه في تناول مسائل العقيدة**"، وبعد طرحي لجملة من التساؤلات الرئيسية والتي ينبني البحث على إجابتي عليها، وهي على النحو التالي:

– من هو الشيخ محمد باي بلعالم العالم المصلح؟ وكيف كانت حياته التعلمية والتعليمية؟

– ما منهج الشيخ في بيان التوحيد ونواقضه؟ وكيف تناول أنواعه ومسائله؟

– وما هو منهجه في بيان الإيمان ومسائله؟ وما موقفه من بعض قضاياه؟

– كيف كان تعامل الشيخ مع القضايا التطبيقية في العقيدة الإسلامية كالكفر والتبديع، والتصوف والولاية؟

سعيت لإنجاز هذا البحث من خلال الإجابة على التساؤلات السابقة، والتي اعتمدت في الإجابة عليها على ثلاثة مناهج هالإستقرائي والتحليلي والمقارن، وقد بُنِيَتْ هاته الدراسة على مقدمة وطئت فيها للموضوع وذكرت أسباب اختياري للموضوع والهدف منه وغير ذلك من النقاط اللازم ذكرها في هذا المقام؛ كما احتوى البحث على بابين؛ جاء الباب الأول منها في ترجمة الشيخ باي معرفاً به وبعلمه، كما جاء فيه بيان التوحيد ونواقضه وأنواعه ومسائله عند الشيخ؛ وأما الباب الثاني فخصص لبيان منهج الشيخ في الإيمان ومسائله، وموقفه من بعض قضاياه، كما نوقش فيه موقف الشيخ من بعضلقضايا التطبيقية كالكفر والتبديع، والتصوف والولاية؛ وينتهي البحث بخاتمة ضمنتها نتائج ما توصلت إليه من خلال البحث.

وخلصت هاته الدراسة في نهايتها إلى ما يلي:

01 -عُرِفَ الشيخ باي نشأةً تعليمية مهمة مكنته من التصدر تعليماً وتأليفاً في شتى فروع الشريعة.

02 – سعى الشيخ باي في كل حياته للإصلاح الديني بصفة عامة والعقدي بصفة خاصة بقلمه ولسانه وحاله.

03 - حاول الشيخ أن يؤصل في القضايا العقدية لكل مسألة تناولها من الكتاب والسنة وأقوال من سبقه من السلف.

04 - اعتقد الشيخ معتقد أهل السنة الأشاعرة منهم في جلّ مسائل العقيدة وخالفهم في بعضها كتأويل الصفات.

05 – حاول الشيخ أن يوفق في بعض المسائل بين رؤية الأشاعرة وأهل الحديث كمسألة أول واجب على المكلف.

06 – خالف الشيخ في مسألة البدعة ما اشتهر عند بعض العلماء من ذمها، وذهب مذهب

البعض الآخر منهم من أنها تعتريها الأحكام الخمسة.

07 – أنصف القضايا التطبيقية التي اخطأ الناس في حقها وحق أهلها، وبيّن ما يصلح فيها وما لا يصلح.

Summary

Sheikh Mohamed BeyBelalem is considered as one of the contemporary reformist scholars, and a pioneer figure of the Algerian Saharan region. This region was not famous for authoring;however, the Sheikh was distinguished by the abundance of his writings, which heproduced in the various types of legal religious sciences, translation and history.Such writings reflect his broad knowledge about a number of sciences, including the science of the fundamentals of Islamic religion. This latterhe served by denying the false interpretation; distinguishing what is in this systemsfrom what is not. He also served to reform the education; correcting information among people as well asfalse beliefs.

Due to the importance of that effort that Sheikh Bey made for the sake of the sciences of Sharia in general, and the Islamic faith in particular, and as a contribution to paying back some of the favors and spreading that goodness and knowledge so that the people could spread, this research entitled "Sheikh Muhammad BeyBalaalem and his methodology in presenting matters of Islamic faith" sought to present a number of main questions that this work is based on. These questions are as follows: Who is Sheikh Muhammad Bey, a reformed scientist? How was his educational life? What is the Sheikh's approach in explaining monotheism and its breaks? How did he deal with its types and issues? What is his method for explaining faith and its issues? What is his position on some of this cases? How did the Sheikh deal with the applied issues of the Islamic creed, such as disbelief and innovation, mysticism and guardianship? This research

sought to answer the previous questions on three approaches: inductive, analytical, and comparative. This study is based on an introduction to the topic and mentions the reasons for choosing it, the purpose of it, and other points that need to be mentioned in this regard. The research also contained two chapters: The first chapter of it comes as the translation of Sheikh Bey; knowing him and his knowledge, as well as to explain monotheism and all what could break or invalid it, dealing with its types and issues that were deal with by the Sheikh. As for the second chapter, it is devoted to explaining the sheikh's approach to Islamic faith and its issues, and his position on some of related topics, as well as to discuss the Sheikh's attitudes on some applied issues such as disbelief and religious innovation, Sufism and guardianship. The research ends with a conclusion that includes the results of the research findings. This study concluded with the following:

01 - Sheikh Beyreceived an important educational upbringing that enabled him to be a leader in teaching and writing in various branches of Sharia.

02 - Sheikh Bey has struggled throughout his life for religious reform in general and belief in particular with his pen, tongue and status.

03 - The sheikh tried to root in the doctrinal issues of every issue he dealt with from the Qur'an and Sunnah, and the sayings of his predecessors.

04 - The sheikh believed in the doctrine of the Ahl al-SunnahAsha'ari in most matters of belief and disagreed with them in some of them, such as the interpretation of attributes of Allah the Almighty.

05 - The sheikh tried to balance, in some matters, between the views of the Ash'ari and the people of hadith as in the matter of the first duty of the Muslim reaching puberty.

06 - The Sheikh disagreed with the issue of religious innovation, which was well-known among some scholars regarding its denunciation, and went to the doctrine of some of them that this matter may fall in the five judgments.

07 –He was fair with the practical cases in which people were mistaken and explained what works in them and what is does not.